الغيبة الكبري
في
دعوي السفارة

نويسنده:شيخ محمد سند

جلد(۲-۱)

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى (٢)

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

محبين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
الجزء (۱) ----- ۱۳
مقدمة المرکز ...: ص: ۵ ----- ۱۳
تمهید ... ص: ۷ ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
الغیبة الصغری والنیابة الخاصة ...: ص: ۷ ----- ۱۴
خطورة النیابة الخاصة ...: ص: ۸ ----- ۱۵
المدّعون للسفارة مع باقی الأئمّة (علیهم السلام ...): ص: ۱۰ ----- ۱۵
الضرورة علی انقطاع السفارة ...: ص: ۱۱ ----- ۱۶
التشرف باللقاء والنیابة ...: ص: ۱۱ ----- ۱۶
محدودیّة صلاحیة النیابة ...: ص: ۱۳ ----- ۱۷
الانقطاع ومعنی الغیبة ...: ص: ۱۳ ----- ۱۷
عقیدة الانتظار ...: ص: ۱۴ ----- ۱۷
التفقه فی الدین اعتصام من الضلال ...: ص: ۱۵ ----- ۱۸
نماذج قرآنیّة فی القدرة التکوینیّة لروّاد الضلال ...: ص: ۱۸ ----- ۱۹
مفهوم العدالة یقلب إلی العصمة المکتسبة وذریعة التأویل ...: ص: ۲۳ ----- ۲۱
تنویع البحث ... ص: ۲۷ ----- ۲۲
الفصل الأوّل: فی الفرق بین السحر والمعجزة والکرامة ... ص: ۳۳ ----- ۲۴
الفصل الثانی فی کون انقطاع النائب الخاص للإمام (ع) عقیدة من ضروریات مذهب الإمامیة الإثنی عشریة ... ص: ۵۵ ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
الأمر الأوّل معنی النیابة لغة ... ص: ۵۵ ----- ۳۱

الأمر الثانی کلمات علماء الطائفة ... ص: ۵۶ ---- ۳۲
الأمر الثالث النیابة العامة للفقهاء ... ص: ۸۳ ---- ۴۲
الأمر الرابع منابع الشریعة ... ص: ۹۳ ---- ۴۵
الأمر الخامس الرؤیا لیست مصدراً للتشریع ... ص: ۱۱۱ ---- ۵۲
اشارة ---- ۵۲
جواب شبهة من رآنی فی منامه فقد رآنی ... ص: ۱۲۲ ---- ۵۵
الأمر السادس نبذة من أحوال النواب الأربعة فی الغیبة الصغری ... ص: ۱۳۸ ---- ۶۱
الأمر السابع ذکر المذمومین الذین ادّعوا البابیة لعنهم الله ... ص: ۱۵۴ ---- ۶۷
اشارة ---- ۶۷
أوّلهم: المعروف بالشریعی ...: ص: ۱۵۴ ---- ۶۸
ومنهم: محمّد بن نصیر النمیری ...: ص: ۱۵۵ ---- ۶۸
ومنهم: أحمد بن هلال الکرخی ...: ص: ۱۵۶ ---- ۶۸
ومنهم: أبو طاهر محمّد بن علی بن بلال ...: ص: ۱۵۶ ---- ۶۹
ومنهم: الحسین بن منصور الحلاج ...: ص: ۱۵۸ ---- ۶۹
ومنهم ابن أبی العزاقر ...: ص: ۱۶۰ ---- ۷۰
نسخة التوقیع الخارج فی لعنه ...: ص: ۱۶۵ ---- ۷۲
التوقیع ...: ص: ۱۶۶ ---- ۷۳
ذکر أمر أبی بکر البغدادی ... ص: ۱۶۷ ---- ۷۳
الأمر الثامن ثواب الثبات والتمسّک بالدین فی الغیبة الکبری وشدّة المحنة ... ص: ۱۷۱ ---- ۷۵
الأمر التاسع تفسیر الکتاب الوارد من الناحیة المقدّسة علی الشیخ المفید وتشرّف عدّة من أساطین الفقه والعلم بلقائه (ع ...) ص: ۱۷۹ ---- ۷۸
الأمر العاشر من هم الأبدال والأوتاد ...؟ ص: ۱۸۸ ---- ۸۱
الفصل الثالث فی الفِرق التی انحرفت عن الطائفة الإمامیة وکیفیة انحرافها ... ص: ۲۰۱ ---- ۸۵
اشارة ---- ۸۵
(الغلاة ...): ص: ۲۰۱ ---- ۸۵

ومنها (الخطابیة ...): ص: ۲۰۲ ---- ۸۵
ومنها (الحارثیة ...): ص: ۲۰۴ ---- ۸۶
ومنها (المنصوریة ...): ص: ۲۰۵ ---- ۸۷
ومنهم (أصحاب السری ...): ص: ۲۰۶ ---- ۸۷
ومنها (البیانیة ...): ص: ۲۰۶ ---- ۸۷
ومنها (أصحاب حمزة بن عمارة الزبیدی البربری ...): ص: ۲۰۸ ---- ۸۸
ومنها (المغیریة ...): ص: ۲۰۹ ---- ۸۸
ومنها (أصحاب بزیع بن موسی الحائک ...): ص: ۲۰۹ ---- ۸۸
ومنها (البشیریة ...): ص: ۲۱۰ ---- ۸۹
ومنها (أصحاب معمر بن خیثم ...): ص: ۲۱۲ ---- ۸۹
الفصل الرابع فی تاریخ البابیة فی إیران ... ص: ۲۳۱ ---- ۹۶
الخاتمة ... ص: ۲۵۹ ---- ۱۰۶
اشارة ---- ۱۰۶
الأمر الأوّل فی خروج الدجّال ... ص: ۲۵۹ ---- ۱۰۶
الأمر الثانی: فی علامات ظهور الحجة (ع) وعدّة أصحابه ...: ص: ۲۶۱ ---- ۱۰۷
الأمر الثالث: فی مدح العلم وذم الجهل ...: ص: ۲۶۵ ---- ۱۰۹
الجزء (۲) ---- ۱۱۰
الفصل الأوّل: العقول والخواطر ... ص: ۲۷۳ ---- ۱۱۰
عبادة العقل ...: ص: ۲۷۳ ---- ۱۱۰
مرتبة ومساحة حجیة العقل ...: ص: ۲۷۷ ---- ۱۱۱
الخواطر ومسؤولیة بناء الذات ...: ص: ۲۸۲ ---- ۱۱۳
فلسفة استعراض الماضی ...: ص: ۲۸۴ ---- ۱۱۴
الفصل الثانی: منظومة المعارف الدینیة ... ص: ۲۹۱ ---- ۱۱۶
اشارة ---- ۱۱۶

المحور الأوّل: الدين ...: ص: ۲۹۱ ---- ۱۱۶
اشارة ---- ۱۱۶
موالاة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين ...: ص: ۲۹۵ ---- ۱۱۸
المحور الثانی: الملّة ...: ص: ۲۹۷ ---- ۱۱۸
المحور الثالث: الشريعة ...: ص: ۲۹۸ ---- ۱۱۹
المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ۲۹۸ ---- ۱۱۹
المحور الخامس: الطريقة ...: ص: ۲۹۹ ---- ۱۱۹
المحور السادس: الحكمة ...: ص: ۲۹۹ ---- ۱۱۹
اشارة ---- ۱۱۹
مساحات التشريع ...: ص: ۲۹۹ ---- ۱۱۹
بعض شبه العلمانية ...: ص: ۳۰۲ ---- ۱۲۰
الفصل الثالث: فتنة البصيرة ... ص: ۳۰۷ ---- ۱۲۲
فتنة البصيرة أشد الفتن ...: ص: ۳۰۷ ---- ۱۲۲
تفاوت البصائر ...: ص: ۳۰۹ ---- ۱۲۳
اليهود وفتنة العجل ...: ص: ۳۱۱ ---- ۱۲۳
الحكمة من فتن البصائر ...: ص: ۳۱۴ ---- ۱۲۴
النصارى وفتنة قتل عيسى (ع ...): ص: ۳۱۶ ---- ۱۲۵
الفتنة محک البصيرة ...: ص: ۳۱۹ ---- ۱۲۶
التوسل بالنبی وآله من الاختبارات فی البصيرة ...: ص: ۳۲۰ ---- ۱۲۷
تعدد الرؤى والأنظار ينمی البصيرة ...: ص: ۳۲۲ ---- ۱۲۸
تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ۳۲۳ ---- ۱۲۸
أصحاب الكساء ركن المهدوية ...: ص: ۳۲۵ ---- ۱۲۹
طريق تخطی فتن البصائر ...: ص: ۳۲۶ ---- ۱۳۰
حقيقة التباس الحجج ...: ص: ۳۲۸ ---- ۱۳۰

اتّباع بقیة الأنبیاء فی زمن سید الرسل ضلال ...: ص: ۳۲۸ ---- ۱۳۱
جمیع الأنبیاء علی دین الخاتم ...: ص: ۳۲۹ ---- ۱۳۱
الفصل الرابع: حقیقة ومراتب الحجج ... ص: ۳۳۵ ---- ۱۳۲
حقیقة معرفة الحجج ...: ص: ۳۳۵ ---- ۱۳۲
معنی المتشابَه ...: ص: ۳۳۶ ---- ۱۳۳
الحس یقین وظن ...: ص: ۳۳۷ ---- ۱۳۳
لا تقاطع ولا إقصاء فی الحجج ...: ص: ۳۳۸ ---- ۱۳۴
حجیة الفقهاء فی دولة الظهور ...: ص: ۳۴۱ ---- ۱۳۵
امومة بدیهیات العقل فی المعرفة ...: ص: ۳۴۵ ---- ۱۳۶
أنواع الحجج مفتاح البصائر ...: ص: ۳۵۰ ---- ۱۳۸
مراتب الحجج ...: ص: ۳۵۱ ---- ۱۳۹
تراتب حجیة الأئمّة ...: ص: ۳۶۵ ---- ۱۴۴
الفصل الخامس: القواعد الرقابیة فی المعرفة ... ص: ۳۷۳ ---- ۱۴۶
اشارة ---- ۱۴۶
بدیهیات العقل أولی القواعد ...: ص: ۳۷۳ ---- ۱۴۶
ضروریات دین الله ثانی القواعد ...: ص: ۳۷۵ ---- ۱۴۷
سنن الأنبیاء ثالث القواعد ...: ص: ۳۷۷ ---- ۱۴۷
مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابیة ...: ص: ۳۸۲ ---- ۱۴۹
منهاج الأئمّة خامس القواعد الرقابیة ...: ص: ۳۸۸ ---- ۱۵۲
الواقع والاستکشاف فی الحجج ...: ص: ۳۹۱ ---- ۱۵۳
أهمیة الحورات العلمیة الدینیة ...: ص: ۳۹۳ ---- ۱۵۴
بین البصیرة والتمرد ...: ص: ۳۹۵ ---- ۱۵۵
الغلو والتقصیر تعریف آخر ...: ص: ۳۹۶ ---- ۱۵۵
القواعد الرقابیة وحفظ ثقافة أهل البیت (علیهم السلام ...): ص: ۴۰۱ ---- ۱۵۷

القواعد الرقابية والشلمغانى والعبرتائى ...: ص: ۴۰۶ ---- ۱۵۸
بواعث الانحراف ...: ص: ۴۰۹ ---- ۱۵۹
الفصل السادس: النيابة الخاصة ... ص: ۴۱۹ ---- ۱۶۲
أصحاب السر ...: ص: ۴۱۹ ---- ۱۶۲
التأويل مع الظاهر لا الضرورى ...: ص: ۴۲۴ ---- ۱۶۴
تطابق الشريعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ۴۲۴ ---- ۱۶۴
سقوط الحجية ...: ص: ۴۲۷ ---- ۱۶۶
إمكانية الانحراف والنائب الخاص ...: ص: ۴۲۹ ---- ۱۶۶
السفير والنائب قد يفقد حجيته ...: ص: ۴۳۱ ---- ۱۶۷
دعوة للتوازن ...: ص: ۴۳۴ ---- ۱۶۸
ضرورة الدراسات العقائدية ...: ص: ۴۳۵ ---- ۱۶۹
الدليل الإثباتى للنيابة الخاصة ...: ص: ۴۳۷ ---- ۱۶۹
خطورة السفارة ودليلها ...: ص: ۴۳۹ ---- ۱۷۰
انضباط قنوات الحجية للغيب ...: ص: ۴۴۱ ---- ۱۷۱
شبهات عنكبوتية واهية ...: ص: ۴۴۵ ---- ۱۷۳
فى عصر المهديين الاثنى عشر ...: ص: ۴۴۷ ---- ۱۷۴
الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ۴۵۵ ---- ۱۷۵
أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۵۵ ---- ۱۷۵
ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ...: ص: ۴۵۹ ---- ۱۷۷
منابع الشريعة ...: ص: ۴۶۲ ---- ۱۷۸
عدم حجية تلقى غير المعصوم ...: ص: ۴۶۴ ---- ۱۷۹
افتراق الريب عن الفحص العلمى ...: ص: ۴۶۶ ---- ۱۸۰
رفع اليد عن أدلّة اليقين مقابل توهمات ...: ص: ۴۶۷ ---- ۱۸۰
عدم حجية إلهام أو رؤية غير المعصوم ...: ص: ۴۶۸ ---- ۱۸۱

الارتباط بالغیب نبوة أم إمامة أم للکل ...: ص: ۴۶۹ ---- ۱۸۱
تفاوت درجات الصدق ...: ص: ۴۷۹ ---- ۱۸۵
ضعف ومحدودیة الإدراک القلبی لغیر المعصوم ...: ص: ۴۸۰ ---- ۱۸۵
کشف المعصوم القرآن والسُنّة ...: ص: ۴۸۱ ---- ۱۸۶
سبب اختلاف المعصوم فی التلقی مع غیره ...: ص: ۴۸۲ ---- ۱۸۶
العدالة تغایر العصمة ...: ص: ۴۸۳ ---- ۱۸۶
العلوم الغریبة المکتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ۴۸۵ ---- ۱۸۷
توصیة روایات الظهور بخطورة الدجل ...: ص: ۴۸۶ ---- ۱۸۸
التشرف برؤیة الإمام المهدی (ع) لا یعنی الحجیة ...: ص: ۴۸۸ ---- ۱۸۸
ریاضات النفس وفعل الأعاجیب ...: ص: ۴۸۹ ---- ۱۸۹
حدود النیابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۹۳ ---- ۱۹۰
ثبات فقه مدرسة أهل البیت ومصادره ...: ص: ۴۹۳ ---- ۱۹۱
ضرورة الموازین فی قراءة الدین ...: ص: ۴۹۵ ---- ۱۹۱
کفر مُدّعی السفارة ...: ص: ۴۹۷ ---- ۱۹۲
عناوین دعوی السفارة ...: ص: ۵۰۰ ---- ۱۹۳
حرکات ونهضات رایات سنة الظهور ...: ص: ۵۰۳ ---- ۱۹۴
الخلط بین أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ۵۰۵ ---- ۱۹۵
حقیقة السفارة والنیابة الخاصة ...: ص: ۵۰۵ ---- ۱۹۵
الفصل الثامن: مفهوم الغیبة بین الافراط والتفریط ... ص: ۵۱۳ ---- ۱۹۷
الافراط والتفریط فی الغیبة ...: ص: ۵۱۳ ---- ۱۹۷
حقیقة الغیبة والظهور ...: ص: ۵۱۹ ---- ۲۰۰
شواهد التصدی للإمامة الفعلیة ...: ص: ۵۲۳ ---- ۲۰۱
الغیبة والتقیة وقمّة النشاط ...: ص: ۵۲۸ ---- ۲۰۳
لولا إدارة الإمام لشؤون الحیاة علی الأرض لساخت ...: ص: ۵۳۰ ---- ۲۰۴

جهاز تدبير الإمام ...: ص: ۵۳۱ ---- ۲۰۴
معنى أعمق للغيبة ...: ص: ۵۳۵ ---- ۲۰۶
الفصل التاسع: التوقيت والظهور ... ص: ۵۴۱ ---- ۲۰۷
كيف ننصر الإمام المهدى (ع ...): ص: ۵۴۱ ---- ۲۰۷
التوقيت والتفاؤل ...: ص: ۵۵۴ ---- ۲۱۲
مصادر التحقيق ... ص: ۵۵۹ ---- ۲۱۴
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۲۱۷

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پديدآور : دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى/ تاليف محمد السند

وضعيت ويراست : [ويراست ؟]

مشخصات نشر : موسسه المحبين للطباعه و النشر، ۱۴۲۵ق. = ۲۰۰۴م. = ۱۳۸۳.

مشخصات ظاهرى : ط، ص ۲۱۴

شابک : ۹۶۴-۷۱۰۳-۶۲-X

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى

يادداشت : چاپ قبلى: مكتبه الداورى، ۱۴۱۱ق. = ۱۳۶۹

يادداشت : عربى

يادداشت : چاپ ششم

يادداشت : كتابنامه به‌صورت زيرنويس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - -- نيابت

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - -- رويت

رده بندى كنگره : BP۲۲۴/۴/س۹د۷ ۱۳۸۳

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۴۶۲

شماره كتابشناسى ملى : م۸۳-۳۵۳۲۷

الجزء (۱)

مقدمة المركز ...: ص: ۵

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ فى هذِهِ السّاعَةِ وَفى كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيّاً وَحَافِظاً وَقائِدَاً وَناصِراً وَدَليلًا وَعَيْناً حَتّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلًا».

دأب مركز الدراسات التخصصية فى الإمام المهدى (ع) ومنذ تأسيسه بعد سقوط النظام فى النجف الأشرف على وضع اللبنات الأولى لتأصيل الفكر المهدوى وتعميق ثقافة الانتظار بين أبناء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى العراق وخارجه وذلك من خلال الأطر العامة والخطط المعرفية التى وضعها منهاجاً يسير على خطاه، وكان من جملة هذه البرامج هى إقامة دورات علمية تخصصية تهتم ببيان الجوانب المعرفية فى الثقافة المهدوية وذلك باستضافة الشخصيات العلمائية وفضلاء الحوزة العلمية وأساتذتها ممن تشهد لهم الساحة العلمية بطول الباع وعمق النظر والإحاطة المستوعبة فى مختلف جانب قضية الإمام (ع) وكان ممن تشرف المركز بدعوته سماحة الفقيه المحقق الشيخ محمّد السند (دام عزه) حيث عقد المركز لسماحته دورة تخصصية حضرها العشرات من طلبة الحوزة العلمية وذلك فى شهر صفر سنة (۱۴۲۷ ه-) فى النجف الأشرف فى جامع الهندى ولما كانت الحاجة ماسة والساحة العلمية بحاجة إلى أمثال

هذه البحوث القيّمة التأصيلية فى الفكر الشيعى وذلك لوجود الشبهات الفكرية فى القضايا العقيدية بشكل عام وقضية عقيدة الإمام المهدى (ع) بشكل خاص قامت لجنة التحقيق فى المركز وبجهود مباركة لكل من الإخوة الفضلاء سماحة الشيخ حازم الحدراوى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶

وسماحة الشيخ حميد الوائلى بتحرير الدرس وتقويم النصّ وربط الأبحاث وتوحيدها وتخريج المصادر والتعليق على الكثير من البحوث لبيان إيضاح أو تأييد فكرة ودعم معلومة أو غير ذلك مما له دخل فى شمولية البحث واستيعابه وعرضه بأسلوب يحصّل أكثر قدر ممكن من الفائدة العلمية. وأسميناه (دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى الجزء الثانى) كما ارتأى المركز بعد استحصال موافقة المؤلف طباعة الجزء الأوّل من دعوى السفارة مع الجزء الثانى باعتبار وحدة الموضوع فيهما وأن أحدهما مكمل للآخر فقامت اللجنة الموقرة بإعادة تحقيق الجزء الأوّل وإخراج مصادر الروايات والأحاديث وتصحيح الأخطاء المطبعية وغيرها من الأمور الفنية.

فكان نتاج هذا الجهد المشكور أن خرج هذا الكتاب بجزئيه الأوّل والثانى بمثل هذه الحُلة القشيبة، راجين من الله تعالى القبول والتوفيق ومن صاحب الأمر (ع) الرعاية والرضا.

مدير المركز

السيد محمّد القبانچى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷

تمهيد ... ص: ۷

اشارة

تمهيد

الحمد لله باعث الرسل، وجاعل الخلفاء لكى لا تخلو الأرض من حجّة لله بالغة على الناس، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين للنّاس كافّة، رحمة للعالمين، المبشّر بأنّ المهدى من ذرّيته من نسل البتول المطهّرة، وعلى آله الأوصياء حجج الله على الخلق.

وبعد.. فإنّ نجوم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، لا يغيب منهم نجم إلى الدار الآخرة إلّا ويطلع آخر، حتّى انتهى الأمر إلى بقية الله فى الأرضين، صاحب الأمر المهدى الحجة ابن الحسن العسكرى، الذى يملؤها قسطاً وعدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وقد وقعت المشيئة الإلهيّة أن يكون هذا العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث، والرحمة الواسعة فى ستار الخفاء، والحجاب المسدول عن التعرّف على شخصه وهويّته من قِبل معسكر الظالمين والمستكبرين، يمارس مهامه ودوره المرسوم من قِبل البارى تعالى، وهو صاحب ليلة القدر فى عصورنا هذه.

الغيبة الصغرى والنيابة الخاصة ...: ص: ۷

لقد هيّأ البارى عزَّ اسمه المؤمنين لغيبة وليّه (ع) الطويلة المتمادية قروناً بغيبة صغرى قد نصب فيها نوّاباً وسفراء له أربعة، أوّلهم: عثمان بن سعيد العمرى، والثانى: ابنه محمّد بن عثمان العمرى، والثالث:

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸

الحسين بن روح النوبختى، والرابع: على بن محمّد السمرى، ابتدأت من عام وفاة الإمام أبى محمّد الحسن بن على العسكرى (۸/ ربيع الأوّل ۲۶۰ هـ) إلى (۱۵/ شعبان/ ۳۲۹ هـ) تاريخ وفاة السمرى، فطاولت ما يزيد على ۶۹ عاماً، وكانت لهؤلاء الأربعة مكانة خاصّة، ونيابة خاصّة يلتقون من خلالها مع الإمام (ع)، ويوصلون أوامره وتوجيهاته إلى الطائفة الناجية وعلمائها.

وهـذه النيابـة الخاصة لم تعهدها على الصـعيد الرسـمى والعلنى الطائفة قبل ذلك مع الأئمّة السابقين (عليهم السـلام)، وإن كان لديهم وكلاء ونوّاب خاصون، إلّا أنّ هذه النيابة الخاصة للأربعة كانت تمتاز بصـلاحيّات خاصّة للنائب تتّصل بشؤون غيبيّة نظير ما لأصـحاب القائم (ع) ال- (۳۱۳) فى عصر الظهور من صلاحيات غيبيّة، ومقامات معنوية فائقة، ويكفى فى الإشارة إلى ذلك تسميتها بالسفارة.

خطورة النيابة الخاصة ...: ص: ۸

وبالنظر لخطورة هـذا الموقع السامى فقـد كانت الطائفـة وعلماؤها يقومون بامتحان هؤلاء الأربعة بنحو مسـتمرّ، مع أنّ الإمام العسـكرى (ع) قـد نصَّ لـدى وجهاء الطائفة وعلمائها على نيابة العمرى وابنه عن الناحية المقدّسة (ع)، كما ذكر ذلك الشـيخ الطوسـى فى كتابه الغيبة («۱»)، وهـذا المنطق ليس غريبـاً عنـد أتبـاع أئمّـة أهل البيت (عليهم السـلام)، حيث إن المسار الـدينى لـديهم قائم على الـدليل والبرهان والبيّنات، بدءً من ضرورة المعجزة على نبوّة الأنبياء، وعلى إمامة الأئمّة، مضافاً إلى النصوص

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹

الإلهية الواردة من كلّ نبىّ سابق على النبى اللّاحق، ومن سـيد الأنبياء على سـيد الأوصياء وولده، ومن الإمام السابق على الإمام اللاحق، ويتصل بخطورة مقام النيابـة الخاصـة ملاحظـة ظاهرة فقهية لدى علمائنا المعاصـرين للغيبة الصـغرى، ولأوائل الغيبة الكبرى، وهو اللعن والبراءة من المدّعين الكاذبين، والطرد لهم عن الطائفة، وهذا الموقف تبعاً لما صدر من التوقيعات من الناحية المقدّسة حول بعضهم.

وفى هـذا السياق أيضاً ما يلاحظ فى زيارة قبورهم التى رواها الشـيخ فى التهذيب: «جئتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاة أوليائه، والبراءة من أعدائهم ومن الذين خالفوك يا حجة المولى، وبك إليهم توجهى، وبهم إلى الله توسلى» («۱»).

ونظير هـذا المفاد ما ذكره الشـيخ فى الغيبـة فى باب ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية والسـفارة كذباً وافتراءً.. قال: (ومنهم أحمد بن هلال الكرخى، قال أبو على بن همام: كان أحمد بن هلال من أصـحاب أبى محمّد، فاجتمعت الشيعة على وكالة أبى جعفر محمّد بن عثمـان بنصّ الحسن (ع) فى حياته، ولمّا مضـى الحسن (ع) قالت الشـيعة الجماعـة له: ألا تقبل أمر أبى جعفر محمّـد بن عثمان وترجع إليه، وقـد نصَّ عليه الإمام المفترض الطاعـة؟ فقال لهم: لم أسـمعه ينصُّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سـعيد، فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان، فلا أجسُر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبى جعفر، فلعنوه وتبرّأوا منه. ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰

ظهر التوقيع على يد أبى القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه فى جملة من لعن) («۱»).

فإن لعن وبراءة الطائفـة من ابن هلال بمجرّد إنكاره لسـفارة النائب الثانى يـدلُّ على خطورة مقام النيابـة الخاصّة المسـمّاة بالسـفارة فى مذهب أهل البيت (عليهم السـلام)، ومما يعزز كونه مقاماً معنوياً خاصاً ما ورد فى زيارتهم التى تقدمت: «أشهد أن الله اختصك بنوره حتّى عاينت الشخص فأدّيت عنه وأدّيت إليه» («۲»).

ولـذلك يشاهـد من المـدّعين الكـذّابين لهـذا المقام فى الغيبـة الصـغرى أنهم تمخرقوا وتبهرجوا بادّعاء مقامات غيبيّـة باطلـة، وشؤون ملكوتيـة زائفـة، والملفت لنظر الباحث المتتبّع أن مقالات هؤلاء المـدعين للنيابـة كذباً فى القرن الثالث وبداية الرابع، تبنّاها فى القرون اللاحقة كثير من فِرَق الصوفية وروّاد التصوّف، سواء على صـعيد نظريات التصوّف النظرى والتصوّف العملى، أو على صعيد التأويلات الخيالية الوهمية البعيدة عن الحقائق الغيبية، فى مجال المعارف والآداب والسنن («۳»).

المدّعون للسفارة مع باقى الأئمّة (عليهم السلام ...): ص: ۱۰

ويشاهـد أيضاً أنّ هؤلاء المدعين للسـفارة لم يقتصـروا على ادّعائها مع الحجة المهدى (ع)، بل ادعوها أيضاً مع أرواح الأئمّة السابقين

(عليهم السلام)، وبعبارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱

أخرى: أن مقام ومنصب السفارة حيث كان معناه وساطة معنوية بين الناحية المقدسة (ع) وبين الناس، تمادوا فى ادعائها معنوياً مع بقيّة الأئمّة الماضين (عليهم السلام)، وهذا يقرّر أن تحديد إطار معنى النيابة الخاصة والسفارة أنها وساطة معنوية، وتمثيل رسمى بين أىّ معصوم (ع) وبين الناس.

الضرورة على انقطاع السفارة ...: ص: ۱۱

وقد قامت الضرورة لدى الطائفة الإمامية على انقطاعها بعد الغيبة الصغرى بعد النائب الرابع على بن محمّد السمرى، حيث ورد التوقيع من الناحية المقدسة على يده: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (التامة)، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عزوجل)، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى شيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم» («۱»).

إذ المراد بالمشاهدة هى الوساطة والتمثيل والاتصال الرسمى بالناحية المقدسة؛ لأنها ذُكرت فى سياق قوله (ع): «لا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية».

التشرف باللقاء والنيابة ...: ص: ۱۱

ويحصل الخلط بين تشرف جملة من علماء الطائفة، كالسيد ابن طاووس والعلامة بحر العلوم، وغيرهم من الصالحين الأتقياء، كما ذكر ذلك كلٌّ من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲

الكلينى فى (أصول الكافى)، والصدوق فى (كمال الدين)، والطوسى فى (الغيبة) والنورى فى (جنّة المأوى فى من رأى الحجة الكبرى)، وبين ضرورة انقطاع السفارة والوساطة والتمثيل الرسمى بين الطائفة وبين الناحية المقدّسة، أى انقطاع التأدية منه إلى الناس، والتأدية من الناس إليه، أى لا يوجد شخص له صلاحية أن يؤدّى إلى الحجة (ع) رسائل الناس وأسئلتهم، ولا أن يؤدّى من الحجة (ع) كلامه إلى الناس، فليس هناك من له صلاحية هذه الموقعية من الوساطة والتمثيل الرسمى تحت أىّ عنوان كان، وتحت أىّ اسم، لا سفير ولا- وسيط ولا نائب خاص، ولا يلتقى بالحجة، ولا على ارتباط به، ولا يحظى برؤيته، فيوصل الرسائل له، ولا غيرها من العناوين التى يتقمّصها الكثير من الدجّالين وذوى النصب والحيلة والأراجيف، طلّاب الرئاسة الباطلة الطامعين فى حطام الدنيا، فلا صلة بين ظاهرة التشرف بلقاء الحجة (ع)، وبين صلاحية الوساطة وصلاحية الارتباط، فإن التشرف ليس له أىّ اعتبار شرعى للآخرين كطريق إلى البابية وغيرها من المسميات، ولا يتصف بأىّ سمة من معانى الحجية للآخرين، كباب ارتباط بالناحية المقدسة، فالتشرف ليس له أىّ أثر شرعى يترتب عليه عند الآخرين، كما أن الذى يتشرف به (ع) فى الغيبة ينبغى أن لا يغلب على ظنه وخياله أن يخصص بتشريع غير ما هو عليه ظاهر الشرع المحمّدى عند الطائفة الإمامية، كما قال هو (ع) وآباؤه ما مضمونه: ما وافق كتاب الله تعالى وسُنّة نبيه (ص) فقد قلناه، وما لم يوافق كتاب الله وسُنّة نبيه (ص) فلم نقله («۱»).

وكما أرجع هو (ع) فى كثير من التوقيعات الصادرة منه فى فترة الغيبة الصغرى، أرجع الرواة فى أسئلتهم إلى ما روى عن المعصومين (عليهم السلام) من آبائه مما هو مودع فى أصول ونسخ وكتب رواة الحديث لدى الطائفة الإمامية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳

محدوديّة صلاحية النيابة ...: ص: ۱۳

إنّ هذا الحدّ والميزان ليس خاصاً بمن يتشرّف باللقاء فقط. بل هو يسرى على النواب الأربعة فى فترة الغيبة الصغرى أيضاً، فقد روى الشيخ فى كتاب الغيبة («۱») أن النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى جمع ما رواه عن رواة الأصحاب عن الأئمّة الماضين (عليهم السلام)، فعرض الكتاب على علماء ومحدّثى قم، فصحّحوا ما فيه عدا موضع واحد نبّهوه على الخلل فيه، وهو ما رواه فى حدّ زكاة الفطرة.

فليس دأبه (ع) أن يظهر تأويل الكتاب قبل ظهوره (ع) على يد أحد، سواء فى الغيبة الصغرى أو الكبرى، بل هذا مدّخر ومؤجّل إلى ظهوره، كما هو مفاد التوقيعات فى الغيبة الصغرى الصادرة عنه (ع)، ومفاد الروايات المستفيضة عن النبى (ص) وعن الأئمّة (عليهم السلام) من آبائه، أنه يحيى الكتاب ويقيمه بعد ظهوره، وكذلك سُنّة النبى (ص) ودارس حكم النبيين.

الانقطاع ومعنى الغيبة ...: ص: ۱۳

ولا يظنّن ظانّ أنّ معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمى المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره فى قيادة البشرية ومواصلة مهامه الرسالية، وأنه (ع) ناءٍ فى أقاصى البلاد لا يتصدى للأمور تاركاً الحبل على الغارب بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل لو ترك التصدى للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا فى الأصعدة المختلفة على البشرية، كما قال (ع) فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴

التوقيع الشريف: «فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم.. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء» («۱»)، بل هو (ع) يدبّر ويدير أمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن فى عصر الغيبة قبل ظهوره (ع)، وأىّ مدّع فى العلن والعلانية يدّعى الاتصال به والارتباط معه (ع)، فهو دجل وألاعيب واحتيال للتغرير بالسذّج من الناس، فالغيبة والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (ع)، فى الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية، بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف فى أمورنا وأمور البشرية وفى المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً، («۲») أى يحول أمام الفساد فى الأرض وسفك الدماء.

عقيدة الانتظار ...: ص: ۱۴

لا ـ ريب أن عقيدة انقطاع النيابة والسفارة فى الغيبة الكبرى لا ـ تعنى الانقطاع القلبى والمعنوى عنه (ع)، بل اللازم على المؤمن دوام قراءة الزيارات المختلفة الواردة فى الروايات التى يزار بها هو (ع)، والإكثار من الدعاء بالفرج، والقيام بالوظائف الشرعية فى فضاء وجو الاعتقاد بإمامة المهدى (ع)، والتولى له، والتبرؤ من خصومه ومناوئيه ومنكريه، ومعايشة هذا الاعتقاد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵

والأمل بظهوره الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا، وأنه (ع) ولى الأمر كله، وبقية الله التى يقيم تعالى بها الحجة والهداية.

ولأجل ذلك فإن عقيدة الطائفة الإمامية فى صلاحية المرجعية للفقهاء، هى كونها نيابية عنه (ع) نيابة لا بالخصوص، يستمد منها المجتهد والفقيه الأحكام من الكتاب وسُنّة النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) عبر الروايات والأحاديث المروية عنهم (عليهم السلام)، كما يستمد بعض الصلاحيات للتصدى لبعض الأمور من المأذونية من قبله (ع) فى التوقيع الشريف: «أما الحوادث الواقعة،

فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» («۱»).

التفقه فى الدين اعتصام من الضلال ...: ص: ۱۵

قال تعالى: فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («۲»).

وقال الإمام موسى بن جعفر (ع): «تفقّهوا فى دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة فى الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقّه فى دينه لم يرضَ الله له عملًا» («۳»).

وقال (ع): «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا» («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶

وقال أبو عبد الله (ع): «تفقّهوا فى الدين، فإنه مَن لم يتفقّه فى الدين فهو أعرابى» («۱»).

وفى حديث آخر: «لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكّ له عملًا» («۲»).

وفى صحيح أبان بن تغلب، عن أبى عبد الله (ع): «لوددت لو أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا» («۳»).

وروى بشير الدهان عنه (ع): «لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا. يا بشير، إن الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه فى باب ضلالتهم وهو لا يعلم» («۴»).

وقال (ع): «الرواية لحديثنا يشدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد» («۵»).

وقال (ع): «إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه فى الدين» («۶»).

وفى حديث آخر: «الكمال كل الكمال التفقّه فى الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة» («۷»).

وفى آخر أيضاً: «كمال الدين طلب العلم والعمل به» («۸»).

وفى حديث قال (ع): «ألا لا خير فى عبادة لا فقه فيها» («۹»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷

وقال (ع): «ما من أحد يموت أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه» («۱»).

فمفاد هذه الأحاديث الشريفة أنّ الذى يدّعى الوصول إلى المقامات الروحيّة عبر الرياضات النفسيّة والاستعداد النفسى أو نحو ذلك، مهما كان متنسّكاً وأنه طوى الأوراد والأذكار والرياضات والختوم فى دورات عديدة وأربعينيّات كثيرة، إذا لم يتفقّه فى الدين والشريعة فهو أعرابى لا يزكّى الله تعالى له عملًا، كيف وهو لم يتعرّف على حدود الله، ومواطن رضاه، وموارد سخطه، إذ أنه ليس بنبىّ ولا رسول، فمن لا يتقيّد بحدود الشريعة كيف يتصور أنه على قرب منه تعالى، ومن ثَمَّ كان الفقيه وهو المبيّن والموضّح لحدود الشريعة من الكتاب والسُنّة أبغض شىء لإبليس؛ لأنه ببيان حدود الشريعة تفشل خطط وحيل إبليس وشبكات تسويلاته الروحية؛ ولأنّ التقيد بالشريعة هو ميزان الاستقامة، وأنّ مرمى ومطمع إبليس فى غوايته لكثير من الفِرَق والجماعات التى تتقمّص السلك الروحى وتدّعى الارتباط بمنابع الغيب، هو فسخ تلك الجماعات عن الالتزام بحدود الشريعة بارتكاب المحرّمات والتنصّل عن أداء الواجبات شيئاً فشيئاً، وبالتالى إغراؤها فى الانسلاخ عن دين خاتم الأنبياء (ص).

ومن هنا كان الفقه والتفقّه يوضّح معالم الدين وحدود الشريعة وحدود الطريق إلى الله تعالى وتمايزه عن حدود الطريق إلى الغواية والضلال، كما أن الفقه يقف سدّاً منيعاً أمام التأويلات الباطلة الضالّة لنصوص القرآن والحديث، فإنّ تلك الجماعات تعتمد ضمن وسائلها الإقناعيّة لجذب الناس إلى مسيرها على تأويلات لنصوص الدينية لا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸

تستند إلى ميزان وضابطة سوى الدعاوى وميول الأهواء وادعاء المقامات الغيبية والارتباط بالغيب كى تنطلى على أفراد الجماعة، أن كل ما يقولونه هو إلهام غيبى وإيحاء لدنى لا يقبل النقاش والمسألة، وهو فوق الاستدلال والبحث والنقد..

نماذج قرآنيّة فى القدرة التكوينيّة لروّاد الضلال ...: ص: ۱۸

على سبيل النبذة لا الاستقصاء:

منها: إبليس اللعين، فإنه كما يصفه القرآن الكريم بالتمكين الذى أعطاه الله له: يا بَنِى آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ («۱»

).

وقال تعالى: وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِى الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً («۲»

).

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («۳»

)، وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ («۴»

).

وقال تعالى: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ («۵»

).

وقال تعالى: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ («۶»

)، وغيرها من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹

الآيات التى تتحدّث عن المكنة والقدرة التى أعطاها البارى تعالى لإبليس من التأثير على نفوس بنى آدم إلّا المخلَصين، وهى درجة من الملكوت لم ترقَ إليها القوى العظمى للدول البشرية عبر التاريخ إلى يومنا الحاضر، هذا مضافاً إلى تسخيره لمردة الشياطين والعفاريت جنوداً له ليسترقوا السمع ويراقبوا جمع البشرية من لدن آدم (ع) إلى يوم الوعد المعلوم.

ويبيّن أمير المؤمنين (ع) أن هذه المكنة والقدرة لم تُعطَ لإبليس اللعين جزافاً واعتباطاً، قال (ع): «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدرى أمن سِنى الدنيا أم من سِنى الآخرة، عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلّا» («۱»).

فهذه الستة آلاف سنة التى لا يُدرى أنها من سِنى الأرض أو من سِنى السماء التى عبد الله تعالى فيها، هى التى أوجبت الجزاء له بهذا التمكين، فهو قد ارتاض هذه المدّة ومضى حقباً فى الرياضة الروحية لكن ابتغى بها نتيجة بخسة، وهى التمكين فى دار الدنيا من سلطان الملكوت النازل، وهو فى الآخرة من الأخسرين.

ومنها: العفريت من الشياطين، قال تعالى: قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ* قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى («۲»

)، فبيّن تعالى أن القدرة التى تمكّن منها العفريت نظير المكنة التى كانت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰

لدى آصف بن برخيا وصى النبى سليمان (ع) صاحب علم من الكتاب فى بعض جهاتها، وإن كانت دونها بعض الشىء، مع أن العفريت هو من الشياطين المسخّرين للنبى سليمان (ع)، وهذه القدرة لم تكن سحراً وتخييلًا، بل قدرة حقيقية تتجلى بأن يأتى فى بضع دقائق بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين.

ومنها: بلعم بن باعورا، قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («۱»

).

والآية التى أوتيها بلعم بن باعورا هى حرف من الاسم الأعظم، كما وردت بذلك الروايات، والاسم الأعظم ليس قولًا باللسان يصوّت، بل هو الروح الأعظم، وإعطاء حرف منه يعنى الارتباط الروحى بدرجة من التأييد منه، ومع كلّ ذلك لم تكن نفس بلعم بن باعورا وشهوتها قد خمدت، بل تغلّبت فى النهاية عليه، وأرادت تسخير هذا الارتباط الروحى بالاسم الأعظم تحت إمرتها، فكانت العاقبة أن انسلخت نفس بلعم عن هذا الارتباط والتأييد، فرغم القدرة التكوينية والمقام الذى وصل إليه، إلّا أن ذلك لم يضمن عدم وقوعه فى الخطأ والمعصية، ولم يمنعه من الشطط والخطل.

ومن ثَمَّ قال جملة من المحققين من أهل المعرفة من الإمامية أن الشطط والشطحات التى تصيب وتعتور وتعرض على أهل الرياضات

الروحية دالّة وكاشفة عن عدم سيطرتهم على جبل النفس وأنانية الذات، ففرعونيته بدل أن تموت تزداد قوة بقوة الرياضات الخاطئة أو غير المتقيّدة بالشريعة، فالطريقة تكون بدون الشريعة طريقة شيطانية بدل أن تكون رحمانية، ومن ثَمَّ كان الفقه أمان من الزيغ والضلال لأصحاب الرياضات الروحية، كما هو أمان لبقية شرائح الأمّة عن الانحراف، وهو من معانى أن التمسك بالثقلين أمان عن ضلال الأمّة.

وفى الحقيقة أن دفائن طبقات النفس على تركيب غامض، فتجتمع ظواهر من الصفات الفضيلية العالية مع هذه الرذائل ذوات السوء الشديد، وإلى ذلك يشير ما رواه فى الاحتجاج عن الرضا (ع)، قال: قال على بن الحسين (ع): «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت فى منطقه، وتخاضع فى حركاته، فرويداً لا يغرنَّكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها؛ لضعف نيته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنَّكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتى منها محرّماً، فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنَّكم حتّى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثمّ لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله، وإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنَّكم حتّى تنظروا أمع هواه يكون عقله، أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبّته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن فى الناس من خسر

الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتّى إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء ويقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه فى طغيانه، فهو يحلُّ ما حرَّم الله، ويحرّم ما أحلَّ الله، لا يبالى بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التى قد يتقى من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً» ... إلى أن قال: «ولكن الرجل كل الرجل، نعم الرجل، هو الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة فى رضا الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ فى الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدّيه إلى دوام النعيم فى دار لا تبيد ولا تنفد، وإن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتّبع هواه

يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فتمسكوا به، وبسُنّته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة» («۱»).

فمن ذلك ينبغى الالتفات إلى أن الرياضات الروحية تكسب النفس قدرات خارقة، كطى الأرض، وقراءة الضمير، والترائى فى منام الآخرين، والتصرّف فى تلك الرؤى، وقراءة الأعمال الماضية أو المستقبلية، وغيرها من قدرات النفس التى قد يطلق عليها علماء الروح والنفس الجدد المحدّثون: قوة التخاطر، والجلاء البصرى والسمعى، والتنويم المغناطيسى، وغيرها من قدرات وحركات الروح والاتصال مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳

أرواح الموتى، وأنه لتحكى أفعال خارقة عن مرتاضى الهند أو فِرَق الصوفية المختلفة فى الصين وشرق آسيا وغيرها من المناطق، إلّا أن كل ذلك ليس علامة النجاة ورضا الرب تعالى، فإن موطن ذلك التقوى والطاعة له تعالى.

مفهوم العدالة يقلب إلى العصمة المكتسبة وذريعة التأويل ...: ص: ۲۳

ومن الأغاليط التى يردّدها مدّعو المقامات والمنازل الروحية، هو تفسير العدالة التى هى ملكة الاجتناب عن المعاصى فى السلوك العملى، بأن هذه الماهيّة هى عصمة مكتسبة، فيقلب عنوان العدالة إلى العصمة، وحيث لا يمكنهم دعوى أنها لدنّية بنصب من الشريعة، يختلقون لها مخرجاً كونها مكتسبة وأن العصمة قابلة للاكتساب، وليس بالضرورة أن تكون وهبية لدنية منه تعالى، وأن العصمة وإن كانت شرطاً فى المعصومين الأربعة عشر (النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السلام))، إلّا أن ذلك لا يعنى حصرها فيهم، بل هى عامة قابلة للتحقق فى نوع البشر بالاكتساب، وأن العصمة الاكتسابية يكفى فيها العصمة فى العمل وإن لم تكن عصمة فى العلم، أى يكفى فيها العصمة العملية دون أن تكون عصمة علمية، إلى غير ذلك من الإطارات التى يصيغونها قوالب لا تنطلى إلّا على السذّج وعلى قليلى البضاعة العلمية.

مع أنه لو فرض اجتناب شخص عن المعاصى من لدن بلوغه إلى مماته فليس ذلك يخرجه عن حدّ العدالة، ويتجاوز به إلى حدّ العصمة، وأىّ فرق بين الماهيّتين والمعنيين حينئذٍ، ثمّ أنه كيف يعقل انفكاك العصمة العملية عن العلمية، وهل يعقل لمن يضلُّ الطريق أن تكون له

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴

عصمة يمتنع عليه الخطأ فى العمل، مع أن علماء الإمامية فى علم الكلام قد أشبعوا البحث فى أن العصمة العملية وليدة العصمة العلمية، والعصمة تعنى امتناع صدور المعصية من المعصوم وقوعاً، وإن لم تكن ممتنعة منه إمكاناً، وهذا بخلاف العدالة، فإنه وإن اجتنب المعاصى طيلة حياته إلّا أنه لا يمتنع منه وقوع وصدور المعصية.

هذا مع أن العصمة تلازم الحجية الرسمية على الآخرين، فكيف يكون الشخص معصوماً ولا يكون حجة بذاته على الآخرين وينصُّ الشرع الحنيف على لزوم اتّباعه.

ومن هذه الدعوى يتطوّر الحال عند مدّعى المنازل الروحيّة إلى دعاوى أكثر فأكثر، ويتطوّر بهم الحال إلى مزالق يخالفون بها الضرورات الشرعيّة تحت ذريعة التأويل الذى يفتحون بابه تغطية لتلك المخالفات، كما حصل ذلك لكلّ الفِرَق التى انحرفت عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

روى الكشّى بسنده عن الصادق قوله (ع): «قوم يزعمون أنّى لهم إمام، ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله كلّما سترت ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم، أقول كذا، يقولون إنما يعنى كذا، إنما أنا إمام من أطاعنى» («۱»).

وروى عنه (ع) («۲») أنه قال عن أبى الخطّاب الذى انحرف بعد أن كان من أصحاب السرّ كبلعم بن باعورا، حين دخل ومعه سبعون

رجلًا: «ألا اخبركم بفضائل المسلم»، فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جُعلت فداك، فقلت: «من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزوجل)، وفلان ذو حظّ من ورع، وفلان يجتهد فى عبادته لربّه، فهذه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵

فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات، إنما المسلمون رأس واحد، إيّاكم والرجال، فإن للرجال مهلكة، فإن أبى يقول: إن شيطاناً يقال له المذهب يأتى فى كل صورة، إلّا أنه لا يأتى فى صورة نبى ولا وصى نبى، ولا أحسب إلّا وقد تراءى لصاحبكم، فاحذروه، فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنّه لا يهلك على الله إلّا هالك».

محمّد السند (۱۱/ ذى القعدة/ ۱۴۲۴ ه-)

يوم ميلاد الإمام الرضا (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۷

تنويع البحث ... ص: ۲۷

الحمد لله الذى يهدى من يشاء ويضلُّ من يشاء وله الحجة البالغة، والصلاة والسلام على محمّد خاتم أنبيائه وسيد رسله الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله الأوصياء الهداة وخاتمهم المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وبعد، فقد قال جلَّ وعلا: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ («۱»)، «يفتنون كما يفتن الذهب ويخلصون كما يخلص الذهب» («۲») كما قال الكاظم (ع)، «ولا بدَّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير» («۳»)، كما جاء عن الصادق (ع).

وعن الباقر (ع) أنه قال: «لتمحّصنَّ يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل فى العين، وإن صاحب العين يدرى متى يقع الكحل فى عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعةٍ من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۸

منها» («۱»). وفى خبر آخر: «والله لتمحّصنَّ، والله لتطيرن يميناً وشمالًا حتّى لايبقى منكم إلّا كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان فى قلبه وأيّده بروح منه». وفى رواية أخرى عنهم (عليهم السلام): «حتّى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلّا الأندر فالأندر» («۲»). وفى رواية: «ولا يكون الذى تمدّون إليه أعناقكم (وهو ظهور الحجة (ع)) حتّى يشقى من شقى ويسعد من سعد» («۳»).

وإن من تلك الفتن العمياء هى توالى المدّعين للنيابة الخاصة (الوساطة) والسفارة فى الغيبة الكبرى بأساليب وأشكال مختلفة وتسميات متعدّدة يموّهون بها على مختلف أصناف الناس. فتارة تحت غطاء التشرف والفوز بلقاء الحجة، وأخرى التظاهر بالتقى والورع والوصول إلى مقام الأبدال والأوتاد، وثالثة الرؤيا فى المنام، ورابعة السحر والشعبذة وإظهاره كمعجزة وكرامة، وخامسة المكاتبة و... و...

ومن ثَمَّ انتظم البحث فى هذه الصفحات بعداد تلك الشُبَه («۴»)، تنبيهاً على زيفها وإبانة لزيغها وإلّا فانقطاع السفارة فى الغيبة الكبرى كالنار على المنار وكالشمس فى رابعة النهار، حتّى أن الشيخ أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه («۵») قال: (إنّ عندنا (أى الطائفة الإمامية) أن كل من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۹

ادّعى الأمر (أى السفارة) بعد السمرى («۱») (آخر النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى) فهو كافر منمّس (محتال) ضال مضل) («۲»)،

فلولا التلبيس بالأقنعة المتلوّنة والالتواء بالطرق المعوجّة لما كانت حاجة للخوض فى ذلك. ومنوال الجزء الأوّل من الكتاب كما يلى:

الفصل الأوّل: فى الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة.

الفصل الثانى: فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (ع) عقيدة من ضروريات الإمامية الإثنى عشرية، وفيه عشرة أمور:

الأمر الأوّل: معنى النيابة.

الأمر الثانى: كلمات علماء الطائفة رضوان الله عليهم.

الأمر الثالث: النيابة العامة للفقهاء.

الأمر الرابع: منابع الشريعة.

الأمر الخامس: الرؤيا ليست مصدراً للتشريع.

الأمر السادس: نبذة من أحوال النواب الأربعة (رض) فى الغيبة الصغرى.

الأمر السابع: ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية («۳») لعنهم الله.

الأمر الثامن: ثواب الثبات والتمسّك بالدين فى الغيبة الكبرى وشدّة المحنة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۰

الأمر التاسع: تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدسة على الشيخ المفيد وتشرف عدّة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع).

الأمر العاشر: من هم الأبدال والأوتاد؟

الفصل الثالث: فى الفِرَق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفية ذلك.

الفصل الرابع: فى تاريخ البابية فى إيران.

الخاتمة: وفيها ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: فى خروج الدجّال.

الأمر الثانى: ظهور الحجة (ع) وأصحابه.

الأمر الثالث: فى ذم الجهل ومدح العلم.

هذا ما وسع المجال لسطره وبالله التوفيق.

أما الجزء الثانى فهو كما يلى:

الفصل الأوّل: العقول والخواطر.

الفصل الثانى: منظومة المعارف الدينية.

الفصل الثالث: فتنة البصيرة.

الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج.

الفصل الخامس: القواعد الرقابية فى المعرفة.

الفصل السادس: النيابة الخاصة.

الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة.

الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط.

الفصل التاسع: التوقيت والظهور.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۳

الفصل الأوّل: فى الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ... ص: ۳۳

لمّا كان طريق إثبات النبوة هى المعجزة التى هى من قِبل الله تعالى وهى تفترق عن السحر كان من اللازم معرفة كلٍ منهما بنحو عميق ودقيق، كى لا يلتبس الأمر ويعلم المحق من المبطل والصادق من الكاذب، سأل ابن السكيت، الرضا (ع) بعدما بيّن له علل وجه معجزات الأنبياء: فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال (ع): «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدّقه والكاذب على الله فتكذّبه»، فقال ابن السكيت: هذا والله الجواب («۱»).

وسأل أبو بصير، الصادق (ع): لأىّ علّة أعطى الله (عزوجل) أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: «ليكون دليلًا على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلّا أنبياءه ورسله وحججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب» («۲»).

قال المحقق الطوسى («۳») فى التجريد: (وطريق معرفة صدقه (النبى (ص)) ظهور المعجزة على يده وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى) («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۴

وقال العلامة الحلّى («۱») فى شرحه للتجريد فى ذيل العبارة: (الثبوت والنفى سواء فى الإعجاز فإنه لا فرق بين قلب العصا حيّة وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة لأن فعل المعتاد ونفيه لا يدلُّ على الصادق، وقلنا: مع مطابقة الدعوى لأن من يدّعى النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم برء الأعمى لا يكون صادقاً.

ولا بدَّ فى المعجزة من شروط أحدها: أن يعجز عن مثله أو عمّا يقاربه الأمّة المبعوث إليها. الثانى: أن يكون من قِبل الله تعالى أو بأمره. الثالث: أن يحدث عقيب دعوى المدّعى للنبوة أو جارياً مجرى ذلك ونعنى بالجارى مجرى ذلك أن يظهر دعوة النبى فى زمانه... («۲») الخامس: أن يكون خارقاً للعادة) («۳»).

وقال المحقق الطوسى فى التجريد أيضاً: (المسألة الخامسة فى الكرامات: وقصة مريم وغيرها تعطى جواز ظهورها [أى المعجزة] على الصالحين) («۴»)، وقال العلامة الحلّى فى شرحه للعبارة: (استدلَّ المصنف (رض) بقصة مريم، فإنّها تدلُّ على ظهور معجزات عليها وغيرها مثل قصة آصف وكالأخبار المتواترة المنقولة عن على وغيره من الأئمّة (عليهم السلام)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۵

وقال المحقق الطوسى بعد ذلك: (ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا النفور ولا عدم التميز ولا إبطال دلالته ولا العمومية).

وقال العلامة فى شرحه: (إن المعجزة مع الدعوى مختصٌّ بالنبى (ص) فإذا ظهرت المعجزة على شخص فإما أن يدّعى النبوة أو لا، فإن ادّعاها علمنا صدقه إذ إظهار المعجزة على يد الكاذب قبيح عقلًا، وإن لم يدّع النبوة لم يحكم بنبوته، فالحاصل أن المعجزة لا تدل على النبوة ابتداءً، بل تدلُّ على صدق الدعوى فإن تضمّنت الدعوى النبوة دلَّت المعجزة على تصديق المدّعى فى دعواه ولا يلزم إظهار المعجزة على كل صادق إذ نحن إنما نجوّز إظهارها على مدعى النبوة أو الصالح إكراماً لهما وتعظيماً وذلك لا يحصل لكل مخبر بصدق وإنّ امتياز النبى (ص) يحصل بالمعجزة واقتران دعوى النبوة، وهذا شىء يختصُّ به دون غيره ولا يلزم مشاركة غيره له فى المعجز مشاركته له فى كل شىء، وكما لا يلزم الإهانة وانحطاط مرتبة الإعجاز مع ظهور المعجز على جماعة من الأنبياء كذا لا يلزم الإهانة مع ظهوره على الصالحين) («۱»).

وقال المحقق القمى (رض) («۲») فى رسالة أصول الدين: (الإمام يعرف بالمعجزة فكل من ادّعى الإمامة وأتى بالمعجزة فإنّما تدلُّ على صدقه مثل ما مضى فى بعث النبوة) («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۶

وقال العلامة الحلّى فى كتاب أنوار الملكوت ما حاصله: (المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّى، والتقييد بخارق للعادق ليتميّز

المعجز عن غيره، وهذا القيد يُكتفى به عن التقييد بعدم المعارضة ليتميز به عن السحر والشعبذة إذ السحر والشعبذة ليس بخارق للعادة وإن كانت خفية على أكثر الناس. وقيّدنا الخارق للعادة بالاقتران بالتحدى ليتميز المعجز عن الكرامات) («۱»).

وقال الحكيم المتبحّر محمّد مهدى النراقى («۲») فى كتابه (أنيس الموحدين): (كل من ادّعى النبوة أو الإمامة وصدر منه أمر خارق فهو صاحب كرامة) («۳»)، ثمّ قال: (والفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة هو أن السحر والشعبذة من الأمور العادية، ولكن أسبابهما تخفى على أكثر الناس، وهذا بخلاف المعجزة فهى ليست من الأمور العادية ولا يوجد لها سبب مطلقاً) («۴»).

وتوضيح الكلام فى هذا المقام، أن الأمور العادية التى جرت عادةُ الله تعالى على وقوعها على قسمين:

الأوّل: ما سببه ظاهر وهو يحصل إمّا من أسبابٍ أرضية مثل تأثير بعض الأغذية والأدوية، وصيرورة النطفة إنساناً ونحو ذلك من الأسباب الأرضية التى تتفق، وإما تحصل من أسباب سماوية مثل الحرارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۷

الحاصلة من الشمس، وإما تحصل من تركّب الأسباب مثل تأثير الدواء المتناول فى جو هوائى خاص، ومثل تأثير الدعاء المكتوب فى وقت خاص، أو الذى يقرأ فى وقت خاص، وهذه كلها من الأمور التى جرت عادة الله تعالى على وقوعها بأسبابٍ متوفرة ومتهيّئة لأكثر الناس.

الثانى: هى التى تحصل أيضاً إما من أسبابٍ أرضية أو سماوية أو كليهما، ولكن أسبابها مخفية على أكثر الناس، مثل السحر والشعبذة والطلسمات وعلم الحيل، والنيرنجات، وحيث إن لها أسباباً فالتعلّم والتعليم حاصل فيها، أى إن كل من يعلم تلك العلوم يمكن له أن يعلّمها غيرَه، بخلاف المعجزة، التى ليس لها سبب مطلقاً، لأنه من المعلوم أن شقّ القمر مثلًا لم يقع بسبب وحيلة ما، بل هو عطية إلهية يعطيها الله تبارك وتعالى لمن يشاء، ومن ذلك لا يستطيع صاحب المعجزة أن يعلّمها غيرَه حيث إنه ليس لها علّة غير إرادة الله تعالى، فالتعليم فى المعجزة لا مجال له.

إذاً اتضح أن المعجزة خارقة للعادة.

وأما السحر والكهانة («۱») والشعبذة فليست بخارقة للعادة، بل هى أمور عادية أسبابها تخفى على أكثر الناس.

والتفريق بين المعجزة والسحر والشعبذة على من له غَرفة من المعارف والعلوم فى نهاية السهولة حيث إنه يتمكن من العلم بأن الأمر له سبب أم لا، وأرباب السحر أسرع معرفة لذلك من بقية المتعلّمين، ولذلك أوّل من آمن بالنبى موسى (ع) هم السحرة. ولكن هذا الفرق

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۸

يشكل على عامة الناس الاهتداء إليه فعليهم بمتابعة العلماء كى يشرق نور الحقيقة فى قلوبهم.

نعم، هنالك فرق آخر بين صاحب المعجزة والساحر يمكن لعامة الناس معرفته وهو أن صاحب المعجزة مهما طلب منه («۱») أمر خارق للعادة للاحتجاج به فإنه قادر على إظهاره مثلما طلب جماعة من المعاندين من نبينا (ص) كثيراً من الأمور الخارقة للعادة فأظهرها لهم، وكذلك بقية الأنبياء (عليهم السلام).

وهذا بخلاف الساحر، فإن عمله منحصر فى فعل خاص قد تعلّمه، وإذا طلب منه أمر خارق للعادة آخر فإنه يعجز عن ذلك، ومن ذلك لم يرَ ولم يسمع أن ساحراً كان يأتى بكل ما يطلب منه.

أقول: فتحصّل مما تقدّم من كلمات الأعلام أن المعجزة أمر خارق للعادة يأتى بها من يدّعى النبوّة أو الإمامة إثباتاً لصدقه، وأن معجزات الأنبياء تتحدّى البشرية على مرّ العصور إلى يوم القيامة بأن يأتوا بمثلها، فإخراج النبى صالح (ع) للناقة من الجبل بانشقاقه تعجز البشرية مهما تطوّرت علومهم عن ذلك، وكذلك قلب العصا حيّة تسعى تلتقم سحر وإفك كل ساحر من النبى موسى (ع)، وكذلك إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمه والأبرص من النبى عيسى (ع)، وكذلك شقّ القمر والقرآن الخالد لنبينا الأعظم (ص).

إذاً لا ـ بدَّ من ادّعاء، وأمر خارق للعادة، كى يتحقق معنى المعجزة، ومن هنا يتضح أن كرامات أولياء الله الصالحين لا تسمى معجزةً، لأنهم لا يدّعون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۳۹

لأنفسهم شيئاً، ولو ادعوا ما ليس لهم لما أعطاهم الله تلك الكرامات، وهذه السُنّة من الله تعالى حكمة بالغة كى لا تبطل حججه على عباده، ويتم الاحتجاج عليهم ببعث الرسل وبإقامة الأوصياء خلفاء الرسل.

قال العلامة الطباطبائى («۱») فى تفسيره عند الكلام حول قدرة الأنبياء والأولياء: (الناس فى جهل بمقام ربهم وغفلة عن معنى إحاطته وهيمنته، فهم مع ما تهديهم الفطرة الإنسانية إلى وجوده وأحديته يسوقهم الابتلاء بعالم المادة والطبيعة والتوغل فى الأحكام والقوانين الطبيعية ثمّ السنن والنواميس الاجتماعية والأنس بالكثرة والبينونة إلى قياس العالم الربوبى بما ألفوا من عالم المادة، فالله سبحانه عندهم مع خلقه كجبار من جبابرة البشر مع عبيده ورعيته ... لكن البراهين اليقينية تقتضى بفساد ذلك كله، فإنها تحكم بسريان الفقر والحاجة إلى الموجودات الممكنة فى ذواتها وآثار ذواتها وإذا كانت الحاجة إليه تعالى فى مقام الذات استحال الاستقلال عنه والانعزال منه على الإطلاق، إذ لو فرض استقلال لشىء عنه تعالى فى وجوده أو شىء من آثار وجوده بأىّ وجه فرض فى حدوث أو بقاء استغنى عنه من تلك الجهة وهو محال.

فكل ممكن غير مستقل فى شىء من ذاته وآثار ذاته، والله سبحانه هو الذى يستقل فى ذاته وهو الغنى الذى لا يفتقر فى شىء ولا يفقد شيئاً من الوجود وكمال الوجود كالحياة والقدرة والعلم فلا حدَّ له يتحدد به...

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۰

وعلى ما تقدم كل ما للممكن من الوجود والحياة والقدرة والعلم متعلق الوجود به تعالى غير مستقل منه بوجه، والاستقلال يبطل الحاجة الإمكانية ولا فرق فيه بين الكثير والقليل كما عرفت، هذا من جهة العقل.

وأما من جهة النقل فالكتاب الإلهى وإن كان ناطقاً باختصاص بعض الصفات والأفعال به تعالى كالعلم بالمغيبات والإحياء والإماتة والخلق كما فى كثير من الآيات ولكنها جميعها مفسّرة بآيات أخر كقوله: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ («۱»)، قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ («۲»)، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى («۳»)، وانضمام الآيات إلى الآيات لا يدع شكاً فى أن المراد بالآيات النافية اختصاص هذه الأمور به تعالى بنحو الأصالة والاستقلال والمراد بالآيات المثبتة إمكان تحققها فى غيره تعالى بنحو التبعية وعدم الاستقلال.

فمن أثبت شيئاً من العلم المكنون أو القدرة الغيبية أعنى العلم من غير طريق الفكر والقدرة من غير مجراها العادى الطبيعى لغيره تعالى من أنبيائه وأوليائه كما وقع كثيراً فى الأخبار والآثار ونفى معه الأصالة والاستقلال بأن يكون العلم والقدرة مثلًا له تعالى وإنما ظهر ما ظهر منه بالتوسيط ووقع ما وقع منه بإفاضته وجوده فلا حجر عليه، ومن أثبت شيئاً من ذلك على نحو الأصالة والاستقلال طبق ما يثبته الفهم العامى وإن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۱

أسنده إلى الله سبحانه وفيض رحمته لم يخل من غلو وكان مشمولًا لمثل قوله تعالى: لا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ («۱»).

وقال فى تفسيره فى ذيل قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ («۲»): (إن الآية بسياقها تتعرض لشأن آخر من شؤون اليهود وهو تداول السحر بينهم وأنهم كانوا يستندون فى أصله إلى قصة معروفة أو قصتين ... أن اليهود كما يذكره عنهم القرآن أهل تحريف وتغيير فى المعارف والحقائق فلا ـ يؤمنون ولا ـ يؤمن من أمرهم أن يأتوا بالقصص التاريخية

محرّفة مغيّرة على ما هو دأبهم فى المعارف يميلون كل حين إلى ما يناسبه من منافعهم فى القول والفعل.

وفيما يلوح من الآية أن اليهود كانوا يتناولون بينهم السحر وينسبونه إلى سليمان زعماً منهم أن سليمان (ع) إنما ملك الملك وسخّر الجن والإنس والوحش والطير وأتى بغرائب الأمور وخوارقها بالسحر الذى هو بعض ما فى أيديهم وينسبون بعضه الآخر إلى الملكين ببابل هاروت وماروت.

فردَّ عليهم القرآن بأن سليمان (ع) لم يكن يعمل بالسحر، كيف والسحر كفر بالله وتصرف فى الكون على خلاف ما وضع الله العادة عليه وأظهره على خيال الموجودات الحية وحواسها؟ ولم يكفر سليمان (ع) وهو نبى معصوم وهو قوله تعالى: وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۴۲

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ («۱»)، وقوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ («۲»).

فسليمان (ع) أعلى كعباً وأقدس ساحة من أن ينسب إليه السحر والكفر وقد استعظم الله قدره فى مواضع من كلامه فى عدّة من السور المكّية النازلة قبل هذه السورة ... إلى أن قال:

وفيها أنه كان عبداً صالحاً ونبياً مرسلًا آتاه الله العلم والحكمة ووهب له من الملك ما لا ينبغى لأحد من بعده فلم يكن بساحر، بل هو من القصص الخرافية والأساطير التى وضعتها الشياطين وتلوها وقرأوها على أوليائهم من الإنس وكفروا بإضلالهم الناس بتعليم السحر وردَّ عليهم القرآن فى الملكين ببابل هاروت وماروت بأنه وإن نزل عليهما ذلك ولا ضير فى ذلك لأنه فتنة وامتحان إلهى كما ألهم قلوب بنى آدم وجوه الشر والفساد فتنة وامتحاناً وهو من القدر، فهما وإن أنزل عليهما السحر إلّا أنهما ما كانا يعلمان من أحد إلّا ويقولان له: إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر فى غير مورده كإبطال السحر والكشف عن بغى أهله وهم مع ذلك يتعلمون منهما ما يفسدون به أصلح ما وضعه الله فى الطبيعة والعادة ... إلى أن قال: لأن العقل لا يرتاب فى أن السحر أشأم منابع الفساد فى الاجتماع الإنسانى) («۳»).

وفى تفسير العياشى والقمى فى قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۴۳

الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ («۱»)، عن الإمام الباقر (ع) فى حديث: «فلمّا هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه فى كتاب ثمّ طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا، ثمّ دفنه تحت سريره ثمّ استتاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه، فقال الله جلَّ ذكره: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ» («... ۲»).

(وإسناد الوضع والكتابة والقراءة إلى إبليس لا ينافى استنادها إلى سائر الشياطين من الجن والإنس لانتهاء الشر كله إليه، وانتشاره منه لعنه الله إلى أوليائه بالوحى والوسوسة وذلك شائع فى لسان الأخبار) («۳»).

ثمّ قال (رض) تحت عنوان (بحث فلسفى): (من المعلوم وقوع أفعال خارقة للعادة الجارية للمشاهدة والنقل، فقلّما يوجد منّا من لم يشاهد شيئاً من خوارق الأفعال أو لم ينقل إليه شىء من ذلك قليل أو كثير إلّا أن البحث الدقيق فى كثير منها يبين رجوعها إلى الأسباب الطبيعية العادية، فكثير من هذه الأفعال الخارقة يتقوّى بها أصحابها بالاعتياد والتمرين كأكل السموم وحمل الأثقال والمشى على حبل ممدود فى الهواء إلى غير ذلك، وكثير منها تتكى على أسباب طبيعية مخفية على الناس مجهولة لهم كمن يدخل النار ولا يحترق بها من جهة طلاية الطلق ببدنه أو يكتب كتاباً لا خط عليه ولا يقرأه إلّا صاحبه وإنما كتب بمائع لا يظهر إلّا عرض لكتاب على النار إلى غير ذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۴۴

وكثير منها يحصل بحركات سريعة تخفى على الحس لسرعتها فلا يرى الحس إلّا أنه وقع من غير سبب طبيعى كالخوارق التى يأتى بها أصحاب الشعبذة فهذه كلّها مستندة إلى أسباب عادية مخفية على حسّنا أو غير مقدورة لنا، لكن بعض هذه الخوارق لا يحلل إلى الأسباب الطبيعية الجارية على العادة كالإخبار عن بعض المغيبات، وخاصة ما يقع منها فى المستقبل وكأعمال الحب والبغض والعقد والحل والتنويم والتمريض وعقد النوم والإحضار والتحريكات بالإرادة مما يقع من أرباب الرياضات وهى أمور غير قابلة للإنكار، شاهدنا بعضاً منها ونُقل إلينا بعض آخر نقلًا لا يطعن فيه، وهو ذا يوجد اليوم من أصحابها بالهند وإيران والغرب جماعة يشاهد منهم أنواع من هذه الخوارق.

والتأمل التام فى طرق الرياضات المعطية لهذه الخوارق والتجارب العملية فى أعمالهم وإرادتهم يوجب القول بأنها مستندة إلى قوة الإرادة والإيمان بالتأثير على تشتت أنواعها، فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه، فربما توجد على إطلاقها وربما توجد عند وجود شرائط خاصة ككتابة شىء خاص بمداد خاص فى مكان خاص فى بعض أعمال الحب والبغض أو نصب المرآة حيال وجه طفل خاص عند إحضار الروح أو قراءة عوذة خاصة إلى غير ذلك فجميع ذلك شرائط لحصول الإرادة الفاعلة.

فالعلم إذا تم علماً قاطعاً أعطى للحواس مشاهدة ما قطع به ويمكنك أن تختبر صحة ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئاً كذا أو شخصاً كذا حاضر عندك تشاهده بحاستك ثمّ تتخيله بحيث لا تشكّ فيه ولا تلتفت إلى عدمه ولا إلى شىء غيره فإنك تجده أمامك على ما تريد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۵

وربما توجد فى الآثار معالجة بعض الأطباء الأمراض المهلكة بتلقين الصحة على المريض، وإذا كان الأمر على هذا فلو قويت الإرادة أمكنها أن تؤثر فى غير الإنسان المريد نظير ما توجده فى نفس الإنسان المريد إما من غير شرط وقيد أو مع شىء من الشرائط.

ويتبيّن بما مرَّ أمور: أحدها: أن الملاك فى التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة وأما مطابقة هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقده أصحاب تسخير الكواكب من الأرواح المتعلق بالأجرام الفلكية ويمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكة والشياطين الذى يستخرج أصحاب الدعوات والعزائم أسماءهم ويدعون بها على طرق خاصة عندهم، وكذلك ما يعتقده أصحاب إحضار الأرواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها فى خيالهم أو حواسهم دون الخارج وإلّا لرآه كل من حضر عندهم وللكل حس طبيعى.

وبه تنحل شبهة أخرى فى إحضار روح من هو حى فى حال اليقظة مشغول بأمره من غير أن يشعر به والواحد من الإنسان ليس له إلّا روح واحدة، وبه تنحل أيضاً شبهة وهى أن الروح جوهر مجرد لا نسبة له إلى زمان ومكان دون زمان ومكان، وبه تنحل أيضاً شبهة أخرى ثالثة وهى أن الروح الواحدة ربما تحضر عند أحد بغير الصورة التى تحضر بها عند آخر، وبه تنحل شبهة رابعة وهى أن الأرواح ربما تكذب عند الإحضار فى أخبارها وربما يكذب بعضها بعضاً. فالجواب عن الجميع: أن الروح إنما تحضر فى مشاعر الشخص المحضر لا فى الخارج منها على حدّ ما نحسُّ بالأشياء المادية الطبيعية.

ثانيها: أن صاحب هذه الإرادة المؤثرة ربما يعتمد فى إرادته على

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۶

قوة نفسه وثبات أنيته كغالب أصحاب الرياضات فى إراداتهم فتكون لا محالة محدودة القوة مقيدة الأثر عند المريد وفى الخارج، وربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء والأولياء من أصحاب العبودية لله وأرباب اليقين بالله فهم لا يريدون شيئاً إلّا لربهم وبربهم وهذه إرادة ظاهرة لا استقلال للنفس التى تطلع هذه الإرادة منها بوجه ولم تتلوَّن بشىء من ألوان الميول النفسانية ولا اتكاء لها إلّا على الحق فهى إرادة ربانية غير محدودة ولا مقيّدة والقسم الثانى إن أثرت فى مقام التحدى كغالب ما ينقل من الأنبياء سمّيت آية معجزة وإن تحققت فى غير مقام التحدى سمّيت كرامة أو استجابة دعوة إن كانت مع دعاء، والقسم الأوّل إن كان بالاستخبار والاستنصار من جن

أو روح أو نحوه سمّى كهانة وإن كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سمّى سحراً.

ثالثها: إن الأمر حيث كان دائراً مدار الإرادة فى قوتها وهى على مراتب من القوة والضعف أمكن أن يبطل بعضها أثر البعض كتقابل السحر والمعجزة أو أن لا- يؤثر بعض النفوس فى بعض إذا كانت مختلفة فى مراتب القوة وهو مشهود فى أعمال التنويم والإحضار) («۱»).

ثمّ قال (رض) تحت عنوان (بحث علمى): (العلوم الباحثة عن غرائب التأثير كثير والقول الكلى فى تقسيمها وضبطها عسيرة جدّاً، وأعرف ما هو متداول بين أهلها ما نذكره:

منها: السيمياء وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف فى الأمور الطبيعية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۷

ومنه التصرف فى الخيال المسمى بسحر العيون، وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر.

ومنها: الليمياء وهو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغير ذلك بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم وهو فن التسخيرات.

ومنها: الهيمياء وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوى مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات فإن للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما أن العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو ركبت الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلًا مع الصورة المادية المناسبة أنتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم.

ومنها: الريمياء وهو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبذة، وهذه الفنون الأربعة مع فن خامس يتلوها وهو الكيمياء الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية.

قال شيخنا البهائى: أحسن الكتب المصنّفة التى فى هذه الفنون كتاب رأيته ببلدة هرات اسمه (كلّه سر) وقد ركّب اسمه من أوائل أسماء هذه العلوم الكيمياء والليمياء والهيمياء والسيمياء والريمياء، انتهى ملخص كلامه. ومن الكتب المعتبرة فيها خلاصة كتب بلياس ورسائل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۸

الخسر وشاهى والذخيرة الإسكندرية والسر المكتوم للرازى والتسخيرات للسكاكى وأعمال الكواكب السبعة للحكيم طمطم الهندى.

ومن العلوم الملحقة بما مرَّ علم الأعداد والأوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب فى جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص.

ومنها: الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة والشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب، ومن الكتب المعتبرة فيها عندهم كتب الشيخ أبى العبّاس التونى والسيد حسين الأخلاطى وغيرهما.

ومن الفنون الملحقة بها الدائرة اليوم التنويم المغناطيسى وإحضار الأرواح وهما كما مرَّ من تأثير الإرادة والتصرف فى الخيال، وقد ألّف فيها كتب ورسائل كثيرة واشتهار أمرها يغنى عن الإشارة إليها ههنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر أو الكهانة) («۱»)، انتهى كلامه.

أقول: والغرض من هذا التطويل فى النقل التنبيه على مدى وكثرة العلوم الغريبة الباحثة حول الأفعال التى بظاهرها خارقة للعادة ولكنها فى الحقيقة عادية لمن مارس وتعلّم تلك العلوم أو تلك الرياضات الباعثة على تقوية الإرادة وتأثيرها وأن لهذه الأفعال أسباباً عادية

ولكنها خفية على أكثر الناس فيتوهّم الجاهل أنها معاجز أو كرامات لصاحب تلك الأفعال والأمور.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۴۹

وفى هذا العصر قد خصصت الجامعات والمعاهد العلمية الحديثة كليات وتخصصات مرتبطة بهذه العلوم كالتنويم المغناطيسى وعلم التسخير وإحضار الأرواح والتتبّؤ والإخبار بالمغيبات المستقبلية الأرضية ونحو ذلك كثير ومن أراد الإطلاع فليراجع النشرات الدورية الصادرة من مختلف الجامعات الأكاديمية فى البلدان المختلفة.

وفى الختام لهذا الفصل نتعرّض لما قاله المحقق السيد الخوئى (رض) فى الإعجاز وفرقه مع السحر والشعبذة ونحوها قال: (وهو فى الاصطلاح أن يأتى المدّعى لمنصبٍ من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه) («۱»).

أقول: ولا يخفى أن التعميم فى التعريف لكل منصب إلهى أتقن مما تقدم من التعريفات حيث لا ينحصر إظهار الفعل الخارق بمدّعى النبوة والإمامة بل يعمُّ النواب والسفراء للإمام المعصوم (ع) كما نصَّ على ذلك الشيخ المفيد («۲») فى أوائل المقالات قال: (القول فى ظهور المعجزات على المنصوبين من الخاصة والسفراء ... إلى أن قال:

أقول: إن ذلك جائز لا يمنع منه عقل وسُنّة ولا كتاب) («۳»)، انتهى كلامه رفع مقامه.

ونصَّ على ذلك السيد المرتضى فى كتاب (الذخيرة) فى فصل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۰

عقده لذلك بعد الفصول التى ذكرها فى معجزات الأنبياء وسيأتى ذكر بعض ما ظهر على أيديهم من الكرامات.

وقال السيد الخوئى (رض) تتمة لما سبق: (وإنما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدّعى إذا أمكن أن يكون صادقاً فى تلك الدعوى وأما إذا امتنع صدقه فى دعواه بحكم العقل أو بحكم النقل الثابت عن نبى أو إمام معلوم العصمة فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق ولا يسمّى معجزاً فى الاصطلاح وإن عجز البشر عن أمثاله).

مثال الأوّل: ما إذا ادّعى أحد النبوة بعد نبى الإسلام، فإن هذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم العقل المقطوع بثبوته الوارد عن نبى الإسلام وعن خلفائه المعصومين بأن نبوّته خاتمة النبوّات وإذا كانت الدعوى باطلة قطعاً، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدّعى؟ ولا يجب على الله جلَّ شأنه أن يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه أو شهادة النقل ببطلانها) («۱»).

أقول: تقييد دعوى صاحب الأمر أو الفعل الخارق للعادة بكون دعواه مما يحتمل صدقها عقلًا ونقلًا، أى لا يقوم دليل عقلى أو نقلى قطعيين على كذبه قد يوهّم أن الأمر الخارق للعادة ليس شاهداً قطعياً على الصدق وبالتالى لا تكون المعجزة شاهداً على الصدق، ولكن هذا الوهم فاسد فإن المراد أن قيام الدليل العقلى أو النقلى القطعى كاشف عن عدم كون هذا الأمر خارقاً للعادة ومن قبل الله (عزوجل) ودليل على كون هذا الأمر خارقاً للعادة صورةً وظاهراً لا واقعاً أى إنه مخفى سببه لا أنه يعجز عنه البشر أجمع بل من يطلع على سببه يتمكن من ذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۱

وقال (رض): (وليست من الإعجاز المصطلح عليه ما يظهره الساحر والمشعوذ أو العالم ببعض العلوم النظرية الدقيقة وإن أتى بشىء يعجز عنه غيره ولا- يجب على الله إبطاله إذا علم استناده فى عمله إلى أمر طبيعى من سحر أو شعبذة أو نحو ذلك، وإن ادّعى ذلك الشخص منصباً إلهياً وقد أتى بذلك الفعل شاهداً على صدقه فإن العلوم النظرية الدقيقة لها قواعد معلومة عند أهلها وتلك القواعد لا بدَّ من أن توصل إلى نتائجها وإن احتاجت إلى دقّة فى التطبيق وعلى هذا القياس تخرج غرائب علم الطب المنوطة بطبائع الأشياء وإن كانت خفيّة على عامة الناس بل وإن كانت خفيّة على الأطباء أنفسهم وليس من القبيح أن يختص الله أحداً من خلقه بمعرفة شىء من تلك الأشياء وإن كانت دقيقة وبعيدة عن متناول أيدى عامة الناس، ولكن القبيح أن يغرى الجاهل بجهله وأن يجرى المعجز على يد الكاذب فيضل الناس عن طريق الهدى) («۱»).

أقول: فبعد وضوح الموارد التى لا بدَّ أن يبطلها الله تعالى والموارد التى ليست كذلك فلا يتوقع ذو الذهن الساذج أن كل مورد يقصر ذهنه ولم يبطله الله تعالى فهو معجز، بل عليه التحرى بنفسه أو بتوسط ذوى الخبرة والإطلاع كما مرَّ فى كلام الحكيم النراقى (رض) («۲»).

وتابع السيد الخوئى قائلًا: (تكليف عامة البشر واجب على الله سبحانه وتعالى وهذا الحكم قطعى قد ثبت بالبراهين الصحيحة والأدلّة العقلية الواضحة فإنهم محتاجون إلى التكليف فى طريق تكاملهم وحصولهم على السعادة الكبرى والتجارة الرابحة فإذا لم يكلفهم الله سبحانه فإما أن يكون ذلك لعدم علمه بحاجتهم إلى التكليف وهذا جهل يتنزّه عنه الحق تعالى وإما لأن الله أراد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۲

حجبهم عن الوصول إلى كمالاتهم وهذا بخل يستحيل على الجواد المطلق، وإما لأنه أراد تكليفهم فلم يمكنه ذلك وهو عجز يمتنع على القادر المطلق، وإذن فلا بدَّ من تكليف البشر ومن الضرورى أن التكليف يحتاج إلى مبلّغ من نوع البشر يوقفهم على خفى التكليف وجليه: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ («۱»)) («۲»).

ومن الضرورى أيضاً أن السفارة الإلهية من المناصب العظيمة التى يكثر لها المدّعون ويرغب فى الحصول عليها الراغبون، ونتيجة هذا أن يشتبه الصادق بالكاذب ويختلط المضلّ بالهادى.

وإذن فلا بدَّ لمدّعى السفارة أن يقيم شاهداً واضحاً يدلُّ على صدقه فى الدعوى وأمانته فى التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التى يمكن غيره أن يأتى بنظيرها فينحصر الطريق بما يخرق نواميس الطبيعة.

وإنما يكون الإعجاز دليلًا على صدق المدّعى، لأن المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحد إلّا بعناية الله تعالى وإقدار منه، فلو كان مدّعى النبوة كاذباً فى دعواه كان إقداره على المعجز من قبل الله تعلى إغراءً بالجهل وإشارة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى ... وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى فى كتابه الكريم: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ* لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ («۳»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۵

الفصل الثانى فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام (ع) عقيدة من ضروريات مذهب الإمامية الإثنى عشرية ... ص: ۵۵

اشارة

ونذكر فيه أموراً:

الأمر الأوّل معنى النيابة لغة ... ص: ۵۵

ففى مجمع البحرين للطريحى: (ناب فلان عنّى قام مقامى، وناب الوكيل عنّى فى كذا ينوب نيابة فهو نائب) («۱»)، ومثله فى تاج العروس («۲»). ومن هنا عرّف الفقهاء الوكالة بالنيابة أو الإستنابة والغالب فى استعمال النيابة هو فيما كان مورد النيابة محدوداً ومقيّداً أى إن النائب ينوب عن المنوب عنه فى متعلق محدود معيّن، وأما إذا كان المورد غير محدود وذا شؤون عديدة فذلك نحو من إعطاء الولاية من المنوب عنه إلى النائب، فيقال: ولّاه أو نصبه والياً فى كذا، وإذا اتّسعت الدائرة أكثر من ذلك فيقال: استخلاف وقد جعل خليفة.

وعلى أيّة حال فى موارد النيابة والوكالة المتعلق يكون محدوداً ومعيّناً.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۶

الأمر الثانى كلمات علماء الطائفة ... ص: ۵۶

قال بعض الحكماء: إنه لا يستدل على الضرورى وإنما ينبّه عليه، فما ظاهره استدلال إنما هو تنبيه، إذ بمجرد التنبه يحصل الالتفات إلى ضرورته، وهكذا ما نحن فيه وهو انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (ع) عند الإمامية، فما نسطره من كلمات العلماء الأعلام ووجوه الطائفة الإثنى عشرية إنما هو تنبيه على التسالم والضرورة عندهم.

وليعلم أن معنى النائب الخاص هو استنابة الإمام (ع) شخصاً بخصوصه فى شىء معيّن كما فى قول الإمام الحسن العسكرى (ع): «العمرى (عثمان بن سعيد) وابنه (محمّد) ثقتان فما أدّيا إليك عنّى فعنّى يؤدّيان، وما قالا لك فعنّى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان» («۱») ومعنى النائب العام والمرجع الدينى هو استنابة الإمام (ع) كل من توفّرت فيه صفات معيّنة فى أمر معين كما فى قول الصادق (ع): «من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر فى حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنّى قد جعلته عليكم حاكماً» («۲»)، وهو تنصيب للفقهاء العارفين بالأحكام عن طريق روايات الأئمّة (عليهم السلام) أن يقضوا بين الناس.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۷

وكذلك قول الحجة المنتظر (ع) فى رواية الطبرسى فى كتابه الاحتجاج: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً، ولا كرامة» («۱»)، وهو تنصيب للفقهاء العدول كمرجع دينى لبيان الأحكام الشرعية وتعلّم الشيعة ذلك منهم وسيأتى تفصيل ذلك.

ومجمله أن النيابة الخاصة فى المقام هى استنابة الإمام (ع) شخصاً لإيصال أقواله وأوامره للشيعة وأخذ الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة، ولذا أطلق لفظ السفير على النواب الأربعة وهم: عثمان بن سعيد العمرى، ومحمّد ابنه، والحسين بن روح النوبختى، وعلى بن محمّد السمرى فى الغيبة الصغرى (۳۲۹ ۲۶۰ ه-)، حيث إن الأربعة كان عملهم كالوسيط بين الإمام (ع) والشيعة، ويقرب من هذا المعنى استعمال لفظة السفير فى يومنا هذا على مملثى الدولة فى البلدان المختلفة. وذلك يطلق على هذا النحو من النيابة السفارة.

وأما النيابة العامة فهى استنابة الإمام (ع) كل من وجدت فيه صفات كما مرَّ لمنصب القضاء والإفتاء ونحو ذلك مما سيأتى بالأخذ والاستنباط من كتاب الله العزيز والروايات المأثورة عن الأئمّة (عليهم السلام)، أى لا بالأخذ المباشر منه (ع) لوقوع الغيبة الكبرى حتّى يظهر ويخرج بإذن الله تعالى وذلك حين تقع علامات الظهور كالصيحة من السماء والخسف بالبيداء وخروج السفيانى وقتل النفس الزكية بمكّة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۸

ولنذكر كلمات العلماء الذين هم أمناء الأئمّة (عليهم السلام) على الحلال والحرام والفرائض والسنن:

قال الشيخ أبو القاسم بن محمّد بن قولويه صاحب كتاب (كامل الزيارات) أستاذ الشيخ المفيد فى الفقه والذى قال النجاشى فيه: كلّما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه: (إن عندنا أى الطائفة الإمامية الشيعية أن كل من ادعى الأمر أى السفارة والباب بعد السمرى آخر النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى فهو كافر منمّس محتال ضال مضلّ) («۱»).

قال الشيخ سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى الذى قال عنه النجاشى («۲»): يكنّى أبا القاسم جليل القدر واسع الأخبار شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها فى كتاب (المقالات والفرق) («۳»):

(فنحن متمسكون بإمامة الحسن بن على (ع) مقرّون بوفاته موقنون مؤمنون بأن له خلفاً من صلبه متديّنون بذلك وأنه الإمام من بعد

أبيه الحسن بن على وأنه فى هـذه الحالـة مستتر خائف مغمور مأمور بذلك حتّى يأذن الله (عزوجل) له فيظهر ويعلن أمره، كظهور من مضى من آبائه إذ الأمر لله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويأمر بما يريد من ظهور وخفاء ونطق وصموت كما أمر رسوله (ص) فى حال نبوّته بترك إظهار أمره والسكوت والإخفاء من أعدائه والاستتار وترك إظهار النبوة التى هى أجلّ وأعظم وأشهر من الإمامة، فلم يزل كذلك سنين إلى أن أمره

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۵۹

بإعلان ذلك وعند الوقت الذى قدّره تبارك وتعالى فصارع بأمره وأظهر الدعوة لقومه.

ثمّ بعـد الإعلان بالرسالـة وإقامـة الـدلائل المعجزة والبراهين الواضـحة اللازمة بها الحجة وبعد ... قريش وسائر الخلق من عرب وعجم وما لقى من الشـدة ولقيه أصـحابه من المؤمنين أمرهم بالهجرة إلى الحبشـة، وأقام هو مع قومه حتّى توفّى أبو طالب فخاف على نفسـه وبقية أصـحابه، فأمره الله عند ذلك بالهجرة إلى المدينة المنورة وأمره بالاختفاء فى الغار والاستتار من العدو، فاستتر أياماً خائفاً مطلوباً حتّى أذن الله له وأمره بالخروج.

وكيف بـالغريب الوحيـد الشـريد الطريـد المطلوب الموتور بـأبيه وجـدّه هنـا مع القوم المشـهور من أمير المؤمنين على المنبر: «لا تخلو الأـرض من قـائم لله بحجـة. إمـا ظـاهراً مشـهوراً أو خائفاً مغموراً. لئلّا تبطل حجـج الله وبيناته» («۱») وبذلك جاءت الأخبار الصـحيحة المشهورة عن الأئمّة.

وليس على العبـاد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا أثر مـا لاـ علم لهم به ويطلبوا إظهـاره فستره الله عليهم وغيّبه عنهم قـال الله (عزوجـل) لرسوله: وَلاـ تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ («۲») فليس يجوز لمؤمن ولا مؤمنـة طلب ما ستر الله ولا البحث عن اسـمه وموضـعه ولا السؤال عن أمره ومكانه حتّى يؤمروا بذلك، إذ هو (ع) غائب خائف مغمور مستور بستر الله متبع لأمره (عزوجل) ولأمر آبائه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۰

بـل البحث عن أمره وطلب مكانه والسؤال عن حاله وأمره محرّم لا يحل ولا يسع، لأن فى طلب ذلك وإظهاره ما ستره الله عنّا وكشـفه وإعلان أمره والتنويه باسـمه معصـية الله والعون على سفك دمه (ع) ودماء شيعته وانتهاك حرمته أعاذ الله من ذلك كل مؤمن ومؤمنة برحمته وفى ستر أمره والسـكوت عن ذكره حقنهـا، وصـيانتها سـلامة ديننـا والانتهاء إلى أمر الله وأمر أئمّتنا وطاعتهم، وفّقنا الله وجميع المؤمنين لطاعته ومرضاته بمنّه ورأفته.

ولاـ يجوز لنـا ولاـ لأحـد من الخلق أن يختار إماماً برأيه ومعقوله واسـتدلاله، وكيف يجوز هـذا وقـد حظّره الله جلَّ وتعالى على رسـله وأنبيـائه وجميع خلقه، فقال فى كتابه إذ لم يجعل الاختيار إليهم فى شـىء من ذلك: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ («۱»)، وقـال: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ («۲»)، وإنما اختيار الحجج والأئمّة إلى الله (عزوجـل) وإقـامتهم إليه فهو يقيمهم ويختارهم ويخفيهم، وإذا شاء يقيمهم فيظهرهم ويعلن أمرهم إذا أراد ويستره إذا شاء فلا يبديه، لأنه تبارك وتعالى أعلم بتدبيره فى خلقه وأعرف بمصلحتهم، والإمام أعلم بأمور نفسه وزمانه وحوادث أمور الله منّا ... إلى أن قال:

فهـذه سبيل الإمامـة وهـذا المنهاج الواضـح والغرض الواجب اللازم الـذى لم يزل عليه الإجماع من الشـيعة الإمامية المهتدية رحمة الله عليها، وعلى ذلك كان إجماعنا إلى يوم مضى الحسن بن على رضوان الله عليه).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۱

وقال أبو محمّـد الحسن بن موسـى النوبختى المتكلم الفيلسوف من أكابر الطائفة وعظماء سـلالة بنى النوبخت فى كتابه (فرق الشـيعة) («۱»): (فنحن مستسـلمون بالماضـى (العسكرى) وإمامته مقرّون بوفاته معترفون بأن له خَلَفاً قائماً من صلبه وأن خَلَفه هو الإمام من بعده حتّى يظهر ويعلن أمره كما ظهر وعلن أمر من مضى قبله من آبائه ... إلى أن قال:

وبه جاءت الأخبار الصحيحة عن الأئمّة الماضين، لأنه ليس للعباد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا بلا علم ويطلبوا آثار ما ستر عنهم...

وقد رويت أخبار كثيرة أن القائم تخفى عن الناس ولادته ويخمل ذكره ولا يعرف ... إلى أن قال:

فهذا سبيل الإمامة والمنهاج الواضح اللاحب الذى لم تزل الشيعة الإمامية الصحيحة التشيّع عليه).

وقال الشيخ المفيد فى كتاب (الإرشاد) فى باب ذكر القائم وتاريخ مولده ودلائل إمامته («۲»): (وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده، وبدولته مستفيضاً قبل غيبته، وهو صاحب السيف من أئمّة الهدى (عليهم السلام) والقائم بالحق المنتظر لدولة الإيمان، وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار.

فأما القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة.

وأما الطولى فهى بعد الأولى وفى آخرها يقوم بالسيف، قال الله (عزوجل): وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۲

الْوارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ («۱»)، وقال جلَّ اسمه: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ («۲»)، وقال رسول الله (ص): «لن تنقضى الأيام والليالى حتّى يبعث الله رجلًا من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى يملأها قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً» («۳»).

وقال (رض) فى الرسائل الخمس التى ألّفها فى الغيبة فى الرسالة الثانية («۴»): (فإن قال: إذا كان الإمام عندكم غائباً ومكانه مجهولًا فكيف يصنع المسترشد، وعلى ماذا يعتمد الممتحن فيما ينزل به من حادث لا يعرف له حكماً وإلى من يرجع المتنازعون لاسيّما والإمام إنما نصب لما وصفناه؟ قيل له: هذا السؤال مستأنف لا نسبة له بما تقدم ولا صلة بينه وبينه وقد مضى السؤال الأوّل فى معنى الخبر وفرض المعرفة.

وجوابه على انتظام ونحن نجيب عن هذا المستأنف بموجز لا يخل بمعنى التمام وبالله التوفيق فنقول: إنما الإمام نصب لأشياء كثيرة، أحدها: الفصل بين المختلفين.

الثانى: بيان الحكم للمسترشدين. ولم ينصب لهذين دون غيرهما من مصالح الدنيا والدين، غير أنه إنما يجب عليه القيام فيما نصّب له مع التمكن من ذلك والاختيار وليس يجب عليه شىء لا يستطيعه، ولا يلزمه فعل الإيثار مع الاضطرار، ولم يؤت الإمام فى التقيّة من قبل الله (عزوجل) ولا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۳

من جهة نفسه وأوليائه المؤمنين، وإنما أتى ذلك من قبل الظالمين الذين أباحوا دمه ونفوا نسبه وأنكروا حقّه وحملوا الجمهور على عداوته ومناصبة القائلين بإمامته، وكانت البلية فيما تضيّع من الأحكام وتتعطّل من الحدود ويفوت من الصلاح متعلقة بالظالمين، وإمام الأنام برىء منها وجميع المؤمنين.

فأما الممتحن بحادث يحتاج إلى علم الحكم فيه فقد وجب عليه أن يرجع ذلك إلى العلماء من شيعة الإمام وليعلم ذلك من جهتهم مما استودعوه من أئمّة الهدى المتقدمين، وإن عدم ذلك والعياذ بالله ولم يكن فيه حكم منصوص على حال فيعلم أنه على حكم العقل، لأنه لو أراد الله أن يتعبّد فيه بحكم سمعى لفعل ذلك ولو فعله لسهل السبيل إليه.

وكذلك القول فى المتنازعين يجب عليهم ردّ ما اختلفوا فيه إلى الكتاب والسُنّة عن رسول الله (ص) من جهة خلفائه الراشدين من عترته الطاهرين ويستغنوا فى معرفة ذلك بعلماء الشيعة وفقهائهم، وإن كان والعياذ بالله لم يوجد فيما اختلفوا فيه نصٌّ على حكم سمعى فليعلم أن ذلك مما كان فى العقول مثل أن من غصب إنساناً شيئاً فعليه ردُّه بعينه إن كانت عينه قائمة فإن لم تكن عينه قائمة كان عليه تعويضه بمثله وإن لم يوجد له، مثل: كان له أن يرضى خصمه بما تزول معه ظلامته، فإن لم يستطع ذلك أو لم يفعله مختاراً

كـان فى ذمته إلى يوم القيامـة، فإن كان جان جنى على غيره جنايـة لا يمكن تلافيها كانت فى ذمته وكان المجنى عليه ممتحناً بالصبر إلى أن ينصـفه الله تعالى يوم الحساب، فإن كان الحادث مما لا يعلم بالسمع إباحته من حظره فإنّه على الإباحة إلّا أن يقوم دليل سمعى على حظره.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۴

وهـذا الذى وصـفناه إنما جاز للمكلف الاعتماد عليه والرجوع إليه عند الضـرورة بفقد الإمام المرشد، ولو كان الإمام حاضـراً ما وسـعه غير الردّ والعمل على قوله، وهـذا قول خصومنا كافـة: إن على الناس فى نوازلهم بعـد النبى (ص) أن يجتهـدوا فيها عنـد فقـدهم النصّ عليها، ولا يجوز لهم الاجتهاد واستعمال الرأى بحضرة النبى (ص).

فإن قال: فإذا كانت عبادتكم تتمّ بما وصفتموه مع غيبة الإمام فقد استغنيتم عن الإمام.

قيل له: ليس الأمر كما ظننت فى ذلك، لأن الحاجـة إلى الشـىء وقد تكون قائمة مع فقد ما يسدّها، ولولا ذلك ما كان الفقير محتاجاً إلى المال مع فقـده، ولا المريض محتاجاً إلى الـدواء وإن بعـد وجوده، والجاهل محتاجاً إلى العلم وإنْ عدم الطريق إليه، والمتحير إلى الدليل وإن لم يظفر به.

ولو لزمنا ما ادّعيتموه وتوهّمتموه للزم جميع المسـلمين أن يقولوا: إن الناس كانوا فى غيبـة النبى (ص) للهجرة وفى الغار مسـتغنين عنه، وكـذلك حالهم فى وقت اسـتتاره بشـعب أبى طالب (ع)، وكان قوم موسـى (ع) أغنياء عنه فى حال غيبته عنهم لميقات ربه، وكذلك أصـحاب يونس (ع) أغنياء عنه لما ذهب مغضـباً والتقمه الحوت وهو مليم، وهذا مما لا يذهب إليه مسـلم ولا ملّى فيُعلم بذلك بطلان ما ظنّه الخصوم وتوهّموه على الظنّة والرجوم وبالله التوفيق).

وقال طيّب الله رمسه فى الرسالة الرابعة فى الغيبة («۱»): (المهدى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۵

الذى يظهر الله به الحق، ويبيد بسـيفه الضـلال، وكان المعلوم أنه لا يقوم بالسـيف إلّا مع وجود الأنصار واجتماع الحفدة والأعوان، ولم يكن أنصـاره (ع) عنـد وجوده متهيّئين إلى هـذا الوقت موجودين، ولاـ على نصـرته مجتمعين، ولاـ كان فى الأرض من شـيعته طراً من يصـلح للجهـاد وإن كـان يصـلحون لنقـل الآثـار وحفـظ الأحكام والـدعاء له بحصول التمكن من ذلك إلى الله (عزوجل) لزمته التقية ووجوب فرضـها عليه كما فرضت على آبائه (عليهم السـلام)، لأنه لو ظهر بغير أعوان لألقى نفسه بيـده إلى التهلكة، ولو أبدى شخصـه للأعـداء لم يـألوا جهـداً فى إيقـاع الضـرر به واستئصـال شـيعته وإراقـة دمائهم على الاسـتحلال، فيكون ذلك أعظم للفساد فى الـدين والدنيا).

وقال الشيخ الصدوق («۱») رضوان الله تعالى عليه فى كتابه (إكمال الـدين وإتمام النعمـة) فى الباب الثانى والأربعين ما روى فى ميلاد القائم (ع) («۲»): بسـنده إلى غيـاث بن أسـيد قال: ولـد الخلف المهـدى (ع) يوم الجمعـة، وامّه ريحانـة ويقال لها: نرجِس، ويقال لها: صقيل، ويقال: سوسن، إلّا أنه قيل لسـبب الحمل: صـقيل، وكان مولده (ع) لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۶

جعفر إلى أبى القـاسم الحسـين بـن روح، وأوصـى أبـو القـاسم إلى أبى الحسن على بن محمّـد السـمرى (رض)، قـال: فلمّـا حضـرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض)).

وقـال رفع الله درجته فى أعلى عليين فى الكتـاب المزبور فى البـاب الخـامس والأـربعين فى ذكر التوقيعـات («۱»): (حـدّثنا أبو محمّد الحسن بن محمّـد المكتّب («۲»)، قال: كنت بمدينـة السـلام فى السـنة التى توفى فيها الشـيخ على بن محمّـد السـمرى قدس الله روحه فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك

فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عزوجل)، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جوراً.

وسيأتى شيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم».

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، ومضى (رض)، فهذا آخر كلام سمع منه).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۷

وقال عطر الله مرقده فى مقدمة كتابه المزبور: (إن الذى دعانى إلى تأليف كتابى هذا: أنّى لما قضيت وطرى من زيارة على بن موسى الرضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيسابور وأقمت بها فوجدت أكثر المختلفين إلىَّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة ودخلت عليهم فى أمر القائم (ع) الشبهة وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقاييس، فجعلت أبذل مجهودى فى إرشادهم إلى الحق وردّهم إلى الصواب بالأخبار الوارد فى ذلك عن النبى والأئمّة صلوات الله عليهم).

وقال الشيخ الطوسى («۱») فى كتاب الغيبة («۲»): (ذكر أمر أبى الحسن على بن محمّد السمرى بعد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (رض) وانقطاع الاعلام به وهم الأبواب: أخبرنى جماعة عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه، (قال): قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسن بن على بن زكريا بمدينة السلام، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن خليلان، قال: حدّثنى أبى، عن جدّه عتاب من ولد عتاب بن أسيد، (قال): ولد الخلف المهدى صلوات الله عليه يوم الجمعة وامّه ريحانة، ويقال لها: نرجِس، ويقال: صقيل، ويقال لها: سوسن، إلّا أنه قيل بسبب الحمل: صقيل.

وكان مولده لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۸

ووكليه عثمان بن سعيد أوصى إلى أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح (رض)، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، فلمّا حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى فقال: (لله أمر هو بالغه)، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض).

(وأخبرنى) محمّد بن محمّد بن النعمان (الشيخ المفيد)، والحسين بن عبيد الله (الغضائرى) («۱»)، عن أبى عبد الله محمّد بن أحمد الصفوانى («۲»)، قال: أوصى الشيخ أبو القاسم (رض) إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض) فقام بما كان إلى أبى القاسم، فلمّا حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصى إلى أحد بعده فى هذا الشأن.

(وأخبرنى) جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه، قال: حدّثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقانى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ (رح) فقال الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) ابتداء منه: (رحم الله على بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۶۹

الحسين بن بابويه القمى)، قال: فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر أنه توفى فى ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمرى (رض) بعد ذلك فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

(وأخبرنا) جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه، قال: حدّثنى أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتّب («۱»)، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى

الناس توقيعاً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى لشيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم».

(قال): فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: (لله أمر هو بالغه) وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه.

(وأخبرنى) الحسين بن إبراهيم، عن أبى العبّاس بن نوح عن أبى نصر هبة الله بن محمّد الكاتب، أن قبر أبى الحسن السمرى (رض) فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۰

الشارع المعروف بشارع الخلنجى من ربع باب المحول قريب من شاطئ نهر أبى عتاب («۱»)، وذكر أنه مات (رض) فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة). انتهى كلام الشيخ الطوسى فى كتابه (الغيبة).

وقال الشيخ الأجل ابن أبى زينت محمّد بن إبراهيم النعمانى من أعلام القرن الرابع، والتلميذ الخصّيص بالشيخ الكلينى صاحب كتاب (الكافى)، قال فى كتابه الغيبة فى فصول ما روى فى غيبة الإمام المنتظر (ع) («۲»): (هذه الروايات التى قد جاءت متواترة تشهد بصحة الغيبة وباختفاء العلم والمراد بالعلم الحجة للعالم، وهى مشتملة على أمر الأئمّة (عليهم السلام) للشيعة بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه ولا يزالون ولا ينتقلون، بل يثبتون ولا يتحولون ويكونون متوقعين لما وعدوا به، وهم معذورون فى أن لا يروا حجتهم وإمام زمانهم فى أيام الغيبة، وضيق عليهم فى كل عصر وزمان قبله أن لا يعرفوه بعينه واسمه ونسبه، ومحظور عليهم الفحص والكشف عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الإشادة بذكره، فضلًا عن المطالبة بمعاينته، وقال لنا: إيّاكم والتنويه، وكونوا على ما أنتم عليه، وإيّاكم والشكّ، فأهل الجهل الذين لا علم لهم بما أتى عن الصادقين (ع) من هذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها يطالبون بالإرشاد إلى شخصه والدلالة على موضعه، ويقترحون إظهاره لهم، وينكرون غيبته، لأنهم بمعزل عن العلم وأهل المعرفة، مسلّمون لما امروا به، ممتثلون له، صابرون على ما ندبوا إلى الصبر عليه، وقد أوقفهم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۱

العلم والفقه مواقف الرضا عن الله والتصديق لأولياء الله والامتثال والانتهاء عمّا نهوا عنه، حذرون ما حذّر الله فى كتابه من مخالفة رسول الله (ص) والأئمّة الذين هم فى وجوب الطاعة بمنزلته لقوله: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ («۱»)، ولقوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ («۲»)، ولقوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ («۳»).

وفى قوله فى الحديث الرابع من هذا الفصل حديث عبد الله بن سنان: «كيف أنتم إذا صرتم فى حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً يرى»، دلالة على ما جرى وشهادة بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام (ع) وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم وانقطاع نظامهم، لأن السفير بين الإمام فى حال غيبته وبين شيعته هو العلم، فلمّا تمّت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام ولا ترى حتّى يظهر صاحب الحق (ع) ووقعت الحيرة التى ذكرت وآذننا بها أولياء الله. وصحَّ أمر الغيبة الثانية التى يأتى شرحها وتأويلها فيما يأتى من الأحاديث بعد هذا الفصل، نسأل الله أن يزيدنا بصيرة وهدى ويوفقنا لما يرضيه برحمته).

ثمّ إنه قدس الله لطيفه روى فى الفصل اللاحق عدّة أحاديث فى أن للقائم (ع) غيبتين نذكر نبذة منها: قال بعد ذكر سنده إلى إبراهيم بن عمر اليمانى، قال: سمعت أبا جعفر (الباقر) (ع) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين»، وسمعته يقول: «لا يقوم القائم ولأحد فى

عنقه بيعة».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۲

وروى بسنده إلى أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) (ع): كان أبو جعفر (ع) يقول: «لقائم آل محمّد غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى»، فقال: «نعم، ولا يكون ذلك حتّى يختلف سيف بنى فلان، وتضيق الحلقة، ويظهر السفيانى، ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله (ص)».

وروى بسنده إلى المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، يرجع فى إحداهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، فى أىّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادّعى مدّع فاسألوه عن تلك العظائم التى يجيب فيها مثله».

ثمّ قال الشيخ النعمانى («۱»): هذه الأحاديث التى يذكر فيها أن للقائم (ع) غيبتين أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله وأوضح الله قول الأئمّة (عليهم السلام) وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهى الغيبة التى كانت السفراء فيها بين الإمام (ع) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودى الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم وعويص الحكم والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات وهى الغيبة القصيرة التى انقضت أيامها وتصرّمت مدّتها، والغيبة الثانية هى التى ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذى يريده الله تعالى والتدبير الذى يمضيه فى الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبلة والغربلة والتصفية على من يدّعى هذا الأمر، كما قال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۳

الله تعالى: ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ («۱»)، وهذا زمان قد حضر جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق وممن لا يخرج فى غربال الفتنة، فهذا معنى قولنا: (له غيبتان)، ونحن فى الأخيرة نسأل الله أن يقرّب فرج أوليائه منها ويجعلنا فى حيّز خيره وجملة التابعين لصفوته).

وروى (رض) فى الباب الرابع عشر فى العلامات التى تكون قبل قيامه (ع) («۲») بسنده عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «لا يقوم القائم حتّى يقوم اثنا عشر رجلًا كلهم يجمع على قول أنهم قد رأوه فيكذّبهم».

وقال الشيخ العلامة زين المحدّثين محمّد بن الفتال النيسابورى («۳») الشهيد فى سنة (۵۰۸ ه-) فى كتابه (روضة الواعظين) («۴»): (وروى أنه ولد يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين قبل وفاة أبيه بسنتين وسبعة أشهر والأوّل هو المعتمد (أى سنة خمس وخمسين)، وبابه عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى، فلمّا حضرت السمرى الوفاة سُئل أن يوصى، فقال: إن الله بالغ أمره، وقد انتظر (ع) لدولة الحق).

وقال الشيخ أمين الإسلام («۵») أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۴

(رض) فى كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) («۱») عند ذكره الدلائل على إمامة الإمام الثانى عشر (ع) فى الباب الثالث، وبعد ذكره لرواية أبى بصير التى تقدم ذكرها وفيها الأخبار بالغيبتين قال: (فانظر كيف قد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمّنت الأخبار السابقة لوجوده عن آبائه وجدوده.

أما غيبته الصغرى منهما فهى التى كان فيها سفراؤه موجودين وأبوابه معروفين لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم، فمنهم («۲»): أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى، ومحمّد بن على بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمّان (العمرى)، وابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان، وعمر الأهوازى، وأحمد بن إسحاق، وأبو محمّد الوجنانى، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمّد بن إبراهيم، فى

جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم.

وكانت مدّة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى باباً لأبيه وجدّه («۳») من قبل وثقة لهما، ثمّ تولّى الباقية من قبله وظهرت المعجزات على يده ولما مضى لسبيله قام ابنه أبو محمّد مقامه بنصّه عليه، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۷۵

من سنة أربع أو خمس وثلاثمائة وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نوبخت بنصّ أبى جعفر محمّد بن عثمان عليه وأقامه مقام نفسه ومات فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقام مقامه أبو الحسن على بن محمّد السمرى بنصّ أبى القاسم عليه وتوفّى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرون وثلاثمائة).

ثمّ ذكر رواية أبى محمّد الحسن بن أحمد المكتّب التى سبق ذكرها والتى فيها وقوع الغيبة التامة وانقطاع السفراء وكذب من يدّعى المشاهدة أى السفارة والنيابة حتّى يظهر بعلامات الصيحة وخروج السفيانى، ثمّ قال: (ثمّ حصلت الغيبة الطولى التى نحن فى أزمانها والفرج يكون فى آخرها بمشيئة الله تعالى) («۱»).

وقال فى الباب الخامس فى حل الشبهات فى غيبته (ع) («۲»): (فإن قالوا: الحق مع غيبة الإمام كيف يدرك؟ فإن قلتم: يدرك ولا يوصل إليه فقد جعلتم الناس فى حيرة وضلال مع الغيبة، وإن قلتم: يدرك الحق من جهة الأدلّة المنصوص بها عليه فقد صرّحتم بالاستغناء عن الإمام بهذه الأدلّة، وهذا يخالف مذهبكم.

الجواب: إن الحق على ضربين: عقلى وسمعى، فالعقلى يدرك ولا يؤثر فيه وجود الإمام ولا فقده، والسمعى عليه أدلّة منصوبة من أقوال النبى (ص) ونصوصه وأقوال الأئمّة الصادقين (عليهم السلام) قد بيّنوا ذلك وأوضحوه غير أن ذلك وإن كان على ما قلناه فالحاجة إلى الإمام مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۷۶

ذلك ثابتة، لأن جهة الحاجة مستمرة فى كل عصر وعلى كل حال هى كونه لطفاً لنا فى الفعل الواجب العقلى من الإنصاف والعدل واجتناب الظلم والبغى، وهذا مما لا يقوم غيره مقامه فيه).

وقال الشيخ أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى وهو من الأعلام فى القرن الخامس فى كتاب (الاحتجاج) («۱»): (وأما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون فى زمان الغيبة فأوّلهم: الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى نصّ به أوّلًا أبو الحسن على بن محمّد العسكرى ثمّ ابنه أبو محمّد الحسن، فتولّى القيام بأمورهما حال حياتهما (ع)، ثمّ بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان (ع) وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه.

فلمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه وناب منابه فى جميع ذلك، فلمّا مضى هو قام أبو القاسم حسين بن روح من بنى نوبخت، فلمّا مضى هو قام مقامه أبو الحسن على بن محمّد السمرى.

ولم يقم أحد منهم بذلك إلّا بنصّ عليه من قِبل صاحب الأمر (ع) ونصب صاحبه الذى تقدّم عليه ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدلُّ على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم، فلمّا حان سفر أبى الحسن السمرى من الدنيا وقرب أجله، قيل له: إلى من توصى؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسخته) ... ثمّ ذكر التوقيع الذى مرَّ ذكره.

وقال العلامة الحلى (رض) فى كتاب (الرجال) («۲») فى ترجمة محمّد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۷۷

بن عثمان العمرى: (يكنّى أبا جعفر وأبوه أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان (ع) ولهما منزلة عظيمة جليلة عند الطائفة ...إلى أن قال:

وقال عند موته: امرت أن أوصى إلى أبى القاسم بن روح وأوصى إليه، وأوصى أبو القاسم بن روح إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى، فلمّا حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، والغيبة الثانية هى التى وقعت بعد السمرى).

وذكر ابن داود الحلى فى كتاب (الرجال) («۱») عين ذلك بألفاظه فى الترجمة المذكورة.

وقال الخواجه نصير الدين الطوسى فى كتاب (تجريد الاعتقاد) فى المقصد الخامس فى الإمامة («۲»): (المسألة الأولى فى أن نصب الإمام واجب على الله تعالى. و ... وانحصار اللطف فيه معلوم للعقلاء ووجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا).

وشرح العلامة الحلى (رض) العبارة بقوله: (لطف الإمامة يتم بأمور منها: ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصرف والعلم والنصّ عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى، ومنها: ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله وهذا قد فعله الإمام، ومنها: ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم يفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام) («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۸

وقال العلامة المجلسى رفع الله درجته فى (شرح كتاب الكافى) فى ذيل الأحاديث المتعرضة لوقوع الغيبتين قال: (واعلم أنه كان له (ع) غيبتان أوّلهما: الصغرى، وهى زمان وفاة أبى محمّد العسكرى (ع) وهو لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين إلى وقت وفاة رابع السفراء أبى الحسن على بن محمّد السمرى وهو النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فتكون قريباً من سبعين. والعجب من الشيخ الطبرسى والسيد ابن طاووس أنهما وافقا فى التاريخ الأوّل وقالا فى وفاة السمرى توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ومع ذلك ذكرا أن مدّة الغيبة الصغرى أربع وسبعون ولعلّهما عدّا ابتداء الغيبة من ولادته (ع).

وأما سفراؤه (ع) فأوّلهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى فلمّا توفى (رض) نصَّ على ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان فقام مقامه وهو الثانى من السفراء وتوفى (رض) سنة أربع وثلاثمائة، وقيل: خمس وثلاثمائة وكان يتولّى هذا الأمر نحو من خمسين سنة، فلمّا دنت وفاته أقام أبا القاسم الحسين بن روح النوبختى مقامه وتوفى أبو القاسم قدس الله روحه فى شعبان سنة ستٍ وعشرين وثلاثمائة، فلمّا دنت وفاته نصَّ على أبى الحسن على بن محمّد السمرى، فلمّا حضرت السمرى (رض) الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، ومات روّح الله روحه فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، كل ذلك ذكره الشيخ («۱»)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۷۹

وقال الشيخ المفيد فى كتابه الإرشاد («

»): (وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وهو صاحب السيف من أئمّة الهدى (عليهم السلام) والقائم الحق المنتظر لدولة الإيمان وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار، فأما القصرى فمنذ وقت ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأما الطولى فهى بعد الأولى وفى آخرها يقوم بالسيف).

وروى الصدوق فى كمال الدين («۲») قال: كان مولده صلوات الله عليه لثمان ليال خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد (رض)، فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، فلمّا حضرت السمرى (رض) الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض)).

وقال السيد عبد الله الشبر («۳») فى كتابه (حق اليقين فى معرفة أصول الدين) فى المقصد الثالث من أحوال الغائب المستتر (ع): (فى بعض معجزاته وأحوال سفرائه: قال الطبرسى (رض) فى الاحتجاج: أما الأبواب المرضيون)، ... وذكر كل ما تقدم ذكره عن الطبرسى فى كتاب الاحتجاج.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۰

ومن وضوح انقطاع السفارة وانقطاع النائب المباشر المتصل بالحجة (ع) أخذ علماء العامة بالتشنيع على الشيعة بأنكم تستدلّون على ضرورة وجود المعصوم لهداية الأنام ولتدبير الأمور وإقامة العدل والقسط فكيف تناقضون ذلك بالالتزام بالغيبة والاستتار والانقطاع، ولكن علماء الإمامية لم يتركوا لهذه الأوهام مجالًا وأخذوا بالجواب عنها، وقد تقدّم طرفاً من ذلك فى الكلمات التى نقلناها وأن الحرمان من ظهور المعصوم وتصرّفه وتدبيره سببه راجع إلى الرعية والمكلفين من الخذلان وعدم الوقوف إلى جانب الحق والعدل، وأنه حين يكتمل نصاب الأنصار والأعوان يكتب الله تعالى فرجه الشريف.

ومن شاء مراجعة هذه السجالات بين علماء الفريقين فليسرح النظر فى ما ألّفه علماء الإمامية من الكتب باسم الغيبة أو التى تبحث عن حياة الحجة (ع)، وكل ذلك مما ينبّه على كون انقطاع النائب الخاص والسفير من ضروريات المذهب حتّى عرفه علماء أهل السُنّة ولنذكر بعض كلماتهم، وعلى القارئ مراجعة البقية فى مظانّها إن شاء الاطلاع عليها.

قال الشهرستانى («۱») فى كتاب (الملل والنحل) («۲»): (ومن العجب! أنهم قالوا: الغيبة قد امتدّت مائتين ونيفاً وخمسين سنة، وصاحبنا قال: إن خرج القائم وقد طعن فى الأربعين فليس بصاحبكم. ولسنا ندرى كيف تنقضى مائتان ونيف وخمسون سنة فى أربعين سنة، وإذا سُئل القوم عن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۱

مدّة الغيبة كيف تتصور؟ قالوا: أليس الخضر وإلياس (ع) يعيشان فى الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب، فلِمَ لا يجوز ذلك فى واحد من آل البيت؟ قيل لهم: ومع اختلافكم هذا كيف يصحُّ لكم دعوى الغيبة؟ ثمّ الخضر (ع) ليس مكلّفاً بضمان جماعة، والإمام عندكم ضامن مكلّف بالهداية والعدل، والجماعة مكلّفون بالاقتداء به والاستنان بسُنّته، ومن لا يرى كيف يقتدى به؟)، انتهى كلامه.

ولا يخفى تخبّطه وتحريفه فى النقل كعادته فى كتابه، إذ قول الشيعة عن أئمّتهم (عليهم السلام): إن القائم (ع) حين يظهر يكون فى سنّ الشيوخ وشاب المنظر حتّى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة فلا يصيبه الهرم بمرور الليالى والأيام، وليس ذلك من قدرة الله تعالى ببعيد.

وأما الجواب عن إشكاله الآخر فقد تقدّم، وقد ذكرت فى الروايات فوائد وجوده وانتفاع الناس منه فى غيبته، منها: أن قلوب المؤمنين مثبتة به فهم بها عاملون، وأنه كالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وأن المعصوم (ع) أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبه ينزَّل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا وجوده على الأرض لساخت بأهلها، ولولاه لم يعبد الله.

وقال الخواجه كلان («۱») فى كتابه (ينابيع المودة) («۲») عن كتاب (المحجّة فيما نزل فى القائم الحجة) فى قوله تعالى: وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۲

يَرْجِعُونَ («۱»): عن ثابت الثمالى، عن على بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه على بن أبى طالب (عليهم السلام)، قال: «فينا نزلت هذه الآية وجعل الله الإمامة فى عقب الحسين إلى يوم القيامة، وأن للقائم منّا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلّا من قوى يقينه وصحّت معرفته»)، انتهى كلامه.

وقد عرفت سابقاً أن الغيبة الصغرى إشارة إلى مدّة النواب الأربعة والكبرى إلى الغيبة التامة وانقطاع النواب والسفراء.

وقال علاء الدين المشهور بالمتقى الهندى («۲») فى كتاب (البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان) فى الباب الثانى عشر («۳»): (عن أبى عبد الله الحسين بن على (ع)، قال: «لصاحب هذا الأمر يعنى المهدى (ع) غيبتان إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم: ذهب» ... الحديث)، انتهى كلامه.

ومضمون هذه الرواية موجود فى الروايات التى وردت بطرقنا، ومن الواضح أن قول البعض المشار إليه فى الرواية بأنه (ع) مات أو ذهب أو فى أىّ وادٍ سلك؟ أو هلك كما فى الروايات الأخرى، لا يكون إلّا بعد انقطاع النائب الخاص والسفير للحجة (ع) وشدّة الامتحان بالغيبة التامة.

أقول: هذا غيض من فيض من كلمات علماء الإمامية، وتركنا الأكثر مخافة التطويل والملال، وكلّها على كون انقطاع النيابة الخاصة من معتقدات المذهب وضرورياته.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۸۳

الأمر الثالث النيابة العامة للفقهاء ... ص: ۸۳

قد عرفت انقطاع النيابة الخاصة والسفارة، ولكن ليس ذلك يعنى بقاء المؤمنين والمكلفين فى حيرة من أمرهم، بل قد نصَّب الأئمّة (عليهم السلام) وإمام زماننا (ع) لهم من يرجعون إليه فى كل ما ينزل بهم من الحوادث والوقائع، وفى تعلم الأحكام الشرعية وفصل الخصومات واستيفاء الحقوق وغيرها من حاجاتهم الدينية.

وهو الفقيه الجامع لشرائط معيّنة، كالعلم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسُنّة وهى الروايات المعتبرة المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام)، وكالعدالة، والتقوى، وغيرها من الشروط.

فقد قال الصادق (ع): «من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر فى حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنى قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردَّ، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حدّ الشرك بالله» («۱»).

وقال (ع): «اجعلوا بينكم رجلًا قد عرف حلالنا وحرامنا فإنّى قد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۸۴

جعلته عليكم قاضياً وإيّاكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر» («۱»).

وروى الشيخ الصدوق فى كتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة) («۲») عن محمّد بن محمّد بن عصام، عن محمّد بن يعقوب (الشيخ الكلينى)، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمرى (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى) أن يوصل لى كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت على فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك»، ... إلى أن قال: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتى عليكم وأنا حجّة الله عليهم. وأما محمّد بن عثمان العمرى فرضى الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتى، وكتابه كتابى».

وروى هذا الحديث الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) («۳») عن جماعة عن جعفر بن محمّد بن قولويه (صاحب كتاب كامل الزيارات وأستاذ الشيخ المفيد الذى قال المفيد عنه: أفقه أهل زمانه) وأبو غالب الرازى (من أحفاد زرارة بن أعين ومن شيوخ الطائفة الأجلّاء) وغيرهم كلهم عن محمّد بن يعقوب (الشيخ الكلينى)، ورواه أيضاً الشيخ الطبرسى فى كتاب الاحتجاج.

وروى الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج) («۴») عن الحجة (ع): «فأما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۸۵

من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً، ولا كرامة».

وروى الكشى فى كتاب (الرجال) («۱») بسنده عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال رسول الله (ص): «يحمل

هذا الدين فى كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفى الكير خبث الحديد».

وروى بسنده إلى أحمد بن ماهويه قال: كتبت إليه يعنى أبا الحسن الثالث (الهادى) (ع)، أسأله عمّن آخذ معالم دينى وكتب أخوه أيضاً بذلك فكتب إليهما: «فهمت ما ذكرتما، فاصمدا فى دينكما على كل مسن فى حبّنا، وكل كثير القدم فى أمرنا فإنهما كافوكما إنشاء الله تعالى» («۲»).

وروى الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج) («۳») عن أبى جعفر الباقر (ع) أنه قال: «فنحن القرى التى بارك الله فيها، وذلك قول الله (عزوجل)، فمن أقرَّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها («۴») أى: جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة، والقرى الظاهرة الرسل، والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۶

شيعتنا، وقوله تعالى: وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ («۱») فالسير مثل للعلم سير به ليالى وأياماً، مثل لما يسير من العلم فى الليالى والأيام عنّا إليهم فى الحلال والحرام والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا منه، آمنين من الشكّ والضلال والنقلة من الحرام إلى الحلال، لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إيّاه عنهم بالمعرفة» ... الحديث.

وروى البرقى فى كتاب (المحاسن) («۲») عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبى بصير («۳»)، قال: قلت لأبى عبد الله الصادق (ع): أرأيت الراد على هذا الأمر كالراد علينا؟ فقال: «يا أبا محمّد من ردَّ عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله (ص)».

هذا مع أن بيان الأحكام الشرعية وجوبه على الفقيه كان منذ صدر الشريعة قال تعالى: فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («۴»)، فأوجب على الطائفة المتفقّهة فى الدين الإنذار، كما أوجب على غيرهم من عامة الناس قبول قولهم فى بيان الأحكام الشرعية، وهو يستفاد من الآية الشريفة، حيث إن حذر الناس بعد الإنذار مطلوب وراجح بدلالة الآية، ولا يترتّب الحذر إلّا عند وجوب قبول ما أنذروا به.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۷

ولهذا كانت طوائف تلو الأخرى تنهال على الرسول (ص) ثمّ على الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) من بعده للتفقّه ومعرفة الفرائض والسنن والآداب وأركان العقيدة والإيمان.

ثمّ تذهب الطوائف وتنشر وتبيّن ذلك لعامة الناس، وهذا مما يقتضيه طبيعة النظام البشرى، حيث إنه ليس من الممكن عادةً أن ينهال كل المكلفين والناس بأجمعهم على الرسول (ص) وعلى المعصومين (عليهم السلام) بالسؤال عن معالم الدين، فهذا الممشى والسلوك عند العقلاء دأبوا عليه وأقرَّه الشرع المقدس فى نشر الأحكام.

وقد روى عبد المؤمن الأنصارى عن أبى عبد الله (الصادق) (ع): «قول الله (عزوجل): فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («۱») فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (ص) فيتعلموا ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم» («... ۲») الحديث.

وروى النجاشى فى كتابه (الرجال) («۳») عن الباقر (ع) أنه قال لأبان بن تغلب وهو أحد الفقهاء من تلامذته: «اجلس فى مسجد المدينة وافت الناس، فإنّى أحبّ أن يرى فى شيعتى مثلك».

وسأل عبد العزيز بن المهتدى الرضا (ع) قال: قلت: لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم دينى، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ منه ما أحتاج إليه من معالم دينى؟ فقال: «نعم» («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۸

وكذلك سأل على بن المسيب الهمدانى قال: قلت للرضا (ع): شقّتى بعيدة ولست أصل إليك فى كل وقت فممن آخذ معالم دينى؟

قال: «من زكريا بن آدم القمى المأمون على الدين والدنيا» («۱»).

وسأل عبد الله بن أبى يعفور قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) (ع): إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألنى وليس عندى كل ما يسألنى عنه، فقال: «ما يمنعك من محمّد بن مسلم الثقفى فإنّه سمع من أبى وكان عنده وجيهاً» («۲»).

وسأل شعيب العقرقوفى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: «عليك بالأسدى يعنى أبا بصير» («۳»).

والأخبار المشتملة على إرجاع الناس إلى تلامذتهم (عليهم السلام) كثيرة، ومن هنا حثَّ الأئمّة المعصومون (عليهم السلام) على التفقّه فى الدين وحفظ الروايات المأثورة عنهم وبينوا فضل ذلك.

فقد روى الصدوق قال: قال على (ع): قال رسول الله (ص): «اللهم ارحم خلفائى» ثلاثاً، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون بعدى يروون حديثى وسُنّتى» («۴»).

وروى الكشى عن جميل بن درّاج قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «بشّر المخبتين بالجنّة: بريد بن معاوية العجلى، وأبو بصير ليث بن البخترى المرادى، ومحمّد بن مسلم، وزرارة،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۸۹

أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ولولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست» («۱»).

وروى عن أبى بصير أن أبا عبد الله (الصادق) (ع) قال له فى حديث: «لولا زرارة ونظراؤه لظننَّ أن أحاديث أبى (ع) ستذهب» («۲»).

وفى رواية أخرى عن الصادق (ع) قال: «أحبُّ الناس إلىَّ أحياءً وأمواتاً أربعة: بُريد بن معاوية العجلى، وزرارة، ومحمّد بن مسلم، والأحوال، وهم أحبُّ الناس إلىَّ أحياءً وأمواتاً» («۳»)، وهؤلاء الأربعة كانوا من أفقه أصحابه وأصحاب الباقر (ع).

وروى سليمان بن خالد عن الصادق (ع) أنه قال: «ما أجد أحداً أحيى ذكرنا وأحاديث أبى (ع) إلّا زرارة، وأبو بصير ليث المرادى، ومحمّد بن مسلم، وبُريد بن معاوية العجلى، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين وأمناء أبى (ع) على حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا فى الدنيا والسابقون فى الآخرة» («۴»).

وروى جميل بن درّاج عن الصادق (ع) أنه ذكر أقواماً وقال: «كان أبى (ع) ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة («۵») علمه، وكذلك اليوم هم عندى مستودع سرى وأصحاب أبى حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتى أحياءً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۰

وأمواتاً هم الذين أحيوا ذكر أبى (ع)، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين» ثمّ بكى، فقلت: من هم؟ فقال: «من عليهم صلوات الله وعليهم رحمته أحياءً وأمواتاً: بُريد العجلى، وأبو بصير، وزرارة، ومحمّد بن مسلم» («۱»).

وعن الصادق (ع) قال: «اعرفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا» («۲»).

وعنه (ع) قال: قال رسول الله (ص): «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحبُّ بغاة العلم» («۳»).

وعنه (ع) قال: «عليكم بالتفقّه فى دين الله ولا تكونوا أعراباً («۴»)، فإنه من لم يتفقّه فى دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكّ له عملًا» («۵»).

وقال (ع): «لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا» («۶»).

وقال (ع): «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإن فينا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۱

أهل البيت فى كل عدولًا ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» («۱»).

وقال الصادق (ع): «إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه فى الدين» («۲»).

وعن الباقر (ع) قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً» («۳»).

وقال الصادق (ع): «احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها» («۴»)، وقال للمفضل بن عمر: «اكتب وبث علمك فى إخوانك فإن متّ فأورث كتبك بنيك فإنه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون إلّا بكتبهم» («۵»).

والأحاديث فى هذا المجال كثيرة جدّاً لا يسع المقام ذكرها.

والسرُّ فى هذا الحثّ الشديد هو أن الفقهاء حصون الإسلام يدفعون عنه بدع الباطل ودعاته وكذب المفترين كما تقدّم فى الروايات.

وقال الكاظم (ع): «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التى كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التى كان يصعد فيها بأعماله وثُلِمَ فى الإسلام ثَلمة لا يسدّها شىء، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها» («۶»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۲

وقال الصادق (ع): «ما من أحد يموت من المؤمنين أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه» («۱»).

وقال (ع): «إن أبى كان يقول: إن الله (عزوجل) لا يقبض العلم بعدما يهبطه، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجفاة («۲») فيضلّون ويضلّون، ولا خير فى شىء ليس له أصل» («۳»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۳

الأمر الرابع منابع الشريعة ... ص: ۹۳

إن منابع الشريعة هما الكتاب العزيز والسُنّة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول (ص) وأقوال الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وأفعالهم وتقريراتهم، وقال الكاظم (ع) لهشام بن الحكم فى الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام)، وأما الباطنة فالعقول» («۱»).

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبى، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» («۲»).

وفى حديث طويل للصادق (ع) حيث بيّن فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوّتها وعمارتها وبه عرف الله وصفاته الكمالية وبه عرفت الكمالات، قيل له: فهل يكفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «إن العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۴

وقد روى السُنّة والشيعة بالطرق المستفيضة المتواترة حديث الثقلين عن رسول الله (ص) أنه قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتّى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

وقد رواه عن النبى (ص) أكثر من ثلاثين صحابياً وما لا يقلُّ عن مائتى عالم من كبار علماء السُنّة بألفاظ مختلفة فى كتبهم («۱») فضلًا عن الشيعة.

وروى الشيخ الصدوق فى (معانى الأخبار) («۲») عن الباقر (ع) قال: «خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) بالكوفة بعد منصرفه

من النهروان، وبلغه أن معاوية يسبّه ويلعنه ويقتل أصحابه، فبعد حمد الله والثناء عليه قال (ع): يا أيها الناس إنه بلغنى ما بلغنى وإنى أرانى قد اقترب أجلى، وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى، وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتى، وهى عترة الهادى إلى النجاة خاتم الأنبياء وسيد النجباء والنبى المصطفى».

وقال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شىء، حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن، إلّا وقد أنزله الله فيه» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۵

وقال (ع): «ما خلق الله حلالًا ولا حراماً إلّا وله حدّ كحدّ الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتّى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة» («۱»).

وقال: «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سُنّة» («۲»).

وقال زين العابدين (ع): «إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسُنّة وإن قلَّ» («۳»).

وقال الباقر (ع): «كل من تعدّى السُنّة رُدَّ إلى السُنّة» («

).

وقال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسُنّة محمّد (ص) فقد كفر» («۵»).

وعن الباقر (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ص): «لا قول إلّا بعمل، ولا قول ولا عمل إلّا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلّا بإصابة السُنّة» («۶»).

وقال (ع): «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة» («۷»)، أى من تديّن وعمل بحكم بغير المأثور من المعصوم جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر فى تيه، مع كونه ذلك اليوم فى أشدّ الحاجة إلى الأمان والقرار، أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وفى الرسالة المشهورة للإمام الصادق (ع) إلى أصحابه والتى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۶

أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها فى مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، والتى رواها الكلينى (رض) فى كتاب (الروضة من الكافى) («۱») بطرق معتبرة نذكر موضعاً منها مما يهمُّ الكلام فى المقام.

قال (ع): «أيتها العصابة المرحومة المفلحة، إن الله أتمَّ لكم ما آتاكم من الخير، واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله فى دينه بهوى ولا- رأى ولا مقاييس، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شىء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلًا، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا- رأى ولا- مقاييس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصّيهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمّة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم وقد سبق فى علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق.

وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذى أكرمهم الله به وجعله عندهم إلّا من سبق عليه فى علم الله الشقاء فى أصل الخلق تحت الأظلة («۲») فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتّى دخلهم الشيطان،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۷

لأنهم جعلوا أهل الإيمان فى علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة فى علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتّى جعلوا ما أحلَّ الله فى كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرَّم الله فى كثير من الأمر حلالًا، فذلك أصل ثمرة أهوائهم، وقد عهد إليهم رسول الله (ص)

قبل موته، فقالوا: نحن بعد ما قبض الله (عزوجل) رسوله (ص) يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعدما قبض الله (عزوجل) رسوله (ص) وبعد عهده الذى عهده إلينا وأمرنا به مخالفاً لله ولرسوله (ص).

فما أحد أجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه، والله إن لله على خلقه أن يطيعوه ويتّبعوا أمره فى حياة محمّد (ص) وبعد موته، هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمّد (ص) أخذ بقوله ورأيه ومقاييسه؟ فإن قال: نعم، فقد كذب على الله وضلَّ ضلالًا بعيداً، وإن قال: لا، لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقاييسه فقد أقرَّ بالحجة على نفسه، وهو ممن زعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض الرسول (ص)، وقد قال الله وقوله الحق: وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ («۱») وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره فى حياة محمّد (ص) وبعد قبض الله محمّداً (ص)، وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمّد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه خلافاً لأمر محمّد (ص) فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمّد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه»....

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۸

إلى أن قال (ع): «أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار الرسول (ص) وآله وسُنّته وآثار الأئمّة الهداة من أهل بيت رسول الله (ص) من بعده وسُنّتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلَّ لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقد قال أبونا رسول الله (ص): المداومة على العمل فى اتّباع الآثار والسنن وإن قلَّ أرضى لله وأنفع عنده فى العاقبة من الاجتهاد فى البدع واتّباع الأهواء، إلّا أن اتّباع الأهواء واتّباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة فى النار، ولن ينال شىء من الخير عند الله إلّا بطاعته والصبر والرضا، لأن الصبر والرضا من طاعة الله»....

إلى أن قال (ع): «فإن من لم يجعل الله من أهل صفة الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن، وإن لشياطين الإنس حيلة ومكراً وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحق عمّا أكرمهم الله به من النظر فى دين الله الذى لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوى أعداء الله وأهل الحق فى الشكّ والإنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله تعالى فى كتاب من قوله: وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً («۱»)، ثمّ نهى الله أهل النصر بالحق أن يتّخذوا من أعداء الله وليّاً ولا نصيراً، فلا يهولنكم ولا يردّنكم عن النصر بالحق الذى خصّكم الله به من حيلة شياطين الإنس ومكرهم من أموركم»....

إلى أن قال: «هذا أدبنا أدب الله، فخذوا به وتفهّموه واعقلوه، ولا تنبذوه وراء ظهوركم».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۹

وروى الكلينى فى كتاب (الكافى) فى أبواب الحجة باب الغيبة («۱») بسنده عن أمير المؤمنين (ع): «اللهم إنه لا بدَّ لك من حجج فى أرضك، حجة بعد حجة على خلقك، يهدونهم إلى دينك، ويعلّمونهم علمك، كى لا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم يترقب، إن غاب عن الناس شخصهم فى حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم فى قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون».

ويقول (ع) فى هذه الخطبة فى موضع آخر: «فيمن هذا؟ ولهذا يأرز («۲») العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدّقون عليهم فيه، اللهم فإنى لأعلم أن العلم لا يأرز كله ولا ينقطع مواده، وإنّك لا تخلى أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم؟ وكم هم؟ أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً».

وفى كلامه (ع) إشارة إلى غيبة الحجة (ع)، حيث قال: «أو مكتتم مترقب إن غاب عن الناس» والاكتتام إشارة إلى عدم نصب الحجة الغائب النائب الخاص فى غيبته وهى الطولى الكبرى، وأشار (ع) بقوله: «إن غاب عن الناس شخصهم فى حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم فى قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون» إلى الوظيفة فى الغيبة الكبرى، وهى الرجوع إلى أحاديث

الأئمّة الحجج (عليهم السلام) المثبتة فى كتب المؤمنين الرواة منذ قديم أيام الأئمّة (عليهم السلام)، وأن هذه الأحاديث المأثورة عنهم هى علم الأئمّة وآدابهم، وهى منبع الدين والشريعة والهداية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۰

وأشار (ع) بقوله: «ولهذا يأرز العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه» إلى أن العلم بالشريعة بين الناس يذهب ويقلُّ بذهاب الفقهاء والحفّاظ والرواة عن الأئمّة (عليهم السلام)، وهذا وجه قول الصادق (ع) الذى سبق حول زرارة ومحمّد بن مسلم وأبى بصير وبُريد.

وروى الصدوق فى كتابه (إكمال الدين) («۱») بسنده عن الصادق (ع)، عن آبائه (عليهم السلام) فى وصية النبى (ص) لعلى (ع) قال: «يا على، أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون فى آخر الزمان لم يلحقوا بالنبى (ص)، وحجب عنهم الحجة، فآمنوا بسوادٍ على بياض».

وروى الكشّى فى كتاب (الرجال) («۲») بسنده إلى أبى هاشم الجعفرى (داود بن القاسم من ذرية جعفر الطيّار رضوان الله تعالى عليه) قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذى ألّفه يونس عبد الرحمن (وهو من أصحاب الرضا (ع) وكان من أفقه أصحابه) على أبى الحسن العسكرى (ع) فنظر فيه وتصفّحه كله، ثمّ قال: «هذا دينى ودين آبائى كلّه وهو الحق كلّه».

وروى الكلينى بسنده عن محمّد بن الحسن بن أبى خالد شينو له قال: قلت لأبى جعفر الثانى (الجواد) (ع): جُعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبى جعفر (الباقر) وأبى عبد الله (الصادق) (ع) وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم، فلمّا ماتوا صارت تلك الكتب إلينا، فقال: «حدّثوا بها فإنها حق» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۱

وروى الشيخ الجليل الأقدم ابن شعبة الحرانى فى كتابه (تحف العقول) («۱») عن الكاظم (ع) أنه كان لأبى يوسف (تلميذ أبى حنيفة وقاضى العبّاسيين) معه كلام فى مجلس الرشيد، فقال الرشيد بعد كلام طويل لموسى بن جعفر (ع): بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجارياه («۲»)، فقال: «نعم»، وأتى بدواة وقرطاس فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمّة على الضرورة التى يضطرّون إليها، والأخبار المجمع عليها وهو الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشكّ والإنكار فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسُنّة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولا تسع خاصة الأمّة وعامتها الشكّ فيه والإنكار له، وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذى يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته.

فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهى الحجة البالغة التى بيّنها الله ورسوله (ص) فى قوله لنبيّه: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ («۳») تبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلم العالم بعلمه، لأن الله عدل لا يجور يحتجّ على خلقه بما يعلمون يدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۲

ومضمون كتاب الكاظم (ع) هو مضمون ما تقدّم فى بداية هذا الأمر الرابع عن الصادق (ع) من أن العقل وإن كان حجة يدرك به التوحيد وصفات الخالق والكمالات وحسن العدل وقبح الظلم وإحالة اجتماع النقيضين ونحوها، ولكن لا يكتفى به فى معرفة مراضى الله ومعاصيه وأوامره ونواهيه، بل لا بدَّ من العلم وهو الكتاب العزيز والسُنّة المطهرة للنبى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فهذه هى الحجج الثلاث المشار إليها فى قوله (ع): «فمن أورد واحدة من هذه الثلاث وهى الحجة البالغة».

كما أن المشار إليه بقوله (ع): «وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذى يعرض عليه

أمر الدين» هو ما تقدم فى صدر كلامه (ع) من إجماع الأمّة على الضرورة والأخبار المجمع عليها أو الأمر الذى لا اختلاف فيه والذى فيه الشكّ سواء كان من الأصول أو الفروع، والمراد من العرض هو ملاحظة الأمر المشكوك سواء فى أصول الدين أو فروعه ومقارنته مع الضروريات والسُنّة القطعية والمستفيضة عنهم (عليهم السلام)، فما وافقها اصطفى وارتضى، وما نافاها أنكر ونفى.

وهذه ضابطة وردت بها أحاديث مستفيضة كما فى قول الباقر (ع): «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام فى الهلكة، إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۳

وقال الصادق (ع): «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص)، وإلّا فالذى جاءكم به أولى به» («۱»)، وقال: «كل شىء مردود إلى الكتاب والسُنّة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» («۲»).

وقال الرضا (ع): «إن الله حرَّم حراماً وأحلَّ حلالًا وفرض فرائض، فما جاء فى تحليل ما حرَّم الله أو فى تحريم ما أحلَّ الله أو دفع فريضة فى كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرّم ما أحل الله ولا ليغيّر فرائض الله وأحكامه، كان فى ذلك كلّه متبعاً مسلّماً مؤدّياً عن الله، وذلك قول الله: إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ («۳»)، فكان (ع) متّبعاً لله مؤدّياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، ... إلى أن قال: «إنّا لا نرخّص فيما لم يرخّص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص)»، ...) إلى أن قال: «فإما أن نستحلَّ ما حرَّم رسول الله (ص)، أو نحرّم ما استحلَّ رسول الله (ص)، فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا تابعون لرسول الله (ص)، مسلّمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربّه مسلّماً له، وقال الله (عزوجل): ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا («۴»)» («۵»).

وقال الصادق (ع): «حلال محمّد (ص) حلال أبداً إلى يوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۴

القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجىء غيره» («۱»)، وقال: «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سُنّة» («۲»).

وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) فى كتابه إلى مالك الأشتر قال: «واردد إلى الله ورسوله ما يظلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحبَّ إرشادهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ («۳») فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسُنّته الجامعة غير المتفرقة» («۴»).

وفى (تفسير العيّاشى) («۵») عن سدير قال: قال أبو جعفر الباقر وأبو عبد الله (الصادق) (ع): «لا يُصدّق علينا إلّا ما وافق كتاب الله وسُنّة نبيّه (ص)».

وقد تقدّم قول الحجة (ع): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» («۶») وهى الأحاديث المعتبرة المأثورة عن آبائه المعصومين (عليهم السلام) وعنه فى الغيبة الصغرى.

وقد تكرّر إرجاع الحجة (ع) فى التوقيعات الصادرة فى الغيبة الصغرى إلى الروايات المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) المدوّنة فى الكتب المشهورة بين الطائفة، ففى الكتاب («۷») لمحمّد بن عبد الله بن جعفر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۵

الحميرى («۱») إلى الحجة (ع) بتوسط النواب الأربعة سأله عن المصلّى إذا قام من التشهد الأوّل إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبّر؟ فإن بعض أصحابنا قال: (لا يجب عليه التكبير، ويجزيه أن يقول: بحول الله وقوته أقوم وأقعد)؟

الجواب توقيع الحجة (ع): «إن فيه حديثين: أما أحدهما: فإنه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه التكبير، وأما الآخر: فإنه روى: أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه فى القيام بعد القعود تكبير، وكذلك فى التشهّد الأوّل يجرى هذا

المجرى، وبأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً» («۲»).

فأرجع (ع) السائل وهو محمّد بن عبد الله الحميرى إلى الحديثين المرويين عن آبائه (عليهم السلام)، ثمّ أكّد على السائل الأخذ بأىّ واحد منهما والعمل به من باب التسليم والردّ فى كل ما ينوبه إلى الأحاديث المنقولة عنهم (عليهم السلام).

وسأل الحميرى أيضاً فى ضمن المسائل التى فى كتابه: وروى فى ثواب القرآن فى الفرائض وغيرها أن العالم (هو لقب للإمام الكاظم (ع)) («۳») قال: «عجباً لمن لم يقرأ فى صلاته: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ («۴») كيف تقبل صلاته؟».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۶

وروى: «ما زكّت صلاة من لم يقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

وروى: «أن من قرأ فى فرائضه: الهُمَزة أعطى من الثواب قدر الدنيا»، فهل يجوز أن يقرأ: الهُمَزة ويدع هذه السور التى ذكرناها مع ما قد روى أنه لا تقبل صلاة ولا تزكوا إلّا بهما؟

التوقيع: «الثواب فى السور على ما قد روى وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و إِنَّا أَنْزَلْناهُ لفضلهما أعطى ثواب ما قرأ وثواب السور التى ترك ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامة، ولكن يكون قد ترك الفضل» («۱»).

وسأل عن التوجّه للصلاة أن يقول: على ملّة إبراهيم ودين محمّد (ص) فإن بعض أصحابنا ذكر أنه إذا قال: على دين محمّد فقد أبدع لأنّا لم نجده فى شىء من كتب الصلاة خلا حديثاً فى كتاب القاسم بن محمّد عن جدّه عن الحسن بن راشد أن الصادق (ع) قال للحسين (أى بن راشد): «كيف تتوجّه؟»، فقال: أقول: لبّيك وسعديك، فقال له الصادق (ع): «ليس عن هذا أسألك، كيف تقول وجّهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً؟»، قال الحسن: أقول، فقال الصادق (ع): «إذا قلت ذلك فقل: على ملّة إبراهيم ودين محمّد ومنهاج على بن أبى طالب والإئتمام بآل محمّد، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

فأجاب (ع): «التوجّه كلّه ليس بفريضة، والسُنّة المؤكّدة فيه التى هى كالإجماع الذى لا خلاف فيه: وجّهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمّد وهدى أمير المؤمنين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۷

وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا من المسلمين، اللهم اجعلنى من المسلمين، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ اقرأ الحمد». قال الفقيه الذى لا يشكّ فى علمه: «إن الدين لمحمّد والهداية لعلى أمير المؤمنين لأنها له (ص) وفى عقبه باقية إلى يوم القيامة، فمن كان كذلك فهو من المهتدين، ومن شكّ فلا دين له، ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى» («۱»).

وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة: فإن بعض أصحابنا ذكر أنها (بدعة) فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففى صلاة المغرب هى بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟

فأجاب (ع): «سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ولم يقل: إن هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة فى دين الله، فأما الخبر المروى فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف فى أنها بعد الثلاث أو بعد الأربع، فإن فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح، فالأفضل أن تكون بعد الفرائض، فإن جعل بعد النوافل أيضاً جاز» («۲»).

وكتب إليه (ع) أيضاً فى سنة (۳۰۸ ه-) كتاباً سأله فيه عن مسائل أخرى سأل: إن قبلنا مشايخ وعجائز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر ويصلون بشعبان وشهر رمضان. وروى لهم بعض أصحابنا: أن صومه معصية؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۸

فأجاب (ع): «قال الفقيه: يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً إلّا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة، للحديث: إن نعم شهر القضاء

رجب».

وسأل عن الركعتين الأخراوين قد كثرت فيها الروايات فبعض يروى: أن قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروى: أن التسبيح فيهما أفضل. فالفضل لأيّهما لنستعمله؟ فأجاب (ع): «قد نسخت قراءة امّ الكتاب فى هاتين الركعتين التسبيح، والذى نسخ التسبيح قول العالم (ع): كل صلاة لا قراءة فيها فهو خداج إلّا للعليل أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه».

وسأل: عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدرى أن يفعلها أم لا، فيأخذ خاتمين فيكتب فى أحدهما: (نعم أفعل) وفى الآخر: (لا تفعل) فيستخير الله مراراً ثمّ يرى فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له هو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب (ع): «الذى سَنَّه العالم («۱») (ع) فى هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة».

وسأل عن الرجل ينوى إخراج شىء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثمّ يجد فى أقربائه محتاجاً أيصرف ذلك عمّن نواه له أو إلى قرابته؟

فأجاب: «يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه فإن ذهب إلى قول العالم (ع): لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج، فليقسم بين القرابة وبين الذى نوى حتّى يكون قد أخذ بالفضل كله» («۲»).

أقول: فكل هذا الإرجاع من الحجة (ع) لأحاديث آبائه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۰۹

المعصومين (عليهم السلام) مع أنه معصوم أيضاً وقوله كقولهم حجة على العباد ليس إلّا لتعليم الشيعة على الرجوع إلى الأحاديث المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) فى الغيبة الكبرى.

والأئمّة الإثنا عشر كلهم نور واحد ومشكاة واحدة، قال هشام بن سالم وهو من أجلّاء أصحاب الصادق (ع)، وكذلك قال حماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله (ع) يقول: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول (ص)، وحديث رسول الله (ص) قول الله (عزوجل)» («۱»).

وقال جابر الجعفى (وهو من حوارى الباقر (ع)): قلت لأبى جعفر (ع): إذا حدّثتنى بحديث فأسنده لى، فقال: «حدّثنى أبى، عن جدّى، عن رسول الله (ص)، عن جبرئيل، عن الله تبارك وتعالى، وكلّ ما أحدّثك بهذا الإسناد، وقال: يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق («۲») خير لك من الدنيا وما فيها» («۳»).

وروى الكلينى عن الصادق (ع) أنه قال: «ليس يخرج شىء من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۰

عند الله (عزوجل) حتّى يبدأ برسول الله (ص)، ثمّ بأمير المؤمنين (ع)، ثمّ بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا» («۱»).

وروى الكلينى عن الحكم بن أبى نعيم قال: أتيت أبا جعفر (الباقر) (ع) وهو بالمدينة فقلت له: علىَّ نذر بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتّى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا؟ فلم يجبنى بشىء، فأقمت ثلاثين يوماً، ثمّ استقبلنى فى طريق فقال: «يا حكم وإنك لههنا بعد»، فقلت: نعم، إنى أخبرتك بما جعلت لله علىَّ فلم تأمرنى ولم تنهنى عن شىء ولم تجبنى بشىء، فقال: «بكّر علىَّ غدوة المنزل»، فغدوت عليه، فقال (ع): «سل عن حاجتك؟»، فقلت: إنى جعلت لله على نذراً وصياماً وصدقة بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتّى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا؟ فإن كنت أنت رابطتك، وإن لم تكن أنت، سرت فى الأرض فطلبت المعاش، فقال: «يا حكم كلّنا قائم بأمر الله»، قلت: فأنت المهدى؟ قال: «كلّنا نهدى إلى الله»، قلت: فأنت صاحب السيف؟ قال: «كلّنا صاحب السيف ووارث السيف»، قلت: فأنت الذى تقتل أعداء الله ويعزُّ بك أولياء الله ويظهر بك دين الله؟

فقال: «يا حكم كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة؟ وإن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن منّى وأخفُّ على ظهر الدابة» («۲»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۱

الأمر الخامس الرؤيا ليست مصدراً للتشريع ... ص: ۱۱۱

اشارة

إن الرؤيا بعنوان الوحى النبوى ليست مصدراً للتشريع إلّا للأنبياء والرسل خاصة.

قال تعالى: قالَ يا بُنَيَّ إِنِّى أرى فِى الْمَنامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ («۱»).

وروى السيد البحرانى فى تفسيره عن الصدوق بسنده عن الحسن بن على بن فضال، قال: سألت أبا الحسن على بن موسى الرضا (ع) عن معنى قول النبى (ص): «أنا ابن الذبيحين»؟ قال: «يعنى إسماعيل بن إبراهيم (ع) وعبد الله بن عبد المطلب، أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذى بشَّر الله تعالى به إبراهيم (ع) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّى أرى فِى الْمَنامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ ولم يقل له: يا أبتِ افعل ما رأيت» («... ۲») الحديث.

وبهذا المضمون عدّة روايات.

وقال تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً («۳»).

أى يريد كل واحد من هؤلاء الذين لم يؤمنوا أن يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۲

رسولًا يوحى إليه أو لعلَّه تفسير لقوله تعالى: وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً* أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِى السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا («۱»).

وروى الكلينى بسنده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله (عزوجل): وَكانَ رَسُولًا نَبِيًّا («۲») ما الرسول وما النبى؟ قال: «النبى الذى يرى فى منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك»، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك»، ثمّ تلا هذه الآية: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ («۳»)» («۴»).

وروى أيضاً بسنده عن الحسن بن العبّاس المعروفى أنه كتب إلى الرضا (ع): جُعلت فداك أخبرنى ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام؟ قال: فكتب أو قال: «الفرق بين الرسول والنبى والإمام أن الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى، وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم (ع)، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۳

الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص» («۱»).

وبهذا المضمون عدّة روايات أخرى.

وروى المجلسى عن أمالى الشيخ الطوسى بسنده عن أمير المؤمنين (ع) قال: «رؤيا الأنبياء وحى» («۲»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۴

وروى الكلينى بسنده عن ابن أذينة عن أبى عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال: «ما تروى هذه الناصبة؟»، فقلت: جعلت فداك فيما ذا؟ فقال: «فى أذانهم وركوعهم وسجودهم»، فقلت: إنهم يقولون: إن ابى بن كعب رآه فى النوم، فقال: «كذبوا فإن دين الله (عزوجل) أعز من أن يرى فى النوم» قال: فقال له سدير السيرفى: جُعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً، فقال أبو عبد الله (ع): «إن الله (عزوجل) لمّا عرج بنبيّه (ص) إلى سماواته السبع» («... ۱») الحديث، ثمّ ذكر (ع) تفصيل ذلك.

وقال العلامة المجلسى (رض): قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق (ع) فى حديث الأذان أن «دين الله تبارك وتعالى أعزُّ من أن يرى فى النوم» وقال: المراد أنه لا يثبت أصل شرعية الأحكام بالنوم بل إنما هى بالوحى الجلى («۲»).

وقد اتّضح أن المقصود من أن الرؤيا ليست مصدراً للشريعة إلّا للأنبياء خاصة أن الرؤيا المشتملة على الأمر والنهى هى أحد أقسام الوحى الإلهى للأنبياء، ومن المعلوم أنه مخصوص بمن ينبئ من الله (عزوجل).

أما الرؤيا الصادقة المشتملة على حكاية وقائع مستقبلية أى التى يكون مضمونها الأخبار بخلاف الرؤيا الأولى التى يكون مضمونها الإنشاء التشريعى الإلهى فهذه أيضاً تحصل للأنبياء والرسل وهى تكون صادقة دائماً لديهم.

قال تعالى: إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۵

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ* قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ («... ۱») الآية، وهذه التى فيها التأويل والتعبير.

قال تعالى على لسان يعقوب (ع) مخاطباً يوسف (ع): وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ («۲»).

وقال تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ («۳»)، وقال: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. («۴»)

حيث رآى النبى (ص) ذلك عام الحديبية وهى سنة الست من الهجرة وصدقت العام الذى بعده.

هذا وقد بحث علماء الكلام (وهو العلم الباحث عن أصول العقائد) عن طريق معرفة النبى أنه مبعوث واطمئنانه بذلك وعن كيفية العصمة فى الوحى وتلقيه ومجمل الأدلّة العقلية فى ذلك هى بعينها الأدلّة الدالة على ضرورة بعث الله (عزوجل) الرسل والأنبياء لهداية عباده فهى على ضرورة تأييد الأنبياء وحفظهم وعصمتهم وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «وقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره» («
).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۶

واستفاضت الروايات بأنه (ص) لم يزل مؤيّداً بروح القدس يكلّمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة حتّى بعثه الله نبياً ورسولًا.

وقد سأل أصحاب الأئمّة عن ذلك، فعن زرارة بن أعين قال: قلت لأبى عبد الله (ع): كيف لم يخف رسول الله (ص) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان؟ فقال: «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولًا أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذى يأتيه من قبل الله مثل ما يراه بعينه» («۱»).

وروى الكلينى بسنده عن بُريد أنه سأل أبا جعفر (الباقر) وأبا عبد الله الصادق (ع) قال: قلت: فما الرسول والنبى والمحدّث؟ قال: «الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه، والنبى هو الذى يرى فى منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، والمحدّث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة»، قال: قلت: أصلحك الله كيف يعلم أن الذى رأى فى النوم حق وأنه من الملك؟ قال: «يوفق حتّى يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب، وختم بنبيّكم الأنبياء» («۲»).

وروى عن محمّد بن هارون، عن أبى عبد الله (ع) قال: «ما علم رسول الله أن جبرئيل من عند الله إلّا بالتوفيق» («۳»).

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ («۴»). فالوحى إنزال حق ومعصوم، وفى تلقى الرسول إيّاه حق ومعصوم، وقال

عزَّ من قائل: وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ وَما يَنْبَغِي لَهُمْ وَما يَسْتَطِيعُونَ («۵»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۷

إذا تنبهت إلى مجمل ما سبق يتّضح لك أن غير المعصوم من سائر الناس ليس له أىّ حظّ من الرؤيا من النحو الأوّل وهى ما يكون فيها إنشاء أىّ أوامر ونواهى إلهية ونحوها من الأحكام الشرعية، وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين وقد أشار القرآن الكريم إلى عدّة من أفعال الشياطين.

فمنها: الهمز كما فى قوله تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ («۱»).

ومنها: النزول على الأفّاك (أى الكذّاب المفترى) الآثم كما فى قوله تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («۲»).

ومنها: الاستهواء كما فى قوله تعالى: كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ («۳»).

ومنها: النزغ كما فى قوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ («۴»).

ومنها: المسّ كما فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا («۵»).

ومنها: الأز كما فى قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («۶»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۸

ومنها: الإلقاء كما فى قوله تعالى: لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ («۱»).

ومنها: الإيحاء كما فى قوله تعالى: إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ («۲»)، وغير ذلك من الآيات.

وعن الباقر (ع) قال: «لمّا ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفة الله الذى بعثه للعدل والصواب للملائكة»، قيل: يا أبا جعفر، وكيف يكون شىء أكثر من الملائكة؟ قال: «كما يشاء الله (عزوجل)». قال السائل: يا أبا جعفر إنّى لو حدّثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون: إن الملائكة أكثر من الشياطين. قال: «صدقت افهم عنّى ما أقول لك: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع الجن والشياطين تزور أئمّة الضلالة، وتزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة، حتّى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قيض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم، ثمّ زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلَّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سئل ولى الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتّى يفسّر له تفسيراً ويعلّمه الضلالة التى هو عليها» («۳»).

والهمز كالعصر، والنزغ الجذب للشىء من مقره، والمسّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۹

كاللمس، والأز كالهز، وهذه الأفعال توردها الشياطين فى القلوب بتوسط الخواطر والواردات والميول والتجاذب النفسى.

وعن كتاب (مجالس الصدوق) («۱») بسنده عن أبى بصير، عن أبى جعفر (ع) قال: سمعته يقول: «إن لإبليس شيطاناً يقال له: (هزع) يملأ المشرق والمغرب فى كل ليلة يأتى الناس فى المنام، ولهذا يرى الأضغاث».

نعم، الرؤيا من القسم الثانى وهى المتضمنة للأخبار والحكاية عن الوقائع المستقبلة، فلغير المعصوم حظّ يسير منها بحسب تقواه وصدق حديثه ولسانه وصفاء قلبه، فعن الصدوق (على بن بابويه) بسند عن الكاظم عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ص): «الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشياطين، والذى يحدّث به الإنسان نفسه فيراه فى منامه» («۲»)، وقال (ص): «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» («۳»).

ولا تخفى دلالة الرواية على أن الرؤيا الصادقة التى هى نصيب غير المعصوم هى ما تكون بشرى، أى حاكية ومخبرة، أى من القسم

الثانى لا الأوّل، وهى المتضمنة للإنشاء والتشريع.

ومثل ذلك مفاد الرواية عن الباقر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: أتى رجل من أهل البادية رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله: الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ («۴»)، فقال رسول الله (ص): «أما قوله: لَهُمُ الْبُشْرى فِي

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۰

الْحَياةِ الدُّنْيا فهى الرؤيا الحسنة ترى للمؤمن فيبشّر بها فى دنياه، وأما قوله: وَفِي الْآخِرَةِ فإنها بشارة للمؤمن عند الموت إن الله غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك» («۱»).

وروى الكلينى بسنده عن أبى الحسن (ع) قال: «إن الأحلام لم تكن فى ما مضى فى أوّل الخلق وإنما حدثت»، فقلت: وما العلّة فى ذلك؟ فقال: «إن الله عزَّ ذكره بعث رسولًا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالًا ولا بأعزّنا عشيرة، فقال: إن أطعتمونى أدخلكم الله الجنّة وإن عصيتمونى أدخلكم الله إلى النار. فقالوا: وما الجنّة وما النار؟ فوصف لهم ذلك فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله (عزوجل) فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك. فقال: إن الله عزَّ ذكره أراد أن يحتجَّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان» («۲»).

وإذا عرفت أن الرؤيا التى هى من نحو الأخبار على ثلاثة أقسام: صادقة، وكاذبة، وتخيّلات، يتّضح لك عدم دوام الصدق فيها ففى كتاب (التوحيد) («۳») للمفضل بن عمر الجعفى قال له الإمام الصادق (ع): «فكّر يا مفضل فى الأحلام كيف دُبّر الأمر فيها، فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۱

لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلًا لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس فى مصلحة يهتدى لها، أو مضرّة يتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلّا يعتمد عليها كل الاعتماد».

وعن كتاب (بصائر الدرجات) («۱») فى قصة الحسن بن عبد الله الرافقى (الواقفى) الزاهد العابد، حيث كان يلقاه السلطان فيستقبله بالكلام الصعب يعظه ويأمره بالمعروف، وكان يحتمله لصلاحه، فلم يزل حاله حتّى اهتدى للمعرفة على يد الإمام الكاظم (ع) فى لقاءات متعددة، وكان يرى الرؤيا الحسنة وترى له، ثمّ انقطعت عنه الرؤيا، فرأى ليلة أبا عبد الله (ع) فيما يرى النائم فشكى إليه انقطاع الرؤيا، فقال: «لا تغتم فإن المؤمن إذا رسخ فى الإيمان رفع عنه الرؤيا».

ولعلَّ ذلك مراد ما حكاه الشيخ المفيد قال: (وقد كان شيخى (رض) قال لى: إن كل من كثر علمه واتّسع فهمه قلَّت مناماته) («۲»).

وعن كتاب (ثواب الأعمال) («۳») للصدوق (رض) بسنده عن هشام بن أحمد، وعبد الله ابن مسكان، ومحمّد بن مروان، عن أبى عبد الله (ع) قال: «ثلاثة يعذّبون يوم القيامة: من صوَّر صورة من الحيوان حتّى ينفخ فيها وليس بنافخ فيها، والذى يكذب فى منامه يعذّب حتّى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصبُّ فى أذنيه الإنك وهو الأسرب (الرصاص)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۲

جواب شبهة من رآنى فى منامه فقد رآنى ... ص: ۱۲۲

»: وبعد هذا كلّه لعلَّ قائلًا يقول: أليس قد روى عن رسول الله (ص) أنه قال: «من رآنى فى منامه فقد رآنى لأن الشيطان لا يتمثّل فى صورتى ولا فى صورة أحد من أوصيائى ولا فى صورة أحد من شيعتهم» («۱») وحينئذٍ كانت رؤيا الرسول (ص) أو أحد أوصيائه صادقة لا محالة، وهى لا يفرق فيها بين أن تكون من القسم الأوّل وهى ما كان فيها أمر ونهى، أو من القسم الثانى وهى الأخبار عن ما

يستقبل من الأمور.

وهذه المقالة وَهْمٌ فاسد لجهات عدّة:

الأولى: أن أكثر ما روى عن الرسول (ص): «من رآنى فى منامه فقد رآنى» فهو بطرق العامة لا بطرق الخاصة الإمامية، وأما ما روى بطريق الخاصة فالمرحوم العلّامة المجلسى على سعة باعه وتوغله فى الرواية لم يذكر فى كتاب البحار، فى باب رؤية النبى (ص) والأوصياء (عليهم السلام) إلّا رواية واحدة بهذا المضمون، ثمّ ذكر أنه روى المخالفون (أهل السنّة) ذلك بأسانيد عندهم، ولذا قال السيد المرتضى عندما سئل عن هذا الخبر: (هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معوَّل على مثل ذلك) («۲»).

وهى ليست على درجة من الاعتبار، وبعبارة أخرى أن حجية الرواية يشترط فيها أمور منها ما يتعلق بالسند والطريق وهو الأشخاص الذين ينقل كل منهم عن الآخر حتّى يصل إلى المعصوم (ع)، فإنهم لا بدَّ أن يكونوا عدولًا أو ثقاتاً قد اطمئن إلى صدق لهجتهم، فلا يقبل من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۳

غير العادل والثقة، قال تعالى: إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ («۱»)، وكذلك مجهول الحال فإنه لا يمكن الاعتماد عليه فى النقل والحديث.

الثانية: أن هذه المسألة وهى كون الرؤيا مصدراً لاستقاء أحكام الشريعة من سلك مسائل الأصول الاعتقادية فكيف يعوّل فيها على خبر واحد ظنّى، إذ لا بدَّ فيها من اليقين والقطع، ولذلك قال العلامة المجلسى تغمّده الله برحمته: (أن الظاهر إن هذا من مسائل الأصول، ولا بدَّ فيه من العلم، ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظن) («۲»).

الثالثة: لو فرضنا اعتبار طريق الرواية وفرضنا إمكان إثبات مثل هذه المسألة بخبر واحد ظنّى فإن ذلك يتم لو كنّا نحن والرواية على تقدير صحة هذه الاستفادة من معنى الرواية، وأما مع ما تقدّم من الآيات القرآنية والسُنّة المستفيضة المتواترة معنى فى أن الرؤيا المتضمنة للأمر والنهى من خصائص الأنبياء والمرسلين فلا يمكن الاعتماد على هذه الاستفادة من الرواية ولا برفع اليد عن الدليل القطعى بخبر واحد، ولا يوسوس فى ذلك إلّا من ليس يتحرّج فى دينه ومن لا يركن إلى أوّليات عقله وفطرته.

الرابعة: توجد روايتان معتبرتان بل أكثر تدلُّ بالخصوص على عدم صحة أن من رآهم فى المنام مطلقاً ودوماً فقد رآهم (عليهم السلام)، فقد روى الشيخ الجليل الكشّى فى كتابه (معرفة الرجال) («۳») عن جبريل بن أحمد أنه حدّثه محمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۴

عيسى (العبيدى اليقطينى)، عن على بن الحكم، عن حمّاد بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله (الصادق) (ع): «أخبرنى عن حمزة («۱») أيزعم أن أبى آتيه؟»، قلت: نعم. قال: «كذب والله ما يأتيه إلّا المتكوّن، إن إبليس سلّط شيطاناً يقال له: المتكوّن يأتى الناس فى أىّ صورة شاء، إن شاء فى صورة صغيرة وإن شاء فى صورة كبيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجىء فى صورة أبى (ع)».

وروى عن سعد بن عبد الله الأشعرى قال: حدّثنى أحمد (بن عيسى الأشعرى)، عن أبيه، والحسين بن سعيد (الأهوازى)، عن ابن أبى عمير، عن محمّد بن عمر بن أذينة، عن بُريد بن معاوية العجلى، وبطريق آخر عن سعد بن عبد الله، قال: حدّثنى محمّد بن عيسى (العبيدى)، عن يونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن أبى عمير، عن محمّد بن عمر بن أذينة، عن بُريد بن معاوية العجلى، قال: كان حمزة بن عمارة الزبيدى (البربرى) لعنه الله يقول لأصحابه أن أبا جعفر (الباقر) (ع) يأتينى فى كل ليلة ولا يزال إنسان يزعم أنه قد رآه فقدّر لى أنى لقيت أبا جعفر (ع) فحدّثته بما يقول حمزة، فقال: «كذب، عليه لعنة الله ما يقدر الشيطان أن يتمثل فى صورة نبى ولا وصى نبى» («۲»).

وهاتان الروايتان وإن كان يحتمل منهما الرؤية فى اليقظة، ولكن ذلك لا يخدش فى المطلوب وهو عدم دوام المطابقة بين ما يعتقده الرائى سواء فى المنام أو اليقظة أنه قد رأى الأئمّة مع الواقع والحقيقة، وذلك لتلبيس وخداع الشيطان للرائى وتشكّل الشيطان (الذى

يسمى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۵

المتكوّن) بصور مختلفة يغرى الرائى أن تلك الصور هم الأئمّة (عليهم السلام)، مع أن تلك الصور ليست بصورهم (عليهم السلام)، لأنه لا يستطيع التمثّل والتشكّل بصورهم (عليهم السلام)، وستأتى فى الفصل اللاحق نقل عدّة روايات بهذا المضمون.

الخامسة: لو رفعنا اليد فرضاً عن ما سبق فإنما يتبع ما يرى فى الشىء الذى علم من الشريعة المقدسة صحته، أى كان المرئى موافقاً لظاهر الشريعة لا ما كان مخالفاً لها، وذلك لكون منشأ ودليل حجيّة الرؤية هى هذه الرواية التى هى واصل لنا من الشريعة، فكيف تعارض الشريعة، وهل يمكن للفرع أن يستأصل ويبيد الأصل.

قال الكراجكى فى كتابه (كنز الفوائد) («۱»): (وجدت لشيخنا المفيد (رض) فى بعض كتبه: أن الكلام فى باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبلية بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل ... إلى أن قال:

وأما رؤية الإنسان للنبى (ص) أو لأحد الأئمّة (عليهم السلام) فى المنام فإن ذلك عندى على ثلاثة أقسام:

قسم أقطع على صحته، وقسم أقطع على بطلانه، وقسم أجوّز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال.

فأما الذى أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبى (ص) أو أحد الأئمّة (عليهم السلام) وهو الفاعل لطاعة أو آمر بها، وناهٍ عن معصية أو مبيّن لقبحها، وقائل لحق أو داع إليه، وزاجر عن باطل أو ذام لمن هو عليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۶

وأما الذى أقطع على بطلانه فهو كل ما كان ضد ذلك، لعلمنا أن النبى (ص) والإمام (ع) صاحبا حق، وصاحب الحق بعيد عن الباطل.

وأما الذى أجوّز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبى والإمام (ع) وليس هو آمراً ولا ناهياً ولا على حال يختص بالديانات («۱») مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك.

وأما الخبر الذى يروى عن النبى (ص) من قوله: «من رآنى فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتشبّه بى» فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون فى كل حال، ويكون المراد به القسم الأوّل من الثلاثة الأقسام، لأن الشيطان لا يتشبّه بالنبى (ص) فى شىء من الحق والطاعات ... إلى أن قال:

وجميع هذه الروايات أخبار آحاد، فإن سلمت فعلى هذا المنهاج، وقد كان شيخى يقول:

إذا جاز من بشر أن يدّعى فى اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلّة حيلة البشر وزوال اللبس فى اليقظة فما المانع من أن يدّعى إبليس عند النائم بوسوسة له أنه نبى؟ مع تمكّن إبليس مما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض فى المنام.

ومما يوضح لك أن من المنامات التى يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمّة منها ما هو حق ومنها ما هو باطل إنك ترى الشيعى يقول: رأيت فى المنام رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) وهو يأمرنى بالاقتداء به دون غيره، ويعلمنى أنه خليفته من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۷

بعده وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه وينهانى عن موالاتهم ويأمرنى بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة، ثمّ يرى الناصبى يقول: رأيت رسول الله فى النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرنى بمحبتهم وينهانى عن بغضهم ويعلمنى أنهم أصحابه فى الدنيا والآخرة، وأنهم معه فى الجنّة ونحو ذلك مما يختصّ بمذهب الناصبية، فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت الدليل فى اليقظة على صحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه، وليس يمكن الشيعى أن يقول للناصبى: إنك كذبت فى قولك إنك رأيت رسول الله (ص)، لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه.

وقد شاهدنا ناصبياً يتشيّع وأخبرنا فى حال تشيّعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه حال نصبه، فبان بذلك أن أحد المنامين باطل، وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدم وصفه.

وقولنا فى المنام الصحيح: إن الإنسان رأى فى نومه النبى (ص) إنما معناه أنه كأن قد رآه، وليس المراد به التحقق فى اتصال شعاع بصره بجسد النبى (ص)، وأىّ بصر يدرك به فى حال نومه؟ وإنما هى معانى تصورت، وفى نفسه تخيّل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم، وليس هذا بمناف للخبر الذى روى من قوله: «من رآنى فقد رآنى»، لأن معناه: فكأنما رآنى، وليس يغلط فى هذا المكان إلّا من ليس له من عقله اعتبار).

ولهذا بحث الكثير فى علم ما اصطلح عليه ب- (العرفان) عن الفارق

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۸

بين الإلهام الرحمانى والإلهام الشيطانى، وبين الكشف الحقيقى والكشف الكاذب غير الحقيقى، وبين الواردات الرحمانية والملكية والواردات القلبية الشيطانية والجنية.

فقد ذكر الشارح القيصرى فى شرحه على (فصوص الحكم) لابن العربى فى الفصل السادس والسابع من الفصول التى ذكرها فى المقدمة، قال: (وكما أن النوم ينقسم بأضغاث أحلام وغيرها كذلك ما يرى فى اليقظة ينقسم إلى أمور حقيقية محضة واقعة فى نفس الأمر وإلى أمور خيالية صرفة لا حقيقة لها شيطانية، وقد يخلطها الشيطان بيسير من الأمور الحقيقية ليضلّ الرائى، لذلك يحتاج السالك إلى مرشد يرشده وينجّيه من المهالك والأوّل إما أن يتعلّق بالحوادث أو لا.

فإن كان متعلقاً بها فعند وقوعها كما شاهدها أو على سبيل التعبير وعدم وقوعها حصل التميز بينهما وبين الخيالية الصرفة وعبور الحقيقة عن صورتها الأصلية إنما هو للمناسبات التى بين الصور الظاهرة هى فيها وبين الحقيقة، ولظهورها فيها أسباب كلّها راجعة إلى أحوال الرائى وتفصيله يؤدّى إلى التطويل.

وأما إذا لم يكن كذلك (أى الرؤيا غير الأخبارية بالمستقبليات) فللفرق بينها وبين الخيالية الصرفة موازين يعرفها أرباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم، كما أن للحكماء ميزاناً يفرّق بين الصواب والخطأ وهو المنطق.

منها: ما هو ميزان عام، وهو القرآن والحديث المنبئ كل منهما على الكشف التام المحمّدى (ص).

ومنها: ما هو خاص، وهو ما يتعلق بحال كل منهم القابض عليه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۹

الاسم الحاكم والصفة العالية عليه، وسنومى فى الفصل التالى (أى السابع) بعض ما يعرف به إجمالًا) («۱»).

أقول: فترى أن الميزان عندهم لكون ما يرد على القلب وما ينكشف له سواء بالرؤية فى المنام أو فى اليقظة أو بغير الرؤية من الإلهام القلبى وغيره الميزان بين الحق والحقيقى منه وبين الباطل والشيطانى والخيالى الذى لا واقعية له هو القرآن الكريم والسُنّة المطهرة.

وقد برهن الشارح القيصرى على ذلك بحسب مصطلح علم العرفان بقوله فى الفصل السابع:

(ولمّا كان من الكشف الصورى والمعنوى على حسب استعداد السالك ومناسبات روحه وتوجّه سرّه إلى كل من أنواع الكشف، وكانت الاستعدادات متفاوتة والمناسبات متكثرة صارت مقامات الكشف متفاوتة بحيث لا يكاد ينضبط، وأصحُّ المكاشفات وأتمّها إنما يحصل لمن يكون مزاجه الروحانى أقرب إلى الاعتدال التام كأرواح الأنبياء والكمل من الأولياء صلوات الله عليهم) («۲»).

ولذا تقرر عندهم أن كل كشف فهو يعرض على كشف الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فإن وافقه فيعلم صحته وإلّا فيعلم فساده، وأن الكشف المعصوم من الباطل هو كشف الأنبياء المتجلّى فى الكتب السماوية التى يبعثون بها، وكذلك أقوالهم وأفعالهم.

وذكر أيضاً السيد حيدر بن على الحسينى الأملى والذى وصفه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۰

القاضى التسترى (فى مجالس المؤمنين) بالعارف المحقق الأوحد من أصحابنا الإمامية المتألهين («۱») (فى كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار) («۲»):

(وأما الإلهام العام فيكون بسبب وغير سبب، ويكون حقيقياً وغير حقيقى، فالذى يكون بالسبب ويكون حقيقياً فهو بتسوية النفس وتحليتها وتهذيبها بالأخلاق المرضية والأوصاف الحميدة موافقاً للشرع ومطابقاً للإسلام لقوله تعالى: وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها («۳») والذى يكون بغير السبب ويكون غير حقيقى فهو يكون لخواص النفوس واقتضاء الولادة والبلدان كما يحصل للبراهمة والكشايش (القساوسة) والرهبان.

والتمييز بين هذين الإلهامين محتاج إلى ميزان إلهى ومحك ربّانى، وهو نظر الكامل المحقق والإمام المعصوم والنبى المرسل المطلع على بواطن الأشياء على ما هى عليه واستعدادات الموجودات وحقائقها، ولهذا احتجنا بعد الأنبياء والرسل (عليهم السلام) إلى الإمام والمرشد لقوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ («۴»)، لأن كل واحد ليس له قوة التمييز بين الإلهامين الحقيقى وغير الحقيقى، وبين الخاطر الإلهى والخاطر الشيطانى، وغير ذلك. والذكر هو القرآن أو النبى، وأهله هم أهل بيته من الأئمّة المعصومين المطّلعين على أسرار القرآن وحقائقه ودقائقه، ولقوله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۱

تعالى أيضاً تأكيداً لهذا المعنى: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ («۱»)، أى إلى أهل الله تعالى وأهل رسوله، والآيات الدالة على متابعة الكامل والمرشد الذى هو الإمام المعصوم أو العلماء الورثة من خلفائهم كثيرة فارجع إليها لأن هذا ليس موضعها.

فنرجع ونقول: وإن تحققت عرفت أيضاً أن الخواطر التى قسّموها إلى أربعة أقسام: إلهى، وملكى، وشيطانى، ونفسانى كان سببه ذلك، أى عدم العلم بالإلهامين المذكورين، أعنى الحقيقى وغير الحقيقى، لأنها كلّها من أقسام الإلهام وتوابعه).

ونقل المتقى الهندى صاحب كنز العمال فى كتابه (البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان) («۲») عن الشيخ الحسن الشاذلى المالكى رئيس الطريقة الشاذلية (الصوفية) أنه قال: (إن الله تعالى ضمن العصمة فى جانب الكتاب والسُنّة، ولم يضمنها فى جانب الكشف والإلهام).

ونقل عن أبى القاسم القشيرى النيشابورى الأشعرى الشافعى (الصوفى المفسر المحدّث الفقيه العارف) أنه قال: (لا ينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة من الخطأ والزلل).

هذا وقد عقد الشيخ الكلينى فى أصوله تحت عنوان: أن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان، وروى عن الصادق (ع):

«ما من قلب إلّا وله أذنان على إحداهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۲

والملك يزجره عنها وهو قول الله (عزوجل): عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ* ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ («۱»)» («۲»).

وقال (ع): «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان فى جوفه أذن ينفث فيهما الوسواس الخنّاس وأذن ينفث فيهما الملك فيؤيّد الله المؤمن بالملك فذلك قوله: وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ («۳»)» («۴»).

و (سأل) السيد مهنا بن سنان العلّامة الحلّى (رض) عن مفاد هذه الرواية وأنه لو فرض أن الرؤية متضمنة للأمر بالشىء أو النهى عن شىء، فهل يتمثل ذلك الأمر ويجتنب المنهى أم لا، سيّما إذا كان خلاف ظاهر الشريعة؟

(فأجابه) نوّر الله ضريحه: (أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغى المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب، ورؤيته (ص) لا يعطى وجوب الاتّباع فى المنام) («۵»).

الخامسة: ما هو مفاد الرواية ودلالتها؟ فقد تعدّدت الآراء فى ذلك:

أ ما حكى عن الفيض الكاشانى أن معنى الروايـة هو من رآنى أى تحقق وتيقّن من رؤيـة صورتى، لأنه قـد رآه فى اليقظـة. فقـد رآه تحقيقاً وحقيقة لأن الشيطان لا يتمثل بصورته (ص).

وحينئذٍ يكون مفاد الحديث مخصوص بمن شهد زمانه (ص) أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۳

أحد الأئمّة فى ظهورهم (عليهم السلام) أو من عرف أوصافهم (عليهم السلام) وشمائلهم المنقولة فى الكتب بدقّة.

وهـذا الإلحـاق والتتمـة من بعض المتأخّرين، ويشـهد له التعليل فى الروايـة، لأن الشـيطان لا يتمثل فى صورتى ولا فى صورة أحـد من أوصـيائى، فإن ذلك يعنى حصر الرؤية بصورهم المختصة بهم (عليهم السلام)، وهى التى كانوا عليها فى حياتهم من شمائلهم الخاصة بهم.

ب ما أفاده السـيد المرتضى فى كتاب (الغرر والدرر) («۱») وهو: «من رآنى فى اليقظـة فقد رآنى على الحقيقة، لأن الشـيطان لا يتمثل بى لليقظان»، فقـد قيل: إن الشـياطين ربما تمثّلت بصورة البشـر، وهذا التشبيه أشـبه بظاهر ألفاظ الخبر، لأنه قال: «من رآنى فقد رآنى»، فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئيـة، وفى النوم لا رائى له فى الحقيقـة ولا مرئى وإنما ذلك فى اليقظـة، ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد أنه يرانى فى منامه، وإن كان غير راءٍ له على الحقيقة فهو فى الحكم كأنه قد رآنى، وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته) انتهى.

أقول: ما أفاده السـيد يفهم من الكلام المتقدم للشـيخ المفيد، ولكن هذا المفاد ينسـجم مع بعض الروايات المنقولة بطرق العامة، حيث لم يقيّد فيها الرؤية بكونها فى المنام.

ج أن المراد هو الزيارة بالزاى المنقوطـة المعجمـة، إذ فى كتاب عيون الشـيخ الصدوق («۲») وهى الرواية التى نقلها العلامة المجلسـى فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۴

كتـاب البحار («۱») ونقلهـا أيضـاً عن مجـالس (أمـالى) («۲») الصـدوق: «مـن زارنى فى منـامه فقـد رآنى» بـالزاى المعجمـة، نعـم فى (الأمـالى) بالراء غير المعجمـة، وحينئـذٍ يكون المعنى أن الزيارة فى المنام تعـدل الزيارة فى اليقظـة فى الثواب، ويمكن أن تقرب هـذه النسخة بأن الكلام فى ابتداء الرواية كان حول ثواب زيارة الإمام الرضا (ع).

ولكن نسخة الراء غير المعجمة أنسب بمجموع الرواية.

د أن المراد هو بيان فضـيلة هذه الرؤية والتشـرف بهم (عليهم السلام) وصدق ما يخبرون به فى المنام إذا رآهم النائم بصورهم الخاصة بهم، ويشـهد ذلـك مورد الروايـة التى بطرقنـا والروايـات التى بطرق العامـة، فـإن الاستشـهاد ب- «من رآنى فى منـامه فقـد رآنى لأن الشيطان لا يتمثل فى صورة أحد من أوصيائى» فى الرواية وقع للإستدلال بصدق ما أخبر به النائم فى الرؤيا من قبلهم (عليهم السلام).

ثمّ ليتنبّه إلى أن الأمر والنهى فى الرؤية (تارة) يكون كتشـريع حكم كلّى وأنه لا يختص بالنائم بل لسائر المكلفين، فهذا ليس إلّا وحى يختص به الأنبياء.

(وتارة) يكون أمر جزئى شخصـى للنائم خاصة لمرّة واحدة فقط مثل: ابن مسـجداً، أو تصدق بكذا من مالك، ونحو ذلك. فهذا الذى تقدّم أنه إن وافق الشـريعة فلا حرج فى المتابعة من دون وجوب شـرعى كما أفاده العلامة الحلّى (رض) وجزم بصـحة (الرؤية) الشـيخ المفيد، وإن عارض وخالف الشريعة فلا ينبغى المصير إليه، كما عبّر بذلك العلّامة الحلّى، وقطع ببطلانه الشيخ المفيد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۵

ولنختم هذا الأمر برواية عن الإمام الصادق (ع) أخرجها المجلسى عن كتاب (مصباح الشريعة) («۱») قال:

«إن الله (عزوجل) مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه

أخلاقهم وأحوالهم أحد من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبّهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتّباع ملّة رسولهم، ثمّ أبى أن يقبل طاعة أحد إلّا بطاعتهم ومعرفة حقّهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله، فعظّم جميع أنبياء الله. ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرّف بعقلك فى مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلّا ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإيّاك ثمّ إيّاك».

وليعلم أن من خواص النبى (ص) والأوصياء أنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ووردت بذلك الروايات المستفيضة.

كما وللسيد المرتضى رفع الله درجته تحقيقاً فى المقام يكون نهاية للمطاف قال فى كتاب (الغرر والدرر) («۲»):

(إعلم أن النائم غير كامل العقل، لأن النوم ضرب من السهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۶

والسهو ينفى العلوم، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المنامات إنما هى اعتقادات يبتدئها النائم فى نفسه، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه، لأن من عداه من المحدّثين سواء كانوا بشراً أو ملائكة أو جناً أجسام والجسم لا يقدر أن يفعل فى غيره اعتقاداً ابتداء بل ولا شيئاً من الأجناس على هذا الوجه، وإنما يفعل ذلك فى نفسه على سبيل الابتداء وإنما قلنا: إنه لا يفعل فى غيره جنس الاعتقادات متولّداً، لأن الذى يعدى الفعل من محل القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات، وليس جنس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات، ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولّد فيه شىء من الاعتقادات، وقد بيّن ذلك وشرح فى مواضع كثيرة، والقديم تعالى هو القادر أن يفعل فى قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات.

ولا يجوز أن يفعل فى قلب النائم اعتقاداً، لأن أكثر اعتقادات النائم جهل، ويتأول الشىء على خلاف ما هو به، لأنه يعتقد أنه يرى ويمشى وأنه راكب وعلى صفات كثيرة، وكل ذلك على خلاف ما هو به، وهو تعالى لا يفعل الجهل، فلم يبقَ إلّا أن الاعتقادات كلّها من جهة النائم، وقد ذكر فى المقالات أن المعروف [بصالح قبه] كان يذهب إلى ما يراه النائم فى منامه على الحقيقة، وهذا جهل منه يضاهى جهل السوفسطائية، لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع وأنه قد مات وأنه قد صعد إلى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كلّه، وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان فى السراب أنه ماء وفى المردى (خشبة يدفع بها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۷

الملّاح السفينة) إذا كان فى الماء أنه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس، فألا جاز ذلك فى النائم وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب)، انتهى كلامه.

وللحكماء والفلاسفة تحقيقات حول أقسام الرؤية بلحاظ عالم الخيال والعقل والقوة والواهمة وغير ذلك لا يسع المقام لها.

وفى الروايات المأثورة عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ما يهتدى به إلى كثير من أبحاث المقام.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۸

الأمر السادس نبذة من أحوال النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى ... ص: ۱۳۸

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى (رض)، قال: كنت عند الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (رض) مع جماعة فيهم على بن عيسى القصرى، فقام إليه رجل فقال له: إنّى اريد أن أسألك عن شىء؟ فقال له: سل عمّا بدا لك. فقال الرجل: أخبرنى عن الحسين بن على (ع) أهو ولى الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرنى عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلّط الله (عزوجل) عدوّه على وليّه؟ فقال له أبو القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه): افهم عنّى ما أقول لك، اعلم أن الله (عزوجل) لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافههم بالكلام، ولكنه (جل جلاله) يبعث إليهم رسلًا من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلًا من غير صنفهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا ولا نقبل منكم حتّى تأتوننا بشىء نعجز أن نأتى بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله (عزوجل) لهم المعجزات التى يعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والأعذار، فغرق جميع من طغى وتمرّد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۳۹

ومنهم من ألقى فى النار فكانت برداً وسلاماً.

ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

ومنهم من انشق له القمر، وكلّمته البهائم مثل البعير والذئب، وغير ذلك.

فلمّا أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق عن أمرهم، وعن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله (عزوجل) ولطفه وحكمته أن جعل أنبياءه (عليهم السلام) مع هذه القدرة والمعجزة فى حالة غالبين وأخرى مغلوبين وفى حال قاهرين وفى أخرى مقهورين، ولو جعلهم الله (عزوجل) فى جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله (عزوجل)، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار.

ولكنه (عزوجل) جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة والبلاء صابرين، وفى حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين.

وليعلم العباد أن لهم (عليهم السلام) إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم وادّعى لهم الربوبية، أو عاند أو خالف وعصى وجحد بما أتت به الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۰

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق (رض)، فعدّت إلى الشيخ أبى القاسم بن روح (رض) من الغد وأنا أقول فى نفسى: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأنى فقال لى: يا محمّد بن إبراهيم لإن أخّر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق أحبُّ إلىَّ من أن أقول فى دين الله (عزوجل) برأيى أو من عند نفسى، بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه وسلامه («۱»).

قال الشيخ الطوسى: أخبرنى الحسين بن عبيد الله (أستاذه)، عن أبى الحسن محمّد بن داود القمى، قال: حدّثنى سلامة بن محمّد قال: أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: انظروا فى هذا الكتاب وانظروا فيه شىء يخالفكم؟ فكتبوا إليه أنه كلّه صحيح وما فيه شىء يخالف إلّا قوله: الصاع فى الفطرة نصف صاع من طعام والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع («۲»).

وقال الشيخ الصدوق: أخبرنا محمّد بن على بن متيل، قال: كانت امرأة يقال لها زينب من أهل (آبة) وكانت امرأة محمّد بن عبديل الأبى معها ثلاثمائة دينار، فصارت إلى عمّى جعفر بن محمّد بن متيل وقالت: أحبُّ أن اسلّم هذا المال من يدى إلى يد أبى القاسم بن

روح، قال: فأنفدنى معها أترجم عنها، فلمّا دخلت على أبى القاسم (رض) أقبل يكلّمها بلسان آبى فصيح، فقال لها: (زينب! جونا، خوبذا، كوبذا، جون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۱

استه) («۱»). ومعناه كيف أنت؟ وكيف كنت؟ وما خبر صبيانك؟ قال: فاستغنت عن الترجمة وسلّمت المال ورجعت («۲»).

وقال الشيخ الطوسى: أخبرنى الحسين بن إبراهيم، عن أيّوب بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى)، قال: حدّثتنى امّ كلثوم بنت أبى جعفر (رض)، قالت: كان أبو القاسم الحسين بن روح (رض) وكيلًا لأبى جعفر (رض) سنين كثيرة ينظر له فى أملاكه ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصّيصاً به حتّى أنه كان يحدّثه بما يجرى بينه وبين جواريه لقربه منه وانسه.

قالت: وكان يدفع إليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له، غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجاهه ولموضعه وجلالة محلّه عندهم، فحصل فى أنفس الشيعة محصلًا جليلًا لمعرفتهم باختصاص أبى إيّاه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر، فمهّدت له الحال فى طول حياة أبى إلى أن انتهت الوصية إليه بالنصّ عليه.

فلم يختلف فى أمره ولم يشكّ فيه أحد إلّا جاهل بأمر أبى أولًا، مع ما لست أعلم أن أحداً من الشيعة شكّ فيه، وقد سمعت هذا من غير واحد من بنى نوبخت (رح) مثل أبى الحسن بن كبرياء وغيره («۳»).

وبنو النوبخت هو البيت الذى ينتمى إليه النائب الثالث فى الغيبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۲

الصغرى، وهو أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى (رضوان الله تعالى عليه)، وهذا البيت خرج منه العلماء فى الفنون المختلفة سيّما علم الكلام، فقد تصدّر هذا البيت رئاسة هذا العلم فى الشيعة سنين طويلة، وكذلك فى علم النجوم والعلوم الأخرى.

وقال الطوسى: أخبرنى جماعة عن أبى عبد الله الحسين بن على بن بابويه القمى (أخى الصدوق محمّد بن على بن بابويه وكلا الأخوين ولدا بدعاء الإمام العسكرى (ع) وأبوهما كان وكيلًا له)، قال: حدّثنى جماعة من أهل قم منهم عمران الصفار، وقريبه علوية الصفار، والحسين بن أحمد بن على بن أحمد بن إدريس (رح)، قالوا: حضرنا بغداد فى السنة التى توفى فيها أبو على بن الحسين بن موسى بن بابويه وكان أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) (وهو النائب الرابع فى الغيبة الصغرى) يسألنا كل قريب عن خبر على بن الحسين، فنقول: قد ورد الكتاب باستقلاله، حتّى كان اليوم الذى قبض فيه فسألنا عنه، فذكرنا له مثل ذلك، فقال: آجركم الله فى على بن الحسين، فقد قبض فى هذه الساعة، (قالوا): فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر، فلمّا كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر أنه قبض فى تلك الساعة التى ذكرها الشيخ أبو الحسن (السمرى) (رض) («۱»).

ورواه أيضاً عن جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه (الصدوق)، قال: حدّثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقانى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۳

(رح) (وجهاء وعلماء الطائفة) فقال الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) ابتداءً منه: رحم الله على بن الحسين بن بابويه القمى، (قال): فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فورد الخبر أنه توفى فى ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمرى (رض) فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة («۱»).

وروى الصدوق بسنده عن أحمد الداودى قال: كنت عند أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه)، فسأله رجل ما معنى قول العبّاس للنبى (ص): (إن عمّك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين)، فقال: عنى بذلك إله أحد جواد. وتفسير

ذلك أن الألف واحد، واللام ثلاثون، والهاء والألف واحد، والحاء ثمانية، والدال أربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستة، والألف واحد، والدال أربعة، فذلك ثلاثة وستون («۲»).

وقال الصدوق: حدّثنا الحسين بن على بن محمّد القمى المعروف بأبى على البغدادى قال: كنت ببخارى فدفع إلىَّ المعروف بابن جاوشير عشرة سبائك ذهباً وأمرنى أن اسلّمها بمدينة السلام إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) فحملتها معى، فلمّا بلغت آمويه («۳») ضاعت منّى سبيكة من تلك السبائك ولم أعلم بذلك حتّى دخلت مدينة السلام.

فأخرجت السبائك لُاسلّمها فوجدتها قد نقصت واحدة، فاشتريت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۴

سبيكة مكانها بوزنها وأضفتها إلى التسع السبائك، ثمّ دخلت على الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) ووضعت السبائك بين يديه.

فقال لى: خذ تلك السبيكة التى اشتريتها وأشار إليها بيده وقال: إن السبيكة التى ضيّعتها قد وصلت إلينا وهو ذا هى، ثمّ أخرج إلىَّ تلك السبيكة التى كانت ضاعت منّى بآمويه فنظرت إليها فعرفتها.

قال الحسين بن على بن محمّد المعروف بأبى البغدادى: ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتنى عن وكيل مولانا (ع) من هو؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها، فدخلت عليه وأنا عنده، فقالت له: أيها الشيخ أىّ شىء معى؟ فقال: ما معك فألقيه فى الدجلة، ثمّ ائتينى حتّى اخبرك.

قال: فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته فى الدجلة، ثمّ رجعت ودخلت إلى أبى القاسم الروحى (قدس الله روحه)، فقال أبو القاسم لمملوكة له: أخرجى إلىَّ الحُقّ، فأخرجت إليه حُقّه، فقال للمرأة: هذه الحُقّة التى كانت معك ورميت بها فى الدجلة اخبرك بما فيها أو تخبرينى؟ فقالت له: بل أخبرنى أنت، فقال: فى هذه الحُقّة زوج سوار ذهب وحلقة كبيرة فيها جوهرة وحلقتان صغيرتان فيهما جوهر وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق، فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً.

ثمّ فتح الحُقّة فعرض على ما فيها، فنظرت إليه فقالت: هذا الذى حملته بعينه ورميت به فى الدجلة، فغشى علىَّ وعلى المرأة فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة، ثمّ قال الحسين لى بعدما حدّثنى بهذا الحديث: أشهد عند الله (عزوجل) يوم القيامة بما حدّثت به أنه كما ذكرته لم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۵

أزد فيه ولم أنقص منه، وحلف بالأئمّة الإثنى عشر (صلوات الله عليهم) لقد صدق فيما حدّث به وما زاد فيه وما نقص منه («۱»).

وروى الشيخ الطوسى عن مشايخه، عن أبى الحسن على بن محمّد الدلّال القمى قال: دخلت على أبى جعفر محمّد بن عثمان (النائب الثانى) (رض) يوماً لُاسلّم عليه، فوجدته وبين يديه ساجة ونقّاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمّة (عليهم السلام) على حواشيها، فقلت له: يا سيدى، ما هذه الساجة؟ فقال لى: هذه لقبرى تكون فيه اوضع عليها (أو قال: اسند إليها) وقد عرفت منه، وأنا فى كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءً من القرآن فيه فأصعد.

وأظنه (قال): فأخذ بيدى وأرانيه، فإذا كان يوم كذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله (عزوجل) ودفنت فيه وهذه الساجة معى، فلمّا خرجت من عنده أثبت ما ذكره، ولم أزل مترقباً به ذلك، فما تأخّر الأمر حتّى اعتل أبو جعفر فمات فى اليوم الذى ذكره من الشهر الذى قاله من السنة التى ذكرها ودفن فيه («۲»).

وروى بسنده عن محمّد بن على بن الأسود القمى أن أبا جعفر العمرى (رض) حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج فسألته عن ذلك فقال: للناس أسباب. وسألته عن ذلك فقال: قد امرت أن أجمع أمرى فمات بعد ذلك بشهرين (رضى الله عنه وأرضاه) («۳»).

وقال الشيخ الطوسى: وأخبرنا عن أبى محمّد هارون بن موسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۶

(شيخ الطائفة فى زمانه)، قال: أخبرنى أبو على محمّد بن همام (أشهر من أن يعرف) (رضى الله عنه وأرضاه) أن أبا جعفر محمّد بن عثمان العمرى (قدس الله روحه) جمعنا قبل موته وكنّا وجوه الشيعة وشيوخها فقال لنا: إن حدث على حدث الموت فالأمر إلى أبى القاسم الحسين بن روح النوبختى، فقد امرت أن أجعله فى موضعى بعدى، فارجعوا إليه وعوّلوا فى أموركم عليه («۱»).

وروى أيضاً بسنده إلى أبى إبراهيم جعفر بن أحمد النوبختى (قال): قال لى أبو أحمد ابن إبراهيم، وعمّى أبو جعفر عبد الله بن إبراهيم، وجماعة من أهلنا يعنى بنى نوبخت:

أن أبا جعفر العمرى لمّا اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة، منهم أبو على بن همام، وأبو عبد الله بن محمّد الكاتب، وأبو عبد الله الباقطانى، وأبو سهل إسماعيل بن على النوبختى، وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبى جعفر (رض) فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى القائم مقامى والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل والثقة والأمين، فارجعوا إليه فى أموركم، وعوّلوا عليه فى مهمّاتكم فبذلك امرت وقد بلغت («۲»).

وقال الشيخ (قال ابن نوح): أخبرنى أبو نصر هبة الله ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر، (قال): كان لأبى جعفر العمرى محمّد بن عثمان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۷

العمرى كتب مصنّفة فى الفقه مما سمعها من أبى محمّد الحسن (العسكرى) (ع) ومن الصاحب (ع) ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبى محمّد وعن أبيه على بن محمّد (عليهم السلام) فيها كتب ترجمتها كتب الأشربة ذكرت الكبيرة امّ كلثوم بنت أبى جعفر (رض) أنها وصلت إلى أبى القاسم الحسين بن روح (رض) عند الوصية إليه كانت فى يده.

(قال أبو نصر): وأظنّها قالت: وصلت بعد ذلك إلى أبى الحسن السمرى (رضى الله عنه وأرضاه) («۱»).

وقال (قال أبو العبّاس): وأخبرنى هبة الله بن محمّد بن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض) عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد ومحمّد بن عثمان (رحمهما الله تعالى) إلى أن توفى أبو عمرو عثمان بن سعيد (رحمه الله تعالى)، وغسّله ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان وتولّى القيام به وجعل الأمر كلّه مردوداً إليه، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النصّ عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه فى حياة الحسن (العسكرى) (ع) وبعد موته فى حياة أبيه عثمان بن سعيد لا يختلف فى عدالته ولا يرتاب بأمانته.

والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة فى المهمّات طول حياته بالخط الذى كانت تخرج فى حياة أبيه عثمان لا يعرف الشيعة فى هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم فى هذا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۸

الأمر بصيرة، وهى مشهورة عند الشيعة، وقد قدمنا طرفاً منها فلا نطول بإعادتها فإن ذلك كفاية للمنصف إن شاء الله تعالى («۱»).

وقال الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) («۲»): فأما السفراء الممدوحون فى زمان الغيبة فأوّلهم: من نصّ به أبو الحسن على بن محمّد (الهادى) العسكرى، وأبو محمّد الحسن بن على بن محمّد ابنه (عليهم السلام) وهو الشيخ الموثوق به أبو عمر عثمان بن سعيد العمرى وكان أسدياً ... إلى أن قال:

فأخبرنى جماعة، عن أبى محمّد هارون بن موسى، عن أبى على محمّد بن همام الإسكافى، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميرى، قال: حدّثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمى («۳»)، قال: دخلت على أبى الحسن على بن محمّد (الهادى) صلوات الله عليه فى يوم من الأيام فقلت: يا سيدى أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ لى الوصول إليك إذا شهدت فى كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟ فقال لى (صلوات الله عليه): «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّى يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّى يؤدّيه».

فلمّا مضى أبو الحسن (الهادى) (ع) وصلت إلى أبى محمّد ابنه الحسن العسكرى (ع) مثل قولى لأبيه، فقال لى: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضى وثقتى فى المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّى يقوله، وما أدّى إليكم فعنّى يؤدّيه».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴۹

(قال أبو محمّد هارون): قال أبو على: قال أبو العبّاس الحميرى: فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبى عمرو.

وروى بسنده إلى محمّد بن إسماعيل، وعلى بن عبد الله الحسنيان، قالا: دخلنا على أبى محمّد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتّى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاى بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن...

(فى حديث طويل يسوقانه) إلى أن ينتهى، إلى أن قال الحسن (العسكرى) (ع) لبدر: «فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمرى».

فما لبثنا إلّا يسيراً حتّى دخل عثمان فقال له سيدنا أبو محمّد (ع): «امض يا عثمان فإنّك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال»، (... ثمّ ساق الحديث) إلى أن قالا: ثمّ قلنا بأجمعنا: يا سيدنا، والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، قال: «نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمرى وكيلى وأن ابنه محمّداً وكيل ابنى مهديكم» («۱»).

وروى بسنده عن جماعة من الشيعة منهم محمّد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيّوب بن نوح (فى خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبى محمّد الحسن بن على (العسكرى) (ع) نسأله عن الحجة من بعده وفى مجلسه (ع) أربعون رجلًا، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمرى فقال له: يا بن رسول الله، اريد أن أسألك عن أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۰

أنت أعلم به منّى، فقال له: «اجلس يا عثمان»، فقام مغضباً ليخرج فقال: «لا يخرجنَّ أحد»، فلم يخرج منّا أحد، إلى أن كان بعد ساعة فصاح (ع) بعثمان، فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟»، قالوا: نعم يا بن رسول الله، (قال): «جئتم تسألونى عن الحجة من بعدى»، قالوا: نعم. فإذا غلام كأنه قطع من قمر أشبه الناس بأبى محمّد (ع)، فقال: «هذا إمامكم من بعدى وخليفتى عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدى فتهلكوا فى أديانكم، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتمّ له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» («... ۱») (فى حديث طويل).

وقال (وأخبرنا جماعة)، عن أبى القاسم جعفر بن محمّد قولويه، وأبى غالب الزرارى، وأبى محمّد التلعكبرى، كلّهم عن محمّد بن يعقوب الكلينى (رحمه الله تعالى)، عن محمّد بن عبد الله، ومحمّد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر الحميرى («۲»).

قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعرى القمى، فغمزنى أحمد أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمر إنى اريد أن أسألك وما أنا بشاكّ فيما اريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادى ودينى أن الأرض لا تخلو من حجة إلّا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجة واغلق باب التوبة فلم يكن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله (عزوجل)، وهم الذين تقوم عليهم القيامة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۱

ولكن أحببت أن أزداد يقيناً، فإن إبراهيم (ع) سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى فقال: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى («۱»).

وقد أخبرنا أحمد بن إسحاق أبو على عن أبى الحسن (ع) قال: سألته فقلت له: لمن أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال له: «العمرى ثقتى فما أدّى إليك فعنّى يؤدّى وما قال لك فعنّى يقول فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون».

(قال): وأخبرنى أبو على أنه سأل أبا محمّد الحسن بن على عن مثل ذلك، فقال له: «العمرى وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك فعنّى يؤدّيان، وما قالا لك فعنّى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان»، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

(قال): فخرَّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثمّ قال: سل، فقلت له: أنت رأيت الخلف من أبى محمّد (ع)؟ فقال: إى والله ورقبته مثل ذا وأومأ بيديه، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لى: هات هات، فالاسم؟ قال: محرَّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندى، وليس لى أن احلل واحرم ولكن عنه (ع) فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمّداً (ع) مضى ولم يخلف ولداً وقسّم ميراثه وأخذه من لا حقَّ له وصبر على ذلك، وهو ذا عياله يجولون، وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك («۲»).

وروى عن جماعة، عن الصدوق، عن ابن هارون الفامى، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميرى، عن أبى قال: خرج التوقيع إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۲

الشيخ أبى جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمرى (قدس الله روحه) فى التعزية بأبيه (رض) وفى فصل من الكتاب:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه (ع)، فلم يزل مجتهداً فى أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله (عزوجل) وإليهم، نضَّر الله وجهه وأقاله عترته»....

وفى فصل آخر: «أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسرَّه الله فى منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه.

وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله (عزوجل) فيك وعندك أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً» («۱»).

أقول: هذا طرف يسير مما ورد فى النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى (۳۲۹۰ ۲۶۰ ه-)، ومنه تتنبه لمراد الشيخ الطوسى حيث يقول:

(وقد نقلت عنه (أى النائب الثانى) دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم (أى زادت الشيعة) فى هذا الأمر بصيرة وهى مشهورة عند الشيعة) («۲»).

ولمراد الشيخ الطبرسى حيث يقول:

(ولم يقم أحد منهم (أى من الأربعة) إلّا بنصّ من قبل صاحب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۳

الأمر (ع) ونصب صاحبه الذى تقدّم عليه، ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدلُّ على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم) («۱»).

أقول: بل النائب الأوّل والثانى نصَّ عليهما الإمام الحسن العسكرى (ع) كما تقدّمت الرواية التى رواها الطائفة عن الإمام الحسن العسكرى (ع)، والنائب الأوّل كان وكيلًا خاصاً للإمام الهادى (ع) ثمّ للإمام الحسن العسكرى (ع) ثمّ سفيراً للصاحب (ع).

فلينتبه اللبيب إلى كيفية ثبوت سفارة النواب الأربعة وبدئها وانتهائها لدى الشيعة وأعلامها وشيوخها، وأن ذلك كان بحضور الإمام العسكرى (ع)، ثمّ تنصيص كل على الآخر مع ما ظهر من البراهين والدلائل على أيديهم ومع مكانتهم العلمية والفقهية وجلالة محلّهم لدى علماء الطائفة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۴

الأمر السابع ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية لعنهم الله ... ص: ۱۵۴

اشارة

قال الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) («۱»): ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية لعنهم الله:

أوّلهم: المعروف بالشريعى ...: ص: ۱۵۴

(أخبرنا) جماعة، عن أبى محمّد التلعكبرى (هارون بن موسى)، عن أبى على محمّد بن همام، (قال): كان الشريعى يكنّى بأبى محمّد.
(قال) هارون: وأظنُّ اسمه كان الحسن وكان من أصحاب أبى الحسن على بن محمّد (الهادى)، ثمّ الحسن بن على بعده (ع) وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلًا له، وكذب على الله وعلى حججه (عليهم السلام) ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء، فلعنته الشيعة، وتبرّأت منه وخرج توقيع الإمام بلعنه والبراءة منه.
(قال هارون): ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد، (قال): وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلًا على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثمّ يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (وهو القول بالحلول أى حلول الله (عزوجل) والعياذ بالله فيهم) كما اشتهر من أبى جعفر الشلمغانى ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى («۲»).
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۵

ومنهم: محمّد بن نصير النميرى ...: ص: ۱۵۵

(قال ابن نوح): أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمّد، (قال): كان محمّد بن نصير النميرى من أصحاب أبى محمّد الحسن بن على (ع) فلمّا توفى أبو محمّد ادعى مقام أبى جعفر محمّد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادعى البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبى جعفر محمّد بن عثمان له وتبريه منه واحتجابه عنه وادعى ذلك الأمر بعد الشريعى.
(قال أبو طالب الأنبارى): لما ظهر محمّد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (النائب الثانى أبو جعفر العمرى) (رض) وتبرأ منه فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.
(وقال) سعد بن عبد الله: كان محمّد بن نصير النميرى يدعى أنه رسول نبى وأن على بن محمّد (الهادى) (ع) أرسله، وكان يقول بالتناسخ (أى أن أرواح الأموات تحلُّ فى أجسام الأحياء) ويغلو فى أبى الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً فى أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل فى المفعول به وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات وأن الله (عزوجل) (تعالى الله) لا يحرّم شيئاً من ذلك، وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوى أسبابه ويعضده (أى كان داعية له وناشراً لأكذوبته).
(أخبرنى) بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عياناً وغلام له على ظهره، (قال): فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر.
قال سعد: فلمّا اعتل محمّد بن نصير العلّة التى توفى فيها، قيل له
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۶
وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدر من هو؟ فافترقوا بعده ثلاث فرق: قالت فرقة: إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمّد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: إنه أحمد بن أبى الحسين بن بشر بن يزيد فتفرقوا فلا يرجعون إلى شىء.

ومنهم: أحمد بن هلال الكرخى ...: ص: ۱۵۶

قال أبو على بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبى محمّد (العسكرى) (ع) فاجتمعت الشيعة على وكالة أبى جعفر محمّد بن عثمان بنصّ الحسن (ع) فى حياته، ولمّا مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبى جعفر محمّد بن عثمان وترجع إليه وقد نصَّ عليه الإمام المفترض الطاعة (أى الإمام العسكرى (ع))؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصُّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سعيد فأمّا أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك.

فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبى جعفر فلعنوه وتبرؤا منه ثمّ ظهر التوقيع على يد أبى القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه فى جملة من لعن.

ومنهم: أبو طاهر محمّد بن على بن بلال ...: ص: ۱۵۶

وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (نضَّر الله وجهه) وتمسكه بالأموال التى كانت عنده للإمام وامتناعه من تسليمها وادّعاؤه أنه الوكيل حتّى تبرأت الجماعة منه ولعنوه وخرج من صاحب الزمان (ع) ما هو معروف.

(وحكى أبو غالب الزرارى)، قال: حدّثنى أبو الحسن محمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۷

محمّد بن يحيى المعاذى، (قال): كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبى طاهر بن بلال بعدما وقعت الفرقة، ثمّ إنه رجع عن ذلك وصار فى جملتنا، فسألناه عن السبب؟ (قال): كنت عند أبى طاهر يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن خزر وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر العمرى على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التى كانت جرت وقال: يدخل، فدخل أبو جعفر (رض) فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس فى صدر المجلس وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه فأمهلهم إلى أن سكتوا.

(ثمّ قال): يا أبا طاهر نشدتك الله أو نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان (ع) بحمل ما عندك من المال إلىَّ؟ فقال: اللهم نعم، فنهض أبو جعفر (رض) منصرفاً ووقعت على القوم سكتة، فلمّا تجلَّت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلنى أبو جعفر (رض) إلى بعض دوره فأشرف على من علو داره فأمرنى بحمل ما عندى من المال إليه، فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنه صاحب الزمان (ع)؟ قال: وقع على («۱») من الهيبة له، ودخلنى من الرعب منه ما علمت أنه صاحب الزمان (ع) فكان هذا سبب انقطاعى عنه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۸

ومنهم: الحسين بن منصور الحلاج ...: ص: ۱۵۸

(أخبرنا) الحسين بن إبراهيم، عن أبى العبّاس أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (قال):

لمّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له (أى اعتقد) أن أبا سهل ابن إسماعيل بن على النوبختى (رض) ممن تجوز عليه مخرقته (أى ممن تنطلى عليه أكذوبته)، وتتم عليه حيلته، فوجّه إليه يستدعيه، وظنَّ أن أبا سهل كغيره من الضعفاء فى هذا الأمر بفرط جهله، وقدر (أى ظن) أن يستجره إليه فيتمخرق ويتصوف بانقياده على غيره (أى ظن أن يجره إليه فيتخذه عضداً وشاهداً على ادّعائه)، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر (أى لمكانة) أبى سهل فى أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له فى مراسلته إيّاه: إنّى وكيل صاحب الزمان (ع) وبهذا أوّلًا كان يستجر الجهّال ثمّ يعلو منه إلى غيره وقد امرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك، لتقوى نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل (رض) يقول لك: إنى أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك فى جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنّى رجل احبّ الجوارى وأصبو إليهن ولى منهن عدة أتخطاهن والشيب يبعدنى عنهن وأحتاج أن أخضبه فى كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك وإلّا انكشف أمرى عندهن، فصار القرب بعداً والوصال هجراً، واريد أن تغنينى عن الخضاب وتكفينى مؤنته، وتجعل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵۹

لحيتى سوداء، فإننى طوع يديك وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لى فى ذلك من البصيرة، ولك من المعونة.

فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ فى مراسلته وجهل فى الخروج إليه بمذهبه وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولًا، وصيّره أبو سهل (رض) احدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.

(وأخبرنى) جماعة عن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه أن ابن الحلاج صار إلى قم وكاتب قرابة أبى الحسن (أخى الصدوق) يستدعيه ويستدعى أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، (قال):

فلمّا وقعت المكاتبة فى يد أبى (رض) (أى أبى الحسن بن على بن بابويه القمى والذى كان وكيلًا للعسكرى (ع)) خرقها وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات؟ فقال له الرجل وأظن أنه قال: إنه ابن عمّته أو ابن عمّه فإن الرجل قد استدعانا فلِمَ خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزؤوا به، ثمّ نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه.

(قال): فلمّا دخل إلى الدار التى كان فيها دكّانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً فى الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبى فلمّا جلس وأخرج حسابه ودواته كما تكون التجّار أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه وقال له: تسأل عنّى وأنا حاضر؟ فقال له أبى: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتى وأنا اشاهدك تخرقها؟ فقال له أبى: فأنت الرجل إذاً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۰

(ثمّ قال): يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثمّ قال له: أتدعى المعجزات؟ عليك لعنة الله، (أو كما قال)، فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم.

ومنهم ابن أبى العزاقر ...: ص: ۱۶۰

(وهو محمّد بن على الشلمغانى يكنّى بأبى جعفر) أخبرنى الحسين بن إبراهيم، عن أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض)، قال: حدّثتنى الكبيرة امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض).

(قال): كان أبو جعفر ابن أبى العزاقر وجيهاً عند بنى بسطام، وذاك أن الشيخ أبا القاسم رضى الله عنه وأرضاه كان قد جعل له عند الناس منزلةً وجاهاً فكان عند ارتداده يحكى كل كذب وبلاء وكفر لبنى بسطام ويسنده عن الشيخ أبى القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتّى انكشف ذلك لأبى القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بنى بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه، فلم ينتهوا وأقاموا على توليه، وذاك أنه كان يقول لهم:

إننى أذعت السر وقد اخذ على الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الاختصاص، لأن الأمر عظيم لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبى مرسل أو مؤمن ممتحن، فيؤكّد فى نفوسهم عظم الأمر وجلالته، فبلغ ذلك أبا القاسم (رض) فكتب إلى بنى بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله، وأقام على توليه، فلمّا وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاءً عظيماً.

ثمّ قال: إن لهذا القول باطناً عظيماً، وهو أن اللعنة الإبعاد، فمعنى قوله: لعنه الله، أى باعده الله عن العذاب والنار، والآن قد عرفت منزلتى، ومرّغ خديه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۱

قالت الكبيرة آ: وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أن امّ أبى جعفر بن بسطام قالت لى يوما وقد دخلنا إليها فاستقبلتنى وأعظمتنى وزادت فى إعظامى حتّى انكبّت على رجلى تقبلها، فأنكرت ذلك وقلت لها: مهلًا يا ستّى فإن هذا أمر عظيم، وانكببت على يدها فبكت.

ثمّ قالت: كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتى فاطمة؟ فقلت لها: وكيف ذاك يا ستى؟ فقالت لى: إن الشيخ يعنى أبا جعفر محمّد بن على خرج إلينا بالسر، قالت: فقلت لها: وما السر؟ قالت: قد أخذ علينا كتمانه وأفزع إن أنا أذعته عوقبت، قالت: وأعطيتها موثقاً أنى لا أكشفه لأحد واعتقدت فى نفسى الاستثناء بالشيخ (رض) يعنى أبا القاسم الحسين بن روح.

قالت: إن الشيخ أبا جعفر (ابن أبى العزاقر) قال لنا: إن روح رسول الله (ص) انتقلت إلى أبيك تعنى أبا جعفر محمّد بن عثمان (رض)، وروح أمير المؤمنين على (ع) انتقلت إلى بدن الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح، وروح مولاتنا فاطمة (ع) انتقلت إليك، فكيف لا اعظمك يا ستّنا!

فقلت لها: مهلًا لا تفعلى، فإن هذا كذب يا ستنا. فقالت لى: سر عظيم، وقد اخذ علينا أن لا نكشف هذا لأحد، فالله الله فىَّ، لا يحل بى العذاب، ويا ستّى لولا أنك حملتنى على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك.

قالت الكبيرة امّ كلثوم آ: فلمّا انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبى القاسم بن روح (رض) فأخبرته بالقصة وكان يثق بى ويركن إلى قولى، فقال لى: يا بنية إيّاك أن تمضى إلى هذه المرأة بعدما جرى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۲

منها، ولا تقبلى لها رقعة إن كاتبتك، ولا رسولًا إن أنفذته إليك، ولا تلقيها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون فى قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتحد به، وحلَّ فيه، كما تقول النصارى فى المسيح (ع) ويعدو إلى قول الحلاج (لعنه الله).

قالت: فهجرت بنى بسطام، وتركت المضى إليهم ولم أقبل لهم عذراً ولا لقيت امّهم بعدها، وشاع فى بنى نوبخت الحديث فلم يبقَ أحد إلّا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبى جعفر الشلمغانى والبراءة منه ومن يتولاه ورضى بقوله أو كلّمه فضلًا عن موالاته.

ثمّ ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبى جعفر محمّد بن على والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضى بقوله، وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع.

وله حكايات قبيحة وأمور فظيعة ننزّه كتابنا عن ذكرها، ذكرها ابن نوح وغيره.

(وكان) سبب قتله أنه لما أظهر لعنه أبو القاسم بن روح واشتهر أمره وتبرأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك، لم يمكنه التلبيس، فقال فى مجلس حافل فيه رؤساء الشيعة وكل يحكى عن الشيخ أبى القاسم لعنه والبراءة منه: أجمعوا بينى وبينه حتّى آخذ يده ويأخذ بيدى، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإلّا فجميع ما قاله فىَّ حق، ورقى ذلك إلى الراضى لأنه كان ذلك فى دار ابن مقلة فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه.

(وقال) أبو الحسن محمّد بن أحمد بن داود: كان محمّد بن الشلمغانى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۳

المعروف بابن أبى العزاقر (لعنه الله) يعتقد القول بحمل الضد، ومعناه أنه لا يتهيأ إظهار فضيلة للولى إلّا بطعن الضد فيه، لأنه يحمل السامع طعنه على طلب فضيلته فإذن هو أفضل من الولى إذ لا يتهيأ إظهار الفضل إلّا به، وساقوا المذهب من وقت آدم الأوّل إلى آدم

السابع، لأنهم قالوا: (سبع عوالم وسبع أوادم، ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمّد وعلى مع أبى بكر ومعاوية).

وأما فى الضد فقال بعضهم: الولى ينصب الضد ويحمله على ذلك كما قال قوم من أصحاب الظاهر: إن على بن أبى طالب نصب أبا بكر فى ذلك المقام، وقال بعضهم: لا، ولكن هو قديم معه لم يزل، قالوا: والقائم الذى ذكروا أصحاب الظاهر أنه من ولد الحادى عشر فإنه يقوم، معناه إبليس، لأنه قال: فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ («۱») ولم يسجد، ثمّ قال: لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ («۲») فدلَّ على أنه كان قائماً فى وقت ما امر بالسجود ثمّ قعد بعد ذلك، وقوله: يقوم القائم إنما هو ذلك القائم الذى امر بالسجود فأبى وهو إبليس لعنه الله.

وقال شاعرهم لعنهم الله:

يا لاعناً بالضد من عدى

ما الضد إلّا ظاهر الولىّ والحمد للمهيمن الوفى لست على حال كحمامى ولا حجامى ولا جغدى قد فقت من قول على الفهدى نعم وجاوزت مدى العبدى فوق عظيم ليس بالمجوسى لأنه الفرد بلا كيفى متحد بكل أوحدى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۴

مخالط للنورى والظلمى

يا طالباً من بيت هاشمى وجاحداً من بيت كسروى قد غاب فى نسبة أعجمى فى الفارسى الحسب الرضى كما التوى فى العرب من لوى (وقال الصفوانى): سمعت أبا على بن همام يقول: سمعت محمّد بن على العزاقرى الشلمغانى يقول: الحق واحد وإنما تختلف قمصه فيوم يكون فى أبيض ويوم يكون فى أحمر، ويوم يكون فى أزرق، (قال ابن همام): فهذا أوّل ما أنكرته من قوله لأنه قول أصحاب الحلول. (وأخبرنا) جماعة، عن أبى محمّد هارون بن موسى، عن أبى على محمّد بن همام، أن محمّد بن على الشلمغانى لم يكن قط باباً إلى أبى القاسم، ولا طريقاً له ولا نصبه أبو القاسم بشىء من ذلك على وجه ولا سبب ومن قال بذلك فقد أبطل وإنما كان فقيهاً من فقهائنا فخلط وظهر عنه ما ظهر، وانتشر الكفر والإلحاد عنه، فخرج فيه التوقيع على يد أبى القاسم بلعنه والبراءة منه وممن تابعه وشايعه وقال بقوله.

(وأخبرنى) الحسين بن إبراهيم، عن أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد، قال: حدّثنى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحامدى البزاز المعروف بغلام أبى على بن جعفر المعروف بابن رهومة النوبختى وكان شيخاً مستوراً قال: سمعت روح بن أبى القاسم بن روح يقول: لما عمل محمّد بن على الشلمغانى كتاب التكليف قال الشيخ يعنى أبا القاسم (رض): اطلبوه إلىَّ لأنظره، فجاؤا به فقرأه من أوّله إلى آخره فقال: ما فيه شىء إلّا وقد روى عن الأئمّة إلّا موضعين أو ثلاثة فإنه كذب عليهم فى روايتها (لعنه الله).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۵

(وأخبرنى) جماعة عن أبى الحسن محمّد بن أحمد بن داود، وأبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه أنهما قالا: مما أخطأ محمّد بن على فى المذهب فى باب الشهادة أنه روى عن العالم (الكاظم) (ع) أنه قال: إذا كان لأخيك المؤمن على رجل حق فدفعه عنه، ولم يكن له من البيّنة عليه إلّا شاهد واحد وكان الشاهد ثقة رجعت إلى الشاهد فسألته عن شهادته فإذا أقامها عندك شهدت معه عند الحاكم على مثل ما يشهد عنده لئلّا يتوى (يهلك) حق امرئ مسلم، (واللفظ لابن بابويه) وقال: هذا كذب منه ولسنا نعرف ذلك، وقال فى موضع آخر: كذب فيه.

نسخة التوقيع الخارج فى لعنه ...: ص: ۱۶۵

(أخبرنا جماعة) عن أبى محمّد هارون بن موسى، (قال): حدّثنا محمّد بن همام قال: خرج على يد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح

(رض) فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة فى ابن أبى العزاقر والمداد رطب لم يجف.

(وأخبرنا جماعة)، عن ابن داود قال: خرج التوقيع من الحسين بن روح فى الشلمغانى وأنفذ نسخته إلى أبى على بن همام فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة.

(قال ابن نوح): وحدّثنا أبو الفتح أحمد بن ذكا مولى على بن محمّد بن الفرات قال: أخبرنا أبو على بن همام بن سهيل بتوقيع خرج فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة.

قال محمّد بن الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمرى: أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) من مجلسه فى دار المقتدر إلى شيخنا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۶

أبى على ابن همام فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وأملاه أبو على على وعرفنى أن أبا القاسم (رض) راجع فى ترك إظهاره فإنه فى يد القوم وحبسهم فأمر بإظهاره وأن لا يخشى ويأمن فتخلص وخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة والحمد لله.

التوقيع ...: ص: ۱۶۶

«عرّف عرفك الله الخير أطال الله بقاءك وعرّفك الخير كله وختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أسعدكم الله بأن محمّد بن على المعروف بالشلمغانى وهو ممن عجّل الله له النقمة ولا أمهله قد ارتد عن الإسلام وفارقه، وألحد فى دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جلَّ وتعالى وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالًا بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً وإننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم بمنّه ولعنّاه عليه لعائن الله تترى فى الظاهر منّا والباطن فى السرّ والجهر وفى كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وبايعه أو بلغه هذا القول منّا وأقام على توليه بعده.

وأعلمهم تولّاكم الله أنّا من التوقى والمحاذرة منه على ما كنّا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعى والنميرى والهلالى والبلالى وغيرهم وعادة الله جلَّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نثق وإيّاه نستعين وهو حسبنا فى كل أمورنا ونعم الوكيل».

(قال هارون): وأخذ أبو على هذا التوقيع ولم يدع أحداً من الشيوخ إلّا وأقرأه إيّاه وكوتب من بعد منهم بنسخته فى سائر الأمصار فاشتهر ذلك فى الطائفة فاجتمعت على لعنه والبراءة منه، وقتل محمّد بن على الشلمغانى فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۷

ذكر أمر أبى بكر البغدادى ... ص: ۱۶۷

ابن أخى الشيخ أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (رض) وأبى دلف المجنون:

(أخبرنى) الشيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان عن أبى الحسن على بن بلال المهلبى (قال): سمعت أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه يقول: أما أبو دلف الكاتب (لا حاطه الله) فكنّا نعرفه ملحداً ثمّ أظهر الغلو ثمّ جنَّ وسلسل ثمّ صار مفوضاً وما عرفناه قط إذا حضر فى مشهد إلّا استخف به ولا عرفته الشيعة إلّا مدة يسيرة والجماعة تتبرأ منه وممن يومى إليه وينمس به («۱»).

وقد كنّا وجهنا إلى أبى بكر البغدادى لما ادّعى له هذا ما ادّعاه («۲») فأنكر ذلك وحلف عليه فقبلنا ذلك منه فلمّا دخل بغداد مال إليه وعدل من الطائفة وأوصى إليه لم نشكّ أنه على مذهبه فلعناه وبرئنا منه لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمرى فهو كافر منمس («۳») ضال مضل وبالله التوفيق.

(وذكر أبو عمرو) محمّد بن محمّد بن نصر السكرى (قال): لمّا قدم ابن محمّد بن الحسن ابن الوليد القمى من قبل أبيه والجماعة

وسألوه عن الأمر الذى حكى فيه من النيابة أنكر ذلك وقال: ليس إلىَّ من هذا الأمر شىء ولا ادعيت شيئاً من هذا وكنت حاضراً لمخاطبته إيّاه بالبصرة.

(وذكر ابن عياش) قال: اجتمعت يوماً مع أبى دلف فأخذنا فى ذكر أبى بكر البغدادى فقال لى: تعلم من أين كان فضل سيدنا الشيخ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۸

(قدّس الله روحه وقدّس به) على أبى القاسم الحسين بن روح وعلى غيره؟ فقلت له: ما أعرف. قال: لأن أبا جعفر محمّد بن عثمان قدم اسمه على اسمه فى وصيته قال: فقلت له: فالمنصور (أى الخليفة العبّاسى) أفضل من مولانا أبى الحسن موسى (ع)، قال: وكيف؟ قلت: لأن الصادق قدم اسمه على اسمه فى الوصية.

فقال لى: أنت تتعصب على سيدنا وتعاديه، فقلت: الخلق كلهم تعادى أبا بكر البغدادى وتتعصب عليه، غيرك وحدك، وكدنا نتقاتل ونأخذ بالأزياق («۱»).

وأمر أبى بكر البغدادى فى قلة العلم والمروءة أشهر وجنون أبى دلف أكثر من أن يحصى لا نشغل كتابنا بذلك ولا نطول بذكره وذكر ابن نوح طرفاً من ذلك.

(وروى) أبو محمّد هارون بن موسى عن أبى القاسم الحسين بن عبد الرحيم الأبراورى قال: أنفذنى أبو عبد الرحيم إلى أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (رض) فى شىء كان بينى وبينه فحضرت مجلسه وفيه جماعة من أصحابنا وهم يتذاكرون شيئاً من الروايات وما قاله الصادقون (عليهم السلام) حتّى أقبل أبو بكر محمّد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادى ابن أخى جعفر العمرى فلمّا بصر به أبو جعفر (رض) قال للجماعة: أمسكوا (أى توقفوا عن محادثتكم) فإن هذا الجائى ليس من أصحابكم.

وحكى أنه توكل لليزيدى بالبصرة فبقى فى خدمته مدة طويلة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۶۹

وجمع مالًا عظيماً فسعى به إلى اليزيدى فقبض عليه وصادره وضربه على امّ رأسه حتّى نزل الماء فى عينيه فمات أبو بكر ضريراً.

وقال أبو نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (رض): إن أبا دلف محمّد بن مظفر الكاتب كان فى ابتداء أمره مخمّساً («۱») مشهوراً بذلك لأنه كان تربية الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم وكان الكرخيون مخمسة لا يشكّ فى ذلك أحد من الشيعة، وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به ويقول: نقلنى سيدنا الشيخ الصالح (قدّس الله روحه ونوَّر ضريحه) عن مذهب أبى جعفر الكرخى إلى المذهب الصحيح يعنى أبا بكر البغدادى.

وجنون أبى دلف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تحصى فلا نطول بذكره هاهنا، انتهى ما ذكره الشيخ الطوسى.

ونقلناه كلّه مع طوله لأن ما ذكره من قصص المدّعين للسفارة والوكالة والبابية الكاذبين على الله وعلى حججه (عليهم السلام)، تتكرّر بين فترة وأخرى فى عصر الغيبة التامة الكبرى. كما يقال التاريخ يعيد نفسه، بل من تأمّل بعبرة فيما مرَّ من الوقائع التى ذكرها الشيخ يجد أن ما يحدث فى زمننا هذا من ادّعاء البابية هو بحذافيره مسلسل الوقائع السابقة من نسبة الأباطيل إلى الأئمّة (عليهم السلام) ومن سرقة الأموال واتخاذ الضعفاء والجهلة أنصاراً والنساء مسرحاً للخرافات والخزعبلات، ومن ينتسب إلى العلم واجهة للغواية و ... و... و...

وكما قال شيخ الطائفة فى زمانه أبو محمّد هارون بن موسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۰

التلعكبرى («۱»): وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلًا على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم ثمّ يترقّى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (القائلين بالحلول أى الكفر والإلحاد) كما اشتهر من أبى جعفر الشلمغانى ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۱

الأمر الثامن ثواب الثبات والتمسّک بالدين فى الغيبة الكبرى وشدّة المحنة ... ص: ۱۷۱

روى الصدوق بسنده عن الجواد عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّى بالشيعة يجولون جولان النعم فى غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معى فى درجتى يوم القيامة»، ثمّ قال (ع): «إن القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد فى عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه» («۱»).

وروى عن الأصبغ بن نباتة قال: ذكر عند أمير المؤمنين (ع) القائم (ع)، فقال: «أما ليغيبنَّ حتّى يقول الجاهل: ما لله فى آل محمّد حاجة»، وفى حديث آخر: «بعد غيبة وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله (عزوجل) ميثاقهم بولايتنا وكتب فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه» («۲»).

وروى توقيعاً من صاحب الزمان (ع) كان خرج إلى العمرى (النائب الأوّل) وابنه (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى) W عن سعد بن عبد الله، قال الشيخ أبو عبد الله جعفر (رض): وجدته مثبتاً عنه: «وفّقكما الله لطاعته، وثبّتكما على دينه، وأسعدكما بمرضاته، انتهى إلينا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۲

ما ذكرتما أن الميثمى أخبركما عن المختار ومناظراته من لقى واحتجاجه بأنه لا خلف غير جعفر بن على («۱») وتصديقه إيّاه، وفهمت جميع ما كتبتما به مما قال أصحابكما عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء ومن الضلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن، فإنه (عزوجل) يقول: الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ («۲»).

كيف يتساقطون فى الفتنة، ويترددون فى الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالًا، فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً.

أوَلم يعلموا انتظام أئمّتهم بعد نبيهم (ص) واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله (عزوجل) إلى الماضى يعنى الحسن بن على (ع) فقام مقام آبائه (عليهم السلام) يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً، ثمّ اختار (عزوجل) له ما عنده فمضى على منهاج آبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده ووصية أوصى بها إلى وصى ستره الله (عزوجل) بأمره إلى غاية، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ، وفينا موضعه، ولنا فضله، ولو قد أذن الله (عزوجل) فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حلية وأبين دلالة وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه وقام بحجّته.

ولكن أقدار الله (عزوجل) لا تغالب، وإرادته لا ترد، وتوفيقه لا يسبق،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۳

فليدعوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الذى كانوا عليه، ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا ولا يكشفوا ستر الله (عزوجل) فيندموا، وليعلموا أن الحق معنا وفينا ولا يقول ذلك سوانا إلّا كذّاب مفتر، ولا يدّعيه غيرنا إلّا ضال غوى، فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله» («۱»).

وروى بسنده عن أبى عبد الله (ع) قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان فى فسطاط القائم (ع)» («۲»).

وروى عن عبد الحميد الواسطى أنه سأل الباقر (ع) قال: قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: «القائل منكم: أن لو أدركت قائم آل محمّد نصرته كان كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه» («۳»).

وروى عن أبى الحسن عن آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله (ص) قال: «أفضل أعمال أمّتى انتظار الفرج من الله (عزوجل)» («۴»).

وروى عن الصادق (ع): «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله (عزوجل): وَارْتَقِبُوا إِنِّی مَعَکُمْ رَقِیبٌ («۵»)، فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ («۶»)، فعليكم بالصبر، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم» («۷»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۴

وقال (ع): «المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه فى سبيل الله» («۱»).

وروى بسنده عن عمّار الساباطى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): العبادة مع الإمام منكم المستتر فى دولة الباطل أفضل أم العبادة فى ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟ فقال: «يا عمّار، الصدقة والله فى السر أفضل من الصدقة فى العلانية، وكذلك عبادتكم فى السر فى دولة الباطل أفضل؟ لخوفكم من عدّوكم فى دولة الباطل، وحال الهدنة ممن يعبد الله (عزوجل) فى ظهور الحق مع الإمام الظاهر فى دولة الحق، وليس العبادة مع الخوف وفى دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن فى دولة الحق.

اعلموا أن من صلّى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدّوه فى وقتها فأتمّها كتب الله (عزوجل) له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلّى منكم صلاة نافلة فى وقتها فأتمّها كتب الله (عزوجل) له عشرين حسنة ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله (عزوجل) على دينه وعلى إمامه وعلى نفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة كثيرة إن الله (عزوجل) كريم».

قال: فقلت: جُعلت فداك، قد رغبتنى فى العمل وحثثتنى عليه، ولكن احبُّ أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالًا من أصحاب الإمام منكم الظاهر فى دولة الحق ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله (عزوجل)؟

فقال: «إنكم سبقتموهم إلى الدخول فى دين الله (عزوجل) وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل فقه وخير وإلى عبادة الله سراً مع عدّوكم مع الإمام المستتر مطيعون له صابرون معه منتظرون لدولة الحق خائفون على

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۵

إمامكم وأنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حق إمامكم وحقكم فى أيدى الظلمة قد منعوكم ذلك واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوّكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً».

قال: فقلت له: جُعلت فداك، فما نتمنى إذاً أن نكون من أصحاب الإمام القائم فى ظهور الحق ونحن اليوم فى إمامتك وطاعتك أفضل أعمالًا من أعمال أصحاب دولة الحق؟

فقال: «سبحان الله! أما تحبون أن يظهر الله (عزوجل) الحق والعدل فى البلاد، ويحسن حال عامة العباد ويجمع الله الكلمة ويؤلّف بين قلوب مختلفة، ولا يعصى الله (عزوجل) فى أرضه، ويقام حدود الله فى خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهروه حتّى لا يستخفى بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميّت على الحال التى أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله (عزوجل) من كثير ممن شهد بدراً وأحداً فأبشروا» («۱»).

وروى عن الصادق (ع): «المنتظر للثانى عشر كالشاهر سيفه بين يدى رسول الله (ص) يذب عنه، هو (الإمام الثانى عشر ...) هو المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجور، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان» («۲»).

وروى الكلينى بسنده عن يمان التمّار قال: كنّا عند أبى عبد الله (ع) جلوساً فقال لنا: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۶

كالخارط للقتاد ثمّ قال هكذا بيده («۱») فأيّكم يمسك شوك القتاد بيده؟»، ثمّ أطرق ملياً، ثمّ قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتق الله عبد وليمسك بدينه» («۲»).

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «إذا فُقد الخامس من ولد السابع فالله الله فى أديانكم لا يزيلكم عنها أحد، يا بنى إنه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هى محنة من الله (عزوجل) امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم

ديناً أصحُّ من هذا لاتّبعوه» («۳»).

أقول: المقصود من ذيل الرواية ليس التقليد للآباء والأجداد، بل هو التنبيه إلى أن من الآباء والأجداد من كان همّه وسعيه فى البحث عن الحق والدين الصحيح، واختيار مثلهم لهذا الدين يكون مؤشراً لصحة هذا الدين، وليس ذلك دعوة للتقليد كما قد يتوهم.

وروى أن سائلًا سأل الصادق (ع) قال: قلت: إذا أصبحت وأمسيت لا أرى إماماً ائتمُّ به ما أصنع؟ قال: «فأحبّ من كنت تحبّ، وابغض من كنت تبغض حتّى يظهره الله (عزوجل)» («۴»).

وروى النعمانى فى كتاب (الغيبة) عن الصادق (ع) أنه قال: «أقرب ما يكون العباد من الله (عزوجل) وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جلَّ وعزَّ ولم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۷

يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه وهم فى ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جلَّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً فإن أشدّ ما يكون غضب الله (عزوجل) على أعدائه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم، وقد علم الله أن أولياءه («۱») لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا على رأس شرار الناس» («۲»).

وروى عن أبى جعفر (الباقر) (ع) أنه قال: «لتمحّصنَّ يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل فى العين، وإن صاحب العين يدرى متى يقع الكحل فى عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها» («۳»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «والله لتكسّرنَّ تكسّر الزجاج وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرنَّ تكسّر الفخار، وإن الفخار ليتكسّر فلا يعود كما كان، ووالله لتغربلنَّ ووالله لتمحّصنَّ حتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل» وصعر كفه («۴»).

ثمّ قال النعمانى: فتبيّنوا يا معشر الشيعة هذه الأحاديث المروية عن أمير المؤمنين ومن بعده من الأئمّة (عليهم السلام) واحذروا ما حذّروكم وتأمّلوا ما جاء عنهم تأمّلًا شافياً، وفكّروا فيها فكراً تنعمونه، فلم يكن فى التحذير شىء أبلغ من قولهم: «إن الرجل يصبح على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۸

على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها»، أليس هذا دليلًا على الخروج من نظام الإمامة وترك ما كان يعتقد منها على غير طريق.

وفى قوله: «لتكسّرنَّ تكسّر الزجاج» ... الخ، فضرب ذلك مثلًا لمن يكون على مذهب الإمامية فيعدل عنه إلى غيره بالفتنة التى تعرض له ثمّ تلحقه السعادة بنظرة من الله فتبيّن له ظلمة ما دخل فيه وصفاء ما خرج منه فيبادر قبل موته بالتوبة والرجوع إلى الحق فيتوب الله عليه ويعيده إلى حاله فى الهدى كالزجاج الذى يعاد بعد تكسّره فيعود كما كان، ولمن يكون على هذا الأمر فيخرج عنه ويتمّ على الشقاء بأن يدركه الموت وهو على ما هو عليه غير تائب منه ولا عائد إلى الحق، فيكون مثله كمثل الفخار الذى يكسّر فلا يعاد إلى حاله، لأنه لا توبة له بعد الموت ولا فى ساعته، نسأل الله الثبات على ما منَّ به علينا، وأن يزيد فى إحسانه، فإنما نحن له ومنه» («۱») انتهى.

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «ما يكون ذلك (أى ظهور الحجة (ع)) حتّى تميّزوا وتمحّصوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل»، ثمّ صعر كفه («۲»).

وعن الرضا (ع): «والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تمحّصوا وتميّزوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأندر فالأندر» («۳»)، وفى رواية: «حتّى يشقى من شقى ويسعد من سعد» («

»).

هذا والروايات فى هذا المجال كثيرة جدّاً تطلب من مظانها.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۷۹

الأمر التاسع تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدّسة على الشيخ المفيد وتشرّف عدّة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع ...) ص: ۱۷۹

لعلَّ قائل يقول: ما تفسير ما وقع من خروج كتاب ورد من الناحية المقدّسة حرسها الله ورعاها على الشيخ المفيد أبى عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان (قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه)؟

وما تفسير ما شاع نقله واستفاض من تشرّف عدّة من أساطين الفقهاء والعلماء بلقائه (ع)، حتّى أن ثُلّة منهم نقل عنه (ع) بعض الأدعية المسطورة فى كتب الشيعة؟

وكيف يتّفق مع ما تسالمت عليه الطائفة من انقطاع السفار، وأن «من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر» («۱») كما ورد فى التوقيع الذى خرج على يد النائب الرابع.

فتفسير ذلك: أنه التبس على القائل معنى السفارة والنيابة الخاصة والوكالة والبابية مع ما ذكره من الموارد، ولنوضّح الفرق بمثال موجود فى يومنا هذا.

وهو الفرق بين سفير دولة ما وبين مواطن كأحد المواطنين لتلك الدولة قد أبلغ من قبلها بإيصال رسالة ما إلى جهة معينة، فالسفير للدولة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۰

له منصب دائم من قبلها لإيصال والقيام بنيابة الدولة وتمثيلها، بخلاف ذلك المواطن الذى اتّفق أن امر بإيصال رسالة ما، فإنه لم ينصب لمقام معين، ولم يجعل ممثلًا دائمياً.

ومن ثَمَّ نقول: الفرق بين الباب والسفير وبين مثل المكاتبة التى تشرّف بها المفيد رضوان الله تعالى عليه هو أن السفير كالنواب الأربعة فى الغيبة الصغرى هو الذى ينصب بنحو دائم كحلقة وصل بين الشيعة والإمام، ويكون على اتصال دائم بحيث يوصل من وإلى الحجة (ع)، وهو يأتمر فى كل صغيرة وكبيرة من أعماله وإجراءاته وتنفيذه فى المهام الدينية من قبل الحجة (ع)، وتظهر على يديه دلائل وبراهين على النيابة الخاصة من قبل الحجة (ع)، مع إظهار السفير سفارته لأجلاء الطائفة الإمامية، وأين هذا من مثل المكاتبة المذكورة؟

وقد تقدّم ذكر عدّة ممن كانوا يكتبون الأسئلة ويبعثون بها إلى الحجة (ع) عبر النواب فى الغيبة الصغرى، كأبى جعفر محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميرى المعروف بمكاتبته للحجة عبر النواب الأربعة، ومع ذلك فلم يكن سفيراً ولا نائباً خاصاً ولا وكيلًا بالمباشرة ولا بالواسط بل كسائر الفقهاء.

وكذلك عدّة كثيرة من الفقهاء كاتبوا فى الغيبة الصغرى عبر النواب الأربعة أو كتب إليهم.

منهم محمّد بن صالح («۱»)، وإسحاق بن يعقوب («۲»)، ومحمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۱

الصالح («۱»)، والحسن بن الفضل اليمانى («۲»)، وعلى بن محمّد الشمشاطى («۳»)، وأبو رجاء المصرى («۴»)، ومحمّد بن هارون («۵»)، وأبو القاسم بن أبى جليس («۶»)، وهارون بن موسى بن الفرات، ومحمّد بن محمّد البصرى، ومحمّد بن يزداد، ومحمّد بن كشمرد («۷»)، وعلى بن محمّد بن إسحاق الأشعرى، وإبراهيم بن محمّد بن الفرج وغيرهم كثير جدّاً، ومع ذلك لم يكونوا وكلاء بالمباشرة ولا بالواسطة.

هذا مع أن الشيخ المفيد كتب إليه من الحجة (ع) لأنه أرسل كتاباً ثمّ أتاه الجواب، وكيف يتوهّم أن الشيخ المفيد يدّعى أنه سفير مع

أنه نفسه ذكر فى (الرسائل الخمس فى الغيبة) («۸») انقطاع السفارة والنواب بموت النائب الرابع فى الغيبة الصغرى، وذكر ذلك فى كتاب الإرشاد فى الفصل الذى عقده للإمام الثانى عشر (ع) («۹») وفى بقية كتبه، ومع أن الشيخ المفيد نفسه ذكر عن شيخه أبى القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه: (أن عندنا أن كل من ادّعى الأمر بعد السمرى فهو كافر منمّس ضال مضل) («۱۰»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۲

نعم، الشيخ المفيد كبقية الفقهاء العدول له النيابة العامة، وهى المرجعية، والتى يستقى الفقيه علمه بالأحكام الشرعية من الكتاب والأخبار المأثورة عن الرسول (ص) والأئمّة (عليهم السلام) كما تقدّم شرح ذلك فى الأمر الثالث من هذا الفصل.

هذا مع أنه يصعب الجزم بصدور هذا الكتاب من الناحية المقدسة وورود للشيخ المفيد، وذلك لأن الشيخ الطبرسى (رض) تفرّد بذكر ذلك فى كتابه (الاحتجاج) ولم يذكر طريقه وسنده إلى الشيخ المفيد.

أما تفرّده فلأن الشيخ الطوسى وهو تلميذ الشيخ المفيد ومن خواصه المقرّبين إليه لم يذكر ذلك فى كتابه الرجال والفهرست عند ترجمة شيخه المفيد، مع أنه أثنى عليه بأبلغ الثناء والمدح، ولو كان مثل هذا الكتاب من الناحية المقدسة لناسب ذكره فى الترجمة، لأنه أبلغ شىء فى التعريف بمكانة شيخه، كما لم يذكر الشيخ الطوسى هذه الواقعة فى بقية كتبه.

وكذلك الشيخ الجليل أبو العبّاس أحمد بن على النجاشى تلميذ الشيخ المفيد لم يذكر ذلك فى ترجمة شيخه فى رجاله مع أنه أطرى عليه بأحسن الثناء.

وكذلك لم يعثر فى كتب السيد المرتضى على بن الحسين الموسوى على ذكر لهذه الواقعة، مع أن السيد يأتى بشىء من الاطراء والمدح لأستاذه الشيخ المفيد عند تصادف ذكر شيخه فى كتبه.

وكذلك لم يذكر ذلك ابن الحلّى فى سرائره فى المستطرفات فى ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف المفيد، حيث أتى بترجمة للمفيد فى البدء فيها من المدح والثناء الجميل.

وكذلك لم يذكر ذلك العلّامة الحلّى فى كتاب الرجال عند

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۳

ترجمة الشيخ المفيد مع أنه أطرى عليه بالمدح الجزيل، مع أن العلّامة الحلّى (رض) من أعلام الطائفة فى القرن السابع فهو متأخر عن الشيخ الطبرسى الذى هو من أعلام القرن السادس.

وكذلك لم يذكر ذلك تقى الدين بن داود الحلّى فى كتاب الرجال المعاصر للعلّامة الحلّى.

وكذلك لم يذكر ذلك الشيخ أبو الفتح الكراجكى تلميذ المفيد مع أنه كرّر ذكره فى كتابه كنز الفوائد.

نعم، ذكر ابن شهرآشوب السروى فى معالم العلماء: (ولقّبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان (صلوات الله عليه)، وقد ذكرت سبب ذلك فى مناقب آل أبى طالب)، ولكن لم يعثر على ذلك فى كتابه المناقب، وقد ذكر المصحح الذى أشرف على طبع كتاب المناقب («۱»): (وليعلم أن الموجود من المناقب فى أحوال الأئمّة (عليهم السلام) إلى العسكرى، ولم نعثر على أحوال الحجة (ع) منه، ولا نقله من تقدّمنا من سدنة الأخبار كالمجلسى (رض) والشيخ الحر وأمثالهما، وربما يتوهّم أنه لم يوفق لذكر أحواله (ع)، إلّا أنه قال فى معالم العلماء فى ترجمة المفيد (رض) (أنه لقّبه بالشيخ، والظاهر أنه كتبه فى جملة أحواله (ع) فى هذا الباب سقط من هذا الكتاب).

وعلى أيّة حال فابن شهرآشوب تلميذ الشيخ الطبرسى كما ذكر هو ذلك («۲») فالمظنون قويّاً أنه نقله عن الطبرسى.

وكذلك ما يحكى عن رسالة نهج العلوم ليحيى بن بطريق الحلّى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۴

صاحب كتاب (العمدة فى عيون صحاح الأخبار فى مناقب إمام الأبرار) المتوفى سنة ستمائة هجرية أنه ذكر التوقيعات المذكورة إلى الشيخ المفيد (رض)، فالمظنون قويّاً أنه نقله عن ابن شهر آشوب لأنه الراوى عنه («۱») أو نقله عن الشيخ الطبرسى (رض).

هذا مع أن ابن إدريس ذكر فى كتاب السرائر فى ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف الشيخ المفيد أن الذى سمّاه بهذا اللقب على بن عيسى الرمانى عندما أفحمه المفيد وكان فى بداية نشوه العلمى، لا- أن هذا اللقب اشتهر به فى آخر عمره كما هو مقتضى تاريخ التوقيع، إلّا أن يريد ابن شهر آشوب جرى هذا اللقب على لسانه الشريف (ع) وما فى ذلك من المدح للمفيد (رضوان الله تعالى عليه).

وأما عدم ذكر الطريق فلأن الشيخ الطبرسى لا يروى مباشرة عن المفيد، بل لا بدَّ من الواسطة، ولم تذكر فى كلامه (رفع الله مقامه).

وهو وإن ذكر فى أوّل كتاب الاحتجاج حيث يقول: (ولا- نأتى فى أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلَّت العقول إليه، أو لاشتهاره فى السير والكتب بين المخالف والمؤالف).

لكن شىء من الأقسام الثلاثة غير متحقق لدينا.

أما الإجماع والاتفاق، فقد عرفت خلو كتب التراجم والرجال المصنّفة ممن هو أقرب زمناً من الشيخ الطبرسى من ذلك، ومن ذلك لا يتحقق لدينا وجود الشهرة أيضاً فى تلك الأعصار («۲»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۵

وأما الموافقة للدليل العقلى، فلا دليل عقلى فى البين على وقوع ذلك.

نعم، الشيخ الطبرسى لا محالة قد تحقق لديه أحدها، ولكن لم يتحقق لدينا كما عرفت، وهنا إشكال آخر ذكره السيد المحقق الخوئى (رض) فى المعجم («۱») بقوله: (هب أن الشيخ المفيد جزم بقرائن أن التوقيع صدر من الناحية المقدسة، ولكن كيف يمكننا الجزم بصدوره من تلك الناحية؟).

ووجه هذا الإشكال أن المفيد (رض) ليس سفيراً خاصاً وباباً للحجة (ع) كى يجزم بما قد جزم به المفيد أنه من الناحية، إذ قد لا يحصل الجزم من تلك القرائن فيما لو علمنا بها.

وهذا بخلاف الحال فى السفير والباب الخاص بالحجة (ع)، فإنه مقتضى سفارته حجية قوله فيما يؤدّيه عن الحجة من دون احتمال الخطأ والغفلة كما ورد فى قول الإمام العسكرى (ع) عند تنصيصه على نيابة العمرى وابنه: «العمرى وابنه ثقتان، فما أدّيا عنّى فعنّى يؤدّيان، وما قالا لك فعنّى يقولان» («۲»)، «فاقبلوا من عثمان (النائب الأوّل العمرى) ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» («۳»).

ومن ذلك كلّه يظهر لك تفسير تشرف عدّة من أكابر العلماء والفقهاء والأتقياء بلقاء الحجة (ع) وسعادتهم بجمال محضره الشريف، فإن ذلك ليس يعنى سفارتهم وبابيتهم وأنهم منصوبون لذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۶

بل إن ذلك نتيجة الطهارة من الذنوب ومن النزعات الشيطانية والحيوانية، إذ قد ورد فى بعض الروايات («۱»): أن الحاجب بيننا وبين نور مطلعه الباهر عليه أفضل صلوات الملك القادر هى ذنوبنا وسيئات أعمالنا، وقد ذكر الصدوق فى إكمال الدين عدّة كثيرة ممن تشرّف بلقائه (ع) فى الغيبة الصغرى فترة النواب الأربعة («۲»)، ولم تكن تلك العدّة التى تشرّفت بلقائه (ع) سفراء ونواباً.

وأما توافق ذلك مع ما خرج من التوقيع على يد على بن محمّد السمرى النائب الرابع والأخير: «من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر» («۳»).

فلأن معنى التوقيع المبارك كما هو الراجح لدى العلماء هو ادّعاء النيابة الخاصة والسفارة، بقرينة أن التوقيع صدر قرب وفاة السمرى، حيث أن فى أوّله تعزية الإمام (ع) المؤمنين بموت السمرى ما بينه وبين ستة أيام، ثمّ أمره (ع) بعدم الوصاية إلى أحد يقوم مقامه بعد وفاته، إذ قد وقعت الغيبة التامة، وأنه لا ظهور حتّى يأذن الله تعالى ذكره. هذه كلّها قرائن أن سياق الكلام دالٌّ على تكذيب ادّعاء النيابة والسفارة بعد السمرى رضوان الله تعالى عليه.

ونصَّ التوقيع كما ذكره الشيخ فى (الغيبة) («۴») قال: وأخبرنا جماعة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۷

(وهم مشايخه)، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه (الصدوق)، قال: حدّثنى أبو محمّد الحسين بن أحمد المكتّب (الذى ترحَّم عليه الصدوق فى كمال الدين)، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى عظَّم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى لشيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم».

وقد أنبأ (ع) شيعته بمجيء المدّعين الكذّابين المفترين، وقد حصل مجيئهم كرّات ومرّات ولا زال فى يومنا هذا، وهذا الإنباء بالمستقبل من معجزاته (ع). وواضح أن من يدّعى المشاهدة للحجة (ع) ليس غرضه إلّا إظهار نفسه كوسيط وسفير للحجة (ع)، وهذه قرينة أخرى على أن المعنى المراد فى التوقيع المبارك هو ادّعاء النيابة والسفارة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۸

الأمر العاشر من هم الأبدال والأوتاد ...؟ ص: ۱۸۸

ولعلَّ سؤالًا يطرح وهو: أليس الأبدال والأوتاد على درجة من القرب إلى الناحية المقدسة، ولعلَّ المقدمين منهم على اتصال، فكيف يلتئم ذلك مع انقطاع النيابة الخاصة؟

فالجواب يتّضح من خلال استعراض ما ورد من الروايات فى ذلك:

منها: ما رواه الصدوق (رض) بإسناده عن أبى سعيد الخدرى فى وصية النبى (ص) لعلى (ع) قال: «يا على، عليك بالجماع ليلة الإثنين فإنه إن قضى بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسّم الله (عزوجل) وإن جامعت أهلك ... إلى أن قال (ص):

وإن جامعتها فى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنه يرجى أن يكون الولد من الأبدال إن شاء الله» («۱»)، وقد رواه الطبرسى فى (مكارم الأخلاق) («۲»).

منها: ما رواه الطبرسى (رض) عن الخالد بن الهيثم الفارسى قال: قلت لأبى الحسن الرضا (ع): إن الناس يزعمون أن فى الأرض أبدالًا، فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: «صدقوا، الأبدال هم الأوصياء، جعلهم الله (عزوجل) فى الأرض بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم محمّد (ص)» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۸۹

وقال المجلسى (رض) فى بيان هذا الحديث: ظاهر الدعاء المروى من امّ داود عن الصادق (ع) فى النصف من رجب:

قل: «اللهم صل على محمّد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد، كما صلّيت وترحمت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل على الأوصياء والسعداء والشهداء وأئمّة الهدى، اللهم صل على الأبدال والأوتاد والعباد المخلصين والزهاد وأهل الجد والاجتهاد» ... إلى آخر الدعاء، يدلُّ على مغايرة الأبدال للأئمّة (عليهم السلام) لكن ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد ويحتمل أن يكون المراد به فى الدعاء خواص أصحاب الأئمّة (عليهم السلام)، والظاهر من الخبر نفى ما تفتريه الصوفية من العامة كما لا يخفى على المتتبع العارف بمقاصدهم (عليهم السلام).

ومنها: ما رواه الكلينى عن الباقر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إنّى وإثنى عشر («۱») من ولدى وأنت يا على زر الأرض يعنى أوتادها

وجبالها، بنا أوتـد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشـر من ولـدى ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا» («۲»)، وهذه الرواية مطابقـة فى المضـمون للروايـة السابقـة، ولكن هذا المضـمون لا يعارض ما دلَّ على أن الأوتاد والأبدال هم غير الأئمّة (عليهم السـلام) وذلك لإمكان عموم معناهما غاية الأمر أنه تشكيكى (متفاوت الأفراد) ذو درجات الأعلى والأشرف من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۰

أفراده هم الأئمّة (عليهم السلام) ولهم آثار تخصّهم بخلاف بقية أفراد ومصاديق ذلك المعنى العام فإن لهم آثاراً أقل شأناً.

وحكى الشيخ القمى فى كتابه (سفينة البحار) فى عنوان (قطب):

ثمّ اعلم أنه قال الكفعمى فى حاشـية مصـباحه: قيل: إن الأرض لا تخلو من القطب وأربعـة أوتاد وأربعين بدلًا وسـبعين نجيباً وثلاثمائة وستين صالحاً، فالقطب هو المهـدى (ع)، ولا تكون الأوتاد أقل من أربعـة لأن الـدنيا كالخيمـة والمهـدى (ع) كالعمود وتلك الأربعة أطنـاب وقـد تكون الأوتـاد أكثر من أربعـة والأبـدال أكثر من أربعين والنجبـاء أكثر من سـبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائـة وستين، والظاهر أن الخضر وإلياس (ع) من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

وأمـا صـفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفـة عين ولا يجمعون من الـدنيا إلّا البلاغ ولا تصـدر منهم هفوات البشـر ولا يشترط فيهم العصمة وشرط ذلك فى القطب.

وأما الأبدال فدون هؤلاء فى المرتبة، وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعمدون ذنباً.

وأما النجباء فهم دون الأبدال.

وأما الصالحون فهم المتّقون الموصوفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاسـتغفار والندم، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ («۱»).

ثمّ ذكر أنه إذا نقص واحد من أحد المراتب المذكورة وضع بدله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۱

من المرتبة الأدنى وإذا نقص من الصالحين وضع بدله من سائر الناس والله العالم («۱»).

وحكى فى عيون إليـاس: روى الثعلبى عن رجل من أهل عسـقلان أنه كان يمشـى بالأردن عنـد نصف النهار فرأى، إلياس النبى فسأله كم من الأنبياء أحياء اليوم؟ قال: أربعة، اثنان فى السـماء واثنان فى الأرض، ففى السـماء عيسى وإدريس، وفى الأرض إلياس والخضر، قلت: كم الأبدال؟ قال: ستون رجلًا، خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة فى سائر البلاد كلّما ذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر، بهم يدفع الله عن الناس وبهم يمطرون («۲»).

ومنها: ما فى نهج البلاغة («۳») من خطبة له (ع) فى صفات المتّقين:

«عبـاد الله إن من أحبَّ عبـاد الله إليه عبـداً أعـانه الله على نفسه فاستشـعر الحزن ... إلى أن قال (ع): «قـد أخلص لله فاسـتخلصه فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه».

وقال الشارح البحرانى فى ذيله:

كونه من أوتاد أرضه استعار له لفظ الوتـد، ووجه المشابهة كون كل منهما سـبباً لحفظ ما يحفظ به، فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الأرض واستقامة أمور هذا العالم.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۲

ويشـهد هذا المدلول لهذه الرواية لعموم المعنى الذى ذكرناه سابقاً وأنه تشكيكى ذو درجات، وأيضاً يفسّر مقام الأبدال بأن لهم نتيجة التقوى آثاراً تكوينية مختلفة لا أن غير الأئمّة من الأبدال له منصب شرعى ودينى خاص ومعين.

ويؤيّد ذلك ما ورد فى قوله تعالى: وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ

أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ («۱») وما ورد فى ذيله عن الباقر والصادق (ع) قالا: «يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبويهما» («۲»).

وفى رواية أخرى: «أن الله يحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة وأن الغلامين كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة» («۳»).

وفى رواية ثالثة: «أن الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه فى دويريه ودويرات حوله، فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله»، ثمّ ذكر الغلامين فقال (ع): «وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً ألم ترَ أن الله شكر صلاح أبويهما لهما؟» («۴»).

وفى رواية رابعة أن النبى (ص) قال: «إن الله ليخلف العبد الصالح من بعد موته فى أهله وماله وإن كان أهله أهل سوء» ثمّ قرأ الآية («۵»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۳

ومن هذا القبيل ما روى عن الباقر (ع)، عن أبيه، عن جدّه، عن على بن أبى طالب (عليهم السلام)، قال: «ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر وعمّار وحذيفة (رحمة الله عليهم)»، وكان على (ع) يقول: «وأنا إمامهم وهم الذين صلّوا على فاطمة (ع)» («۱») أى ببركتهم ويمنهم.

وفى رواية أخرى: قال (ع): «هؤلاء (المقداد وأبو ذر وسلمان) هم الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبى بكر حتّى جاءوا بأمير المؤمنين (ع) مكرهاً فبايع» («۲»).

وبهذا التفسير وردت روايات:

منها: ما رواه المجلسى عن مصباح الشريعة أنه قال الصادق (ع): «التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى بالله فى الله وهو ترك الحلال فضلًا عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص.

وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلًا عن حرام وهو تقوى الخاص.

وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام.

ومثل التقوى كماء يجرى فى نهر ومثل هذه الطبقات الثلاث فى معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون وجنس وكل شجرة منهما يستمص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته ثمّ منافع الخلق من ذلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالى: صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ («... ۳») الآية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۴

فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار ومثل طبايع الأشجار والثمار فى لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان فمن كان أعلى درجة فى الإيمان وأصفى جوهراً بالروح كان أتقى ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذلك كان من الله أقرب.

وكل عبادة غير مؤسسة على التقوى فهو هباء منثور قال الله (عزوجل): أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ («... ۱») الآية، وتفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عمّا به بأس وهو فى الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود» («۲»).

وروى الشيخ الحرّانى فى (تحف العقول) («۳»): أنه دخل على الصادق (ع) رجل فقال: «ممن الرجل؟»، فقال: من محبيكم ومواليكم، فقال له جعفر: «لا يحبّ الله عبداً حتّى يتولاه ولا يتولاه حتّى يوجب له الجنّة». ثمّ قال له: «من أىّ محبّينا أنت؟» فسكت الرجل.

فقال له سدير: وكم محبّوكم يا ابن رسول الله؟ فقال: «على ثلاث طبقات: طبقة أحبّونا فى العلانية ولم يحبّونا فى السر، وطبقة يحبّونا فى السر ولم يحبّونا فى العلانية، وطبقة يحبّونا فى السر والعلانية هم النمط الأعلى شربوا من العذب الفرات وعلموا تأويل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب فهم النمط الأعلى، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل مستهم البأساء والضرّاء وزلزلوا وفتنوا فمن بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۵

مجروح ومذبوح متفرقين فى كل بلاد قاصية، بهم يشفى الله السقيم، ويغنى العديم، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، وبهم ترزقون، وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً» ... الحديث.

وروى الكلينى عن الباقر (ع) قال: «إن الله تعالى ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء» («۱»)، وقال: «لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة مؤمنين» («۲»).

وروى الشيخ المجلسى فى (البحار) («۳») عن كتاب زيد الزراد قال: قلت لأبى عبد الله (ع): نخشى أن لا نكون مؤمنين، قال: «ولِمَ ذاك؟»، قلت: وذلك أننا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر من درهمه ودينار، ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين (ع).

قال: «كلا، إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتّى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونوا مؤمنين كاملين، ولو لم يكن فى الأرض مؤمنون كاملون إذاً لرفعنا الله إليه وأنكرتم الأرض وأنكرتم السماء («۴»)، بل والذى نفسى بيده أن فى الأرض فى أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلّها عندهم تعدل جناح بعوضة».

ثمّ ذكر (ع) أوصافهم بنحو ما ذكر أمير المؤمنين (ع) أوصاف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۶

المتّقين فى خطبة لهمام ثمّ قال (ع): «وا شوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم، يا كرباه لفقدهم، ويا كشف كرباه لمجالستهم، اطلبوهم فإن وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم وفزتم بهم فى الدنيا والآخرة هم أعزُّ فى الناس من الكبريت الأحمر، حليتهم طول السكوت وكتمان السر والصلاة والزكاة والحج والصوم والمواساة للإخوان فى حال اليسر والعسر» ... الحديث.

ومن ذلك يظهر بوضوح أن الأبدال والأوتاد هم الذين على درجة من الإيمان وببركتهم ويمنهم، ينشر الله تعالى أنواع الخير على أهل الأرض وهم أحبُّ المؤمنين لدى المعصومين (عليهم السلام) وأرفعهم منزلة عندهم وكرامة، ولكن أين ذلك من جعل المنصب والنيابة الخاصة والوساطة بين الإمام المعصوم وبين سائر الناس.

نعم هم قدوة وأمثال حيّة للمؤمن الكامل والمتقى الكريم على الله تعالى ورسوله والأوصياء صلوات الله عليهم.

وكم فرق بين الاهتداء بهم فى طاعاتهم وورعهم وتقواهم وبين الائتمار والانتهاء لأقوالهم والسماع لأخبارهم عن المعصوم.

وهذا المقام للإبدال والأوتاد مفتوح بابه لمن أراد بأن يجاهد نفسه وهواه، فقد روى الكلينى عن الباقر (ع) أنه قال: «إن أصحاب محمّد (ص) قالوا: يا رسول الله نخاف النفاق. قال: فقال: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا كأنّا نعاين الآخرة والجنّة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التى كنّا عليها عندك وحتّى كأنّا لم نكن على شىء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله (ص): كلا، إن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۷

هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم فى الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء » («...۱») الحديث.

وهذا بخلاف مقام النيابة والسفارة فإنه باختيار وإرادة من الإمام المعصوم (ع).

ويجدر التنبيه مع ذلك إلى ما قاله الصادق (ع) إلى أن الأبدال والكاملين هم أعزُّ من الكبريت الأحمر، أى إنهم فى منتهى الندرة والقلّة فكيف يعثر عليهم مع إخفاءهم لحالهم لكيلا يذهب خلوص نياتهم، ولئلّا يحصل لأنفسهم الاغترار وغير ذلك من مفاسد الاشتهار.

وهذا من الشواهد على اختلاف مقامهم لمقام النيابة والسفارة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۱

الفصل الثالث فى الفِرق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفية انحرافها ... ص: ۲۰۱

اشارة

وهى كثيرة حتّى قيل: إن الشيخ الجليل سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى ذكر فى كتابه (المقالات والفِرق) («۱») ما يقرب من مائة وأربع عشرة فرقة وبدعة.

وسر ذلك هو ما قاله أمير المؤمنين (ع) عندما خطب الناس فقال: «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله، يتولّى فيها رجال رجالًا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذى حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» («۲»).

وعن الصادق (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص): «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» («۳»

(الغلاة ...): ص: ۲۰۱

). ومن هذه الفرق (هم الذين غلوا فى أمير المؤمنين (ع)) وزعموا أنه ربهم فأمر (ع) بقتلهم.

وقد رواه الكشى فى كتاب (الرجال) («۴») فى ترجمة (محمّد بن أبى زينب) («۵») بإسناده عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: بينا على (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۲

عند امرأة من عنزة وهى امّ عمرو إذ أتاه قنبر فقال: إن عشرة نفر بالباب يزعمون أنك ربهم، قال: «أدخلهم»، قال: فدخلوا عليه، فقال: «ما تقولون؟»، فقالوا: إنك ربنا وأنت الذى خلقتنا وأنت الذى ترزقنا.

فقال لهم: «ويلكم لا تفعلوا إنما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا أن يقلعوا، فقال لهم: «ويلكم ربى وربكم الله إنما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا أن يقلعوا، فقال لهم: «ويلكم ربى وربكم الله توبوا وارجعوا».

فقالوا: لا نرجع عن مقالتنا أنت ربنا وأنت خلقتنا، فقال: «يا قنبر آتنى بالفعلة»، فخرج قنبر فأتاه بعشر رجال مع الزبل والمرور، فأمرهم أن يحفروا لهم فى الأرض فلمّا حفروا خداً أمرنا بالحطب والنار فطرح فيه حتّى صار ناراً تتوقد، قال لهم: «ويلكم توبوا وارجعوا!»، فأبوا وقالوا: لا نرجع، فقذف على (ع) بعضهم ثمّ قذف بقيتهم فى النار، ثمّ قال لى (ع): «إنّى إذا بصرت شيئاً منكراً، أوقدت نارى ودعوت قنبراً».

وقد قال أمير المؤمنين (ع): «هلك فىَّ رجلان: محب غال، ومبغض قال» («۱»).

ومنها (الخطابية ...): ص: ۲۰۲

أصحاب أبى الخطاب محمّد بن أبى زينب الأسدى الأخدع («۲») الزراد البزاز يكنّى تارة أبا الخطاب، وأخرى أبا الظبيات («۳»)، وأبا إسماعيل لعنه الله، وكانوا قد أظهروا الإباحات وتحليل المحرّمات وآل أمرهم إلى الدعوة إلى نبوّة أبى طالب، وكانوا يدعون الناس

إلى أمرهم سراً فبلغ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۳

خبرهم عيسى بن موسى وكان عاملًا للمنصور العبّاسى على الكوفة فبعث إليهم رجلًا من أصحابه فى خيل ورجالة.

فكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرماح وقد كان أبو الخطاب قال لهم: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسيوفهم لا يضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك فى أبدانكم فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة فلمّا قتل منهم نحو ثلاثين رجلًا صاحوا إليه: يا سيدنا ما ترى فى ما يحلُّ بنا من هؤلاء القوم؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر وقد يكسر كلّه؟ وقد عمل فينا وقتل من ترى منّا.

فقال لهم: يا قوم إن كان بدا لله فيكم فما ذنبى، يا قوم قد بليتم وامتحنتم واذن فى قتلكم وشهادتكم فقاتلوا على دينكم وأحسابكم ثمّ إنهم قتلوا وقتل هو وصلب، فقال بعض أصحابه: إن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبه عليهم وأنه قد صير بعد حدث هذا الأمر من الملائكة («۱»).

وزعموا أنه لا بدَّ من رسولين فى كل عصر ولا تخلو الأرض منهما: واحد ناطق وآخر صامت، فكان محمّد (ص) ناطقاً وعلى صامتاً وتأوّلوا فى ذلك قول الله: ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا («۲») ثمّ ارتفعوا عن هذه المقالة إلى أن قال بعضهم: هما آلهة، وتشاهدا بالزور.

ثمّ إنهم افترقوا لمّا بلغهم أن جعفر بن محمّد (الصادق) (ع) لعنهم ولعن أبا الخطاب وبرئ منه ومنهم فصاروا أربع فِرق وكان أبو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۴

الخطاب يدّعى أن جعفر بن محمّد (ع) قد جعله قيّمه ووصيّه من بعده وأنه علّمه اسم الله الأعظم.

ثمّ ترقى إلى أن ادّعى النبوة ثمّ ادّعى الرسالة ثمّ ادّعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم وذلك بعد دعواه أنه جعفر بن محمّد وأنه يتصور فى أىّ صورة شاء.

وذكر بعض الخطابية أن رجلًا سأل جعفر بن محمّد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابه فيها ثمّ انصرف إلى الكوفة فسأل أبا الخطاب عنها فقال له: أوَلم تسألنى عن هذه المسألة بالمدينة فأجبتك فيها؟

ومنها (الحارثية ...): ص: ۲۰۴

أصحاب عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقاً من أهل المدائن فأبرز لأصحاب عبد الله بن معاوية الذى قتله أبو مسلم والذى هو صاحب إحدى الفِرق الكيسانية وقد مال إليه شذاذ صنوف الشيعة فأدخلهم فى الغلو والقول بالتناسخ والأظلة والدور وأسند ذلك إلى (جابر بن عبد الله الأنصارى) ثمّ إلى (جابر بن يزيد الجعفى) فخدعهم بذلك حتّى ردّهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن وادّعى أن هذا مذهب جابر بن عبد الله وجابر بن يزيد فإنهما قد كانا من ذلك بريئين («۱»).

ومنهم ومن الكيسانية والعبّاسية والخرمدينية كان بدء الغلو فى القول حتّى قالوا: إن الأئمّة آلهة وأنهم أنبياء وأنهم رسل وأنهم ملائكة وهم الذين تكلّموا بالأظلة فى التناسخ فى الأرواح.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۵

وهم أهل القول بالدور فى هذا الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب وزعموا أن لا دار إلّا الدنيا وأن القيامة إنما هى خروج الروح من بدن ودخوله فى بدن آخر غيره (وهو معنى الدور) إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً.

وأنهم مسرورون فى هذه الأبدان أو معذّبون فيها، والأبدان هى الجنّات وهى النار وأنهم منقولون فى الأجسام الحسنة الأنسية المنعمة فى حياتهم ومعذبون فى الأجسام الروية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيّات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معذّبون فيها هكذا أبد الأبد فهى جنّتهم ونارهم، لا قيامة ولا بعث، ولا جنّة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم

لأئمّتهم ومعصيتهم لهم فإنما تسقط الأبدان وتخرب إذ هى مساكنهم فتتلاشى الأبدان وهذا معنى الرجعة عندهم («۱»).

ومنها (المنصورية ...): ص: ۲۰۵

أصحاب أبى منصور العجلى الذى لعنه الإمام الصادق (ع) ثلاثاً، وهو الذى ادّعى أن الله (عزوجل) عرج به إليه فأدناه منه وكلّمه ومسح يده على رأسه وقال له بالسريانى: أى بنى، وذكر أنه نبى ورسول وأن الله اتخذه خليلًا.

وكان منصور من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشأه بالبادية وكان امّياً لا يقرأ فادّعى بعد وفاة أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) أنه فوّض إليه أمره وجعله وصيّه من بعده ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۶

ترقّى به الأمر إلى أن قال: كان على بن أبى طالب (ع) نبيّاً ورسولًا وكذا الحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمّد بن على، وأنا نبى ورسول، والنبوة فى ستة من ولدى يكونون بعدى أنبياء آخرهم القائم.

وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول: (من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفى)، وزعم أن جبرئيل (ع) يأتيه بالوحى من عند الله (عزوجل) وأن الله بعث محمّداً بالتنزيل وبعثه هو (يعنى نفسه) بالتأويل.

فطلبه خالد بن عبد الله القسرى فأعياه ثمّ ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبى منصور وقد تنبّأ وادّعى مرتبة أبيه وجبيت إليه الأموال وتابعه على مذهبه ورأيه بشر كثير وقالوا بنبوته فبعث به للمهدى العبّاسى فقتله فى خلافته وصلبه بعد أن أقرَّ بذلك وأخذ منه مالًا عظيماً وطلب أصحابه طلباً شديداً وظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم («۱»).

ومنهم (أصحاب السرى ...): ص: ۲۰۶

قالوا: إنه رسول مثل أبى الخطاب أرسله جعفر. وقال: إنه قوى أمين وهو موسى القوى الأمين وفيه تلك الروح وجعفر هو الإسلام والإسلام هو السلام وهو الله (عزوجل) ونحن بنوا الإسلام كما قالت اليهود: نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ («۲»). («۳»)

ومنها (البيانية ...): ص: ۲۰۶

أصحاب بيان بن سمعان الهندى الذى كان يبيع التبن بالكوفة، ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۷

ادّعى أن محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) أوصى إليه فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فقتله وصلبه مدّة ثمّ أحرقه وأخذ معه خمسة عشر رجلًا من أصحابه فشدّهم فى أطبان القصب وصبَّ عليهم النفط فى مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج يشتد ثمّ التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكرّ راجعاً فألقى نفسه فى النار فاحترق معهم، وكان بيان يقول هو وأصحابه: إن الله تبارك وتعالى يقول يشبه الإنسان وهو يفنى ويهلك جميع جوارحه إلّا وجهه وتأوّلوا فى ذلك قوله الله: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ («۱»).

وزعمت البيانية أن الوصية لعبد الله بن محمّد بن الحنفية بعد غيبة أبيه وأنها وصية استخلاف على الخلق كما استخلف رسول الله على المدينة علياً وغيره عند خروجه منها فى غزواته لا استخلاف بعد الموت وأنه حجة على الخلق وعلى الناس تقديمه وطاعته.

وزعموا أن أبا هاشم (عبد الله بن محمّد) لمّا قال: أنا الوصى على بنى هاشم وسائر الناس، طاعتى فرض واجب أردنا قتله فلمّا رأى إنكارنا ما ادّعاه وإنكار الناس ذلك دعا ربه أن يعطيه آية. وقال: اللهم إن كان صادقاً فلتقع الزهرة فى كفى فسقطت فى كفه، ولقد نظرناها أنها فى حقة توقد وإن مكانها من السماء فارغ ما فيه كوكب ولا دونه وذكرت هذه الفرقة أن أبا شجاع الحارثى قال له حين

دخل عليه الجوسق («۲») وفيه خطاطيف كثيرة وخفافيش: (إن كنت صادقاً فأتِ بآية اجعل الخفافيش كاسياً بايضاً والخطاف أصرط ولوداً) فدعا ربّه فجعلهما كذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۸

وإنه لم يزل من ذلك الخفاش والخطاطيف بقية إلى أن خرج السودان قالوا: (فاستغرب أبو شجاع ضحكاً تعجباً وسروراً فضحك لضحكه أبو هاشم ثمّ بصق فى وجهه فملأ وجهه دراً منظوماً) قالوا: (وشكا إليه الخلوف وضعف الباه فتفل فى لهاته ففاح منه كلطيمة العطار ونفخ فى أحليله فكان يجامع فى الليل مائة امرأة) («۱»). وقالوا: (إن أبا هاشم عبد الله بن محمّد نبى بياناً عن الله (عزوجل) فبيان نبى، وتأوّلوا فى ذلك قول الله (عزوجل): هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ («۲») وادّعى (بيان) بعد وفاة أبى هاشم النبوة وكتب إلى أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ويقول له: (أسلم تسلم وترتق فى سلم وتنج وتغنم فإنك لا تدرى أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلّا البلاغ وقد أعذر من أنذر) فأمر أبو جعفر (الباقر) (ع) رسول بيان فأكل قرطاسه الذى جاء به وقتل (بيان) على ذلك وصلب («۳»).

ومنها (أصحاب حمزة بن عمارة الزبيدى البربرى ...): ص: ۲۰۸

الذى كان فى بدء أمره من الكيسانية (أى الذين قالوا بإمامة محمّد بن الحنفية) ففارقهم وكان من أهل المدينة وادّعى أنه نبى وأن محمّد بن الحنفية هو الله وأن حمزة هو الإمام والنبى وأنه ينزل عليه سبع أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها فتبعه على ذلك أناس من أهل المدينة وأهل الكوفة ولعنه أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) وبرئ منه وكذّبه وبرأت منه الشيعة وتبعه على رأيه رجلان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۹

من نهد من أهل الكوفة يقال لأحدهما: (صائد)، والآخر: بيان بن سمعان (الذى تقدّم ذكره).

وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته وأحلَّ جميع المحارم وقال: (من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه)، فأصحاب أبى (ابن) كرب وأصحاب حمزة وأصحاب صايد وبيان ينتظرون رجوعهم ورجوع الماضين من أسلافهم ويزعمون أن محمّد بن الحنفية يظهر نفسه بعد الاستتار عن خلقه فينزل إلى الدنيا ويكون فيها بين المؤمنين، فهذا معنى الآخرة عندهم («۱»).

ومنها (المغيرية ...): ص: ۲۰۹

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى مولى بجيلة الذى خرج بظاهر الكوفة فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى فظفر به وأحرقه وأحرق أصحابه سنة (۱۱۹ ه-) وكان يكذب على الإمام أبى جعفر الباقر (ع) وقد لعنه الإمام الصادق (ع) وهم من الفِرق التى انشعبت من الزيدية وقالوا بإمامة محمّد بن عبد الله بن الحسن وتولّوه وأثبتوا إمامته، فلمّا قتل صاروا لا إمام لهم ولا وصى ولا يثبتون لأحد إمامة بعده وكان المغيرة قال بهذا القول لمّا توفى الإمام الباقر (ع) وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة أصحاب الإمام الصادق (ع) ورفضوه فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذى سمّاهم بهذا الاسم، ونصب بعض أصحاب المغيرة المغيرةَ إماماً، ثمّ تراقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم أنه رسول، وأن جبرئيل يأتيه بالوحى من عند الله، وكان يدّعى أنه يحيى الموتى، وقال بالتناسخ («۲»).

ومنها (أصحاب بزيع بن موسى الحائك ...): ص: ۲۰۹

الذى لعنه الإمام الصادق (ع) قالوا: إن بزيعاً رسول مثل أبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۰

الخطاب أرسله جعفر بن محمّد وشهد بزيع لأبى الخطاب بالرسالة وبرئ أبو الخطاب وأصحابه من بزيع («۱»).

ومنها (البشيرية ...): ص: ۲۱۰

أصحاب محمّد بن بشير مولى بن أسد من أهل الكوفة وهم فرقة انشقّت من الواقفة وهى التى وقفت على الإمام الكاظم (ع) بعد وفاته وقالت أنه لم يمت وأنه المهدى الموعود، وأنه قد غاب وقالوا: إن موسى بن جعفر (ع) لم يمت ولم يحبس وأنه حى غائب وأنه القائم المهدى، وأنه فى وقت غيبته استخلف على الأمر محمّد بن بشير وجعله وصياً وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته وفوّض إليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمّد بن بشير الإمام بعده.

وأن محمّد بن بشير لمّا توفى أوصى إلى ابنه سميع بن محمّد بن بشير فهو الإمام، ومن أوصى إليه (سميع) فهو الإمام المفترض الطاعة على الأمّة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه فى أموالهم وغير ذلك مما يتقرّبون به إلى الله (عزوجل) فالفرض عليهم أداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم.

وكَفَّرُوا القائلين بإمامة الإمام الرضا (ع) واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان واعتلوا فى ذلك بقول الله (عزوجل): أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً («۲») وقالوا بالتناسخ («۳») وكان محمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۱

بشير صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك وكان سبب قتله أنه يستعمل الشعبذة والمخاريق للدلالة على أنه نبى وكان يقول فى موسى بالربوبية.

وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنه صورة أبى الحسن الكاظم (ع) فى ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتّى صارت شبيهاً بصورة إنسان وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها.

وكان يقول لأصحابه: إن أبا الحسن (ع) عندى فإن أحببتم أن تروه وتعلموا أنّى نبى فهلمّوا أعرضه عليكم، فكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه. فيقول لهم: هل ترون فى البيت مقيماً أو ترون فيه غيرى وغيركم؟ فيقولون: لا، وليس فى البيت أحد، فيقول: أخرجوا، فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر ويسبل بينه وبينهم.

ثمّ يقدّم تلك الصورة ثمّ يرفع الستر بينه وبينهم فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئاً ويقف هو منه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذ أنه يكلّمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره.

ثمّ يغمزهم أن يتنحّوا فيتنحّون ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً.

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها، فكانت هذه حاله مدّة حتّى رفع خبره إلى بعض الخلفاء العبّاسيين أنه زنديق فأخذه وأراد ضرب عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين استبقنى فإنى أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها فأطلقه. فكان أوّل ما اتخذ له الدوالى فإنه عمد إلى الدوالى فسوّاها وعلّقها وجعل الزيبق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۲

تلك الألواح فكانت تعمل من غير أمره وظهر عليه التعطيل والإباحات، وقد كان الصادق والكاظم (ع) يدعوان الله عليه ويسألانه أن يذيقه حر الحديد، فأذاقه الله حر الحديد بعد أن عذّب أنواع العذاب («۱»).

ومنها (أصحاب معمر بن خيثم ...): ص: ۲۱۲

الذى لعنه الإمام الصادق (ع)، قالوا: إن جعفر بن محمّد هو الله (عزوجل) وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما هو نور يدخل فى

أبدان الأوصياء فيحلّ فيها، فكان ذلك النور فى جعفر ثمّ خرج منه فدخل فى (أبى الخطاب) فصار (جعفر) من الملائكة ثمّ خرج من (أبى الخطاب) فدخل فى (معمر) وصار أبو الخطاب من الملائكة.

فمعمر هو الله (عزوجل) فخرج (بان اللبان) يدعو إلى معمر وقال إنه الله (عزوجل) وصلّى له وصام وأحلَّ الشهوات كلّها ما حلَّ منها وما حرم وليس عنده شىء محرَّم، وقال: (لم يخلق الله هذا إلّا لخلقه فكيف يكون محرّماً؟)، وأحلَّ الزنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح الامّهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال ووضع عن أصحابه غسل الجنابة، وقال: (كيف أغتسل من نطفة خلقت منها؟).

وزعم أن كل شىء أحلَّه الله فى القرآن وحرَّمه فإنما هو أسماء الرجال («۲»).

وروى الكشى فى رجاله بإسناده عن الصادق (ع) قال: عندما سئل عن قول الله (عزوجل): هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («۳»)، قال: «هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبيان، وصائد الهندى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۳

والحارث الشامى، وعبد الله بن الحارث، وحمزة بن عمارة البربرى، وأبو الخطاب» («۱»).

وروى عن عنبسة بن مصعب قال: قال لى الصادق (ع): «أىّ شىء سمعت من أبى الخطاب؟»، قال: سمعته يقول إنك وضعت يدك على صدرك وقلت له: عه ولا تنس!، وأنك قلت له: هو عيبة (مخزن) علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا. قال: «لا والله ما مسَّ شىء من جسدى جسده إلّا يده، وأما قوله: إنّى قلت له هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا، فلا آجرنى الله فى أمواتى ولا بارك فى أحيائى إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط».

وروى عن على بن عقبة عن أبيه قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) قال: فسلَّمت وجلست. فقال لى: «كان فى مجلسك هذا أبو الخطاب ومعه سبعون رجلًا كلّهم إليه ينالهم منهم شىء رحمتهم، فقلت لهم: ألا أخبركم بفضائل المسلم؟ فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جُعلت فداك. قلت: من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزوجل)، وفلان ذو حظٍ من ورع، وفلان يجتهد فى عبادته لربه، فهذه فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات؟ إنما المسلمون رأس واحد، إيّاكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة.

فإنّى سمعت أبى يقول: إن شيطاناً يقال له: المذهب يأتى فى كل صورة إلّا أنه لا يأتى فى صورة نبى ولا وصى ولا وصى نبى ولا أحسبه إلّا وقد تراءى لصاحبكم فاحذروه، فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنه لا يهلك على الله إلّا هالك».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۴

وروى عن عبد الله بن بكير الرجانى قال: ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند أبى عبد الله (ع) قال: فرققت عند ذلك فبكيت، فقال: «أتأسى عليهم؟»، فقلت: لا، وقد سمعتك تذكر أن علياً قتل أصحاب النهر فأصبح أصحاب على (ع) يبكون عليهم فقال على (ع) لهم: «أتأسون عليهم؟»، قالوا: لا، إلّا أنا ذكرنا الألفة التى كنّا عليها والبلية التى أوقعتهم فلذلك رققنا عليهم، قال: «لا بأس».

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «إن أبا الخطاب أفسد أهل الكوفة فصاروا لا يصلّون المغرب حتّى يغيب الشفق ولم يكن ذلك إنما ذاك للمسافر وصاحب العلّة».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «أما أبو الخطاب فكذب على وقال إنى أمرته أن لا يصلى هو وأصحابه المغرب حتّى يروا كوكب كذا يقال له: القندانى والله إن ذلك الكوكب ما أعرفه» («۱»).

وروى عن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «اتق السفلة واحذر السفلة فإنى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منّى».

وروى عيسى عنه (ع): «إيّاك ومخالطة السفلة فإن السفلة لا تؤل إلى خير».

وروى عمران بن على قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه ولعن من بقى منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم».

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سئل عن أبى الخطاب: «إن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۵

الله خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمّه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه، وإن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلمّا كذب على أبى سلبه الله الإيمان».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال للمفضل بن مزيد عندما ذكر أصحاب أبى الخطاب والغلاة قال له: «يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثروهم».

وقال عند ذكره الغلاة («۱»): أن فيهم من يكذب حتّى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه.

وقال للغالية: «توبوا إلى الله فإنكم فسّاق كفّار مشركون».

وعن أبى بصير قال: قال لى الصادق (ع): «يا أبا محمّد (كنية أبى بصير) إبرأ ممن يزعم أنّا أرباب». قلت: برئ الله منه، قال: «ابرأ ممن يزعم أننا أنبياء»، قلت: برئ الله منه.

وقال (ع): «إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس الذين أشركوا» والمعنى أن بعض من يدّعى التشيع لهو شر من أولئك، وذلك بسبب الانحراف والضلال الذى يبتدعه من تلقاء نفسه، ويقال: انتحل الشيء وتنحّله ادّعاه لنفسه وهو لغيره. ويقال: فلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۶

وروى عن عنبسة قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع): «لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودّتنا».

وروى الكشى أيضاً عن المفضل بن عرم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «لو قام قائمنا بدأ بكذّابى الشيعة فقتلهم».

وقال الكاظم (ع): قال أبو عبد الله الصادق (ع): «ما أنزل الله سبحانه آية فى المنافقين إلّا وهى فيمن ينتحل التشيع».

وروى عن الصادق (ع) قال: «جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال: السلام عليك يا ربى! فقال: ما لك لعنك الله، ربى وربك الله، أما والله لكنت ما علمت لجباناً فى الحرب لئيماً فى السلم».

وروى عن مصادف قال: لمّا أتى القوم الذين أتوا بالكوفة (أى الخطابية والغلاة) دخلت على أبى عبد الله (ع) فأخبرته بذلك: فخرَّ ساجداً وألزق جؤجؤه (الصدر أو مجتمع رؤوس عظام الصدر) بالأرض، وبكى، وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: «بل عبداً لله قن داخر» مراراً كثيرة ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إيّاه، فقلت: جُعلت فداك وما عليك أنت من ذا (أى ما يقول الغلاة)؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى (ع) لو سكت عمّا قالت النصارى فيه لكان حقّاً على الله أن يصمَّ سمعه ويعمى بصره، ولو سكتُّ عمّا قال فىَّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصمَّ سمعى ويعمى بصرى».

ولذا قال (ع) عندما ذكر أبا الخطاب: «اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوّفنى قائماً وقاعداً وعلى فراشى اللهم أذقه حرَّ الحديد».

وقال (ع): «تراءى والله إبليس لأبى الخطاب على سور المدينة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۷

أو المسجد فكأنى أنظر إليه وهو يقول له: إيهاً إيهاً تظفر الآن إيهاً تظفر الآن («۱»)».

وروى عن حفص بن عمرو النخعى قال: كنت جالساً عند أبى عبد الله (ع) فقال رجل: جُعلت فداك إن أبا منصور حدّثنى أنه رفع إلى ربه وتمسح على رأسه وقال له بالفارسية: يا پسر (يا بنى). فقال له أبو عبد الله الصادق (ع): «حدّثنى أبى، عن جدّى أن رسول الله (ص) قال: إن إبليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض واتخذ زبانية كعدد الملائكة، فإذا دعا رجلًا فأجابه ووطئ عقبه وتخطت إليه الأقدام (كناية عن الرئاسة للرجال)، تراءى له إبليس ورفع إليه، وأن أبا منصور كان رسول إبليس، لعن الله أبا منصور ولعن الله أبا منصور ثلاثاً».

وروى عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: «إن بناناً والسرى وبزيعاً (لعنهم الله) تراءى لهم الشيطان فى أحسن ما يكون صورة آدمى من قرنه إلى سرته». قال: فقلت: إن بناناً يتأوّل هذه الآية: وَهُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلهٌ («۲»)، إن الذى فى الأرض غير إله السماء وإله السماء غير إله الأرض، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظّمونه. فقال: «والله ما هو إلّا الله، ما هو إلّا الله وحده لا شريك له، إله من فى السماوات وإله من فى الأرضين».

قال: [هو الإمام، فقال أبو عبد الله (ع): «لا والله لا يأوينى سقف بيت أبداً هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا والله ما صغر عظمة الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۸

تصغيرهم شيء قط أن عزيراً جال فى صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أن عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فىَّ أهل الكوفة لأخذتنى الأرض وما أنا إلّا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضر ولا نفع] («۱») كذب بنان عليه لعنة الله، لقد صغَّر الله جلَّ وعزَّ وصغَّر عظمته».

وروى الكشى عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله (ع): «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس.

كان رسول الله (ص) أصدق البرية وكان مسيلمة يكذب عليه.

وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله (ص) وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ (لعنه الله).

وكان أبو عبد الله الحسين بن على (ع) قد ابتلى بالمختار». ثمّ ذكر أبو عبد الله الحارث الشامى وبنان فقال: «كانا يكذبان على على بن الحسين (ع)»، ثمّ ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسرى وأبا الخطاب ومعمراً وبشراً الأشعرى وحمزة الزبيدى وصائد الهندى فقال: «لعنهم الله، إنّا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا أو عاجز الرأى، كفانا الله مؤنة كل كذّاب وأذاقهم الله حرَّ الحديد».

وعن زرارة عن الباقر (ع) قال: سمعته يقول: «لعن الله بنان البيان، وأن بناناً (لعنه الله) كان يكذب على أبى أشهد أن أبى على بن الحسين كان عبداً صالحاً».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۹

وعن الصادق (ع) قال: «لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على أبى فأذاقه الله حرَّ الحديد، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله فى أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذى خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا».

وعن أبى يحيى الواسطى قال: قال أبو الحسن الرضا (ع): «كان بنان يكذب على على بن الحسين (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبى جعفر (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، وكان محمّد بن بشير يكذب على أبى الحسن موسى (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبى عبد الله (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، والذى يكذب علىَّ محمّد بن فرات».

وقال أبو يحيى: وكان محمّد بن فرات من الكتّاب (أى الذين يعملون فى ديوان العبّاسيين) فقتله إبراهيم بن شكله».

وروى عن ابن أبى يعفور قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) فقال: «ما فعل بزيع؟»، فقلت له: قتل. فقال: «الحمد لله، أما أنه ليس لهؤلاء المغيرية شيء خيراً من القتل، لأنهم لا يتوبون أبداً».

وعن سدير الصيرفى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّى بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ («۱»)، قال: «يا سدير سمعى وبصرى وشعرى ولحمى ودمى من هؤلاء براء برء الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على دينى ودين آبائى والله لا يجمعنى وإيّاهم يوم القيامة إلّا وهو عليهم ساخط». قال: قلت: فما أنتم جُعلت فداك؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۰

قال: «خُزّان علم الله، وتراجمة وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض».

وعن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إيّاك والسفلة إنما شيعة جعفر من عفَّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه».

وعن ابن المغيرة قال: كنت عند أبى الحسن الكاظم (ع) أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن فقال يحيى: جُعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال: «سبحان الله سبحان الله، ضع يدك على رأسى، فوالله ما بقيت فى جسدى شعرة ولا فى رأسى إلّا قامت»، قال: ثمّ قال: «لا والله ما هى إلّا وراثة عن رسول الله (ص)».

وعن الصادق (ع) سئل عن الناسخ؟ قال: «فمن نسخ الأوّل؟».

أقول: شرح الحديث المحقق الفيلسوف الميرداماد (رض) قال:

(قوله (ع): «فمن نسخ الأوّل؟» أشار إلى برهان إبطال التناسخ على القوانين الحكمية والأصول البرهانية، تقريره: أن القول بالتناسخ إنما يستتب لو قيل بأزلية النفس المدبرة للأجساد المختلفة المتعاقب على التناقل والتناسخ وبلا تناهى تلك الأجساد المتناسخة بالعدد فى جهة الأزل، كما هو المشهور من مذهب الذاهبين إليه.

والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العددية بالفعل مع تحقيق الترتب والاجتماع فى الوجود (أى البراهين القائمة على إبطال التسلسل وامتداد الأشياء المعدودة التى بينها رابطة العلّية والمعلولية) قائمة هناك بالقسط (أى قائمة بعينها) بحسب متن الواقع المعبر عنه بوعاء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۱

الزمان، أعنى الدهر وإن لم يتصحح إلّا الحصول التعاقبى بحسب ظرف السيلان والتدريج والفوت واللحوق أعنى الزمان.

فإذن لا محيص لسلسلة الأجساد المترتبة من مبدأ متعيّن هو الجسد الأوّل فى جهة الأزل يستحق باستعداده المزاجى أن يتعلق به نفس مجردة تعلق التدبير والتصرف فيكون ذلك مناط حدوث فيضانها عن جود المفيض الفياض الحق جل سلطانه، وإذا انكشف ذلك فقد انصرح أن كل جسد هيولانى بخصوصية مزاجه الجسمانى واستحقاقه الاستعدادى يكون مستحقاً لجوهر مجرد بخصوصه يدبّره ويتعلّق به ويتصرّف فيه ويتسلطن عليه فليتثبت).

أقول: حاصل كلامه أن بعد قيام الأدلّة البرهانية على إبطال امتداد الأمور المتسلسلة التى بينها علّية وسببية ومعلومية ومسببية فلا محالة هناك بداية وجسد أوّل كانت له قابلية وخصوصية يتأهّل بها لإفاضة الروح والنفس وخلقها متعلقة به من الله جلَّ وعلا، وإذا كان هذا حال الجسد الأوّل فهذه القابلية هى بعينها موجودة فى الأجساد كلّها فتكون كلٌّ منها متأهّلة لإفاضة وخلق نفس بعدد تلك الأجساد.

وبذلك («۱») تبطل نظرية التناسخ القائلة بأن أرواح الأموات تحلُّ فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۲

الأجساد الحيّة الموجودة من الأطفال أو الكبار أو الحيوانات على تفاصيل كثيرة للقائلين بهذه النظرية الباطلة، فقوله (ع) نقض لتلك النظرية وبرهان أيضاً على إبطالها.

وعن الصادق (ع) أنه قيل له: روى عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله (عزوجل) ليخاطب خلقه بما لا يعلمون» («۱»)، والمعنى أن رواية ذلك عن الأئمّة (عليهم السلام) إنما هى من وضع الكذّابين عليهم.

ومن الغلاة فى وقت أبى محمّد العسكرى (ع) على بن مسعود حسكة الحوار وتلميذه القاسم بن يقطين الشعرانى القميان، وقد روى الكشى عن سهل بن زياد الآدمى، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبى العسكرى (ع):

جُعلت فداك يا سيدى إن على بن حسكة يدّعى أنه من أوليائك وأنك أنت الأوّل القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى

ذلك ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان فى مثل حال ابن حسكة فيما يدّعى من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كلّه ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً فإن رأيت أن تمنَّ على مواليك بجواب فى ذلك تنجيهم من الهلكة.

قال: فكتب (ع): «كذب ابن حسكة (عليه لعنة الله) وبحسبك أنّى لا أعرفه فى موالى، ما له (لعنه الله) فوالله ما بعث محمّداً والأنبياء قبله إلّا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۳

بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمّد (ص) إلّا إلى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله (عزوجل) علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وانتفى إلى الله من هذا القول، فاهجروهم (لعنهم الله) والجؤوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر» («۱»).

ومن هذا القبيل الفهرى والحسن بن محمّد بن بابا («۲») وفارس بن حاتم القزوينى وقد لعنهما الهادى (ع).

فروى الكشى عن سعد بن عبد الله قال: حدّثنى العبيدى (محمّد بن عيسى) قال: كتب إلىَّ العسكرى ابتداءً منه: «أبرأ إلى الله من الفهرى والحسن بن محمّد بن بابا القمى، فابرأ منهما فإنى محذّرك وجميع مواليَّ وأنّى ألعنهما (عليهما لعنة الله)، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتّانين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما فى الفتنة ركساً. يزعم ابن بابا أنّى بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمّد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل فإنه قد آذانى آذاه الله فى الدنيا والآخرة».

وروى عن محمّد بن عيسى قال: قرأنا فى كتاب الدهقان وخط الرجل فى (القزوينى) وكان كتب إليه الدهقان يخبره باضطراب الناس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۴

فى هذا الأمر وأن الموادعين قد أمسكوا عن بعض ما كانوا فيه لهذه العلّة من الاختلاف فكتب (ع): «كذّبوه وهتّكوه أبعده الله وأخزاه فهو كاذب فى جميع ما يدّعى ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام فى ذلك وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر كفى الله مؤنته ومؤنة من كان مثله».

وروى عن أبى محمّد الرازى أنه ورد منه (ع) كتاب فيه: «وأن تجتنبوا القزوينى أن تدخلوه فى شىء من أموركم فإنه قد بلغنى ما يموّه به عند الناس فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله».

ومن هذا القبيل أبو السمهرى وابن أبى الزرقاء فقد روى الكشى عن إسحاق الأنبارى قال: قال لى أبو جعفر الثانى (ع): «ما فعل أبو السمهرى (لعنه الله) يكذب علينا، ويزعم أنه وابن أبى الزرقاء دعاة إلينا، أشهدكم إنى أتبرأ إلى الله (عزوجل) منهما إنهما فتّانان ملعونان» ... الحديث.

وأما المغيرة بن سعيد العجلى الذى كان يكذب على الباقر (ع) وقد تقدّم شطر من حاله فقد روى الكشى فى ترجمته عن الصادق (ع) أنه قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهودية كان يختلف إليها (أى يتردد بالمجىء والذهاب إليها) يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق.

إن المغيرة كذب على أبى (ع) فسلبه الله الإيمان وأن قوماً كذبوا على ما لهم أذاقهم الله حرَّ الحديد، فوالله ما نحن إلّا عبيد الذى خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله برائة، وإنا لميّتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۵

ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (ص) فى قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمّد

بن على (صلوات الله عليهم) وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله، أبيت على فراشى خائفاً وجلًا مرعوباً، يأمنون وأفزع وينامون على فراشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبرارى أبرأ إلى الله مما قال فىَّ الأجدع البراد عبد بنى أسد أبو الخطاب (لعنه الله).

والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألّا يقبلوه فكيف وهم يرونى خائفاً وجلًا، أستعدى الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم. أشهدكم أنّى امرؤ ولدنى رسول الله (ص) وما معى براءة من الله، وإن أطعته رحمنى وإن عصيته عذّبنى عذاباً شديداً أو أشدّ عذابه».

وروى عن سليمان الكنانى قال: قال لى أبو جعفر (ع): «هل تدرى ما مثل المغيرة؟»، قال: قلت: لا، قال: «مثله مثل بلعم». قلت: ومن بعلم؟ قال: «الذى قال الله (عزوجل): الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («۱»)».

وروى الكشى عن محمّد بن قولويه القمى (الشيخ الجليل ووالد أستاذ المفيد)، قال: حدّثنى سعد بن عبد الله (أحد أعلام وشيوخ الطائفة مرَّ ذكره)، قال: حدّثنى محمّد بن عيسى (العبيدى اليقطينى الثقة الجليل)، عن يونس (بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا وثقاته)، قال: سمعت رجلًا من الطيارة (الغلاة) يحدّث أبا الحسن الرضا (ع) عن يونس بن ظبيان أنه قال: كنت فى بعض الليالى وأنا فى الطواف فإذا نداء من فوق رأسى: يا يونس إنّى أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى، فرفعت رأسى فإذا ج (كناية عن جبرئيل (ع)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۲۲۶

فغضب أبو الحسن الرضا (ع) غضباً لم يملك نفسه ثمّ قال للرجل: «اخرج عنّى لعنك الله ولعن من حدّثك ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة، كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلّا شيطان أما أن يونس مع أبى الخطاب فى أشدّ العذاب مقرونان، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعون وآل فرعون فى أشدّ العذاب، سمعت ذلك من أبى (ع)».

قال يونس (بن عبد الرحمن): فقام الرجل من عنده، فما بلغ الباب إلّا عشر خطاً حتّى صرع مغشياً عليه وقد قاء رجيعه وحمل ميّتاً. فقال أبو الحسن (ع): «أتاه ملك بيده عمود فضرب على هامته ضربة قلب فيها مثانته حتّى قاء رجيعه وعجّل الله بروحه إلى الهاوية وألحقه بصاحبه الذى حدّثه بيونس بن ظبيان ورأى الشيطان الذى كان يتراءى له».

وفى ختام هذا الفصل نذكر ما رواه الكلينى فى باب البدع والمقاييس («۱») بإسناده عن الصادق (ع) أنه قال: «إن من أبغض الخلق إلى الله (عزوجل) لرجلين:

رجل وكّله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به فى حياته وبعد موته حمّال خطايا غيره رهن بخطيئه.

ورجل قمش جهلًا فى جهال الناس، عان بأغباش الفتنة قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر ما قلَّ منه خير مما كثر حتّى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۲۲۷

جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتى بعده كفعله بمن كان قبله وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّأ لها حشواً من رأيه ثمّ قطع به فهو من لبس الشبهات فى مثل غزل العنكبوت لا يدرى أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم فى شىء مما أنكره ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشىء لم يكذب نظره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له: لا يعلم.

ثمّ جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خبّاط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعض فى العلم بضرس قاطع فيغنم، يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحق».

ولنعم ما قال بعض الأجلّة: (أن تلك الفرق كانت تتراوح بين شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء وانقرضت بموتهم ومطامع وشهوات، صبّت إليها آحاد استهوتهم النهمة والشرة لاختلاس مال أو حيازة جاه وهؤلاء بين من ثوّب إلى الحق بعد الحصول على غايته أو يأسه منها أو توقفه للتوبة، ومن قطع معرته حمامه.

واناس ديف إليهم السم فى العسل من قبل السياسات الوقتية روماً لتشتيت كلمة الإمامية ومحق روعتهم، فاستخفهم الجهل بالغايات مع ما جبل به الإنسان من حب الفخفخة، فقاموا بدعايات باطلة واستحوذوا على نفوس خائرة القوى، لكن سرعان ما قلب عليهم الدهر ظهر المجن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۲۸

لما تمكنت الساسة من الحصول على ضالتهم المنشودة، ولم يبقَ لهم فى القوم فاخذوا وقتلوا تقتيلًا وكانت هناك مجزرة بدعهم وأهوائهم.

إلى غير هذه من غايات وأغراض وقتية أسفت بالنفوس الضئيلة إلى هوّة المذلّة واللعنة ولم يعد فى الأكثر أن يكون المعتنقون لها أفراداً من ساقة الناس أو عشرات الذنابى أو لمة ممن لم يقم المجتمع الدينى والبشرى له وزناً وعم الجميع أن طوتهم مع عيثهم الأيام وطحنهم بكلكلة الجديدان فعادوا كحديث أمس الدابر).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۱

الفصل الرابع فى تاريخ البابية فى إيران ... ص: ۲۳۱

فقد ادّعى السيد على محمّد بن السيد رضا الشيرازى المتولد سنة (۱۲۳۵ ه-)، فى مدينة شيراز البابية والوساطة بين الإمام الحجة الغائب (ع) والناس، ثمّ ترفّع وادّعى أنه المهدى المنتظر، ثمّ ادّعى النبوة، ثمّ الألوهية. وهى سُنّة من تقدّمه فى دعوى البابية حيث ترفّع بهم الأمر إلى الألوهية.

وكان قد توفى عنه والده وهو فى السنة الأولى من عمره فاهتمَّ به خاله الذى كان يدير تجارة متوسطة الحال وأرسله إلى المكتب وهو الموضع الذى يتعلّم فيه القراءة والكتابة فى تلك السنين وهو بمثابة المدرسة فى اليوم الحاضر وكان الذى يشرف عليه الشيخ عابد وكان من الجماعة الشيخية التى تهتمُّ بكثرة بالعلوم الغريبة («۱») والرياضات النفسية المتنوعة ومسائل علم العرفان، ولم يكن الباب الشيرازى يميل إلى التعلّم، ولكن تحت وطأة خاله واصل الحضور لدى ذلك الشيخ.

وبعد عدّة سنين اصطحبه خاله إلى مدينة بوشهر وأوكل إليه بعض الأعمال التجارية.

وكان مع ذلك يزاول الرياضات النفسية الشاقّة، حيث كان يصعد يومياً إلى سطح المنزل الذى قطنه فى بوشهر المعروفة بشدّة الحرارة فى الصيف لكونها من المناطق الحارة وقد تصل درجة حرارتها إلى ما يقرب من خمسين درجة فوق الصفر فى شهر تموز عدّة ساعات من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۲

الظهيرة يزاول الصلاة والأذكار («۱»)، بل قيل: كان ذلك طوال النهار واقفاً مكشوف الرأس.

وقد سبب ذلك إلى نوع من الاختلال وفقد التوازن العصبى لديه مما حدا بخاله إلى التفكير بجد فى معالجة هذه الحالة فلاح له إرسال ابن أخته فى سفر إلى العراق لعلَّ تغيير الهواء يورثه سلامة المزاج وبإصرار شديد استجاب الباب الشيرازى لذلك وسافر إلى كربلاء وهناك حضر بتداوم درس السيد كاظم الرشتى الذى كان زعيم جماعة الشيخية حينذاك.

ولم يقطع الباب رياضاته الشاقة مدّة إقامته هناك ويحكى الميرزا التنكابنى فى كتاب (القصص) («۲») أنه كان يحلق لحيته آنذاك

وربما نتفها بالمقراض (الملقط).

ومكث على ذلك ما يقرب من أربع سنين ثمّ رجع إلى شيراز وكان يعتقد أن أستاذه باب الله المقدّم كما يعبّر بذلك الباب فى كتبه.

وما أن توفى أستاذه أخذ تلاميذه فى البحث عن من يقوم مقامه ومن يكون الركن الرابع وهذا العنوان يعنى لديهم الأصل الرابع فى أصول الدين التى جعلوا أوّلها التوحيد وثانيها النبوة وثالثها الإمامة ورابعها النائب الخاص الذى يجب توليه والتبرؤ من أعدائه، وكان التنافس يدور بين عدّة منهم مثل ميرزا حسن جوهر وميرزا محيط كرمانى وحاج محمّد كريم دخان وملا محمّد مامقانى.

ولكن السيد الباب أخذ فى التطلّع إلى ذلك المقام وبدأ فى دعوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۳

تلاميذ أستاذه إلى نفسه وسارع إلى الإعلان بأنه باب الحجة الغائب. وعلى أثر ذلك نشب بينه وبين تلك العدّة المذكورة سابقاً صراع احتدَّ شيئاً فشيئاً، وحاولت تلك العدّة ابتداءً أن تثنى الباب عن ادّعائه ولكنّه قابلهم بل حاول أن يجذبهم إلى بابيته إلى أن آل الأمر إلى تبريتهم منه.

وواصل الباب الشيرازى فى دعوة البسطاء والسذّج من الناس إلى بابيته وكان يظهر إليهم جانباً كبيراً من الزهد والتقشف والرياضات النفسية مما يجذب قلوب الكثير من تلك النماذج نحوه. وكان إذا اطمئن بانجذاب شخص إليه يقول له: «فادخلوا البيوت من أبوابها»، وغالباً ما يقرأ الحديث المشهور: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» («۱»)، ويكنّى بذلك مع إضافة شىء من التلويح إلى أن لكل شىء باب وواسطة وأنه هو الواسطة الكبرى وهو الباب.

كما وبدء فى تفسير سورة يوسف بمنهج تأويلى من الخيالات والأوهام المركّبة اصطلح عليها بالتأويل الباطن للسورة والتى لا تنضبط مع أىّ ميزان من قواعد اللغة العربية أو القواعد العقلية المنطقية ولا تتفق بوجه مع مسلّمات الدين الحنيف.

ثمّ إنه نجح فى اكتساب ثمانية عشرة من تلامذة أستاذه وجعلهم دعاة ومبلغين لبابيته وكانت منهم امرأة تدعى زرين تاج وسمّوها (قرّة العين) وكان لها النصيب الأوفر فى نشر البابية فى إيران بسبب جمالها وبيانها الرائق وإنشادها للشعر المطرب وبتوسطها انتهجت الفرقة البابية فى إيران إباحة المحرّمات من الزنا والخمر والربا.

ثمّ إنه ترفّع فى ادّعائه من الباب إلى أنه المهدى الموعود وأخذ أصحابه فى نشر ذلك وحبك مسرحية الظهور وعلاماته.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۴

فبدأوا بإشاعة أن الباب الشيرازى قد سافر إلى مكّة وأنه من هناك يعلن عن ظهوره وسافر أحدهم إلى خراسان وهو ملا بشرويه الذى كان أحد الدهاة فى هذه الفرقة («۱») ومن ورائه السكرتير فى السفارة الروسية فى طهران (كينيازدالكوركى) («۲») الذى تظاهر بالإسلام وتزوّج من امرأة مسلمة ولبس زىّ رجال الدين والذى كان يتابع بدقّة حالات الميرزا على محمّد الشيرازى (الباب) ويخطط لبرامجه حيث كانت الدولة الروسية تتطلع آنذاك إلى حدوث الفتن والضوضاء فى إيران كى ما يسهل عليها احتلال المناطق التى هى مطمع لها إذ لم تتوفق فى أخذ كل تلك المناطق من خلال الحرب التى خاضتها مع الدولة القاجارية فى إيران حين ذاك، ولذا كانت السفارة الروسية وبعض السفارات الأجنبية الأخرى كالسفارة البريطانية فى تمام الأشواط مساندة لتلك الفرقة البابية ومحامية عن زعمائها الذين توالوا زعامة البابية كما سيأتى ذكر ذلك.

وسبب سفر ملّا بشرويه إلى خراسان هو تطبيق أحد علامات الظهور وهى خروج الخراسانى ويكون (بشرويه) حينئذٍ هو الخراسانى.

وكان بدء دعوتهم فى مدينة شيراز ثمّ إلى أصفهان وثمّ باقى المدن الإيرانية وممن دعوه إلى فرقتهم فى شيراز الشيخ أبو تراب (رض) الذى كان صدر فقهاء شيراز فى ذلك الوقت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۵

وما أن سمع بذلك منهم ثارت ثائرته واشتعل هيجانه لما عرف من مدى البلية والطامة التى حلَّت عن قرب، فدعا الشيخ أبو تراب

علماء وفقهاء المدينة إلى الاجتماع، ليطلعهم بالفتنة التى كشفت عن رأسها.

وتمَّ الاجتماع وحصل الاتفاق على رفع التوصية إلى والى المنطقة حسين خان نظام الدولة التبريزى الذى كان ماضى العزم ذى حنكة وتدبير، وهو بدوره أيضاً أقام مجلساً جمع فيه العلماء ودعاة الباب فاستنطقهم وأجابوا حينها بكل صراحةٍ وجرأة أنهم يدعون إلى الباب، وأبرزوا للملأ الحاضر فى المجلس كتاباً للباب الشيرازى التى زعم أنها وحى سماوى، فحينها ضجَّ المجلس وارتفعت الأصوات وأفتى العلماء على أثر ذلك بكفرهم ووجوب قتلهم، ولم يتباطأ الوالى فى تنفيذ الحكم عليهم. وأرسل شرحاً مفصّلًا للقضية إلى الحكومة فى طهران.

وكان الباب الشيرازى حينها فى بوشهر، فاستدعاه الوالى إلى الحضور فى شيراز برفقة من الحرس. وأمهله عدّة أيام بعد وصوله حتّى يسكن روعه ويهدأ خوفه.

وكان الباب الشيرازى فى مدّة إقامته فى بوشهر قد كتب عدّة من المؤلفات منها كتاب (البيان)، زاعماً أنه المراد من قوله تعالى: الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَيانَ («۱»).

وأن كتابه البيان ناسخ للقرآن والعياذ بالله وأن ما فيه هو الشريعة الناسخة الجديدة، وتعمّد فيه إلى اقتباس النصوص القرآنية مع التغيير بما تشهّاه من الأحكام والبدع والضلالات التى سيأتى ذكرها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۶

والمضحك المبكى أنه مملوء بالأغلاط النحوية والصرفية وغيرها من قواعد علوم الأدب العربى.

وهذا الأسلوب الاقتباسى مارسه بكثرة زعماء الفرقة البابية سواء مع النصوص القرآنية أو مع الأحاديث النبوية والمروية عن الأئمّة (عليهم السلام).

ثمّ إن الوالى أحضر الباب ليلًا لديه، وأظهر له عذره فى قتل أعوانه وأنه كان مخطئاً فى ذلك وكل هذه المسرحية التى قام بها الوالى استدراج لأخذ الإقرار من الباب على دعاويه وأخبره بأن هذا التحوّل المفاجئ بسبب رؤية رآها فى المنام وكأن الباب قد أتاه وأمسك على رجله اليمنى فاستوى جالساً وأخذ الباب يخاطبه بأن نور الإيمان يسطع من جبهتك وبعد ذلك انتبه من النوم.

وما أن سمع الباب ذلك من الوالى الذى تمثّل بنحو من الارتعاد الجسمى والدموع المفتعلة قال: هنيئاً لك يا أمير، إن الذى رأيته لم يكن مناماً بل يقظة، وأنّى أتيتك فى موضع نومك وخاطبتك بذلك، وذلك لمعرفتى بسلامة فطنتك وصفاء شعورك.

وقام الوالى بتقبيل يد الباب والتذلل أمامه، وقال له: (إن كل ما أملك من عدّة وعتاد هو قيد أمرك ورهن إشارتك، وما أنا إلّا ظل يتبعك). فقال له الباب: (هنيئاً لك لاتّباعك الحق، فقد وصلت إلى مقام كريم وموهبة عظيمة، وإنّى أعدك بولاية ممالك الروم فى المستقبل).

وأخذ الوالى فى إظهار السرور والقشعريرة وقال: (يا سيدى إنّى أتبعك لا لمطمع دنيوى من مال أو جاه وعزّة، بل للجهاد بين يديك لألتحق بالشهداء الصالحين).

ثمّ إن الوالى بعدما اطمئن إلى وثوق الباب الشيرازى به قرَّر مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۷

العلماء والفقهاء عقد مجلس يحضر الباب فيه ويتمُّ المسرحية كى يستخرج من الباب بلسانه أمام الملأ دعاويه، ومن جانب آخر قال للباب: (يا سيدى إنّى قد أعددت مجلساً يحضره علماء المدينة وتحضره أنت كى تدعوهم إلى الإيمان بك وبما تدعو إليه، ومن لا يستجيب منهم لذلك أضرب عنقه بالسيف)، فاستطار الباب لذلك فرحاً.

واستعدَّ لذلك المجلس وذهب برفقة أحد أعوانه السيد يحيى بن السيد جعفر الدارابى المعروف بالكشفى الذى كان من كبار الفرقة البابية ووالده كان من أعاظم علماء عصره ذى المؤلفات المهمّة.

فابتدأ الباب بالخطاب فى المجلس الحافل:

(يا علماء، ألم يئن لكم أن تتحرّروا من الهوى وتتّبعوا الهداية وتتركوا الضلالة، فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى، إن نبيكم لم يترك لكم غير القرآن، وهذا كتابى (البيان) فتعالوا واقرأوه واتلوه لتعلموا أنه أفصح من القرآن وأحكامه ناسخة للقرآن، فاستمعوا لى واقبلوا نصيحتى ما دام السيف فى الغماد وقبل أن تقطع الرؤوس، واحفظوا دماءكم وأموالكم وأطفالكم، فأطيعوا أمرى وعوا كلامى فهذه نصيحتى لكم).

هذا والعلماء منصتون لا يحرّكون ساكناً ولا ينطقون ببنت شفّة كما متّفق عليه مسبقاً.

ثمّ قام الوالى أمام الباب والتمس منه أن يكتب دعاويه على ورقة ليعرضها بيّنة وبرهان على أهل المجلس لتتم الحجة. فكتب الباب عدّة أسطر بأسلوب الدعاء ونهج المناجاة كما هى عادته فى كتاباته. فدارت الورقة على أيدى العلماء، ولاحظوا فيها أخطاء شنيعة فى الأسلوب والصياغة الأدبية والأغلاط النحوية والصرفية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۸

وأخذ الباب الشيرازى فى الدفاع عن نفسه وتبرير ذلك بأن ذلك ليس من تقصيرى، وإنما هو من الإلهامات الغيبية والوحى السماوى فالجهالة ليست فىَّ، فوقعت فى المجلس الضوضاء.

وارتفعت الأصوات، فمن قائل يفتى بقتله وكفره وخسرانه، ومن قائل يحكم بجنونه واختلال عقله وأنه يعزر ويؤدّب، وقام الوالى مخاطباً الباب:

(يا جاهل، يا مغرور، ما هذه البدعة التى أحدثتها، كيف تدّعى النبوّة والرسالة أو المهدوية وأنت لا تقدر على التعبير عن مرادك بلفظ عربى مستقيم منتظم، ومع هذا الحال تدّعى أن كلامك أفصح من القرآن وأبلغ؟!، وإنّى افكر أن قتلك واجب فى شريعة الإسلام، ولكن أرى بقرائن حالك أنك مختل العقل وفاسد الدماغ فلا يصحُّ قتلك، ولكنك رجل سفيه أبله، ولهذا يجب تعزيرك وتأديبك لعلَّك ترجع عن الضلالة وتعود إلى الهداية).

ثمّ أمر بإخراجه من المجلس وضربه بالفلقة، فأخذ يستغيث ويتوسل بالناس لينقذوه، ولكن الضرب المبرح تواصل حتّى أظهر التوبة والاستغفار.

ثمّ حُمل على حمار طيف به الأسواق والطرقات تشهيراً به ولكن الباب كان يتوخّى ويحرص على ذلك ويحبُّ الشهرة أيّاً كانت وأرجع مرة أخرى إلى المجلس المحتشد، فأخذ الباب بتقبيل يد الشيخ أبى تراب وكرّر التوبة والاستغفار، ولكن العلماء أصرّوا على صعوده المنبر أمام الناس وإعلانه التوبة والرجوع عن الدعاوى السابقة والضلال الذى كان يدعو إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۳۹

فصعد المنبر قائلًا: (لست أنا وكيل القائم الموعود، ولست أنا الواسطة بين الإمام الغائب وبين الناس).

وثمّ طلب منه إمام الجمعة أن يحضر يوم الجمعة فى مسجد وكيل وأن يعلن ذلك مرة أخرى أمام الناس، وطلب الوالى ضامناً للباب أن لا يعود إلى بِدَعِهِ السابقة، فضمنه خاله السيد على، وفى يوم الجمعة حضر الباب مسجد وكيل وقال: (لعن الله من يرى أنّى وكيل الإمام الغائب، لعن الله من يرى أنّى أنكر وحدانية الله تعالى، لعن الله من يرى أنّى أنكر رسالة رسول الله (ص)، لعن الله من يرى أنّى أنكر إمامة الأئمّة (عليهم السلام)).

ثمّ نزل عن المنبر وذهبوا به إلى السجن، ومكث فيه ستة أشهر فى رفاهية من العيش مع الحدّ من أىّ نشاط أو اتصال.

وفى تلك السنة انتشر وباء وطاعون أتى من الهند وأفغانستان جعل الأوضاع فى شيراز مضطربة، وفرَّ الكثير إلى القرى النائية خوفاً من العدوى، وكذلك لجأ الوالى ومعاونوه إلى أطراف المدينة، فساد البلد الهرج والمرج وحينها أهملت الرقابة على السجن.

فقام والى أصفهان ويدعى منوچهر خان القرجى الأرمنى النصرانى باستغلال الفرصة وأرسل إلى السجن فى شيراز بعض معاونيه مع

عدد من دعاة البابية الذين كانوا على ارتباط وثيق معه فى أصفهان لنشر البابية، وكان يهيّئ لهم مختلف الطرق والوسائل لذلك.

وهذا الوالى النصرانى الأرمنى كان قد وقع أسيراً لدى الدولة الإيرانية آنذاك مع عدد من إخوته فى الحروب التى وقعت لها فى أرمينيا والقفقاز وكان هو من الأمراء هناك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۰

وبعد وقوعه أسيراً حاول مع إخوته التسلل إلى الحكومة والوصول إلى مناصب حساسة فيها كى يتم له الوصول إلى مآربه الحاقدة الدفينة على الإسلام، وأما ارتباطه مع الأيدى الأجنبية فعلى قدم وساق.

وفى هذه الأثناء استفحل نشر البابية فى أصفهان من دعاتها، فثارت الغيرة الدينية لدى الناس والعلماء فى مدينة أصفهان والتى كانت تعجُّ آنذاك بفحول الفقهاء والعلماء فى مختلف الفنون من الحكمة والأصول والهيأة والكلام وغيرها.

فاجتمع العلماء على أثر تصاعد فتنة البابية للبحث عن التصدى لها. وأثناء ذلك حضر الوالى المجلس وخاطب الحضّار بأن الباب قد وجّه أحد العلماء إليه دعوة للحضور إلى أصفهان وإنّى أخاف من اشتداد الفتنة من ذلك (وكان يظهر حاله فى منتهى الغم والحزن والتأثر)، وإنّى أقترح لتفادى ذلك بأن يستعدّ إلى استقباله على باب المدينة عدّة منكم كى يحتووه ويخمدوا بدعته، وهو على أىّ حال من الفقهاء الذين قدموا من المشاهد المشرفة من العراق.

(ويقصد من ذلك أنه من المرسوم عندكم الاستقبال فى مثل هذه الموارد، حيلة منه لإجلال مقدم الباب، مع أنه ليس له هذه الصفة الذى يطلقها عليه الوالى).

وكان يكثر من لا حول ولا قوة إلّا بالله فى كلامه، وقال: (وليقوم الناس بزيارته من مختلف الطبقات كى يعلم جهله وكونه صفر اليدين من الفضل والعلم وهو يقصد بذلك حصول الترويج والدعاية للباب ثمّ اقترح تشكيل ندوة يحضرها المقدمين منكم فضلًا كى يحسموا شبهاته وتنقضوا ضلالته وتثبتوا مروقه من الدين الإسلامى وتفتوا بقتله أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۱

حرقه أو تبعيده، وإنى لن أمهله إلّا بضربة السيف تطهر عنقه). والوالى بهذا التمثيل والصنع حاول إغراء أكثر الحضّار مع شىء من التهديد لمن لا يوافق فيهم بالوقوف بجانب الباب، كما اتّهم فى بادئ كلامه أحد العلماء بأنه الذى وجّه الدعوة للحضور إلى أصفهان، ويكون بذلك قد خطّط للدعاية والنشر ببرنامج وسيع النطاق.

وما أن وصل الباب إلى مشارف أصفهان استقبلته هيأة منتخبة تمثل العلماء، وذهبوا به إلى بيت الميرزا السيد محمّد الملقب بسلطان العلماء، ولكن الباب التزم الصمت عدّة أيام ولم يظهر شيئاً من دعاويه، ولكن العلماء دفعوا الناس إلى الإصرار عليه بإظهار مقالته وكتابتها كى يتمُّ معرفة عقائده.

وقبل الباب الشيرازى فكتب رسالة طويلة فى تفسير سورة الكوثر، وكعادته خبط وخلط فى الأسلوب العربى بتركيب متدافع الأطراف معوجُّ البيان مختل نحواً وصرفاً.

وفوق ذلك استدل فيها على أنه المهدى الموعود، وسرعان ما تناقلتها الأيدى وانتشرت، فازداد الصخب والغيض لدى الناس وواجهوا الوالى بأن يفى بما وعد من الإجراءات بحقه ومجازاته.

ولكن الوالى احتال مرة أخرى وأخذ يماطل ويؤخّر، وسبب ذلك توقع الوالى متابعة بعض الناس للفرقة البابية، أو لا أقل من إحداث الشكّ فى صفوفهم.

ولكن الهيجان ازداد حماساً، وحذر العلماء الوالى بأن يفى بما وعده من عقد ندوة للنقاش مع الباب حول شبهاته وادعائه، وإلّا فلن يملك الوالى زمام الأمور أمام الصخب الشعبى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۲

فاضطر الوالى إلى عقد الندوة بعد مماطلة كثيرة، لمعرفته أن عاقبتها فضيحة الباب وضياع للمجهود الذى قام به لنشر البابية.

وحضر الندوة جمع كثير من العلماء فى مقدمتهم الميرزا السيد محمّد والشيخ محمّد مهدى كلباسى اللذان كانا متفوقين على البقية فى الفقه والأصول، والميرزا حسن بن الملا على نورى الذى كانت له الصدارة فى الحكمة والفلسفة، وأجلس الباب فى صدر المجلس، وأخذ العلماء بالكلام حول دعواه المهدوية والباب ظلَّ صامتاً لا يحرّك ساكناً، فبادره الشيخ محمّد مهدى الكلباسى قائلًا:

(يا سيد، لا يخفى عليك أن المسلمين على صنفين: الأوّل: وهم الذين يستنبطون أحكام الشريعة الإسلاميّة من القرآن الحكيم والسُنّة النبوية لخاتم النبيين والمأثورة عن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، وهذا الصنف يسمون بالمجتهدين.

والثانى: هم أولئك الذين يقلّدون المجتهدين فى معرفة الأحكام ويسألونهم عمّا يجهلونه ويحتاجون إليه كى يرشدوهم، والآن أنت من أىّ القسمين، وبعبارة أخرى أنت مجتهد أم مقلّد؟).

فأجاب الباب: (إنّى لم اقلد أحداً بتاتاً، والعمل بالظن أراه حراماً).

فقال له الشيخ: (يا سيد ألا تعرف أن الطائفة الشيعية تعتقد أن الإمام الحجة (ع) غائب ولا محالة طريق العلم بالأحكام الشرعية مسدود.

ولا بدَّ لنا فى كل عصر من الأعصار من تقليد المجتهد الجامع لشرائط الفتوى على طبق القواعد المقررة من الصدر الأوّل إلى عصرنا الحاضر، حتّى يظهر حجة الله قائم آل محمّد المنتظر فيزيل المفاسد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۳

ويميت البِدَع ويعيد الشريعة المحمّدية التى أتى بها رسول الله (ص)، فهذه وظيفتنا، فكيف أنت لا تقلد ولا تعمل بالظنون (الخاصة التى قام الدليل على حجّيتها لاستنباط الحكم الشرعى)؟

الآن وحيث لا أراك تأتى بحجة قبال استدلالى ولا أراك قد سمعت بأحكام الشريعة الإسلاميّة، إذاً من أين تعلّمت الدين، ومن أين حصل لك اليقين بالأحكام؟).

فاشتعل الباب غيظاً وقال: (إنّك تعلّمت علم المنقول وبمنزلة الطفل المبتدئ الذى يتعلم (أ ب ج- د)، ولكن مقامى مقام الذكر والفؤاد، فلا يصحُّ لك الدخول فى هذا البحر اللامتناهى ومناقشتى والمناظرة معى فى شىء لا تعلمه).

فانبرى له الميرزا حسن النورى الحكيم المشهور قائلًا: (يا سيد اثبت فى مكانك وإيّاك والرجوع عن ادّعائك، إن الحكماء قد عيّنوا وقرّروا للذكر وللفؤاد مقاماً ومنزلة إذا وصل إليها شخص ما يكون محيطاً بكل الأشياء ولا يخفى عليه شىء، فالآن هل قد وصلت إلى هذا المقام والمنزلة؟ وهل وجودك يحيط بكل الأشياء؟).

فأجاب الباب بثبات وجرأة: (نعم، وجودى هكذا، سل ما بدا لك).

فقال له: (يا سيد، بيّن لنا كيفية معجزات الأنبياء، وحصول طى الأرض للأولياء، وكيفية سرعة سير الزمان فى عصر السلطان الجائر، وبطؤه فى زمان الإمام المهدى الذى وردت به الروايات، نحن وإيّاك نعدُّ بنى أمية وبنى العبّاس حكّاماً جائرين وملوكاً ظالمين، وأئمّة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أئمّة هادين، وفى هذا الحال يلزم أن يكون للزمان سيرين سريع وبطىء وكيف يمكن ذلك!؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۴

وأيضاً بعض أئمّة الجور والعدل كانوا فى عصر واحد، ولازم ذلك وقوع سيرين متضادين سريع وبطىء فى زمان واحد، وكيف يمكن ذلك؟

وأيضاً نحن المسلمون نعتقد أن الأرض تطوى لأولياء الله وحججه، يعنى أن المسافة الطويلة تنطوى لهم (كطى السجل) بطرفة عين مثل ما نقل آصف بن برخيا وزير سليمان بطرفة العين عرش ملك بلقيس من سبأ إلى محل إقامة سليمان (فلسطين) كما قال تعالى: قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا («۱»).

فالآن يا ترى كيف وقع ذلك؟ هل المدن والصحارى بين المبدأ والمنتهى للمسير تهبط (خسفاً أو ابتلاعاً)؟

وحينها يتصل المبدأ والمنتهى (للسير) وفى هذه الصورة يلزم انعدام عباد الله والحيوانات والنبات والجمادات حيث الأرض (التى طويت) قد خسفت بهم أو أن القطع الأرضية تجتمع وتتداخل؟ وفى هذه الصورة لا بدَّ من اطّلاع العالم على مثل هذه الحادثة مع أن حتّى هذه الساعة لم يسمع أحد بهذا ولم ينتشر خبر بذلك وفى المستقبل سوف لن ينتشر، أو أن طى الأرض يحصل بنحو الطيران والتحليق؟ وهذا الوجه أيضاً لا يطابق العقل الإنسانى ولا يؤيّده برهان عقلى أو نقلى (شرعى)، أجب عن هذه الأسئلة).

فتبسَّم الباب وأجاب: (يا حكيم، هل تريد أن أرفع النقاب عن وجه المشكل باللسان والبيان، أو بالقلم والبنان أكشف عن هذا السر؟).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۵

فقال له: (اصنع ما شئت؟).

فتناول الباب القلم والورقة وأخذ يكتب مدّة من الوقت، حتّى أتى بالطعام فوضع الورقة على سفرة الغذاء وشرع فى الأكل.

فلمح الميرزا حسن بطرف عينه الورقة فتناولها فقرأها على الحضور، وإذا فيها البسملة وحمد الله والصلاة على النبى وبعد ذلك دعاء مطوّل بسبك المناجات من دون أىّ إشارة إلى موضوع المناقشة والأسئلة.

فسكت أهل المجلس حتّى يحصل الفراغ من الأكل، ثمّ حكم بعضهم بجنونه وفقد توازنه، ومن ذلك البعض الميرزا السيد محمّد سلطان العلماء، وحكم البعض الآخر بكفره وارتداده عن الدين ووجوب القتل، ومن ذلك البعض الشيخ محمّد مهدى الكلباسى وسائر الفقهاء، ولكن تردد مع تمايل إلى الباب مدرّسان للفقه مشهوران كانا على ارتباط مع الوالى واتفاق مسبق معه.

وبعد حكم الأكثر بقتله استدعوا من الوالى إجراءه، فتظاهر بأن تنفيذ هذا الحكم خارج عن صلاحياته، وأن القضية يجب أن يعلم بها الحكومة المركزية فى طهران وينتظر الأوامر منها بقتله أو لا، ولكى يقل الضغط عليه من العلماء أمر بتقييد الباب بالسلاسل.

وذهب به إلى السجن، ولكنه أخرجه من السجن ليلًا فى الخفاء وأحضره بيته مع المبالغة فى الاحترام والتجليل، ثمّ بعث برسالة إلى طهران صاغ عبارتها كما أراد، وذيّلها بقوله: (قتل الباب فى هذا الوقت فى أصفهان مع تمايل أكثر أهاليها إليه يستوجب خطر الثوران والهيجان، والرأى الصائب أن يبقى فى السجن حتّى تنطفئ نائرة الصديق والعدو له، ثمّ تنظر هيأة الدولة فى ما هو الصالح وتأمرنا به).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۶

وقد نجحت خطّته وانطوت خدعته على هيأة الوزراء واستصوبت رأيه.

ومن جانب آخر تزايد دعم الحاكم منوچهر خان القرجى لعلى محمّد الشيرازى (الباب) وظهرت نواياه الهادفة إلى ضرب المذهب الشيعى ومحاربة العلماء، فحمل ذلك العلماء على الكتابة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) حاجى ميرزا آغاسى وطالبوه بقمع الفتنة التى تتقنّع بالإسلام والتى تدّعى البابية تارة، وأخرى التوبة وإنكار البابية وإنها فى توسّع وانتشار.

فأجابهم برسالة بعثها: (أنا فى خدمة العلماء الأعلام والفضلاء ذوى العزّ والاحترام، والمعذرة فى تصديعكم حول هذا الشخص الشيرازى الذى سمى نفسه باب ونائب (خاص) الإمام (ع) الذى كتبتم عنه. فلأنه ضال مضلّ بحسب مقتضيات الدين والدولة.

فالمورد ضرورى التعقيب ليكون عبرة فى المستقبل طبقاً للسياسة الملكية.

وهذا المجنون الجاهل الجعّال (المفتعل) لم يدّع النيابة فحسب، بل ادّعى النبوة، حيث إنه مع كمال الجهل والسخافة كتب كتاباً جمع فيه المزخرفات وسمّاه قرآناً، مع أن الآية الشريفة: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ («۱») دالة على استحالة الإتيان بمثل أقصر سورة و لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً («۲») فكيف بالقرآن!؟

هذا الجاهل مثلًا بدل كهيعص («۳») كتب: كاف، ها، جيم، دال، وبهذا النمط من المزخرفات والأباطيل لفق كتابه. نعم، إنّى أكثر اطّلاعاً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۴۷

على حقيقة حاله لأن أكثر هذه الجماعة الشيخية تداوم على الطنطنة والشعارات (الهتافات).

وهذا الشقى قد وقع فى تلك الخيالات الباطلة والذى قرّرت فى شأنه أن يحبس فى قلعة (ماكو) حبس الأبد، وأما الذين اتّبعوه وتمايلوا إليه فهم مقصّرون وأطلعونى بهم كى يعزرون وينبهون. دام فضلكم وإفاضاتكم).

ومع ذلك فلم يبعث الحاكم منوچهر خان بالباب إلى قلعة (ماكو) التى تقع فى شمال إيران طيلة عدّة أشهر والتى مات الحاكم بعدها وخلّفه حاكم آخر يدعى جرجين الذى سارع بإرسال الباب إلى ماكو، ولكن لجهات سياسية تحيط بذلك الظرف توسط دالكوركى السفير الروسى فى طهران بنقله من (ماكو) التى هى مدينة على الحدود الروسية إلى قلعة (جهريق)، وأرسل السفير إلى وزير الخارجية الروسى نسلرد مكتوباً قال فيه: (باب هو الذى أبعد عن ماكو الحدودية بوساطتى فى العام الماضى) («۱»).

ولم ينقطع ارتباط البابية بالسيد الباب فى القلعة فقد كانوا يبذلون الرشاوى الكثيرة لإقامة الاتصال، وكان على رأسهم المدبّر النشط ملا بشرويه وحاج بار فروشى ويحيى الدارابى وقرة العين، فالأوّل فى خراسان، والثانى فى مازندران (طبرستان)، والثالث فى شيراز، والرابعة فى قزوين، فكانوا بذلك يقيمون دائرة محيطة بأكثر أرجاء إيران للنشر والدعاية للفرقة البابية.

ثمّ إن الشاه محمّد القاجارى طلب من ولى عهده ناصر الدين ميرزا أن يجمع العلماء والفقهاء والفضلاء والأعيان الأشراف والقوّاد وبقية الشخصيات المهمّة فى تبريز (المدينة المركزية فى منطقة

آذربايجان والتى كانت مقراً له)، وأن يعقد مجلساً يديره بنفسه لينظر ما يقوله الباب ويدّعيه كى يتقرّر الإجراء اللازم بحقه.

وأوصاه بعدم الاستعجال فى إصدار الحكم، وعليه الانتظار إلى صدوره من طهران على ضوء التقرير المرسل.

وعقد المجلس بحضور الجموع المختلفة، فمن العلماء الحاج محمود الملقّب بنظام العلماء، والملا محمّد المامقانى الملقّب بحجة الإسلام، والذى كان رئيس الشيخية فى تبريز ومرَّ سابقاً أنه من تلامذة السيد كاظم الرشتى. والملا باشى الحاج ميرزا عبد الكريم والميرزا على أصغر شيخ الإسلام، والميرزا محسن قاضى، والملا باشى ميرزا حسن زنوزى، ومن الشخصيات السياسية للدولة محمّد خان زنكنة أمير نظام، ووزير الأمن ميرزا فضل الله على آبادى نصير الملك، ووزير الخارجية ميرزا جعفر خان معير الدولة، ووزير المالية ميرزا موسى تفرشى، ووزير الداخلية ميرزا مهدى خان بيان الملك، وعدّة كثيرة من هذا الصنف، ثمّ اتى بالباب على محمّد الشيرازى وأجلس صدر المجلس.

وأوّل من افتتح النقاش والبحث نظام العلماء، فخاطب الباب قائلًا:

(يا سيد، انظر إلى هذا الكتاب والأوراق التى أضعها الآن بين يديك، والتى كتبت بأسلوب قرآنى ووحى سماوى («۱»)، ونشرت فى بلاد إيران فى متناول الناس، تأمّل فيها وأمعن النظر فى صفحاتها ثمّ أخبرنا أهى من قولك أنت حقيقة؟ أو من اناس أعداء لك افتروها عليك وكذباً نسبوها إليك؟).

ثمّ وضع الكتب والأوراق بجانب الباب.

فأجاب على محمّد الشيرازى: (نعم هذه كتب من قبل الله).

فقال له نظام العلماء: (هل سمّيت نفسك شجرة طوبى فى هذه الكتب؟ ومعنى ذلك أن كل ما جرى على لسانك أو يجرى فهو كلام الله، وبعبارة أخرى: أنت تعتقد أن كلامك كلام الله وقول الله؟).

فأجاب: (الله يرحمك، نعم، أقسم بالله هو كما تقول).

فقال نظام العلماء: (هل تسميتهم لك ب- (الباب) صادرة منك، أو أن الناس خاطبوك بذلك من أنفسهم؟).

فأجاب: (لا، هى صادرة منّى، والناس لا يقولون من أنفسهم، هذا الاسم من الله، وأنا باب العلم).

فقال له: (فى أين، فى بيت الكعبة، بيت المقدس، والبيت المعمور؟).

فأجاب: (فى كل مكان إله).

وفى هـذه اللحظة نهض ولى العهد ناصـر الدين شاه وقال: (يا سيد، اعلم أنّى عاهدت الله أنك إن قدرت أن تثبت لنا أنك باب العلم فإنّى سأترك لك منصبى ومقامى، ونفسى سأكون مطيعاً ومنقاداً لك).

ثمّ قال نظام العلماء: (يا سيد أحسنت، هذا الذى تدّعيه هو اسم لأمير المؤمنين (ع) والذى سمّاه بذلك هو رسول الله (ص) حيث قال: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» («۱»)، وقال على (ع): «سلونى قبل أن تفقدونى» («۲»)، وقال: «ها إن بين جنبى علماً جمّاً» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۰

فالآن لدىَّ بعض من المسائل المعضلة اريد حلّها منك، وجملة منها مرتبطة بعلم الطب («۱»).

فأجاب على محمّد الشيرزاى: (إنى لم أتعلّم الطب).

فقـال له: (أسألـك عن العلوم الدينيـة، ولكن معرفـة جملتها مشـروط بفهم معانى الأحاديث والآيات، وذلك الفهم متوقف على معرفة علوم منها النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع (علم البلاغة) والمنطق وعلوم أخرى، فإذاً أسأل عن هذه العلوم المقدمية، وابتدأ من علم الصرف).

فأجاب: (إنّى قرأت علم الصرف فى صغرى).

فقـال له: (فسّـر لنـا هـذه الآيـة الشـريفة: هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً («۲»)، وبيّن لنـا إعرابهـا النحوى، وقـل لنـا شأن نزول سورة الكوثر، ولأىّ سبب سلّى الله تعالى نبيّه بهذه السورة؟).

فأجاب: (أمهلنى).

فقال: (ما معنى كلام الإمام على بن موسـى الرضا (ع) فى مجلس المأمون جواباً لسؤاله: ما الدليل لك على خلافة جدّك على بن أبى طالب؟ فقال (ع): «آية أنفسنا»، فقال المأمون: لولا أبنائنا، فقال (ع): «لولا نسائنا» («۳»)؟).

فأجاب: (هذا ليس بحديث).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۱

فقال له: (أيّاً ما كان هو، أليس من أقوال العرب أيضاً فسّره وبيّنه).

فأجاب: (الرخصة والمهلة).

فقال له: (ما معنى الحديث القائل: «لعن (الله) له الأعين ظلمت العين الواحدة»؟).

فأجاب: لا أعرف.

فقال له: (ماذا يعنى: إذا دخل الرجل على الخنثى والخنثى على الأنثى وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأنثى؟).

سكت البـاب ولم يحر بشـىء، فقـال له نظـام العلماء: (مؤلّفاتك تظن أنك قـد صـغتها على وجه فصيح وبليغ، فالآن قل أىّ نسـبة من النسب الأربع بين الفصاحة والبلاغة، ولماذا الشكل الأوّل (من الأشكال الأربعة فى القياس الاقترانى المنطقى) بديهى الإنتاج؟).

سكت الباب أيضاً وعجز عن الجواب.

فقـال له: (يـا سـيد، سؤال آخر وليس عنـدى بعـده سؤال، لو ظننا وسلّمنا أن هـذه العلوم الموجودة لـدى البشـر كلّما قيل وقال (مجرد ألفاظ) ولا تنفع البشـر بقدر فلس، وها نحن صرفنا النظر عن تلك العلوم، فالعادة التى جرى عليها من قديم الزمان واتّبعها عقلاء العالم نتّبعهـا نحن ... وحيث قـد اتّضـحت هـذه المقدّمـة، فنسألـك الآن حيث يعلم من كتبك وحالاتك أنك تـدّعى تارة الرسالـة وأخرى المهدوية وثالثة الولاية، نحن حضرنا ههنا لنسألك هل عندك معجزة أو كرامة تكون حجة لك على الناس؟).

فأجاب: (اطلب أىّ شىء تريده).

فقال له: (يا سيد، لا يخفى عليك أن ملك إيران مصاب بمرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۲

النقرس، وهذا المرض صعب العلاج عجز عنه الأطباء والآن نريد منك أن تشافيه من هذا المرض المستعصى).

فأجاب: (هذا الفعل غير ممكن).

فقال له ناصر الدين شاه: (يا سيد هذا الشيخ الذى يناظرك معلّمى وهو شخص أدّبنى بالأدب الجميل، ولكنّه الآن قد ذهبت منه حيوية الشباب ولا يقدر على ملازمتنا فى السفر والحضر فهل تقدر على إعادته شاباً؟).

فأجاب: (هذا أيضاً محال).

فقال نظام العلماء: (أيها الناس اعلموا أن هذا الرجل (يشير إلى الباب الشيرازى) وعاءه خال ومحتواه فارغ من كل شىء من معقول أو منقول، هو مغرور بالباطل وسفيه وجاهل، وليس عنده أيّة معجزة أو كرامة وغير لائق لأدنى احترام).

فأجاب على محمّد الشيرازى وهو غضبان مما قال: (يا نظام، ما هذا الكلام الذى تقول! أنا الرجل الذى مكثتم ألف سنة تنتظرونه!).

فقال له نظام العلماء: (هل أنت المهدى والإمام القائم؟).

فأجاب: (نعم، أنا هو).

فقال له: (المهدى النوعى أنت أم المهدى الشخصى؟).

فأجاب: (أنا عين المهدى الشخصى).

فقال له: (ما اسم أبيك، وامّك، وأين مكان ولادتك؟).

فقال له: (اسمى على محمّد، واسم أبى ميرزا رضا البزّاز، امّى خديجة، محل ولادتى شيراز خمسة وثلاثون سنة مضت من عمرى).

فقال له: (اسم مهدينا المنتظر مهدى، واسم أبيه حسن، واسم امّه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۳

نرجس، ومحل ولادته سر من رأى (سامراء) فكيف تنطبق عليك تلك المشخصات؟).

فأجاب: (الآن أريك كرامة كى يتضح أنّى صادق فيما أدّعى).

فقال الحضور بأجمعهم: (حبّاً وكرامة، أظهر كرامتك).

فأجاب: (إنّى أكتب فى اليوم ألف بيت البيت فى علم الخط آنذاك خمسين حرفاً).

فقال الحضور: (على فرض أن ما تقوله صحيح، ولكن ذلك ليس بكرامة لأن كثيراً من الخطّاطين يشتركون معك فى ذلك).

وقال نظام العلماء: (إنّى عند زيارتى للعتبات العاليات (المشاهد المشرّفة) صادفت كاتباً يكتب فى اليوم ألفى بيت وانتهى أمره إلى العمى. البتة أنت أيضاً اترك هذا العمل وإلّا فستعمى)، ثمّ جرى بين بقية العلماء وبينه أخذ ورد على هذا المنوال.

وبعد ذلك استدعى ناصر الدين ميرزا من العلماء رأيهم فى شأن الباب، فأفتى بعضهم بكفره ووجوب قتله، وبعض حكم بسفاهته وجنونه.

ثمّ أمر ناصر الدين ميرزا أعوانه بربط الباب وضربه على أقدامه ضرباً مبرحاً حتّى يتوب ويظهر الاستغفار من تلك الدعاوى وبعد ذلك كتب على محمّد الشيرازى ورقة التوبة وقال فيها ...: (إنّى موقن بتوحيد الله جلَّ ذكره، ونبوة الرسول (ص) وولايته ولسانى مقرٌّ بكل ما نزل من عند الله وآمل رحمته ولم أرد بتاتاً ما يخالف رضاه وإذا جرى من قلمى كلمات خلاف رضاه فلم أتعمّد العصيان وعلى أىّ حال فإنّى مستغفر تائب ... أستغفر الله ربى وأتوب إليه من أن ينسب إلىَّ أمر وبعض المناجاة والكلمات التى جرت على لسانى ليست دليلًا على أيّة أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۴

وأعتقد أن مدّعى النيابة الخاصة لحضرة حجة الله (ع) مدّع مبطل، وهذا العبد لم يكن له ادّعاء ذلك ولا ادّعاء آخر) («... ۱»).

وأجاب رسالته علماء تبريز، وجاء فيها ...: (أقررت بمطالب متعدّدة كلّ منها توجب وتبعث على ارتدادك وتوجب قتلك، وتوبة المرتد الفطرى لا- تقبل، والذى أوجب تأخير قتلك هو شبهة خبط دماغك (اختلاله) وإذا ارتفعت تلك الشبهة فلا تأمل فى إجراء أحكام المرتد الفطرى عليك).

ثمّ إنه بعد موت محمّد شاه ومجيء ناصر الدين شاه على سدنة الملك ونصبه للميرزا محمّد تقى الملقّب بأمير كبير بدل ميرزا آغاسى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وازدياد حدّة البابية وتشكيلهم لعصابات تهاجم القرى والمدن وارتكابهم لجرائم فظيعة يقشعر الإنسان عند قراءتها مثل الأحداث والوقائع فى مازندران (طبرستان) والوقائع فى قلعة الشيخ الطبرسى والوقائع فى زنجان مما لا يدعوا منكراً وحشية إلّا أتوها بعد التزامهم الإباحات وتحليلهم كل المحرمات.

وجعلوا أهالى تلك المناطق تعيش حالة من الخوف والرعب من الإرهاب والسفك للدماء التى مارسوها تخيّلًا منهم لإنشاء دويلة يوسعون نطاقها شيئاً فشيئاً أقدم أمير كبير والذى كان على درجة من الحزم وفطانة التدبير بعكس سابقه آغاسى على إعدام على محمّد الشيرازى بعد أن أعاد الباب إصراره على دعاويه السابقة.

وكان الباب الشيرازى قد نصّب ميرزا يحيى النورى خليفة له مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۵

معاونة أخيه حسين على النورى ولقّب الأوّل عندهم بالأزل والثانى ببهاء وكانا قد اعتقلا من قبل الدولة فتوسّطت السفارة الروسية والبريطانية لإطلاق سراحهما وإخراجهما مع جماعة من البابية إلى بغداد.

ومكثوا هناك عشر سنين وأخذوا شيئاً فشيئاً يبتدعون الأحكام كبقية الفرق المنحرفة.

ثمّ إن السلطات اضطرّت إلى إبعادهم إلى جزيرة قبرص وهناك تنازع الإخوان فانقسمت البابية إلى الأزلية والبهائية («۱»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۵۹

الخاتمة ... ص: ۲۵۹

اشارة

وفيها ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل فى خروج الدجّال ... ص: ۲۵۹

: فقد روى الصدوق عن النزال بن سبرة أنه قال: قام الأصبغ بن نباتة إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين من الدجّال؟

فقال: «ألا إن الدجّال صائد بن الصيد فالشقى من صدّقه والسعيد من كذّبه يخرج من بلدة يقال لها: أصفهان من قرية تعرف باليهودى عينه ممسوخة والعين الأخرى فى جبهته تضىء كأنها كوكب الصبح فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل كاتب وامّى، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج حين يخرج فى قحط شديد تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلًا منهلًا. لا يمرُّ بماء إلّا غار إلى يوم القيامة، ينادى بأعلى صوته، يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول: (إلىَّ أولياىى، أنا الذى خلق فسوّى، وقدَّر فهدى، أنا ربكم الأعلى) وكذب عدو الله، إنه أعور يطعم الطعام ويمشى فى الأسواق وإن ربكم (عزوجل) ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشى ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ألا وإن أكثر أتباعه يومئذٍ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله (عزوجل) بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلى عيسى بن مريم (ع) خلفه» («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۰

وروى عن النبى (ص) أنه قال عن الدجّال: «أيها الناس ما بعث الله (عزوجل) نبياً إلّا وقد أنذر قومه الدجّال وإن الله (عزوجل) قد أخره إلى يومكم هذا، فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور، إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل، يخرج ومعه جنّة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل آفاق الأرض كلها إلّا مكّة ولا بتيها والمدينة ولا بتيها» («۱»).

وروى الأربلى فى (كشف الغمة) («۲») عن رسول الله (ص) (فى حديث الدجّال): «يأتى وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل وهو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنّك الدجّال الذى حدّثنا رسول الله (ص) حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثمّ أحييته أتشكّون فى الأمر؟ فيقولون: لا».

قال: «فيقتله ثمّ يحييه (وذلك خداعاً بالسحر كما ورد فى روايات أخرى) فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرة منّى الآن». قال: «فيريد الدجّال أن يقتله ثانياً (أى حقيقة) فلا يسلّط عليه».

ونقل فى (منتخب الأثر) («

) عن أربعين الخاتون آبادى، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع)، عن رسول الله (ص) فى حديث فيه خروج الدجّال وقرية يخرج منها وبعض أوصافه وأنه يدّعى الألوهية وأن فى أوّل يوم من خروجه يتبعه سبعون ألفاً من اليهود وأولاد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۱

الزنا والمدمنين بالخمر والمغنين وأصحاب اللهو والأعراب والنساء قال (ع) فى آخره: «فيبيح الزنا واللواط وسائر المناهى حتّى يباشر الرجال النساء والغلمان فى أطراف الشوارع عرياناً وعلانية والفجور ويسخر آفاق الأرض إلّا مكّة والمدينة ومراقد الأئمّة (عليهم السلام) فإذا بلغ فى طغيانه وملأ الأرض من جوره وجور أعوانه يقتله من يصلّى خلفه عيسى بن مريم (ع)».

وروى السيد ابن طاووس (رض) عن الصادق (ع) فى حديث خروج الدجّال: «من بعد ذلك يخرج الدجّال من ميسان نواحى البصرة، فيأتى سفوان، ويأتى سنام فيسحرهما ويسحر الناس، فيكونان كالثريد وما هما بثريد من الجوع والقحط إذ ذلك لشديد» («۱»).

الأمر الثانى: فى علامات ظهور الحجة (ع) وعدّة أصحابه ...: ص: ۲۶۱

قد حدّد الأئمّة (عليهم السلام) أمد الغيبة الكبرى التى انقطع الشيعة فيها عن الحجة (ع) بانقطاع النيابة الخاصة بموت النائب الرابع على بن محمّد السمرى فى نهاية الغيبة الصغرى.

والتحديد هو بوقوع علامات للظهور وانتهاء الغيبة، وهذه العلامات كثيرة:

منها: ما يقارن عام ظهوره (ع) والسنة التى يخرج فيها بدءاً من مكّة من بيت الله الحرام يوم العاشر من محرم يوم قتل فيه جدّه الحسين سيد الشهداء وسبط الرسول (ص) ويخطب تلك الخطب التى طالما تعطّشت إليها البشرية جمعاً والشيعة خصوصاً ويبدأ بعقد البيعة له وأوّل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۲

من يبايعه جبرئيل (ع) وثمّ عدّة أصحابه التى هى عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر.

ومنها: ما لا يقارن عام الظهور وإنما تشير إلى الاقتراب ليس إلّا.

والمهم هو القسم الأوّل وهى العلامات التى اطلق عليها فى الروايات المأثورة بالعلامات الحتمية التى لا بدء فيها.

فقد روى الصدوق (رض) عن الصادق (ع) أنه قال: «خمس قبل قيام القائم (ع): اليمانى، والسفيانى، والمنادى ينادى من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية» («۱»).

وهذه العلامات الخمس:

الأولى: وهى خروج سيد حسينى من نسل الإمام الحسين (ع) من ناحية اليمن ولذا اطلق عليه اليمانى.

الثانية: وهى خروج شخص يدعى عثمان بن عنبسة من بنى أميّة من سلالة أبى سفيان، ولذا اطلق عليه السفيانى من ناحية الشام.

الثالثة: المنادى وهو جبرئيل (ع) يصيح بصيحة من السماء ونداء يسمعه كل العالم كل قوم بلسانهم أن الحجة قد ظهر وأن الحق مع على وآله.

الرابعة: الخسف الذى يقع بأرض البيداء قرب المدينة المنورة والذى يقع بجيش السفيانى الذى يرسله من الشام لمقاتلة الحجة.

الخامسة: قتل النفس الزكية وهو الشاب السيد الحسنى الذى يبعثه الحجة بعد عقد البيعة سراً مع العدّة المخصوصة من أصحابه ليدعو أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۳

مكّة ولكنهم يقومون بقتله، وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «ليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكية إلّا خمسة عشر ليلة» («۱»).

وروى عن ميمون البان قال: كنت عند أبى جعفر (الباقر) (ع) فى فسطاطه، فرجع جانب الفسطاط، فقال: «إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس»، ثمّ قال: «ينادى منادٍ من السماء: فلان بن فلان هو الإمام باسمه»، وينادى إبليس (لعنه الله) من الأرض كما نادى برسول الله (ص) ليلة العقبة» («۲»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «إن أمر السفيانى من الأمر المحتوم وخروجه فى رجب» («۳»).

وقال (ع): «الصيحة التى فى شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان» («۴»)، وقال (ع): «ينادى منادٍ باسم القائم (ع)»، قلت: خاص أو عام؟ قال: «عام يسمع كل قوم بلسانهم»، فسأله زرارة: فمن يخالف القائم (ع) وقد نودى باسمه؟ قال: «لا يدعهم إبليس حتّى ينادى ويشكّك الناس» («۵»).

وقال (ع): «صوت جبرئيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأوّل وإيّاكم والأخير أن تفتنوا به» («۶»). وقال: «ينادى منادٍ من السماء أوّل النهار: ألا إن الحق فى على وشيعته، ثمّ ينادى إبليس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۴

(لعنه الله) فى آخر النهار: ألا أن الحق فى السفيانى وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون» («۱»).

وروى الصدوق عن الصادق (ع) أنه سأله رجل من أهل الكوفة: كم يخرج مع القائم (ع) فإنهم يقولون: إنه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا؟ قال: «وما يخرج إلّا فى أولى قوة وما تكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف» («۲»).

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «اثنان بين يدى هذا الأمر: خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم (ع) إلى الأرض وعند ذلك يسقط حساب المنجمين» («۳»).

وروى النعمانى فى كتاب (الغيبة) («۴») عن الصادق (ع) أنه قال: «النداء من المحتوم والسفيانى من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم»، قال: «وفزعة فى شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان وتخرج الفتاة من خدرها».

وفى هذه الرواية علامة سادسة من العلامات الحتمية مضافاً إلى الخمس التى تقدّمت، وهى طلوع كف من السماء.

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «لا بدَّ لبنى فلان من أن يملكوا فإذا ملكوا ثمّ اختلفوا تفرّق ملكهم وتشتت أمرهم حتّى يخرج عليهم الخراسانى والسفيانى هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۵

الكوفة كفرسى رهان (أى السباق) هذا من هنا وهذا من هنا، حتّى يكون هلاك بنى فلان على أيديهما أما إنهم لا يبقون منهم أحداً».

ثمّ قال (ع): «خروج السفيانى واليمانى والخراسانى فى سنة واحدة فى شهر واحد فى يوم واحد، نظام كنظام الخرز (أى كخرز السبحة أو ما شابهه) يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوأهم وليس فى الرايات راية أهدى من راية اليمانى، هى راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم» («۱»).

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «السفيانى والقائم فى سنة واحدة» («۲»).

الأمر الثالث: فى مدح العلم وذم الجهل ...: ص: ۲۶۵

فقد روى الكلينى (رض) عن الصادق (ع): «إن أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به العقل الذى جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبّر لهم، وأنهم المدبَّرون، وأنه الباقى وهم الفانون، واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره، وبأن له ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة فى الجهل، وأن النور فى العلم، فهذا ما دلَّهم عليه العقل».

قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟

قال: «إن العاقل لدلالة عقله الذى جعله قوامه وزينته وهدايته علم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۶

أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبّة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («۱»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا» («۲»).

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدى إلىَّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وأن أحبّ عبيدى إلىَّ التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء» («۳»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون» («۴»).

وقال: قال رسول الله (ص): «أف لرجل لا يفرغ نفسه فى كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه» («۵»).

وقال (ع): «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلّا بعداً» («۶»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۶۷

وقال: قال رسول الله (ص): «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» («۱»).

وقال (ع): «الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغثاء» («۲»).

هذا والحمد لله رب العالمين على كل حال، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

تمَّ الفراغ منه يوم السابع عشر من رجب الأصب (۱۴۱۱ ه-)، فى جوار السيدة الطاهرة فاطمة المعصومة بقم المقدسة. بيد العبد الآثم محمّد بن الحاج حميد سند البحرانى عفا الله عنهما.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۳

الجزء (۲)

الفصل الأوّل: العقول والخواطر ... ص: ۲۷۳

عبادة العقل ...: ص: ۲۷۳

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود هو الكمال وله مراتب متفاوتة وأعلى مراتبه هى مرتبة الكمال المطلق والوجود اللامتناهى وهو الحق سبحانه وتعالى الغنى المطلق مفيض الوجود لما عداه، فكل ما عداه مخلوق له محتاج إليه، وإن كل ما عدا الكمال المطلق لا بدَّ أن يكون طالباً للكمال الأعلى والأشد.

وقد رسم الحق تعالى طريق تحصيل الكمال لمخلوقاته، وهو طريق حصرى لا بديل عنه ولا استثناء فيه وهو طاعته تعالى والخضوع والانقياد له، فكل ما عدا الله تعالى لا بدَّ أن يخضع ويتضعضع ويطيع وينقاد إليه تعالى، والعقل من مخلوقاته تعالى فهو محتاج إليه ولا بدَّ أن يكون سالكاً لطريق العبادة والطاعة والانقياد، ففى الحديث عن أبى جعفر (ع) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال: وعزّتى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحب إلىَّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحب، أما أنى إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك أعاقب، وإيّاك أثيب» («۱»)، لكن ما هى عبادة العقل؟ وما هو سجود وركوع العقل؟ هل هو هذا الانحناء الهندسى؟ أم له نوع خضوع خاص؟

لما كان العقل من الموجودات المجردة فليست عبادته كعبادة الموجودات المادية، إذ ليس له حركات كحركات البدن من الانحناءات الهندسية ونحوها، بل عبادة العقل خضوعه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۴

وما هو خضوع العقل؟

هو تسليمه للحقائق، وإذعانه لها واستجابته لها وعدم تمرده وعدم طيشه على ما هو الحقيقة، بل يسلم لها أى يخبت لها فهذه عبادة العقل، فإذا سلم وخضع لما هو حقيقة وواقعية حينئذٍ يكون العقل قد عبد الواقعية المطلقة وهو البارى تعالى وهو الحق، فعبادة العقل خضوعه وتسليمه للحق!

لذلك مُدِح المخبتون فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ («۱») فالاخبات نوع تسليم وإذعان، فعبادة العقل أن يسلم ويعرف الحقيقة والواقعية، وكما أن الإسلام والتسليم يعمُّ شأن البدن وشأن الجوارح والجوانح والقوى وما شابه ذلك، فكذلك التسليم والإسلام والقبول يعمُّ شأن العقل أيضاً.

فإسلام العقل وتسليمه هو إذعانه للحقائق! إذن فللعقل عبادة، وللعقل تسليم، وللعقل سجود وهو منتهى خضوعه، وللعقل ركوع وهو انحناؤه أمام الحقائق وعدم تمرده وعدم طيشه عليها، ومن ذلك يظهر معنى قوله تعالى: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ («۲»)، أى لتعبد أبدانهم ولتعبد قواهم النفسية ولتعبد أرواحهم ولتعبد عقولهم المعبود الواحد، لذا فإنّ التمرد على الحقائق وعدم التسليم لنتائج البراهين يعتبر عصياناً من العقل وعدم طاعة لخالقه، فإنّ الله تعالى اعتبر تسليم العقل لما وصل إليه بالدليل والبرهان هو عبادته وطريق كماله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۵

وقد يستبعد البعض هكذا عصيان من العقل ولا يتصور أن العقل يصل لحقيقة ولا يسلم لها، ولكن هذا الاستبعاد ناشئ من الغفلة، فقد

ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ («۱») فعلموا بأنه الحق والحقيقة ولكنهم لم يسلموا بها، والأعجب أن فى الأزمنة المتأخرة هناك من أنكر الحقائق بعد الاستدلال عليها، كما عن الرازى فى تفسيره لقوله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كُلِّ أُمَّةٍ شَهيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهيداً عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمينَ («۲») بعدما وصل إلى حتمية ولابدّية وجود شخص شهيد وشاهد على أعمال العباد فى كل أمّة وقرن، ومن الواضح أن ذلك اعتراف بعصمة خليفة رسول الله (ص) ولم يكن كذلك إلّا على (ع) فبعد اعترافه بكل ذلك يقول: (نحن نعترف بأنه لا بدَّ من معصوم فى كل زمان إلّا أنّا نقول إن ذلك المعصوم هو مجموع الأمّة وأنتم تقولون ذلك المعصوم واحد منهم) («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۶

وكما عن الطبرى بعد أن ثبت له أن المهدى (ع) أفضل من الأنبياء عدا سيد الرسل وأنه يقودهم، بل بعضهم يصلى خلفه بعد الظهور المبارك، فبعد كل ذلك لم يقبل ولم يسلم بأنه (ع) أفضل من الأوّل والثانى، حيث يقول: (لا تقل: إنه أفضل من الشيخين، بل قل: إن الشيخين ليسا بأفضل منه) («۱») وهذا بعد استدلاله للأفضلية بقوله: (إنه خليفة الله وأنهما خليفتا رسول الله) («۲»).

فالعقل قد يعصى خالقه ويترك عبادته وذلك عندما يجحد الحق والحقيقة ولا يسلم لها ولا يخضع بل يتمرد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۷

مرتبة ومساحة حجية العقل ...: ص: ۲۷۷

قال الإمام الكاظم (ع) لهشام بن الحكم فى الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» («۱»).

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبى والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» («۲»).

فإنّ لله على الناس حجتين حجةٌ باطنة أو رسول باطن وهو العقل وحجةٌ أو رسول ظاهر وهو النبى ثمّ تأتى مراتب الحجج الأخرى ولا يمكن لحجة أن ترقى وتعلو إلى مرتبة أعلى من مرتبتها فإنّ مراتب الحجج والدلائل متسلسلة ولا يمكن تخطيها، كما سيأتى بيان ذلك.

فضمن لابدّية معرفة مراتب ومنظومة الحجج هو معرفة مرتبة حجية العقل، ونتيجة عدم الالتفات لتلك المراتب وعدم معرفة حقيقة حجية الحجج وقع البعض فى إفراط وبعض آخر فى تفريط.

فهناك من ارتكب الغلو والافراط فى العقل البشرى وقال بأن العقل يدرك كل شىء كما هو حال العلمانيين أو الغربيين، والحال أنه لو كان يدرك كل شىء لما احتاج للوحى ولما احتاج لتواصل سلسلة الأبحاث العلمية!

فلعدم إدراك العقل لكل شىء وعدم الاحاطة بالحقيقة الوسيعة احتاج الإنسان للسعى والاستمرار والتواصل فى البحث والدراسة ليحصل الادراك شيئاً فشيئاً للحقائق فهى حركةُ ادراكٍ بطيئةٍ كحركة النمل،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۸

وهذه المسيرة متواصلة ولا- تقف دائماً وأبداً، وهذا يكشف ويدلل على أن البشر لا يستطيعون ولا يصلون إلى الاحاطة بالحقيقة الواسعة، وهو اعترافٌ بأن العقل لا يمكن أن يدرك كل شىء ويكذب على نفسه ويخدعها من ادّعى أنه يدرك كل شىء.

وهناك من فرط بالعقل وأنكر إدراكه أى ذهب إلى أن العقل لا يدرك شيئاً كالحشويين («۱») وهناك من الفِرَق الضالة فى الغيبة الصغرى فضلًا عن الغيبة الكبرى قديماً وحديثاً إذ شطبوا العقل فأجازوا ارتكاب المحرمات والفواحش واستباحة الدماء وقتل الأنبياء وغير ذلك.

فإنّ العقل البديهى يحكم بالعدل وهؤلاء لما شطبوا العقل استباحوا كل تلك المحرمات، وكيف نتصور إلغاء حجيته فإنّ العقل هو مبدأ الأمور وأن أسس الدين مستندة ومبتنية على بديهيات العقل فلا يمكن أن نتصور شريعة من شرائع السماء تناهض وتناقض وتخالف بديهة العقل، فإنّه باتفاق كل علماء المسلمين وعلماء الكلام وكل الأديان والملل أن معرفة الله إنما تتم ببديهة العقل.

فلا يعقل أن تكون هناك شريعة من شرائع السماء تلغى ضروريات الكتاب أو ضروريات السُنّة وتستحل القبائح أو تنهى عن المحاسن كيف ذلك والله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۷۹

ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ («۱») والرسول (ص) يقول: «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» («۲») فالعقل يحكم بالعدل والإحسان و...

وعليه فالحق أنه لا إفراط ولا تفريط فلا نقول بأن العقل يدرك كل شىء كما لا ننكر إدراك العقل للأشياء، وهذا ما يظهر من سمو الدين الإسلامى ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر ذلك الإمام الصادق (ع) فى آخر رواية يرويها الكلينى فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل ...: « إن أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به، العقل الذى جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم » («... ۳»).

فلا نغلو فى العقل المحدود الذى لدينا فإنّ له مساحة فى الاعتبار محدودة وهى مساحة البديهيات دون النظريات إلّا أن تستند إلى الأولى بسداد، وإن بديهيات العقل رأس مال خطير، فإنّ مبدأ الأمور هو معرفة الله وهى تحصل بتوسط العقل، قال رسول الله (ص): «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» أى باعتبار محدودية مساحة العقل المحدود فهو لا يعرف تمام مكارم الأخلاق لذلك تتولّد الحاجة إلى الوحى ليرشد إليها فالعقل يحكم بحسن العدل وبقبح الظلم ولكنه لا يدرك مواقعه بتفاصيلها فمثلًا لا يدرك المفاسد التى فى زواج المحارم فيحتاج للوحى فى بيان ذلك لأنه خارج مساحة حكمه، فيأتى الشارع ويقول بحرمة الزواج بالامّ وبالأخت وبالخالة ... الخ، فهناك مكارم أو مفاسد لا يدركها العقل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۰

من نفسه فيأتى دور الوحى ويهدى العقل إليها، فالعقل يدرك أصل الفاحشة والرذيلة لأنها قبيحة، أما دوائرها الوسيعة فلا يدركها إلّا بهداية الوحى.

فللعقل البشرى دائرة إدراك محدودة وهو حجة فيها وهى دائرة البديهيات ولا يمكن إنكار اعتبار حكم العقل فى هذه الدائرة المحدودة.

لاحظ عبارة الإمام الرضا (ع) التى رواها الشيخ الصدوق فى اعتقاداته حيث كان (ع) يقول فى دعائه ...: « اللهم إنى أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إنى أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله فى أنفسنا ... اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلّا بك ولا تصلح الآلهة إلّا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من بريتك، اللهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى (ع) من النصارى، اللهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» («۱»)، يشير الرضا (ع) إلى أن هناك بديهة عقلية وهى أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد وحجية هذه البديهة لا يمكن أن تقتلع أو تقصى أو أن تزال، وإنما حجية العقل فى دائرة البديهيات لا فى دائرة النظريات التى لا تستند إلى البديهيات فضلًا عن التى تصادمها فبعض الحجج هى فى صدارة الحجج والقمة، لكن فى أىّ مساحة هى لها الصدارة فى القمة؟ كما يقول الإمام الصادق (ع) فى آخر رواية يرويها الكلينى فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل ...: « إن أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به، العقل الذى جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم،

فبالعقل عرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۱

العباد خالقهم » («... ۱») فكيف يتسنى للإنسان ببديهة العقل أن يؤمن بتوحيد الله؟! ثمّ يتابع الإمام الصادق (ع) لكن العاقل علم بأن عقله محدود ولا يهديه إلى كل مراضى الله ولا يجنبه عن كل ما يسخط الله فمن ثَمَّ اضطر وأذعن بضرورة إرسال الله للرسل كى يهدونه، لأن مساحة ومنطقة حجية عقل الإنسان محدودة، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، ففى حديث طويل للإمام الصادق (ع) حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارتها وبه عرف الله وهكذا عرفت صفاته الكمالية وبه عرفت جميع الكمالات قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «ان العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم ان الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («۲») فهذه ملحمة معرفية عظيمة يثيرها الإمام الصادق (ع) وهى أن بديهة العقل مبدأ الأمور أى فى مساحة البديهيات وهى منطقة محدودة، وتعديها إلى دائرة النظريات دون وحى السماء فيه إضلال.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۲

فحجية العقل فى البديهيات مبدأ يتقدم على الإيمان بالله وعلى المعرفة بالله.

والفرق الضالة والمنحرفة لما أقصت ولم تعتبر بديهيات العقل ولم تقم لها وزناً وقعت فى الزيغ والشطط والضلال وانتشار الأباطيل... وما ذلك إلّا لأنهم ضيّعوا هذا الركن الركين وهو منطقة بديهيات العقل، فإنّ الدين لا يقصى ولا يلغى العقل بتاتاً، أى حجيته فى منطقةٍ ودائرة محدودة وهى البديهات.

أما فى دائرة النظريات فادراكه ليس قوياً فيحتاج إلى الوحى وهداية السماء ولا يمكن ادعاء أنه يدرك كل الحقائق والأشياء، فالعقل هو الحجة الباطنة التى يستند عليها لمعرفة مبدأ الأمور وهو الله ثمّ يتمم ذلك بالحجة الظاهرة وهى الرسل والأنبياء فهذه مساحة حكم وادراك العقل ومرتبة حجيته ثمّ تأتى مراتب الحجج الأخرى.

الخواطر ومسؤولية بناء الذات ...: ص: ۲۸۲

عندما وصل إلى مسامع الإمام الصادق (ع) أن جماعة يؤلهونه كان على الدوام يخرّ لله باكياً شاكياً متبرماً متبرئاً من هذه الفرق المنحرفة الخارجة عن الجادة والصراط المستقيم وفى كل حالاته يخضع لله (عزوجل) باكياً بكاءً شديداً، فيخاطبه أصحابه: يا أبا عبد الله يا جعفر بن محمّد إن هذه مقولة أولئك وما عليك أنت منها، فيقول (ع) كما روى عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة دخلت على أبى عبد الله (ع) (فأخبرته) بذلك فخر ساجداً وألزق جؤجؤه أى أعلى صدره وبكى وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: «بل عبدٌ لله قن داخر (صاغر)» مراراً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۳

كثيرة، ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إيّاه فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكتُّ عما قال فىَّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعى ويعمى بصرى» («۱»).

فعلى الإنسان تجاه الفكرة والخاطرة مسؤولية، وهذا مثال لامتحانات الأنبياء والأولياء مع كونهم معصومين، ولكن المقصود بيان مسؤولية الخاطرة والفكرة.

كما يؤيد ذلك الفقرة الأخيرة فى رواية الرضا (ع) المتقدمة «اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما

يزعمون» إذ فيها إشارة واضحة للمسائلة والحساب على الخاطرة.

والاعتراض بأن الحساب والمسائلة إنما على العمل دون مجرد النيّة فضلًا عن الخاطرة، ومجرد الفكرة لا حساب عليها. قال تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ («۲»).

جوابه: أنه قد ذكر علماء الأصول فى بحث التجرى أن التجرى القلبى قبيح ومذموم عقلًا والإنسان محاسب عليه وإن كان البارى تعالى يعفو عن نية السوء ما لم تخرج إلى صعيد العمل فضلًا عمّا لو أصبحت الفكرة عقيدة إذ تتحول إلى عمل جوانحى.

العمل من جوارح البدن ولا عقاب على مجرد فكرة وخاطرة، أما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۴

إذا كان العمل نفس الاعتقاد والاعتقاد ليس عملًا جوارحياً، فالحساب والعقاب حينئذٍ على نفس ذلك الاعتقاد أى على الفكرة.

فالمسألة إن كانت اعتقادية فهى ميدان ومجال العمل والتطبيق فيها نفس الخاطرة ونفس الفكرة وفى هذا بحثٌ، فهل المراد بها الميول أم الانجذاب أم التشبث؟

فالإعتقاد والخاطرة عملٌ جوانحى وقلبى وبالتالى فهو نوعٌ من الاعتقاد والإيمان قال تعالى: الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ («۱») فأفعال القلب يحاسب عليها الإنسان إذا كانت المسألة اعتقاديةً.

نعم إن كانت المسألة من الأمور الجوارحية التى يأتى بها البدن فالخاطرة مع ذلك يتعلّق بها الذم وكذا استحقاق العقوبة إذا كانت هناك نية معصية، كما يقرّر ذلك أكثر الأصوليين من باب التجرى.

وفعل عيسى (ع) أو الإمام الصادق (ع) من الشكاية والتبرم والبكاء له تفسير على وفق القواعد الفقهية أيضاً لأن أحد مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الموقف القلبى والفكرى، فحتّى الفكرة نحن مسؤولون عن الموقف تجاهها.

فلسفة استعراض الماضى ...: ص: ۲۸۴

ومن هنا نعلم وجه ذكر الأحداث الماضية للأمم السابقة، فالقرآن كأنما يستدرجنا لامتحان موقفنا تجاه تلك الأحداث كقتل قابيل هابيل وغيرها، فالذى يعنينا هو أن نحدد موقفاً ندين قابيل فى قتله لهابيل أى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۵

نتضامن مع هابيل وندين قابيل فمع أن الموقف قلبى إلّا أن سعته أوسع من المقطع الزمانى الذى نعيشهُ، فوجود الإنسان ذو درجات وطبقات (روح وعقل وقلب) وجود الإنسان لا يحبس ولا يسجن فى بيئة البدن الزمانية، بل له بيئة وسيعة تستشرف الماضى والمستقبل بتوسط المعرفة والادراك، لذلك يطالبنا القرآن الكريم دوماً بموقف حتّى تجاه الأفكار والخواطر، فهو (هذا الموقف) داخل فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القلبى، الذى لا يسقط لأنه لا يمكن أن يخضع لإرهاب أو إرعاب أو ضغط ونحوه، فهو واجب فكرى قلبى روحى لا يسقط بحال ويُمتحن به الإنسان ويفتتن به.

وبعبارة أخرى نحن مسؤولون عن الموقف القلبى والميولات والأفكار، هل نتضامن فيها مع قابيل فيما فعلهُ أم مع هابيل، هل نتضامن ونؤيد جانب الحق أم جانب الباطل؟!

فتلك القصص يذكرها القرآن من ظلامات المظلومين لنكتة وهى أنّا مطالبون بموقف ولو قلبى نحاسب ونسأل عنه.

فهذه الأحداث وإن كانت فى غابر الأزمان إلّا أنها تنخر فى جسد الأمّة وفى عقل البشرية وتعمل فى تكوين هويتها لأنّ البشرية تعيش كأنما فى بيئة واحدة وفى سطح واحد وإن تقاسمتها الأزمان والأجيال لكنها بيئة واحدة مجتمعة فى الهوية الإنسانية فى مرتبة العقل وفى مرتبة الروح فكأن البيئة واحدة وكأن الزمان واحد وكأن المقطع واحد.

إذن القرآن الكريم يخاطب قوة الفكر وامتحان الفكر والعقل كما يحدّثنا عن أصحاب الأخدود وغيرهم من ظلامات المظلومين فى

سلسلة التاريخ.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۶

فالقرآن الكريم يربى المسلمين فى كل سورة وكل آية يقرءونها من خلال اتخاذ موقف تجاه الأحداث الماضية وحتّى اتجاه الأحداث اللاحقة بل حتّى فيما وراء الدنيا لأن الذى يصنع هوية الإنسان ومركز التحكم فيه هو العقل، وموقف العقل يستشرف الأزمان فلا تحده الفترات الزمانية ولا البقع الجغرافية ولا عالم من العوالم، فالعقل يستشرف عوالم عظيمة.

فبالعقل تكون الهوية والبطاقة الشخصية للشخص وللأمم وللشعوب وللملل، فصياغة الهوية مرهونة بصياغة العقل والمعرفة والبصيرة، فتلك الأمّة هل هى أمّة فاتكة أم مسالمة، وظالمة أم عادلة ... ذلك مرهون بمعرفة تلك الأمم وصياغة البصيرة عند أفرادها.

وهذا ليس بمنهج قرآنى فحسب بل موجود فى ثقافة الشعوب والمجتمعات وإنما يشير إليه القرآن.

فمثلًا فى الآونة الأخيرة برزت بين اليابان والصين أزمة علاقة شديدة شعباً ودولة بناءً على موقف رئيس الوزراء اليابانى من زيارة قبور قيادات الجيش اليابانى الذين قاموا بمذبحة ومجزرة فى الحرب العالمية الأولى تجاه الشعب الصينى حيث إن الزيارة تعتبر تضامناً وتأييداً.

فبناءً على هذا الموقف من تلك القضية تتحدد طبيعة العلاقات بين الدولتين والشعبين مع أنها قضية تاريخية ماضية فى غابر التاريخ وأنهم يرون بأن الموقف اليابانى تجاه تلك القضية التاريخية يحدد الوضع الحالى بين الشعبين، هل هو عدوانى أم لا؟ وهل هذه الدولة والشعب دولة عدل وإنصاف أم لا؟

فالتاريخ يصنع ويكوّن عقلية ونفسية الأمّة البشرية وهذا هو الذى يركز عليه القرآن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۷

من هنا نفهم كيف أن قول الإمام الحسين (ع): «كونوا أحراراً فى دنياكم» («۱») هى صرخة ونداء لكل الأجيال.

فالذين يتسائلون: لماذا أنتم تحيون ذاكرة التاريخ فى عاشوراء؟ فنجيبه: إنّا لسنا ممن يدعو إلى ذلك من أنفسنا بل هى دعوة القرآن لنا.

إذ القرآن يدعونا إلى استعراض كل سلسلة المظلومين والتضامن معهم والتنديد والادانة للظالمين وعبر تلك الأحداث التى يدعونا القرآن لذكرها كواقعة كربلاء، فنحن لا زلنا نُمتحَن بواقعة كربلاء من خلال إبراز موقف منها، لأنّ القرآن الكريم والفقه يطالب بتحديد موقف قلبى وفكرى من معسكرات الحق والباطل وهو كله امتحان فإحياؤنا لعاشوراء ليس إلّا لدعوة القرآن الكريم لذلك.

وفى السُنّة كذلك، قال رسول الله (ص): «المرء يحشر مع من أحب حتّى لو أحب أحدكم حجراً حشر معه» («۲»)، عن عطية سمعت حبيبى رسول الله (ص) يقول: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم اشرك فى عملهم » («... ۳») الخبر، وهلم جراً.

وهذا ما سيأتى بيانه من كونه أحد معانى الامتحان والافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۸

الفكرى والقلبى فنحن دوماً فى امتحان مع تلك الهواجس العقلية والنفسية ولا يظن أنه قد شط بنا التاريخ عن الأمم السابقة بل لا زلنا نعيش معهم فى بيئة وجودية واحدة، كل ما أصيبت به الأمم السابقة من امتحانات وتجاذبات وصراعات يكلفنا الدين الإسلامى بموقف منها بضرورة الفقه وقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان قلبياً.

فنحن فى امتحان مستمر من هذا الجانب وهو منهج قرآنى تربوى حيث يكرس القرآن الكريم ويربينا على ندبة ونصرة المظلوم ورثاءه والتنفر من الظالم، ويعتمد القرآن الكريم فى هذه التربية على عقل وفكر الإنسان لأن صنع الإنسان وتربيته ومركز التحكم فيه هو عقله ودركه ومعرفته.

وبتوسط هذه المعرفة يستشرف الإنسان الدنيا من أوّل وجودها إلى يوم القيامة، بل يستشرف العوالم الأخرى لا الدنيا فقط، وبذلك

تترقى مسؤولية الإنسان، ويربينا القرآن الكريم على الانجذاب إلى الجنّة والخوف من النار، فمطالبة القرآن لنا بالانجذاب للجنّة والنعيم والخشية من النار ونقمة الله وسطوته هى فى حين كونها تربيةً قرآنية فهى طريقة معرفية إيمانية، فإنّ الإيمان عمل يتقوّم بالمعرفة وهو من أعظم أعمال المخلوق.

ثمّ إن عصارة الامتحانات وتكريسها من أوّل الدنيا إلى يومنا هذا تقع فى كيفية الثبات بشكل مستقيم وسديد فى الاعتقاد بالإمام المهدى (ع) ومنظومة هذا الاعتقاد وما يلابسها من إثارات وشبهات والتباسات وتعويمات ونحوها.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۱

الفصل الثانى: منظومة المعارف الدينية ... ص: ۲۹۱

اشارة

إذا كانت لدينا مجموعة حجج فلا بدَّ من تنظيمها بحيث لا تتقاطع مع أن لكل مرتبة منها حق التشريع والاتّباع فكيف تنظم وما هى مساحة حجية كل منها؟!

لو لاحظنا جملة من الآيات والروايات يتضح لدينا أن فى منظومة التشريع والمعرفة الدينية ستة محاور هى: الدين والملة والشريعة والمنهاج والطريقة والحكمة، ونحتاج لتصوير وبيان مبسط لكل واحد من هذه المحاور الستة:

المحور الأوّل: الدين ...: ص: ۲۹۱

اشارة

الدين هو ضرورات وفرائض الله تعالى، أى أصول الأركان وضروريات فرائض الله تعالى، فدائرة الدين هى العقائد وأركان الفروع امّهات وأصول الواجبات وأصول امّهات المحرّمات، وهذه الدائرة موحدة بين جميع الأنبياء والرسل إذ بُعِثَ جميع الأنبياء بدين واحد، كما فى قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ («۱»)، وهذا الدين هو الدين الإسلامى كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ («۲») فكل الأنبياء كانوا على دين الإسلام، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۲

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ («۱») فكل الأنبياء والرسل جاءوا بتوحيد الله ونبوة سيد الرسل ووصاية سيد الأوصياء والمعاد، ومن ثَمَّ الكل مأمورون باتّباع دين الله، قال تعالى: أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ («۲») أى التسليم لله بالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.

وهذا الدين يتجاوز محيط النشأة الأرضية ودار الدنيا فيرتبط بعوالم أوسع سرمدية إلهية كعالم ما قبل الدنيا وعالم البرزخ وعالم الآخرة، فالدين ثابت لا يتغير ولا يُنسخ إنما النسخ فى الشرائع كما سيتبين هذا فى الدين الصحيح بغض النظر عن تحريف بعض أتباع الأنبياء لذلك الدين كما حُرّفَ عند اليهود إلى اليهودية وعند النصارى إلى النصرانية، ... فقد يُنسب النسخ مسامحة للدين بعد تحريفه كاليهودية والنصرانية، وإلّا فإنّ تغيير بعض الأحكام فى الدين من الفرائض والضروريات كانكار نبوة سيد الرسل، ومن أركان الفروع كانكار بعض الواجبات وغيرها، فإنّ هذا لا يعد نسخاً وإنما تحريفاً للدين، فإنّ أصول الأركان وضرورات فرائض الله دائرة موحدة بين جميع الأنبياء والرسل وليس من صلاحيات أى نبى أو رسول أن يتخطى هذه الدائرة فضلًا عن غيرهم فهى دائرة ليست قابلة للنسخ فلا

يتصور نسخ التوحيد ولا نسخ المعاد ولا نسخ لنبوة سيد الرسل محمّد (ص) ولا نسخ لوصاية سيد الأوصياء على بن أبى طالب (ع) ووصاية الأئمّة من بعده (عليهم السلام)، فإنّ رسالة سيد الرسل ووصاية سيد الأوصياء عقيدة فى دين الله وليست مختصة بشريعة محمّد (ص).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۳

فإنّ ولاية أمير المؤمنين (ع) والأئمّة الطاهرين عقيدة فى الدين قد بشّر بها جميع الرسل السابقين، لذا قال تعالى فى يوم غدير خم: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً («۱») فهو يوم إكمال الدين وليس إكمال الشريعة لأنّ ولاية على (ع) من العقيدة وليست من تفاصيل فروع الدين الجزئية، فولاية أمير المؤمنين لما كانت عقيدة والعقيدة من الدين والدين واحد وقد بُعِثَ كل الأنبياء به لذا فإنّ جميع الأنبياء بُعثوا بولاية على (ع)، فهذه دقائق لطيفة فى الآيات يجب أن نلتفت إليها.

ولذا كان جميع الأنبياء يبلغون بنبوة محمّد (ص) ووصاية على (ع) والأئمّة (عليهم السلام)، بل يبشرون بدولة الحق والعدل للمهدى (ع) قبل تبليغ شرائعهم لأنها من الدين والدين واحد وهو لله، فالأنبياء يبلّغون دين الله تعالى ثمّ يبلغون شرائعهم، من هنا يتضح لنا لماذا كان جميع الأنبياء يتقربون لله تعالى بطاعة ومحبة ومودة محمّد وآله، ولِمَ كانوا يبكون على مصاب الحسين (ع) قبل واقعة الطف، فما ذلك منهم إلّا لأنّ محبة ومودة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وهو الإسلام، وأن جميع الخلق لا بدَّ أن يدينوا لله تعالى بهذا الدين الواحد بما فيه من العقائد والأركان والتى منها محبة ومودة محمّد وآله (عليهم السلام) وأن عقيدة الإمام المهدى (ع) من الدين وليست من الشريعة تبعاً لولاية أمير المؤمنين، فإنّ جميع الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانوا يعتقدون به، بل وإن تبليغهم وإرشادهم الناس كان تمهيداً لدولته المنشودة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۴

ومن ضعاف العقول أو ممن يدجل فى الدين من يحاول عبثاً أن يجعل عقيدة الإمام المهدى (ع) عند الناس عقيدة وليدة الأزمنة المتأخرة، وأنه بعد أن عانت بعض المجتمعات من الظلم والطغيان فكانوا يؤملون ويمنون أنفسهم بوجود مخلص ومنقذ، حيث يقول بعض ضعاف النفوس: إن عقيدة الإمام المهدى (ع) استحدثتها حركات التحرر التى تعبىء وتنهض الساحة الجماهيرية من خلال هذه الأفكار.

ولكن الصحيح أنه لا يمكن الاتيان بعقيدة أو فكرة فى الدين لم تكن مقبولة سلفاً عند المجتمعات ذات الاتجاه الدينى، فالحركات الثورية حتّى لو أرادت تعبئة الجماهير من خلال الدين فلا بدَّ أن تستخدم مسلمات موجودة سلفاً فى الثقافة الإسلاميّة، وحينئذٍ نقول: إن الأمر بالعكس، فإنّ اعتماد الحركات الثورية التحررية على عقيدة الإمام المهدى لاستنهاض الجماهير يكشف عن رسوخ هذه الفكرة فى عقيدة الناس وتدل على أن هذه عقيدة مسلمة ومتلقاة من الأنبياء وخصوصاً سيد الرسل (ص) وأن استخدامها فى أدبيات حركات التحرر إنما كان اعتماداً على هذه المفروغية وإلّا لما آمن بذلك أحد منهم.

وقد يتوهم البعض أن عقيدة الإمام المهدى (ع) ضمن عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) دون بقية المدارس الدينية بناءاً على وجود خلاف فى هذه المسألة ولكن الصحيح أن كل المدارس الدينية وخصوصاً الإسلاميّة تعتقد بالإمام المهدى، نعم هناك خلاف فى بعض الجزئيات والمشخصات له (ع) كاسمه الشريف أو اسم أبيه ونحو ذلك، فالكل يعتقد بأن المهدى يظهر فى آخر الزمان وهو من ولد الرسول (ص) بل ومن ولد على وفاطمة (ع) وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطاً بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً، كما هو الحال فى حديث خلفاء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۵

الرسول الاثنى عشر وأن كلهم من قريش الواردة عن العامة، قال رسول الله (ص): «هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم إثنا عشر خليفة»، قال: ثمّ تكلم بكلام خفى على، قال: فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» («۱»).

وهذا بيان نظرى لدفع مثل هذه الشبهة من هذا الجانب وإلّا فإنّه قد ثبت من طريق الشرع وبالروايات المتواترة عند كل من الفريقين أن مسألة الإمام المهدى (ع) مسألة عقدية أى من الدين ومما لا بدَّ أن تثبت بأدلّة قطعية لا بالظن والاحتمالات.

موالاة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين ...: ص: ۲۹۵

فى القرآن الكريم والسُنّة النبوية منهجة تربوية لبيان أن مودة ومحبة والاعتقاد بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وليس من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ («۲»)، رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ («۳»).

يذكر السيوطى وهو من أهل السُنّة فى كتاب الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله (ص) هذه الآية: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت على وفاطمة قال: «نعم من أفاضلها» («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۶

فالنبى (ص) لم يقل: (نعم منها) بل قال: «من أفاضلها»، والملفت للانتباه أن علياً وفاطمة لم يتوهم متوهم أنهما من الأنبياء، فما الذى دعا أبا بكر أن يسأل هذا السؤال؟ وما العلقة بين بيت على وفاطمة وبين بيت الأنبياء؟

وما ذلك إلّا كاشف ودال على أن القرآن الكريم والرسول (ص) لهم تربية خاصة للمجتمع الإسلامى ولوسط المسلمين بأن أهل البيت (عليهم السلام) حجج معصومون، فبالتالى هناك مناسبة أنه إذا قيل شىء فى الأنبياء قيل شىء أيضاً فى الأوصياء.

فهذا الحديث دال على المرتكز فى عقلية المسلمين أن علياً وفاطمة حجج، بل لهم أفضلية على الأنبياء طبعاً إلّا سيد الرسل (ص)، والملفت للانتباه أن هذه الرواية ليست من طرقنا بل من طرق العامة، وعلى ضوء مفادها لا بدَّ أن يلتزموا بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا فماذا يعنى أن بيت على وفاطمة من أفضل بيوت الأنبياء؟

وعليه فإنّ بيوت أهل البيت (عليهم السلام) بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهى ليست مساجد فقط، بل من المشاعر التى شعرها الله تعالى فإنّ مراقدهم (عليهم السلام) من المشاعر بروايات أهل السُنّة فضلًا عن رواياتنا، والمشاعر أعظم من المساجد، إذ المسجد ربما تنتهى وقفيته أو يزال لسبب ما كضرورة إقامة شارع ونحوه، فإنّ الضرورات تقدر بقدرها، أما المشعر فلا فإنّه كالمزدلفة ومنى وغيرها من مناسك الحج.

يقول الشيخ كاشف الغطاء: (هذه بيوت شعَّرها الله فهى أعظم من المساجد) («۱») فهذه المراقد الشريفة يجب أن تعمر وتعظم بنص كل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۷

المسلمين، وكذا أفضليتهم على الأنبياء بنصّ الرواية عند المسلمين وهذه من الدين.

المحور الثانى: الملّة ...: ص: ۲۹۷

الملّة باختصار هى الأعراف الحسنة التى يجذرها الأنبياء، فمن ملّة إبراهيم (ع) التوحيد الحنيف لذا لا نتصور نسخ الملّة فى جملة من مواردها لأنّ الملّة تتضمن أعرافاً حسنة مسلمة عند كل الأنبياء فلا تقبل النسخ فى تلك الموارد، فالنبى إبراهيم (ع) بنى أعرافاً تبقى حتّى لو فرضنا نسخ ما جاء به من شريعة، كما أن النبى محمّد (ص) بنى أعرافاً لم يكن النبى إبراهيم (ع) قد بناها، وعليه فللنبى محمّد (ص) ملّة أيضاً، ولكنها ليست ملّة أخرى غير ملّة إبراهيم (ع) بل هى مكملة ومتممة لها، حيث يقول سيد الرسل (ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» («۱»)، فإنّ المجتمع آنذاك كان لديه الكثير من الأعراف الحسنة التى ورثها عن إبراهيم (ع)، ثمّ جاء نبى

الرحمة ليجذرها ويكملها ويتممها فيكون هو النبى الخاتم بحق حيث أكمل كل المحاور الستة فى منظومة علاقة المخلوق بالخالق.
فعندما يقال: إن النبى محمّداً (ص) على ملّة إبراهيم أى ليست ملته مخالفة لملّة إبراهيم لأنها ملّة واحدة جاء ببعضها إبراهيم (ع) ثمّ تممها سيد الرسل (ص)، وإلّا فإن إبراهيم (ع) تابع لدين محمّد (ص).
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۸

المحور الثالث: الشريعة ...: ص: ۲۹۸

الشريعة هى عبارة عن تفاصيل أحكام الأصول كتفاصيل أحكام الصلاة وتفاصيل أحكام الصوم و ... وهذا المعنى مناسب جدّاً لأصل معنى اللفظة لغة.
قال تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ («۱») فكل نبى له شريعة تخصه يبين فيها ما يناسب قومه من تفاصيل أحكام الدين وينسخ ما لا يناسبهم من تفاصيل الأحكام التى بيّنها من سبقه من الأنبياء، فتسمى تلك التفاصيل شريعة وتنسب لذلك النبى وتسمى باسمه فيقال شريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة محمّد (ص).
فإذن حجية الرسول محدودة فى الشرائع وليست فى فرائض الدين، فليس للنبى أن يبدل فرائض وضرورات دين الله، وإنما يثبتها أوّلًا ثمّ يغير فى تفاصيل الأحكام بما يناسب قومه، أى ينسخ الشريعة السابقة ويأتى بشريعة جديدة، وهذا من صلاحيات وشأن الأنبياء (عليهم السلام).

المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ۲۹۸

المنهاج هو ما يخطه الأوصياء تبعاً لشرائع الأنبياء وقد مرَّ قوله تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً («۲»)، لذلك نقول فى دعاء التوجه: «وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۹
إبراهيم ودين محمّد (ص) وهدى على وفى بعض النقول ومنهاج على» («۱»).

المحور الخامس: الطريقة ...: ص: ۲۹۹

الطريقة هى الاستقامة على تلك المحاور الأربعة قال تعالى: وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً («۲»)، فالدين لله والشريعة للأنبياء والمنهاج للأوصياء والأئمّة.

المحور السادس: الحكمة ...: ص: ۲۹۹

اشارة

وهى حسن التدبير فى تطبيق كليات الفرائض والشرائع على الموارد الجزئية كما فى قوله تعالى: ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ («۳»)، وقوله تعالى: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ («۴»).

مساحات التشريع ...: ص: ۲۹۹

ليس من صلاحيات الأنبياء نسخ الأديان أو تغييرها، بل إن الدين واحد مطلقاً، ولهم نسخ الشرائع السابقة والاتيان بشريعة جديدة، وليس من صلاحيات الأوصياء نسخ الشرائع، نعم لهم بيانها ومنهجتها.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۰

ومن باب التشبيه والتمثيل لتقريب المعنى وبيان علاقة المساحات التشريعية فى الدين والشريعة والمنهاج نذكر هذا المثال، وهو علاقة وارتباط التشريعات الدستورية ثمّ النيابية ثمّ الوزارية ثمّ البلدية حسب ما هو موجود فى القوانين الوضعية، فهذه المراتب التشريعية الأربع فى القانون الحديث لا يحصل فيها تجاوز ونسخ من الدانى للعالى، فالتشريع النيابى فى ضمن هيمنة التشريع الدستورى والتشريع الوزارى فى ضمن هيمنة التشريع النيابى والتشريع البلدى فى ضمن هيمنة التشريع الوزارى، فالتشريع النيابى امتداد وانحدار وتنزل للتشريع الدستورى، والتشريع الوزارى امتداد وانحدار للتشريع النيابى وهكذا، فطبيعة علم القانون وعلم الأحكام طبيعة توالدية تنزلية انحدارية تشعبية أى تتشعب كلما انحدرت وتنزلت فهى عبارة عن معادلات ودوائر تتوالد منها دوائر ومعادلات أخرى.

فالدين هو فرائض الله، يأتى بعده سنن الأنبياء وشرائعهم، وهى ليست بديلة ولا رافعة ولا ناسخة لتشريعات فرائض الله بل هى امتداد وانحدار وتوالد وتنزيل لفرائض الله لمرتبة أقرب للمصاديق، ثمّ تأتى مناهج الأوصياء ويعبر عنها سنن وطرائق الأئمّة وهى أيضاً تشريعات تأتى بالمرتبة الثالثة بعد تشريعات الله والأنبياء.

فتشريعات الأنبياء محكومة ومحدودة وفى ظل هيمنة التشريعات الإلهية، وتشريعات الأئمّة محدودة وفى ظل هيمنة التشريعات الإلهية وتشريعات الأنبياء وسننهم.

ومن هنا نفهم لِمَ ينسب دين الإسلام وهو دين الله للنبى محمّد (ص) لأن الرسول الأعظم (ص) أكمل كل تلك المحاور الستة، فأثبت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۱

كل ضرورات وفرائض الله وأكمل تجذير جميع الأعراف الحسنة أى أكمل الملّة هذا فضلًا عن إكمال شريعته كما أن أوصياءه (عليهم السلام) أكملوا المنهاج والطريقة.

فلما كانت أمّة سيد الرسل (ص) خاتمة الأمم فشريعته بمقتضى ذلك لا بدَّ أن تكون خاتمة الشرائع ولا بدَّ أن تكون تفاصيل الأحكام المبينة من قبله (ص) تناسب هذه الأمّة التى وصل فيها العقل البشرى والكمال الإنسانى إلى أعلى مراتبه من حيث الاستعداد والقابلية، فلا بدَّ أن تعطى هذه الأمّة أحكاماً تامة كاملة موصلة لغاية الكمال الفعلى من خلال القرب الإلهى بما تبين من أحكام فى الشريعة الخاتمة، وبناءً على ذلك فإنّ المنهاج والطريقة لأوصياء سيد الرسل (عليهم السلام) لا بدَّ أن تتناسب مع تلك الشريعة الكاملة فتكون مناهجهم أكمل وأرقى وأعلى المناهج، من هنا نفهم لِمَ ورد على لسان سيد الرسل (ص): «علماء أمّتى خير أو أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» («۱») لأن علماء أمّة محمّد (ص) اتبعوا أكمل الأحكام فى الدين وفى الشريعة الخاتمة وأتوا وطبقوا أكمل المناهج وهو منهاج أهل البيت (عليهم السلام)، لذا حصلوا على الكمال والقرب الإلهى ما لم يحصل عليه غيرهم فى بقية الأمم من الأنبياء فضلًا عن غيرهم حيث صار سير أمّة محمّد (ص) وعملهم فى المحاور الستة الدين، الملّة، الشريعة، المنهاج، الطريقة، الحكمة على أكمل وجه وأعلى مرتبة لأنه

(ص) أكملها وتممها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۲

بعض شبه العلمانية ...: ص: ۳۰۲

قد يتوهم البعض أن هذه الفرائض فى الدين والسنن إنما شرعت لتناسب زمان وظرف خاص وليس هذا زمانها فلا يصح للمسلمين الاهتمام بتلك الفرائض والسنن، نعم لا بأس بالحفاظ عليها كموروث دينى لا لأجل العمل بها، وبالتالى نحتاج لتشريعات جديدة

تناسب هذا الزمان وهذا الظرف.

وهذه فى الحقيقة هى بعض شبهات العلمانيين، وقد تسربت لمدعى المهدوية، بل مع الأسف هناك من الأقلام الرخيصة فى الوسط العلمى من يشيع هكذا شبهات، ولكنها ترتفع بالتأمل والالتفات لحقيقة الحجج فإنّ دين الله تعالى من فرائض وسنن شرعها الله تعالى بمقتضى علمه بما يصلح البشر ولما كان علمه تعالى أبدياً سرمدياً وليس علماً مؤقتاً، فإنّ ما يشرعه لا بدَّ أن يكون فيه صلاح وإصلاح البشر فى جميع الظروف والأزمان والأحوال، فإنّه تعالى خالق البشر وهو اللطيف الخبير العليم الذى لا يعزب عنه شىء إلّا ويعلم بما يصلح البشر عبر كل الأجيال إلى يوم القيامة، فإنّ علمه لا محدود، فكيف تكون شريعته وفرائضه محدودة، فمن يحد ويحصر فرائض الله فى ظرف محدود ليس ذلك منه إلّا لقصور عقله عن إدراك حقيقة حجية الله تعالى، وإما لجحده ومكابرته وتبنيه لمثل تلك الأفكار البائدة والأراجيف، وإلّا كيف يكون البشر وهم خلق الله يستطيعون فى سعيهم فى العلوم التجريبية اكتشاف أشياء تناسب وتنفع البشر لا يعلمها خالقهم، قال تعالى: أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۳

فما ذلك إلّا هلوسات وإيهامات يحاولون الاستهزاء بها على العقول القاصرة إذ كيف نتصور خالق الكون والدنيا والآخرة والجنّة والنار و ... لا يعلم ويشرع تشريعات وقتية؟!

فإنّ فرائض الله وسننه مبنية على عدم مخالفة البديهية العقلية، وقد حرم الله تعالى الزنا واللواط والسحاق والربا والسرقة والقتل وسفك الدماء والاعتداء...

وأوجب الصلاة والصوم وصلة الرحم والاحسان والرأفة والمحبة و...

وهذه كلها يحكم العقل بثباتها وعدم تغيرها، فهى تناسب طبيعة الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة، وفيها إصلاح الفرد والمجتمع الإنسانى وتنظيم حياته، نعم هناك فى الإنسان جوانب متغيرة كما أن فيه جوانب ثابتة، وهذه الأحكام والتشريعات كانت بمقتضى الجوانب الثابتة، فإنّ الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة لا يختلف من جهة حاجته للأكل والنكاح والروابط والعلاقات الاجتماعية و... وما شرعه الله تعالى مناسب لهذا الجانب.

أما العلمانيون فيتشبثون بأمور متغيرة، ويدعون الحاجة لنسخ تلك الأحكام من خلال بحوثهم فى العلمانية الحديثة أو الحداثويات من الفلسفات الغربية فيحاولون القفز والتمرد على ثوابت الشريعة المقررة لثوابت الطبيعة الإنسانية والبيئية المحيطة، سواء أكان ذلك بواسطة الفرق الضالة أم نشر أفكار علمانية أم فكر حداثوى مستورد و...

وقد تأثر بهذه الشبهات البعض وصار يدعو لتحديث الشريعة ونسخ ما جاء به الأنبياء، وغفل أو تغافل أن تلك التخرصات من العلمانيين لأجل نشر ثقافتهم فحسب ونشر الفساد والاباحية و ... وإلّا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۴

كيف يعقل أن تفشى انتشار الزنا واللواط والسحاق فيه حياة المجتمع ورقى الفرد الإنسانى بحسب دعواهم بالنسبة للمجتمعات الحديثة مع أن الله تعالى حكم وكذا العقل بأن هذه الأمور من الفساد والاباحية فيها هلاك المجتمعات، إذ الاباحية تفتك بالمجتمعات وتفقدها تنظيمها، سواء أكانت فى الماضى أم الحاضر أم المستقبل، ولكنهم لم يعرفوا الله ولم يعرفوا الرسول، فإنّهم لو عرفوا الله وصفاته من القدرة والعظمة والعلم والسناء و ... لما وقعوا فى هذه التوهمات قال تعالى: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً («۱») فإنّه تعالى يعلم بخلقه وأجيالهم وأطوارهم وقد شرع كل ما فيه الصلاح والخير والبناء.

ولكنهم قصرت معرفتهم بالله فقصرت معرفتهم بتشريعاته، فظنوا أن عقولهم كاملة ويستطيعون نسخ شريعة الله والاتيان بشريعة جديدة، فاستباحوا المحرمات وتركوا الواجبات، وانخدع معهم بذلك السذج والبسطاء فوقعوا فى الفتنة والضلال، وما ذلك إلّا لعدم انضباط منظومة الحجج وعدم الوعى فى البصيرة والمعرفة فبوغتوا وغُدِرَ بعقولهم ومعرفتهم.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۷

الفصل الثالث: فتنة البصيرة ... ص: ۳۰۷

فتنة البصيرة أشد الفتن ...: ص: ۳۰۷

الامتحان الإلهى للعباد عموماً وللإنس والجن خصوصاً هو حكمة إلهية بالغة ليتكاملوا به فى خطى لقاء الله (عزوجل)، والتبحبح فى رحاب جناته.

وهذا الامتحان لا ريب أنه على أشكال وأنواع وألوان، إذ يختلف شدةً وضعفاً بحسب موازين وضوابط معينة ومحدودة.

وربما يخالجنا أن الامتحان والافتتان الذى ينتاب البشر فى جانب الشهوات والغرائز والنزوات وبقية صفات النفس ونزعاتها أمر عصيب شديد.

ولكن المشاهد فى لسان القرآن الكريم ومنطقه الحكيم أن الفتنة والامتحان فى البصيرة هى من أشد الامتحانات وأشد الفتن، فربما تكون النزوات شديدة، والغرائز ملحة، والقوى التى يزود بها الإنسان تأخذه يميناً وشمالًا وتتجاذبه بشدة، حتّى البيئات المختلفة المحيطة بالإنسان تتجاذبه يميناً وشمالًا، ومن الشهوات والنزوات ما ربما فيها عاصفة جارفة للإنسان، ولكنها حسب بيان ومفاد الآيات القرآنية الكثيرة هى فى كفة أو فى جانب والفتنة والامتحان فى البصيرة، وفى معرفة الإنسان لطريق الهداية فى جانب وكفةٍ أخرى.

وبعبارة أخرى أنه فى جملة من الآيات الكريمة أن الامتحان فى البصيرة، وفى المعرفة من أعظم وأشد الامتحانات ومن أثمنها وأثمرها، حتّى أن البشر بل المعصومين من الأنبياء والرسل يتفاضلون فى نفاذ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۸

البصيرة وإن كان المعصومون من الأنبياء والأوصياء لا- كلام فى عصمتهم وسدادهم، إلّا أنهم يتفاضلون فى درجات السداد وفى درجات الحكمة، قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَ هُمْ عَلى بَعْضٍ («۱») فإذا كان المعصومون خاضعين لقانون الامتحان والاختبار والافتتان وأنهم يتفاضلون بذلك فكيف بغير المعصومين، فهم خاضعون لذلك بلا- ريب، وإن كانت درجات الافتتان والاختبار متفاوتة وليست على وتيرة واحدة!

فالامتحان فى البصيرة وفى المعرفة أمر بالغ الأهمية، بالغ الصعوبة تفتتن به الأمم ويفتتن به الأفراد، ويأخذ ألواناً وأشكالًا عديدة وكثيرة.

ومن ثَمَّ أن البنية المعرفية أو البنية فى البصيرة هى دعامة الإيمان والفلاح والنجاح وحسن العاقبة، ولأجل هذا تكرر فى القرآن الكريم قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ («۲»)، لأنه بلحاظ نفس حكمة ومركزية الامتحان فى المعرفة وفى البصيرة يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم بهذا اللحاظ قال تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ («۳»)، حيث يحدّثنا القرآن الكريم أيضاً أن المخاطب فى الرعيل الأوّل فى القرآن الكريم هم ذوو الألباب قال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ («۴») أو الذين يعقلون، قال تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ («۵»)، فالمخاطب فى القرآن الكريم هم أولوا الألباب أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۹

الذين يعقلون أو الذين يعلمون أو الذين آمنوا وغيرها من التعابير فى آيات عديدة تشير إلى نفس المركز ونفس النقطة والناحية وهى أن المسار فى المعرفة مسار خطير كما ورد («۱») فى تفسير قوله تعالى: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ («۲»)، أى ليعرفوا حكمة الخلقة، فالمعرفة قمتها العالية وسنامها الرفيع، يعنى الامتحان فى الحكمة وفى المعرفة.

وما ذكره أهل البيت (عليهم السلام) دللوا عليه بالبرهان فقوله: لِيَعْبُدُونِ، بمعنى ليعرفون؛ لأن العبادة ليست شأن البدن فقط، فالعبادة أيضاً تخص وتتأتّى من الروح وتخص وتتأدّى من النفس وتخص وتصدر من كل قوى الإنسان بما فيها العقل كما تقدم فى الفصل الأوّل، فبيان أهل البيت (عليهم السلام) هو على مفاد برهانى بديهى واضح.

وبعبارة أخرى أن الامتحان فى المعرفة، والفتنة فى المعرفة والبصيرة هو من أعظم مراحل الامتحان الإلهى.

إذ يحدّثنا القرآن الكريم عن ملاحم خطيرة فى الأمم أشدها فى افتتان الأمم وانحرافها أو استقامتها هى فى البصائر والتبصر، أى فى الفتنة المعرفية.

تفاوت البصائر ...: ص: ۳۰۹

مما لا شكّ فيه أن عقول الناس وبصائرهم وإدراكاتهم مختلفة وليست على مستوى واحد، وبالتالى إدراك الحجج أيضاً يختلف تبعاً لذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۰

فمثلًا فى واقعة الطف كل من الحر الرياحى وحبيب بن مظاهر الأسدى أدرك حجية الحسين (ع) وأنه على حق، ولكن الحر لم يدرك ذلك إلّا بعد كلام الحسين (ع) وإلقاء الحجج عليهم وما ذكره من بيان، فى حين أن حبيباً رضوان الله عليه أدرك ذلك لمجرد أنه الحسين (ع).

لذا فبعض البصائر تحصل لها يقظة وإبصار ولو من حجج نازلة بل ويحصل لها تمييز الحجج العالية من المتوسطة والنازلة فضلًا عن التمييز للمزيف من الحجج، فى حين أن هناك بصائر لا يحصل لها إدراك والتفات إلّا مع الحجج القوية، وليست لها قدرة إدراك الحجج المتوسطة أو النازلة بل قد تنخدع بالمزيف منها.

لذا نجد من أوصاف أبى الفضل العبّاس (ع) أنه نافذ البصيرة («۱») كما وصف بعض أصحاب الحسين (ع) بأنهم ذووا بصائر.

لذا فإنّ اختلاف الفتن وشدتها تختلف باختلاف البصائر، فإنّ الله لا يكلف إلّا بمقدار قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها («۲»)، من هنا لا بدَّ أن يكون الدعاء لله تعالى بأن يفتح بصائرنا وأن يمكننا من تخطى ما نبتلى به من فتن، فقد ورد أن رجلًا قال عند أمير المؤمنين (ع): أعوذ بالله من الفتن، فقال له الإمام (ع): «لا تقل ذلك، الفتنة لا بدَّ منها، الله خلق الإنسان ليختبره ويفتنه ويمتحنه»، قال الرجل: إذن ما أقول يا أمير

المؤمنين؟ قال: «قل: أعوذ بالله من مضلات الفتن، فاستعن بالله واستجر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۱

بالله» («۱») أى اللهم نور بصيرتى لئلّا أضل فى الفتن، وإلّا نفس الفتن لا بدَّ منها، نعم يكون الدعاء لتنوير البصيرة أو أن تكون الفتن بحسب بصائرنا.

اليهود وفتنة العجل ...: ص: ۳۱۱

من امتحانات وفتن البصيرة التى ذكرها القرآن الكريم قصة قوم موسى (ع) قال تعالى: وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكانُوا ظالِمِينَ* وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ («۲»)، فإنّ السامرى كان من حوارى النبى موسى (ع) وليس من سقطة الناس أو عاديى البشر، بل كانت له مكانة وجاه، وكان ذا مهارات وذا فنون وكان صائغاً من الصاغة الماهرين والمتمرسين، ومن شدة دراية السامرى أنه عندما سأله النبى موسى (ع) ماذا صنعت حتّى فتنت القوم؟

قال قبضت قبضةً من أثر الرسول، قال تعالى: قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ
يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي («۳»)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۲

أخذت تربة من أثر الرسول فنبذتها فى جسد العجل الذى صنعته وكذلك سولت لى نفسى.

ولكن السؤال فى المقام: ما هى قصة أثر الرسول؟ وما المراد بالرسول؟

المراد بالرسول هو جبرئيل (ع) إذ لما أراد جبرئيل (ع) أن ينجى بنى إسرائيل من بطش فرعون وسار بهم فى البحر يبساً كان جبرئيل (ع) على فرس من الملكوت كما فى الروايات («۱»)، وطبيعة عالم الملكوت عندما يماسس عالم المادة أنه يفرز لها ينبوع الحياة، ويشير القرآن الكريم لذلك فى قوله تعالى: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ («۲») يعنى أن عنفوان الحياة هناك فى الآخرة وليس هنا فى الدنيا، وهذا شبيه ضعف الطاقة وقصر الطاقة، ونحوه وشبيه الممات، فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا («۳»).

فالسامرى شاهد أن ذلك الفرس الملكوتى كلما يماسس أرضاً

فإنّ التربة تنبع منها الزراعة والأشجار أى الحياة فى نفس الآن، أى فى نفس زمان المماسة، كما تحدّثنا روايات ظهور الإمام المهدى (ع) أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۳

الرقى البشرى والازدهار فى عهد دولته (ع) يصل إلى هذا الحد يعنى أنه تتفجر الحياة بينبوع وعنفوان («۱»).

وهذا بيان قرآنى لتكوينية التوسل والتبرك، وأنه أمر له حقيقة وله واقعية، حيث يستفاد ذلك من نفس الآية الكريمة فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ يعنى التراب الذى وطأه فرس جبرائيل له هذا الأثر، فتراب فرس جبرائيل وليس جبرائيل وليس فرس جبرائيل بل تراب فرس جبرائيل، فكيف بتراب سيد الرسل، أو كيف بتراب بضعة الرسول، أو تراب أخى الرسول على بن أبى طالب، أو تراب سبط الرسول، وهذا بحث آخر يأتى الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأخذ السامرى هذا التراب وعرف أن فيه كبريتاً وإكسير الحياة، ومن ثَمَّ نبذه فى العجل الذى صاغه كجسد مجسم، فأصبح لذلك الجسد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۴

خوار أى (صوت) كأنما بعثت فيه شبه الحياة، فافتتن به بنوا إسرائيل، قال تعالى: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى فَنَسِيَ («۱»).

ثمّ فى كلام النبى موسى (ع) مع الله تعالى قال: ربى الفتنة بدأت من السامرى لكن من أحدث الصوت فى العجل إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ («۲»)، فإنّ الله تعالى أراد بذلك الامتحان والافتتان لبنى إسرائيل ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء.

فأين وقعت هذه الفتنة؟ وقعت فى البصيرة والمعرفة، فرؤيتهم الجسد ينطق وله صوت ليست فتنة فى شهوة، وليست فى غرائز، وليست فى نزوات، بل هذه الفتنة فتنة فى المعرفة وفتنة فى البصيرة، وهى أعظم فتنة مرت على بنى إسرائيل كما يحدّثنا بها القرآن الكريم. فما هى الحكمة من ذلك؟

الحكمة من فتن البصائر ...: ص: ۳۱۴

مما لا شكّ ولا ريب فيه أن الله تعالى ميّز الإنسان عن بقية المخلوقات بنطقه العقلى أى بعقله الذى هو أعظم شىء فى وجود الإنسان، قال تعالى: الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ* عَلَّمَهُ

الْبيانَ («۳»)، فإنّ استبيان المعلومات والادراك من أعظم الميزات التى أتحف الله (عزوجل) بها الإنسان عن بقيـة المخلوقات ومن ثَمَّ تكون أعظم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۵

الامتحانات هى من نصيب العقل الإنسانى وهو امتحان المعرفة وامتحان البصيرة فهذه ميزة مهمة.

فمـا يسـطره لنـا القرآن الكريم من تشـابه الـدلائل وتشابه البينات من محكم ومتشابه كى يُصْـحِح بصـيرة الإنسان، فالقرآن الكريم نور البصيرة فى الإنسان فيجب على الإنسان أن يتبع نور البصيرة.

وبعبارة أخرى يجب أن يُفَعِّل الإنسان قوة عقله وقوة دركه وقوة تمييزه ويكون فى يقظةٍ تامة دوماً دؤوباً وبشـكل مسـتمر كى لا تجذبه الفتن يميناً ويساراً ويقع فى الزيغ والضلال.

فالعقل أعظم تحفة أنالها الله (عزوجل) الإنسان، فلا يمكن أن تظل معطلة راكدة، بل يجب أن تكون دوماً مُفَعَّلة كبرج مراقبةٍ.

ولـذلك فالامتحانات كثيرةٌ لهـذه القوة، وهى قوة العقل فى الإنسان وبأشـكال وألوان وتلوينات وصور قد لا يكون الإنسان عهدها من قبل.

وإنما يتمّ النجاح فى الامتحان والافتتان مثمراً وناجحاً إذا كان الإنسان دوماً فى حالـة إعـداد لنفسه، قال تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ («۱»).

وحتّى الشعوب تفتتن وتضلل وتُعَوم، وذلك من خلال الهجوم الثقافى أى التضليل الثقافى والغسيل الثقافى، يعنى أن الشعوب تستقوى أو تستضعف من خلال الثقافة والمعرفة.

والمنهج القرآنى والإسلامى ومدرسة أهل البيت مفعمة بمحورية البيان والبرهان والدلائل والتعقل فهى حكمة مهمة، وهذا ما لم يُعهد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۶

عنـد بنى إسـرائيل ومع ذلـك امتحنهم الله به، ألم يخـاطبهم الله (عزوجـل): أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَـرًّا وَلا نَفْعاً («۱») أن هـذا لا يرجع لكم قولًا أى جواباً، وإن سـمعتم منه صوتاً ولكن بقيـة كمالات الالوهية غير موجودة فيه. كيف إذاً اسـتجبتم مع أنه نوع من الطلسم الملكوتى ونوع من المسحة الخلابة ونوع من التشويش فى الادراك.

ولـذا انتـابت بنى إسـرائيل الفتنـة، مـع أن الله (عزوجـل) أعطى كـل بنى البشـر قـدرة تمييز، فلمـاذا لم يميّزوا؟ فهو امتحـان فى أصـعب وأحلك بحوث الادراك.

النصارى وفتنة قتل عيسى (ع ...): ص: ۳۱۶

مثال آخر يـذكره لنا القرآن الكريم امتحن الله به النصارى وبنى إسـرائيل وهى قضـية قتل النبى عيسـى (ع)، قال تعالى: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِـيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً («۲»).

فى كلمات المفسّرين كالفخر الرازى صاحب التفسير الكبير والآلوسى وغيرهما، وحتّى مفسرى مدرسة أهل البيت عندما يصلون إلى هذه الآية التى فيها ملاحم معرفية خطيرة جدّاً فإنّهم يتسائلون ماذا يريد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۷

أن يسـطر لنـا القرآن؟، هل يريـد أن يقول: إن الحس ليس بحجـة؟! حيث أن النصارى أو بنى إسـرائيل بتوسط إدراك الحس والبصـر رأوا شبيه النبى عيسـى (ع) باعتبار أن الله (عزوجل) جعل شـبه النبى عيسـى على أحـد أنصاره كما فى رواية أهل البيت («۱»)، أو على عدوه يهوذا كما فى روايات المدارس الإسـلاميّة الأخرى («۲»)، أيّاً ما كان فإنّ البارى تعالى شـبه النبى عيسـى (ع) على شخصٍ آخر،

فَقُتِل ذلك الشخص الآخر أمام مرأى وعين اليهود والنصارى.

واليهود هم الذين قاموا بتدبير هذه المؤامرة. قال تعالى: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ * ... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ («۳»).

القرآن يقول بأن الاعتقاد بقتل النبى عيسى وعدم الاعتقاد بحياة النبى عيسى هذا كفرٌ وضلالٌ.

هذا الامتحان فى العقيدة الذى امتحن الله (عزوجل) به النصارى واليهود مع أنهم استندوا إلى الحس والحس من البديهيات، كما أن الأجيال المتأخرة لليهود والنصارى أيضاً يعتقدون بقتل النبى عيسى (ع) وصلبه بحسب ما نقل إليهم بالتواتر، فكيف القرآن يفند التواتر مع أن مستند التواتر هو الحس؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۸

والمفسرون تبلبلوا هنا تبلبلًا وحارت أفهامهم وأبحاثهم فى هذه الآية، ماذا يريد أن يسجل ويسطر لنا القرآن الكريم فيها؟ يعنى أن المفسرين الإسلاميين فى حالة حيص وبيص فى تبيان مفاد هذه الآية، إذ كيف القرآن الكريم يذم ويندد استناد بنى إسرائيل والنصارى إلى الحس؟ فلم يعطوا جواباً شافياً عن هذه الأبحاث، وكأنما الآية لا زالت من ضمن الطلسمات فى نظام المعرفة أو نظام البصيرة أو نظام المنهج المنطقى الذى يريد أن يسطره وينظمه القرآن الكريم بحيث يدين انحرافاً رئيسياً أساسياً عند النصارى واليهود وكأنه مبتنى على نوع من الغموض، وحاشا لله أن يغمض الحجة البالغة.

ولكن المقصود أن هذا الامتحان يحتاج إلى نوع من البصيرة ويحتاج إلى نوع من نفاذ المعرفة ونافذية الادراك، وهذا الجواب موجود فى ذيل هذه الآية بحسب روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولو راجع المفسرون من الفريقين النكات المعرفية فى روايات أهل البيت فى التفسير لرأوا أن الأجوبة موجودة.

فرواية أهل البيت تشير إلى أن الموازنة فى الامتحان المعرفى الذى هو من أعظم الامتحانات التى امتحن بها اليهود والنصارى فى هذه الواقعة هى أن النبى عيسى (ع) قد أتى بالمعجزات والبينات وأخبر اليهود والنصارى أنه باقٍ حى إلى دولة الإمام الثانى عشر (ع) وسوف يكون وزيراً من وزرائه ويصلى خلفه. فهو أنبأهم بتوسط إعجاز الوحى والمعجزات التى ظهرت على يديه، وهم تركوا تلك المعاجز واستمسكوا بالحس، والحس لا ينهض ولا يناهض المعجزة.

فالقرآن يفند الحس إذا كان ينكر ما ثبت بالمعجزة، فتلك الأمم

باتّباعها الحس كبنى إسرائيل وعبادة العجل أو النصارى وشبهة قتل وصلب عيسى (ع) وغيرها استندت إلى يقين محدود دانى فيه سفل وتركهم لما فيه علو، وهذا افتتان وامتحان ويا له من امتحان وافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۹

صعب غامض دقيق. مع أن لله الحجة البالغة دائماً وحججه بيّنة أبين من الشمس ولكن الإنسان عندما تعتوره الكدورات نتيجة الأعمال والأفكار المنحرفة يقع فى اللبس والغموض.

ولا يقال: إن هذا الامتحان باعتباره أعمق من الحس يكون خروجاً عن طاقة البشر، وذلك: لأن الله (عزوجل) زوّد الإنسان بقوة العقل وهى قوة جبارة يقدر بمقتضاها تمييز الأبتلاءات الإلهية من مثل هذه الامتحانات الكبيرة.

الفتنة محك البصيرة ...: ص: ۳۱۹

يقول منبع البراهين والبينات والدلائل على بن أبى طالب (ع) عن ما جرى فى حرب الجمل وصفين والنهروان فى إحدى خطبه (ع): «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألونى قبل أن تفقدونى» («۱»)، لنفهم ماذا يريد أن يقول (ع).

ولو تأملنا جيّداً لعلمنا أنه يقول: إن حرب الجمل أو حرب صفين أو حرب النهروان فتحت فتوحات فى بصائر ووعى الأمّة الإسلاميّة وأسست فتوحاً بيّنةً فى وعى الأمّة الإسلاميّة وما كان لغير أمير المؤمنين ليجترئ على فتح تلك الأبواب العظيمة فى البصيرة ووعى الأمّة.

ففى حرب الجمل مثلًا كان الطرف الآخر ربما يتوهم أنه يتمتع ببعض الأوصاف القرآنية التى يُحسب أنها تعطيه صلاحيات كبيرة والتى من خلالها يريد أن يوسع أو يؤسس صلاحيات له فى مشروع الدين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۰

الإسلامى على طول التاريخ، فمَنْ الذى أيقظ فى الأمّة ذلك الوعى وقال: إن تلك الأوسمة القرآنية ليس لها مؤدى إعطاء الصلاحية لذلك الطرف أبداً؟ وكذلك مواجهة من يرفع شعاراً حقاً لكنه يؤسس لبناء باطل كالخوارج، أو مقاتلة من يتمترس بالانتماء إلى الإسلام لكنه يبغى على ولى الحق كما فى صفين. ومن كان يستطيع أن يُوجِدَ ويبنى فى وعى الأمّة مثل هذه البصائر لولا على (ع)، ولولا ما قام به فى حرب الجمل، أو حرب صفين أو حرب النهروان، من كشف الاغتشاش والالتباس، والايهام، واللبس، والتشابه الواقع فى وعى البشر نتيجة التباس ما ليس بحجة مع ما هو حجة، أى إلتباس ما ربما له درجة من درجات الحجية مع ما له درجة حجية كبيرة.

وكذا الخوارج الجدد التكفيريون تركوا محكمات القرآن ومحكمات السُنّة وضروريات الإسلام وتشبثوا بدلائل ظنية واهية وجعلوها محوراً للدين فأقصوا ما هو محور وتشبثوا بما هو متشابه وبما لا تقوم له قائمة إذ الفرع والرافد لا يمكن أن يكون نهراً كبيراً ولا يمكن أن يكون منبعاً للنهر الكبير وإنما يبقى رافداً وفرعاً.

التوسل بالنبى وآله من الاختبارات فى البصيرة ...: ص: ۳۲۰

القرآن الكريم يأمرنا بأن نتوسل بالنبى وأهل بيته (عليهم السلام) قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ

تَوَّاباً رَحِيماً («۱») لنرى ماذا تقول الآية هل تقول استغفروا أم تشترط شرطاً، نعم هناك شرط جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ فجاءوك باللغة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۱

الدارجة تعنى: (دخيلك يا رسول الله) أى القرآن يقول التجىء، لذ، استعذ بالنبى (ص) وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ («۱») فالرسول وأهل بيته (عليهم السلام) معاذ، ولواذ، وأمان بصريح الآية، وهذه فريضة عظيمة من فرائض الدين، ومع ذلك فإنّ الخوارج الجدد يحرمونه ويجحدونه ويكفرون به ويكفرون من عمل به، يقول الله تعالى فى وصف المنافقين: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ («۲») فنرى الدعوة تَعالَوْا إلى أين؟ ليلوذوا وليلتجئوا، بمن؟ يقول الله تعالى: يستغفر لكم الرسول.

ولكنهم لووا رؤوسهم ويعرضون ويصدون وهم مستكبرون. فهذه آيات بيّنة على فريضة ومشروعية التوسل، بل الآيات تدلل على ركنية التوسل، ولكن الجاحدين يتشبثون بالمتشابه ضالين مضلين، وقد وصف الخوارج بأنهم كلاب أهل النار لأنهم بلا هداية ولا نور وعدم رؤية منظومة الحجج وعدم ارتسامها عندهم بالشكل الصحيح، فالتوجه والالتجاء للرسول (ص) ولأهل البيت (عليهم السلام) من الامتحانات والاختبارات المهمّة فى البصيرة يمتحن الله بها الأمّة على مدى الأزمان والدهور.

وفاروق هذه الأمّة قسيم الجنّة والنار (ع) فرّق بين الحق والباطل فبيّن الحق للأمّة، فإنّ واقعة صفين والنهروان رسمت فى وعى الأمّة أن المسلمين أرادوا أن يفككوا فى التمسك بالقرآن الصامت ويتركوا القرآن الناطق، ولكن

فاروق الأمّة فتح فتحاً مبيناً وبنى وأسّس ولله الحمد فى وعى الأمّة أن القرآن الكريم ذو مراتب وحجج مترتبة، والتفكيك فى التمسك

بالقرآن الصامت وترک القرآن الناطق ليس إلّا ضلالًا.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۲

فصرف كون الشيء دليلًا لا يكون مبرراً لاتّباعه منعزلًا عن بقية الأدلّة إلّا أن يكون ضمن كتلة ومجموعة دلائل ومراتب تحفظ حقيقة الدليل، فاتّباع البعض دون البعض ضلال وانحراف وغواية، واتّباع المجموع ضمن المراتب هداية.

يقول صاحب الجواهر: لو أراد فقيه أن يتبع ظواهر العمومات بلا- أن يرتب الأدلّة كمجموعة واحدة لكانت تلك العمومات تضره وتضله، وهل يفكك أحدٌ من المسلمين فى اتّباع بعض الكتاب وترک الآخر بعد أن ندد القرآن بالتجزئة والتفكيك، قال تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ («۱») أى لم يجعلوا القرآن كمجموعة وكتلة واحدة.

فلم ينسقوا ولم يناسقوا ولم ينسبوا، ولم يناسبوا، مجموعات الأدلّة بعضها مع البعض الآخر لتكون ككيان هرمى منظومى يشرف فيها الحجة والدليل الأقوى على الحجة والدليل الأضعف، قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ («۲»)، فالإيمان بالبعض دون البعض الآخر ضلال عن الحقيقة.

فلو أراد فقيه أن يحكّم البعض دون البعض من قواعد الدين وسار على النظرة التجزئية كما ابتليت بذلك هذه الأمّة والأمم السابقة لتهدمت أركان الدين، واختل التوازن والتعادل واضطربت القواعد.

تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيرة ...: ص: ۳۲۲

ومن ذلك الظاهرة الواقعة فى المسار العلمى لدى أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل حتّى المذاهب الإسلاميّة الأخرى وهو ما يعرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۳

بالنزعة الإخبارية والنزعة الأصولية ونحن لسنا هنا بصدد تصويب طرف دون طرف إلّا أن هاتين الظاهرتين خلقت حالة توازن فى النظرة العلمية، فأصحاب المسلک الإخبارى كانت لديهم تحفظات وكذا المسلک الأصولى فخلق هذا نوعاً من النضج فى الرؤية المتكاملة وإن استهلكت جهوداً وطاقات بل ربما فتن اجتماعية، وكذا أصحاب النظرة الفلسفية والكلامية والعرفانية والصوفية فى قبال نظرة الفقهاء والمفسرين وما نجم عن ذلك من مطارحات ومصارعات فكرية شديدة، فقرون مرت كانت هذه التجاذبات مؤثرة فى الفكر والرؤية ولكنها خلقت نظرة متوازنة محيطة ومجموعية وسطية، وولدت رؤى متكاملة لمجموع دلائل الدين كما ورد عن أبى جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن الدين متين فأغلوا (فأوغلوا) فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذى لا سفراً انقطع ولا ظهراً أبقى» («۱») فالدين بحر غير متناهى والايغال فيه بسرعة وبحدة ودون نظرة متوازنة متكاملة فيه خطورة وإضلال للبصيرة، كما أن الايغال فيه برفق مع وجود تلك الفتن والامتحانات يقوى وينضج البصائر.

فالمعادلة المهمّة جدّاً هى الاستفادة من الفتن والامتحانات والاختبارات الإلهية لزيادة الوعى والبصيرة وإعمال القواعد العقلية وتحكيمها ووضع الأمور فى مواضعها، لئلّا نقع فى الضلال والزيغ.

تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ۳۲۳

لننظر تعبير القرآن الكريم فى سورة آل عمران: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۴

عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ («۱») فإنّه يصنف الآيات القرآنية إلى آيات لها امومة ومحورية ومركزية وأخرى متشابهات ليس لها امومة، فالذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، فذمهم القرآن لاتّباعهم هذا، وهذا من بديع

حكمة القرآن أن يذم اتّباع الآيات التى أنزلها الله وحياً على نبيه لتكون قرآناً خالداً إلى يوم القيامة، ولكن ذلك لا لمطلق الاتّباع بل لاتّباع الآيات المتشابهة حيث جعلت لها الريادة والقيادة والامومة والمركزية، فإنّ جعل ذلك لها فيه إضلال، فإذا كان القرآن يذم اتّباع تلك الآيات فماذا نتبع؟

نتبع آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ امّ الكتاب أى امومة ومحورية الآيات المحكمات، وإلّا فاتّباع الصنف الدانى دون اتّباع الصنف العالى الذى له المحورية يضل الطريق والمنهاج، فالقرآن يقول بأن اتّباع الآيات المتشابهة دون المحكمات يكون إضلالًا.

وهذا منهج قرآنى يبين لنا معادلة خطيرة وعظيمة، وهى أن منظومة الحجج منظمة فى درجات وسلم هرمى يجب ألّا يفقد الأعلى باتّباع الأسفل، فيجب التمسك بالدانى فى ظل وهيمنة العالى، فإنّ اتّباع الدانى فى غير هيمنة ما هو أعلى يكون إضلالًا، لأنّ طبيعة القرآن عبارة عن حقيقة ومنظومة متماسكة وليست متشتتة ومبددة، وإن اتّباع المتشابه

دون الاستمساك بالمحكم تبديد لمنظومة وحقيقة القرآن الكريم، كما يقول عزّ من قائل فى محكم كتابه الكريم أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ («۲») فالحفاظ على تلك المنظومة متماسكة هو إبقاء هيمنة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۵

ومحورية ما هو أقوى حجية على ما هو أضعف، فإنّ رايات الضلال والإضلال والزائفات والفرق المنحرفة تنشأ بسبب فقد البصيرة فى هذه المعادلة المهمّة، وهى أن الحجج ذات مراتب يجب حفظ محورية المحكمات والامهات ومراتب الدلائل.

ومن هذا الذم ذم النصارى واليهود فى اتّباعهم الحس مع أنه من مصادر اليقين البديهى، لأنهم اتّبعوا الدانى وتركوا ما هو أعلى وهو الاعجاز الذى بينه القرآن الكريم على يد النبى عيسى (ع) حيث أخبرهم أنه سيبقى حيّاً ويكون وزيراً وتابعاً للإمام الثانى عشر الخليفة والوصى لخاتم الأنبياء، فتركوا ما هو أكثر برهانيةً ويقيناً ودلالة واتّبعوا ما هو أضعف يقيناً، ومما يشهد لتراتبية الحجج ما نلمسه ونشاهده من إعداد وتعبئة للقاعدة الجماهيرية المهدوية من خلال تجنيد الكوادر الأيمانية الملتهبة والمتلهفة فى مسار أهل البيت لا ما روى فقط من أن الإمام المهدى (ع) هو الذى ينصر الإمام الحسين (ع)، فإنّ سيد الشهداء (ع) كما روى أيضاً هو السفينة الأوسع والأسرع فى لجج البحار وهداية القاعدة الجماهيرية لتحقيق دولة العدل الإلهية دولة ابنه الإمام المهدى (ع)، هذا التجنيد الحسينى للبشر فى كل مكان وحتّى من غير المسلمين تهوى قلوبهم انعطافاً وانجذاباً لقضية سيد الشهداء، ولهذا فإن التلألؤ الشفاف والجمال لسيد الشهداء (ع) هو الذى يعد العدة لابنه وهو الذى ينصره.

أصحاب الكساء ركن المهدوية ...: ص: ۳۲۵

فإنّه لا تقوم للإمام المهدى قائمة دولة ولا عمود دولة بلا سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد مشروع سيد الشهداء، فالذى يعّد ويبنى ويحفظ قاعدة وأساس دولة الإمام المهدى (ع)، هو قضية سيد الشهداء (ع)، فمعنى أفضلية الإمام الحسين على الإمام المهدى، بل وأفضلية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۶

الخمسة أصحاب الكساء على الإمام المهدى هو أن مشروع الإمام المهدى (ع) العظيم والعالمى لا يمكن فيه استبعاد سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد الخمسة أصحاب الكساء.

فلا يمكن لأدبيات الدولة المهدوية العالمية أن يستبعد فيها منهاج وهدى ونور على بن أبى طالب ونور الزهراء ونور الحسن المجتبى ونور الحسين (عليهم السلام).

فهذه هى البصيرة فى مراتب الحجج، فالدين كتلة واحدة متماسكة إنْ حَكَمَ ما هو أعلى إلى ما هو أدون رست وانضبطت وتمنهجت منظومة الدين ككتلة واحدة وكجسم واحد.

فالفتن والامتحانات على اختلاف أشكالها وأنواعها وشدتها توقض فى الأمّة الوعى والبصيرة، وبالنتيجة يتبين من خلالها البصيرة المستقيمة والوعى العالى كما تتبين الانحرافات والزيغ وإلّا فمن دون توسط الفتن والامتحانات لا مائز بين أنحاء البصائر ومراتب الوعى فالفتن محك البصيرة.

طريق تخطى فتن البصائر ...: ص: ۳۲۶

من الأمور المهمّة جدّاً والمصيرية والحساسة أن نعرف طريق
التخطى والتخلص من زلة الافتتان والنجاح فى امتحان البصائر أو انزلاق الافتتان فى المعرفة.
وهو بنحو إجمالى الركون إلى الدليل وإلى ما هو حجة، وأما بنحو تفصيلى فالأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والمحاسبة إذ كيف يميّز الإنسان بين ما هو دليل وحجة وبين ما ليس هو دليلًا وحجةً
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۷
وهذا الأمر يتطلب تثبتاً وتحرياً ودراسةً ومعرفةً وسعياً فكرياً حثيثاً لأن الالتباس والزيغ والتشابه إنما ينجم ويحصل من تشابه ما ليس بدليل فى مرحلة ما مع ما هو دليل فى نفس تلك المرحلة، وتشابه ما ليس بحجة فى مرتبة ما مع ما هو حجة فى نفس المرتبة، وكما مرت بعض الأمثلة من تشابه الأدلّة فى مراحلها المختلفة كاعتماد الحس فى قبال الإعجاز وغيرها مما استعرضها لنا القرآن الكريم، وليس هذا التشابه بالتشابه السهل اليسير.

حقيقة التباس الحجج ...: ص: ۳۲۸

ربما لا يتصور البعض كيف يتشابه ويلتبس الدليل مع ما ليس بدليل أصلًا؟
وفى الحقيقة ليس الأمر كذلك، فكثيراً ما يتشابه ما يكون دليلًا فى بعض الأحوال وفى بعض المراتب وفى بعض المراحل مع ما هو دليل بدرجة أرفع ودرجة أعلى وأقوى بلحاظ نفس تلك الأحوال والمراتب والمراحل.
أما تشابه الدليل مع ما ليس بدليل أصلًا أى ما ليس فيه شأنية واقتضاء الدليلية فهذا ليس بالأمر الصعب وليس بالأمر الشائك ولا بعسير التمييز وإنما الصعوبة تكمن وتنجم من التباس ما هو دليل فى بعض حالاته وليس بدليل فى بقية الحالات مع ما هو دليل بدرجة أرفع وأعلى، فينجم الاشتباه والالتباس والتعمية بين ما هو دليل من درجة دانية مع ما هو دليل من درجة عالية، ويحصل الالتباس بين ما هو دليل بدرجة متوسطةٍ وضعيفةٍ، مع ما هو دليل من درجة قوية وشديدة وعالية،
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۸
فيستبدل الضعيف بالشديد، ويستبدل الدانى بالعالى وهذا هو الذى يقع فيه الالتباس.
فليس المنقذ من ظلامية الفتن والاثارات فى البصيرة والمعرفة هو فهم ومعرفة أصل حجية الحجة بل هو معرفة منظومة الحجج وتراتبيتها ومرتبة كل حجة فى تلك المنظومة.
وربما يقال: كيف يكون الدليل الضعيف ليس بدليلٍ بقولٍ مطلق، والدليل الذى هو بدرجة متوسطة كيف لا يكون دليلًا بقول مطلق؟ ما هو دليل بدرجة دانية أو دليل بدرجة وحجة متوسطة لو جعل فوق مرتبته لكان فيه غواية وإضلال وعماية.
إذ بعض الظُلَم والمسارات المظلمة لا يكفى فيها نور خفيف، بل لا بدَّ من نور مجهز مسلح ونور شديد، فإنّ بعض الظلم والمتاهات الحالكة شديدة الستار وشديدة الظلمة لا يمكن أن يقتحمها إلّا نور شعشعانى شديد، وهو الحجة القوية والبرهان القوى بحيث أن الاهتداء بالنور الضعيف يتسبب بالغواية والضلال والزيغ عن الصراط المستقيم فلأنه نور ضعيف فهو يُشبِه ويشبّه ويلبس الطريق، فإنّ النور الضعيف يرى ما ليس بجادة جادة ويرى ما ليس بطريق طريقاً فيلبس المسار

ويعمى السائر!

اتّباع بقية الأنبياء فى زمن سيد الرسل ضلال ...: ص: ۳۲۸

فى رواية رواها الفريقان أن النبى (ص) قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء، فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۹

حل له إلّا أن يتبعنى» («۱»)، وفى بعض الأحاديث: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلّا اتّباعى» («۲») وفى حديث آخر أنه (ص) قال: «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى (ع) ثمّ اتّبعتموه وتركتمونى لضللتم» («۳») فإن موسى فى هذه الفقرة الحساسة «لما حلّ له إلّا أن يتبعنى»، «لضللتم» فإنّه نبى من أولى عزم كيف لا يتبع ما يوحى إليه، بل اتّباعه ضلال إذا لم يكن ضمن ما يوحى لسيد الرسل (ص)!

فهو معصوم ومرسل ونبى وليس فى الأنبياء زلل ولا خطل فلا ريب أن الأنبياء متبعون ولكنهم هل يتبع بعضهم بعضاً؟

جميع الأنبياء على دين الخاتم ...: ص: ۳۲۹

بعبارة أخرى يذكر المختصون أن الأنبياء بعد إبراهيم (ع) كانوا على ملّة إبراهيم (ع)، والكثير يبحث أن سيد الأنبياء (ص) من أوّل حياته إلى الأربعين من عمره على أىّ ملّة كان؟

يذهب البعض أنه (ص) كان على ملّة إبراهيم (ع) وهذا التعبير مجحف

فى حق سيد الأنبياء فكل الأنبياء كانوا على دين محمّد (ص) وليس هو (ص) على دينهم بل هم على دينه، قال تعالى: وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ («۴»)، فالرسل أوّل ما يبلغون اممهم بعد توحيد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۰

الله نبوة سيد الأنبياء ووصاية سيد الأوصياء، هذا البحث دلّت عليه آيات فضلًا عن الروايات، وقد أشار إليها أهل البيت (عليهم السلام) أن جميع الأنبياء بُلّغوا بنبوة سيد الأنبياء وبوصاية سيد الأوصياء، فكانت الأنبياء جميعاً على دينه (ص)، وأوّل أصل من أصول الدين الذى بلغت به الأنبياء هو التوحيد، وثانى أصل ليس الاقرار بنبوتهم بل الاقرار بنبوة سيد الأنبياء وبوصاية سيد الأوصياء ثمّ بنبواتهم، فلا يستبدون بما يوحى إليهم عن اتّباع سيد الأنبياء، لذا جاء هذا التعبير فى الحديث الشريف: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلّا اتّباعى» («۱») إذ كان ما يوحى إليهما فى الواقع يقودهما إلى اتّباع سيد الأنبياء.

هذا يرسم لنا أن حجية سيد الانبياء تعلو وتعظم حجية موسى وعيسى (ع) بل حجية جميع الرسل، وفى إحدى الزيارات لسيد الشهداء (ع) («۲») والأدعية وأيضاً بعض الزيارات لأمير المؤمنين أن الحكمة أقرّت بنبوة سيد الأنبياء قبل أن تثبت وتدلل المعاجز على نبوته، والتعبير بالدعاء يعنى برهانية وبيانية ودلائل نبوة سيد الأنبياء، وهى بدرجة مفعمة ومركزة من قبل البارى تعالى بحيث لا يستطيع أىّ حكيم

أو عاقل أن ينكرها، فإنّه يشاهد المعجزات من سيد الأنبياء ودلائل نبوته ذات مساحة عظيمة جدّاً قال تعالى: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ («۳»).

والمستفاد من الأدلّة كما سيأتى بيانه أن للحجج مراتب بحيث لو استعملت حجية التى هى فى دائرتها المحدودة حجة خارج تلك

المحدودية والدائرة ووضعت فى غير مكانها لكانت ضلالًا، ولكانت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۱

تشريعاً محرماً، ولكانت بدعة فى الدين، نعم لو أزيلت وأقصيت عن مقرها ومنطقتها وعن درجتها لكانت خطأ أيضاً، فإنّه لا إفراط ولا تفريط فى الحجج بل كل من الحجج بحسب مرتبتها.

هذا هو عصب البحث وبيت القصيد، فالحجج كمجموعة لها منظومة تسلسلية ذات حلقات ودرجات إن لم يحافظ ويتحفظ عليها تكون الفوضوية فى تلك المنظومة، ويختل نظامها فإنّ أحد الاشتباهات الكبيرة والعميقة التى وقع فيها الخوارج خوارج ذلك الزمان معروفون وخوارج العصر هم التكفيريون هو تمسكهم ببعض الحجج ذات المراتب الدانية، وتركهم الحجج العالية، وهذا يسبب ضلالًا ويا له من ضلال، فهم رفعوا شعاراً (لا حكم إلّا لله) وهو شعار صحيح ولكن كيف يدبلج ويترجم ليكون تطبيقه فى محله، فإنّ حاكمية الله فى التشريع هى الاقرار بالنبوة وحاكمية الله فى السياسة والقيادة هى الأقرار بالإمامة، لأن الإمامة عبارة عن توحيد الله فى الحاكمية فإنّنا نقول بأن الإمام شخص منصوب من قبل الله تعالى يتلقى أوّلًا بأوّل برامج الحكم والإمامة عن الله (عزوجل)، وحيث أنهم تمسكوا بظاهر الكتاب وتركوا كثيراً من المحكمات ضلّ بالخوارج الطريق.

فلكى نكون فى خلاص ومأمن من الفتن فى البصيرة ولا نقع فى

التباسات وتخالطات الحجج لا بدَّ أن تكون منظومة الحجج لدينا واضحة ومفهومة ومرتبة بالترتيب الصحيح، كما لا بدَّ من الالتفات إلى مدى حجية كل حجة، أى مساحة حجيتها، لكى تحكم فى تلك المساحة وتحكم غيرها فى مساحة أخرى، وهكذا، فحينئذٍ نكون فى مأمن من الفتن ولا نقع فى الزيغ والعياذ بالله.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۵

الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج ... ص: ۳۳۵

حقيقة معرفة الحجج ...: ص: ۳۳۵

الحكمة هى وضع الشىء فى محله وموضعه، وهذا فرع معرفة محل وموضع ذلك الشىء وإلّا لما أمكن وضعه فيه، وبعد معرفة موضع ومحل الشىء فإنّ الحق هو عدم مخالفة ذلك وعدم التقصير والغلو فيه، فإنّ الغلو آفة كما أن التقصير آفة أيضاً، فكل من الافراط والتفريط زيغ.

إذاً لا بدَّ من معرفة أصل حجية الحجة ولا بدَّ من معرفة مرتبة حجية الحجة فى منظومة الدين وهذه من المعادلات المصيرية المهمّة فى دفع غائلة الافتتان فى البصيرة والمعرفة وهو معرفة مراتب الحجية، وأن معرفة مراتب الحجية هو فى الحقيقة مساوٍ ومساوق لأصل معرفة حجية الحجج، فإنّ معرفة أن الشىء حجة من الحجج غير كافٍ للاعتماد والاستناد عليه كدليل وحجة، بل لا بدَّ فى حقيقة معرفة حجية الحجة معرفة مرتبة حجيتها من بين منظومة الحجج، يعنى هل أنها فى مرتبة حجية أولى أم ثانية أم ثالثة ... وحقيقة ذلك أى حقيقة معرفة مرتبة الحجة أن يُعلمَ أن كل دليل ودلالة وحجة هى حجة فى مرتبتها ولا ترقى لتكون دلالة وحجة فى المراتب الصاعدة، فهى ليست بحجة فى غير مرتبتها.

فمثلًا حجة وبينة من المرتبة الرابعة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثالثة، أو لو كانت من المرتبة الثالثة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثانية وهلم جراً، وما ذلك إلّا لأنّ مراتب الحجية فى الحقيقة هى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۶

من قوام ذوات الحجج نفسها.

وبعبارة أخرى إن مراتب الحجية تساوق وتساوى أصل اعتبار حجية الحجة ضمن منظومة الحجج.

مثلًا خبر الآحاد حجة من الحجج، ولكن مرتبة حجيته لا تنهض فى الحجية لمقاومة الخبر المستفيض لأن الخبر المستفيض أقوى حجية، أى أن الخبر المستفيض ذو مرتبة أعلى من خبر الآحاد فى الحجية وإن كان خبر الواحد صحيحاً، وكذلك الخبر المستفيض لا ينهض ولا يمكن أن يتصاعد فى حجيته لمقاومة ومناهضة ومجاذبة الخبر المتواتر لأن الخبر المستفيض ذو مرتبة أدون من مرتبة الخبر المتواتر، فى الحجية وهلم جراً، وهذا معنى تراتبية الحجج.

معنى المتشابَه ...: ص: ۳۳۶

ومن هذا القبيل وصف القرآن التمسك بالمتشابَه بأنه زيغ أو سبب للزيغ لأن التمسك بالمتشابَه فى مرتبة حجية المحكم هو تصاعد بالمتشابَه إلى مرتبة أعلى وهى مرتبة المحكم.

ربما يُظن أن المتشابه هو الذى ليس لديه دلالة أو حجية فى نفسه، مع أن الحال ليس كذلك فإنّ التمسك بالمتشابه هو تمسك بالحجية الأضعف فى مرتبة دليل وحجية أقوى.

وبعبارة أخرى إن نبذ الدليل فى مرتبته والعمل بدليل وحجة من مرتبة أدون هو تمسك بالمتشابه، إذن المحكم والمتشابَه أمرٌ نسبى وليس أمراً ذاتياً، فالمحكم هو كل دليل وحجة أقوى ومهيمنة ومشرفة على حجة أضعف وأن التمسك بالمحكم هو العمل بالحجة والدليل فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۷

مرتبته والتمسك بالمتشابه هو عمل بالحجة والدليل فى غير مرتبته أى فى مرتبة أعلى من مرتبته.

فذم القرآن النصارى لتمسكهم بالحس مع أنهم رأوا قتل وصلب النبى عيسى (ع) لأن الحس لا يناهض ولا يصاعد به لمقاومة الاعجاز، فالتمسك بالحس فى قبال الاعجاز هو تمسك بالمتشابه فى قبال المحكم.

ومن اتّباع المتشابه ما وقع فيه بنوا إسرائيل من اتّباعهم للحس وهو العجل الذى له خوار وتركهم للبديهة العقلية اليقينية وهى أن الإله لا يكون جسماً ولا يكون مغلوباً على أمره وأنه مؤثر مطلقاً، وإن كان الحس يقينياً إلّا أن المحسوس مؤثراته ضعيفةٌ فى قبال مؤثرات المعلوم من الأوّليات والفطريات العقلية.

الحس يقين وظن ...: ص: ۳۳۷

بل إن القرآن الكريم يعبر عن الحس فى مثل ذلك بالظن وهذا من الظرائف العلمية للقرآن الكريم إذ كيف يصف القرآن الحس بأنه ظن مع أن الحس من البديهيات واليقينيات؟

وما وصف القرآن للحس بأنه ظن إلّا لأنه صوعد به إلى درجة أعلى من مستواه فيعبر القرآن الكريم عنه حينئذٍ بأنه تمسكٌ بالظن.

ثمّ يقول القرآن الكريم إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً («۱») فالقرآن الكريم سماه اتّباعاً للظن مع أنهم رأوه بامّ أعينهم مقتولًا مصلوباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۸

نعم الحس يقين ضمن دائرته المحدودة، وأما لو حاولنا توسيع هذه الدائرة لنتمسك بالحس فى تلك الدائرة الوسيعة فحينئذٍ يكون التمسك تمسكاً بالظن وليس تمسكاً باليقين.

وبمثال حسى مقرب لو كان عندنا مصباح ذو درجة (۱۰۰ واط) فإذا أريد له أن يضيء فإنّ إضاءته فى دائرته المحدودة إضاءة جيدة، ويمكن أن تستعلم الأشياء فى ضمن تلك الدائرة بذلك الضوء، أما إذا أريد له أن يضيء مساحة أكبر ودائرة أوسع فإنّ نوره يكون متشابكاً مع الظلام فيضعف نوره والنور عندما يضعف يصير كالظلمة، فالاستصباح بمصباح ليس ذا قوة شديدة لا يرى إلّا مساحة قريبة، أما البعد الشاسع فلا يرى بالنور الضعيف، ونفس ذلك النور يلبس ويشبه الأشياء فى البعد الشاسع والدائرة الأوسع، بل فى دائرته المحدودة أيضاً لو اريد الإبصار به للأشياء النواعم الظريفة لكان خارج عن قدرته وصلاحيته.

إذاً المتشابه فى المفهوم القرآنى للحجج ليس بمعنى أن الشيء بما هو هو ليس بحجةٍ، وليس الظن المريب بالمفهوم القرآنى وأن الشى بما هو هو ليس بيقين، إنما الشيء فى نفسه ليس بحجة أو ليس بيقين إذا كان التمسك به فى مقابل حجة أقوى منه فيكون ظناً ويكون متشابهاً أى يجعل الحقائق متشابهة، كما أن النور الضعيف يشبه الأشياء عندما يستضاء به فى طريق يحتاج لنور قوى لنفس النكتة وهى الحفاظ على تراتبية الحجج.

لا تقاطع ولا إقصاء فى الحجج ...: ص: ۳۳۸

منظومة الحجج هى مجموعة من الحجج مرتبة ومنظمة بشكل خاص ووفق موازين خاصة وبهندسة إلهية محكمة، ولهذه المنظومة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۳۹

عدة خصائص وميزات من أهمها أن لكل حجة مساحة خاصة تكون هى المحكمة فيها دون غيرها من الحجج الأخرى، وبالتالى فاعطاء الحجية لحجة ما لا يعنى سلب الحجية عن أخرى، ولا يعنى أنهما قد يتقاطعان أو يتضاربان، بل بمقتضى هذا النظم الخاص فى الحجج ليس هناك إقصاء لأىّ حجة وإن كانت هناك حجة أعلى منها، وما ذلك إلّا لتعدد المساحات.

فمثلًا حجية النواب الخاصين لا تقصى حجية الفقهاء أو النواب العامين، فضلًا عن كونها لا ترقى ولا وتعلو حجية المعصوم، فالسفراء الأربعة للإمام المهدى (ع) وهم العمرى وابنه والحسين بن روح ومحمّد بن على السمرى (رض) كانت لهم حجية بلا إشكال وهذه الحجية تأتى بعد حجية الإمام فهم الباب للإمام وهذا واضح.

ومما يشهد لعدم التقاطع والإقصاء ما ذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة حيث قال: (أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها وقال لهم: أنظروا فى هذا الكتاب، وانظروا فيه شيء يخالفكم؟

فكتبوا إليه إنه كله صحيح، وما فيه شيء يخالف إلّا قوله: فى الصاع فى الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع) («۱»).

فإنّ النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) كتب مجموع الروايات التى رواها عن رواة أصحاب الأئمّة فى الفقه فى كتاب ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۰

عرضها على فقهاء ورواة ومحدّثى قم، لأنّ قم كانت مركزاً للأشاعرة الذين نزحوا من الكوفة بايعاز من الإمام الصادق (ع) كى تكون هناك تعدد دوائر ومنابع لمدارس أهل البيت (عليهم السلام).

وبعد عرض كتابه عليهم خطّأوه فيما رواه فى زكاة الفطرة، حيث روى أن زكاة الفطرة نصف صاع، فقال فقهاء قم له: إن الفطرة فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هى صاع وليست نصف صاع.

وهذه الروايات التى جمعها النائب الثالث فى كتابه وعرضها على رواة ومحدّثى قم لم يكن قد نقلها عن الإمام الثانى عشر (ع)، وإنما هى مجموع الروايات التى رواها عن أصحاب الأئمّة السابقين، وإلّا فما ينقله عن الإمام الثانى عشر كيف يصححه غيره، فهو سفير الحجة ولا يعقل عرض روايات الإمام الثانى عشر على غير السفير ليصححها، وإنما تلك الروايات نقلها عن الرواة والصحابة للأئمّة السابقين، ومن هذه الجهة أى كون النائب الثالث يؤدى عن رواة الأئمّة فإنّه كشأن بقية الرواة قد يصيب وقد يخطئ لذلك خطّأه فقهاء

قم.

وهـذا حصل من النائب الثالث لأن دائرة حجيـة النواب والسـفراء فى دائرة ومساحة لا تتقاطع مع دائرة حجية الفقهاء ولا تلغيها، كما أن حجية الفقهاء فى الغيبة الصـغرى لم تكن تتقاطع وتتنافى وتتصادم مع حجية السـفراء والنواب الأربعة فكل له دائرته ومساحته، فمساحة حجية النواب مساحة غير مساحة حجية الفقهاء ولا تلغى إحداهما الأخرى ولا تقاطعها.

كما أن حجيـة النواب لا تعلو المساحـة والـدائرة المحـدودة الخاصـة بهم، فهم وإن كانوا نواباً خاصـين بحق وصـدق لا بزيف كما هو الحال فى الدعوات الباطلة إلّا أن دائرة حجيتهم محدودة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۱

حجية الفقهاء فى دولة الظهور ...: ص: ۳۴۱

والكثير ربما تسوّل له نفسه أن حجية الفقهاء ملغاة فى دولة الظهور للإمام المهدى (ع)، وهو تفكير عجيب وغريب!!

فإنّ صـلاحيات الفقهاء وحجيتهم وإن كانت محـدودة لكنها تبقى فى ظل وهيمنة دائرة حجية المعصوم، لذا لم يكن دور الفقهاء ملغياً فى دولـة الرسول (ص) فإنّ قوله تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَـةٍ مِنْهُمْ طائِفَـةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْـذَرُونَ («۱») تشـير إلى دور ومنصب الفقهـاء فى زمن دولـة الرسول (ص)، والرسول (ص) أعظم من الإمام، فإذا لم يلغَ دور الفقهاء فى دولة الرسول (ص) كيف نتصور إلغاءه فى دولة المهدى (ع).

وهكـذا لم يلغَ دور الفقهاء فى دولـة أمير المؤمنين (ع) وهو أعظم من الإمام المهدى (ع)، ولم يلغَ دور الفقهاء فى دولة الإمام الحسـن المجتبى (ع) وهو أعظم من المهـدى (ع)، وهكـذا جميع الأئمّـة من الإمـام الحسـين (ع) سـيد شـباب أهـل الجنّـة إلى الإمـام الحسـن العسـكرى (عليهم السـلام) لم يكن هناك أىّ إلغاء وإقصاء لـدور الفقهاء، فكيف نتصور إلغاء أو إقصاء فى دولـة الإمام المهدى (ع)، فـإنّ الكوفـة فى عهـد الإمام الصادق (ع) كانت تعـج وتضـج بالفقهاء، بل ويكثر فيها بيوت المرجعيـة كزرارة حيث كان بيتاً من بيوت المرجعية فى الكوفة، وهكذا محمّد بن مسلم وعمّار بن موسى الساباطى وهشام بن الحكم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۲

وبريـد بن معاويـة العجلى، فـإنّ البـاقر (ع) يقول لأبـان بن تغلب: «إنى أحب أن يُرى فى أصـحابى مثلـك، أجلس فى المجالس وافتِ الناس» («۱»).

فإنّ الرسول (ص) والمعصومين (عليهم السلام) عموماً وإن كانوا على أعلى مستويات العصمة والقيادة والعلم و ... ولكنه بحكم الحياة البشـرية لا يرتبطون حساً مع كل فرد بشـرى من أفراد المجتمع؛ لذا لا بدَّ من جهاز وذراع وأيدى لاتصالهم بالقواعد الجماهيرية، وهذا الجهاز قد حدّده الله تعالى وهو الفقهاء، فهم أيدى وسواعد المعصوم، فمن يتفقه للدين ويكون ورعاً تقياً فهذا هو دوره بنص وفريضـة من الله، أى يجعل عوناً من أعوان المعصوم وإصبعاً من أصابع المعصوم وخادماً من خدام المعصوم، وهذا فرض من الله (عزوجل) وأن هـذه الآيـة آيـة النفر لاـ تنسـخ بل سـتظل خالـدة إلى يوم القيامـة، فمن ذا الـذى تسوّل له نفسه أن يقول: إن هناك قطيعـة بين الفقهاء الصـالحين العـدول وبين مسـار المعصـومين، وإلّا لو لم يعتمـد المعصوم على الفقهـاء والعلمـاء و ... فمن يكون المعين له ومن يكون ساعده وذراعه وواسطته للناس؟! أيعقل أن يكون الجهال والعياذ بالله هم سواعد المعصوم ورابطته بالناس، وإنما أمره الله تعالى

“”””

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۳

باتخاذ العلماء ومن يكون ذا كفاءة فى الفقه والتفقه لا الجهل والجهالة أمناء على شريعتهم ودين الله.

لذلك قال جعفر بن محمّد (ع): «علماء شيعتنا مرابطون فى الثغر الذى يلى إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا،

وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم» («۱») أى ثغور المعرفة وثغور البصيرة، فلا يستطيع أصحاب الدجل والعداء والحيل والزيف والباطل أن ينفذوا إلى حومة الدين ما دام جنود المعصومين موجودين وهم الفقهاء، فإنّهم وإن كانت حجيتهم نقطة فى محيطات سماء المعصومين (عليهم السلام) ولكن هذه النقطة هى نظام جهاز المعصومين بهندسة وتخطيط من الله (عزوجل)، لأن الله (عزوجل) أراد لهذا الجهاز أن لا يخترق وأن يكون حصيناً، لذلك قال أئمّة أهل البيت: «الفقهاء حصون الإسلام» («۲»).

فالمعصوم لا بدَّ أن يتخذ حصناً وأعواناً له يعينوه بنص الآية الكريمة آية النفر قال تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۴

يَحْذَرُونَ («۱») لذلك لم تلغ حجية الفقهاء فى الغيبة الصغرى وفى ظل نيابة السفراء الأربعة، إذ هو نظير الدائرة أو الوزارة فيها مدير ورؤساء شعب وموظفون وعمال وكل له دائرة عمل خاصة لا تتقاطع مع دوائر عمل الآخرين، أو نظير الوزارات والدوائر المتعددة تحت ظل رئاسة موحّدة للوزراء.

فإنّ السفراء الأربعة فى الغيبة الصغرى نظير الوزير والوزارة فلهم مسؤوليات معينة لا تتقاطع مع مسؤوليات الإمام (ع) ولا تتقاطع مع مسؤوليات الفقهاء الباقين، فإنّ حجية النواب والسفراء فى الغيبة الصغرى لم تكن حجية مطلقة بل هى محدودة، أما فى الغيبة الكبرى فقد قامت الدلائل والبراهين على بطلان كل مدّعى للسفارة والنيابة الخاصة، وإنْ كان للمهدى (ع) فى دولة الظهور ولاة ونواب خاصون وهم أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشرة كما سيأتى بيان ذلك.

وهكذا الفقهاء الباقون من غير السفراء سواء كانوا فى الغيبة الصغرى أو الكبرى، وحتّى فى زمن الظهور فإنّ لهم مهاماً ومسؤوليات غير مهام ومسؤوليات الإمام (ع) وغير مسؤوليات السفراء، ولا يُتصور إلغاء أىّ من الحجج لحجة أخرى، فكما لا تقاطع فى النظم الإدارية كذلك لا تقاطع فى مراتب الحجية وتراتب الحجج.

ولذلك نلاحظ ترحم الإمام المهدى (ع) على على بن بابويه والد الصدوق (رض) وعلى غيره من الفقهاء مع أنهم لم يكونوا سفراء ولا نواباً خاصين وإنما كانوا فقهاء فحسب.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۵

وهكذا لم نلاحظ أحداً من السفراء (رض) حاول إلغاء دور الفقهاء، بل على العكس كما لاحظنا موقف الحسين النوبختى (رض) فى عرض كتابه على فقهاء قم، وما ذلك إلّا لعدم تقاطع الأدوار والمسؤوليات والحجج وأن الفقهاء وزراء معيّنون من قبل الله تعالى كخدام وأنصار للأئمّة (عليهم السلام)، إذ لما كان الأئمّة (عليهم السلام) يحتاجون للمعين والناصر فى نشر وإرساء الدين الإسلامى، فمما لا ريب فيه أن يكون الناصر والمعين لهذه المهمة من الشرفاء النجباء الحلماء العلماء الاتقياء الصلحاء ... لا من أىّ جنس ونوع كان، قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ («۱»).

امومة بديهيات العقل فى المعرفة ...: ص: ۳۴۵

نعم، لو قلبت المقاييس وألغينا العقل أمكن كون أعوان وأنصار الأئمّة من المفضولين والجهّال...

ولكن كيف ذلك؟ فإذا كان الله تعالى يستدل على ألوهيته بأنه ليس بظلام للعبيد أى كأنه يقول استشرفوا واستكشفوا الوهيتى بعدالتى وعدم مخالفتى لبديهيات العقل! فكيف نلغى العقل ونعمل خلاف الموازين العقلية فى اختيار وانتخاب أنصار وأعوان الأئمّة (عليهم السلام) فى نشر دين الله تعالى؟!، وإلّا فإنّ جعل أعوان الإمام (ع) من غير الفقهاء بأن يكونوا جهّالًا هو عين المخالفة لبديهيات العقل،

إذ العقل حاكم بوجوب تقديم العالم وأهل الاختصاص والخبرة والنخبة ووجوب الاعتماد على الفقهاء فى نشر الفقه.

من هنا نفهم سذاجة البعض المتشبّث بمتشابه دلالة الروايات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۶

والتى لا سند لها، حيث يقول بأن المهدى المنتظر (ع) عندما يظهر يقتل الفقهاء والعلماء («... ۱») فهو ظن فى ظن وتخبط لعدم معرفة الحجج،

وبالتالى فهو زيغ وضلال.

‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۷

كما يتضح اندفاع توهم المتوهم بأنه مع ظهور الإمام (ع) لا تبقى حاجة ولا دور للفقهاء ولا للاستنباطات الظنية لأنه يمكن حينئذٍ للناس تحصيل العلم بالأحكام الواقعية من الإمام (ع) مباشرةً، لاسيّما وأن الإمام (ع) يقوم بإكمال عقول وعلوم الناس فلا يبقى هناك جهل؟

أنه مع تكامل علوم الناس وعقولهم فذلك لا يعنى كونهم أنبياء كما لا يعنى أن الطريق الذى يتلقون منه العلم هو قناة الوحى كما لا يعنى صيرورتهم فى مستوى علمى واحد، بل يبقى بينهم تفاوت وفوارق فى المستوى العلمى والعقلى حتّى مع حصول تطور علمى وتكنلوجى هائل وتوفر وسائل الاتصال السريعة بحيث يكون بامكان كل شخص الاتصال بالإمام مباشرةً ليأخذ الحكم الشرعى القطعى الواقعى منه، فإنّه مع كل ذلك تبقى الفوارق العلمية والعقلية بين الناس، ومن ثَمَّ لا يكونون كلهم بدرجة حوارىى وأصحاب الإمام (ع) ال- (۳۱۳) وإذا وجدت الفوارق العلمية والعقلية بين عموم الناس فبالتالى يحتاجون إلى من هو أعلم منهم وأكثر إحاطة ليرجعوا إليه فيما قد جهلوه، أى ليكون واسطة بينهم وبين الإمام (ع) لايصال الأحكام ونحوها.

كما أن السُنّة التكوينية لقيام دولة الظهور ودولة الرجعة ليست قائمة على إيصال العلم لعموم الناس عبر قناة واحدة، بل تبقى القنوات الظنية على حالها ويبقى الدور المناسب فى كل مجال لأهل التخصص والخبرة، وبالتالى يرجع الأقل علماً إلى من هو أكثر علماً، وهذا هو معنى رجوعهم إلى الفقهاء.

وبعبارة أخرى إن قوله تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۸

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («۱») لا يطرأ عليها النسخ، فهى تبين ترسيماً من الله تعالى لكيفية جهاز عمل المعصوم بعد قوله تعالى: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ («۲»)، فلا بدَّ للإمام من جهاز عمل وواسطة بينه وبين الناس، وإلّا بمقتضى طبيعة البشر لا يمكن اتصال ملايين الناس بشخص واحد على درجة واحدة من الارتباط والفهم والتلقى، نعم تحدد قنوات تشعبية تنازلية الأكثر علماً فى الأعلى ثمّ الأقل فالأقل ويكون الإمام (ع) على رأس الهرم، وهذا التنظيم فى الشريعة لا ينسخ حتّى عند ظهور الإمام (ع) لاسيّما أن مفاد آية النفر فى سورة التوبة متطابق مع مفاد آية الحكم: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذينَ أَسْلَمُوا لِلَّذينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتى ثَمَناً قَليلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ («۳»). فى سورة المائدة كما تقدم بيان ذلك.

كما أن أصل حكم رجوع الجاهل للعالم يحكم به العقل ويشير إليه قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ («۴») فإنّ مفاد هذه الآية أشار إلى نفس هذا الحكم العقلى الفطرى.

فإنّ الناس بالتالى يأخذون من الفقهاء الأحكام والتى تكون

ظاهرية بلحاظ علم الإمام (ع) لأن ما عند الإمام (ع) أكثر واقعية، وقد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۹

ثبت فى محله من علم الأصول أن الحكم وإن كان فى رتبته واقعياً ولكنه بلحاظ حكم واقعى أكبر يكون ظاهرياً («۱»).

فما يعطيه ويبينه الفقهاء حينئذٍ حكم واقعى فى رتبته ولكنه ظاهرى بلحاظ ما عند الإمام (ع)، وهكذا من جهة كونه ظنياً أو يقينياً فإنّه تقدم أن اليقينى بلحاظ يقينى أعلى يكون ظناً كما أن الحس يقينى واعتبره القرآن ظناً فى قبال المعجزة فى فتنة بنى إسرائيل والنصارى فما يبينه الفقهاء حينئذٍ هو حكم يقينى فى مرتبته ولكنه ظنى بلحاظ ما عند الإمام (ع).

فما دام هناك تفاوت وفوارق فى استقاء العلم فلا محالة يبقى لأهل التخصص والاختصاص دور وشأن، وهذا من ضروريات طبيعة الحياة والنظام الاجتماعى والنظام المعيشى البشرى فى عيشه العلمى والمعلوماتى.

وما هذه الشبه والإشكالات على الفقهاء ودورهم إلّا لأجل

استهدافهم وبالتالى استهداف النخبة فى الدين لتحصل الفوضى فيه وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۰

مراد الأعداء، إذ من الطبيعى أن استهداف أىّ مجال من مجالات الحياة إنما يكون بالنيل من المتخصصين فيه لتحصل الفوضى حينئذٍ بذلك الاستهداف، فمثلًا من يريد النيل من مجال الطب لتعم الفوضى فيه وبالتالى يستغل الموقف فى تحقيق مآربه إنما يبدأ باستهداف الأطباء الماهرين وبذلك يكون الطب فوضى، وهكذا فى مجال الهندسة لمن يريد أن تحصل الفوضى فيها وذلك بالنيل من المهندسين الماهرين، وهكذا الكلام فى بقية المجالات، لأنه فى كل مجال من هذه المجالات هناك ترتب ونظم متسلسلة، وبمقتضى هذا النظم والتراتبية تحصل الحماية من التسويف واللصوصية والتدجيل.

فإنّ الرجوع لأهل الخبرة والاختصاص فى كل مجال هو من فطرة البشر وضمن حدود معينة، وإلّا فالبديهيات محافظ عليها فى كل المجالات.

وعليه فاستهداف الفقهاء إنما هو من هذا القبيل، إذ يسلك الأعداء هذا الطريق لتحصل الفوضى فى الدين والمناصب الدينية ليكون بإمكانهم الدجل والاختراق والتلصص فى مناصب الدين، لذلك نجد أن أهل البيت (عليهم السلام) وضعوا قوانين خاصة وضوابط فى تحديد المرجعيات والمناصب الدينية لا يمكن تجاوزها إذا حافظنا على أصول ثقافة الدين بالشكل الصحيح ونشر هذه الثقافة بين أتباع أهل البيت، وإلّا فمن البساطة جدّاً التدجيل على الجهال وخداع السذج.

أنواع الحجج مفتاح البصائر ...: ص: ۳۵۰

مما لا ريب ولا شكّ فيه أن العاصم والمانع من التأثر بالشبهات

وأن قوام استكشاف البصيرة فى الفتن المعرفية أو العقائدية هو بمعرفة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۱

مراتب الحجج ويجب أن تكون مبيَّنة وبيِّنة لدى المكلف والمؤمن، فإنّه إذا استبانت واتضحت مراتب الحجية فسوف يفوِّت الفرصة على الشبهة والمتشابهات، فإنّما تدب وتنتشر الشبه والاستناد للمتشابهات إذا ضاعت والتبست مراتب الحجية ومدارجها وتسلسلها، لذا تقدم أن المنقذ من ظلامية الفتن والاثارات فى البصيرة والمعرفة هو معرفة مراتب الحجية ومنظومة الحجج، ولا يكفى معرفة أصل حجية الحجة.

ثمّ بعد معرفة أصل حجية الحجة ومعرفة مرتبة تلك الحجة فى منظومة الحجج لا بدَّ من قواعد رقابية استكشافية تبين علاقة الحجج بين بعضها البعض ونظامها ومحدودية كل حجة وأن تلك الحجة لا زالت فى مرتبتها وحدودها، وأيضاً تكشف زيف وبطلان المدعى

لحجية حجة فى غير مرتبتها.

أما منظومة وسلسلة الحجج ففى أعلى مراتبها بديهيات وضرورات العقل، ثمّ توحيد الله تعالى، ثمّ بعده لسيد الأنبياء، ثمّ لسيد الأوصياء، ثمّ الأئمّة (عليهم السلام)، ثمّ الفقهاء والنواب بالنيابة العامة أو الخاصة، فهذه السلسلة الهرمية لكل منها حجية فى مدى وحدود معينة ومساحة خاصة.

فمن روائع القرآن الكريم أنه يجذر ويبنى ويؤسس مثل هذه النظم فى منهج المعرفة، فكم من الأمم تضلل وتغش عقليتها ويصادر وعيها إذا حسبت أن الحجة حجةٌ بالاطلاق والتعميم، يعنى بالاعتماد على الحجج بنحو اطلاقى غير محدود بحدود، فالآفة تنجم وتنشأ من ذلك الاطلاق والتعميم.

مراتب الحجج ...: ص: ۳۵۱

نقرأ فى الدعاء فى الحديث الشريف: «اللهم عرفنى نفسك، فإنّك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۲

إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفنى رسولك، فإنّك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفنى حجتك، فإنّك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن دينى» («۱»)، فهذه أربعة محاور وليست ثلاثة:

۱ معرفة الله (عزوجل).

۲ معرفة النبى (ص).

۳ معرفة الحجة والإمام (ع).

۴ معرفة الدين.

فمعرفة الدين وليدة لمعارف ثلاث متراتبة متسلسلة متدرجة، والذى لا تستتب ولا تتم لديه معرفة الله تعالى بشكل توحيدى سديد وصائب لا- تتم لديه معرفة النبى (ص)، فإنّه إذا لم تعرف قدرة وحكمة وعظمة وصفات الله سبحانه وتعالى لم يعرف مقام النبوة والرسالة لأن مقام النبوة والرسالة ليس مقام خلافة وتبليغ عن مخلوق ما، بل هو مقام خلافة وتبليغ عن خالقٍ جبارٍ متكبرٍ عظيم حكيم عزيز، ... فبقدر معرفة عظمة الله سبحانه وتعالى نستطيع أن نتفهم من ينسب وينتسب إليه فى الخلافة والتبليغ.

‘‘‘‘‘‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۳

فمن الجهالات التى ترى فى جملة من الرؤى فى المدارس الإسلاميّة حول مقام النبوة ما يكون منبعها جهالات فى معرفة الله، لأنه لو عظم الخالق فى كل شىء عظم من يستخلفه، لأنه يبلغ عمن نصبه وأرسله، فإذا عرفنا وعظمنا صفات المرسِل عرفنا عظم صفات المرسَل.

وإذا عرفنا عظمة وصفات المرسل والخليفة والمبلغ ومقاماته العظيمة وشؤونه العالية فلا محالة سوف نعرف عظمة الإمام وخليفة الرسول.

فهذه المعارف الثلاث متراتبة يعنى لا يمكن أن تتم معرفة النبى بسداد وصواب إلّا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى بسداد وصواب، فمعرفة الله تعالى متقدمة على معرفة النبى (ص)، ومعرفة النبى متقدمة على معرفة الإمام، أى أن مراتب الحجية متراتبة متسلسلة متدرجة، ولذلك نلاحظ أن البينات والحجج العقلية وغير العقلية على توحيد الله تعالى أكثر بياناً وبرهاناً وجلاءً من البراهين والحجج التى على نبوة الأنبياء أو على نبوة سيد الأنبياء، وكذلك البراهين والبينات والحجج القائمة على نبوة سيد الأنبياء أكثر من البراهين والبينات القائمة على إمامة ووصاية سيد الأوصياء، وكذلك البراهين والبينات والحجج القائمة على إمامة سيد الأوصياء أمير المؤمنين

على بن أبى طالب (ع) أكثر من البراهين والبينات القائمة على إمامة الحسنين (ع)، والبراهين القائمة على إمامة الحسنين (ع) أكثر من البينات والبراهين القائمة على إمامة الأئمّة

التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام). نعم، الإمام المهدى (ع) أفضل التسعة المعصومين كما فى بعض الروايات، وكذا فى خطبة الغدير للنبى (ص...): «

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۴

تاسعهم هو باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم » («... ۱»)، فيكون مقام الإمام المهدى (ع) بعد الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام)، لأن الأدلّة على إمامته أكثر من الأدلّة القائمة على إمامة التسعة (عليهم السلام)، فلا بدَّ من الالتفات لتلك المراتب، فإنّه كلما ازدادت البيانات ازدادت الحجية فإنّ الحجية تشتد وتضعف تبعاً لزيادة البيانات والدلائل وقلتها، وكلما ازدادت شدة ودرجة الحجية ازداد وارتفع وعلا مقام تلك الحجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفضائل والصلاحيات مختلفة أيضاً، ولذلك فإنّ سيد الرسل (ص) هو إمام أيضاً إلّا أنه إمام للأئمّة الاثنى عشر، فإنّ لسيد الرسل مقام النبوة والرسالة والإمامة، لذا فإنّ الأئمّة تابعون مطيعون مسلمون لرسول الله (ص) كما أنه (ص) تابع ومطيع ومسلم لله تعالى.

يقول الإمام الرضا (ع ...): « لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحلّ الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله وقول الله (عزوجل): إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۵

إِلَيَّ («۱») فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنّه يرد عنكم الحديث فى الشىء عن رسول الله (ص) مما ليس بالكتاب وهو فى السُنّة ثمّ يرد خلافه، فقال: «وكذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله تعالى، ووافق فى ذلك أمره أمر الله تعالى، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثمّ جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنّا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر رسول الله (ص) إلّا لعلّة خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص)، أو نحرّم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا تابعون لرسول الله» («۲»).

فهذه السلسلة محفوظة، فلا يمكن للرسول (ص) والعياذ بالله أن يرد على الله تعالى أو يتخلف عن تبعية أوامره تعالى، فالأسس والأساس فى التشريع من الله (عزوجل) وسُنّة النبى (ص) تابعة لفرائض وأوامر وتشريعات الله وليست هى فى عرض تشريعات الله بل هى تابعة وتأتى فى الدرجة الثانية لفرائض الله، ولا يمكن أن نتصور ونفرض بأن سنن النبى ترفع فرائض الله، وكذلك سنن المعصومين (عليهم السلام) من أئمّة أهل البيت تابعة لسنن النبى (ص) ولفرائض الله تعالى،

ولا يمكن حينئذٍ أن تكون سنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) رافعة أو مضادة لسنن النبى (ص) وفرائض الله والعياذ بالله.

وكذلك فتاوى الفقهاء تابعة وفى كنف فرائض الله وسنن النبى وسنن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يمكن لفتاوى الفقهاء أن تخرج عن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۶

فرائض الله ولا عن سنن النبى ولا عن سنن الأوصياء، فإنّ جميع فقهاء مدرسة أهل البيت يذكرون أن التقليد واتباع الفقيه فى الفتاوى إنما هو فى غير الضروريات المعلوم حكمها من فرائض الله وسنن النبى وسنن الأوصياء.

يعنى أن فتوى الفقيه لها دائرة محدودة معلمة ومخطوطة بخطوط حمراء، وتلك الخطوط الحمراء هى ضرورات فرائض الله وضرورات سنن النبى وضرورات سنن الأوصياء، فبالتالى ما علم أنه من فرائض الله بالضرورة وما علم أنه من سنن النبى بالضرورة وما علم أنه من سنن الأوصياء بالضرورة لا يمكن للفقيه أن يتجاوزه، فهو يستنبط ويستكشف ما هو نظرى فى دائرة النظريات من أحكام الله وأحكام

الرسول وأحكام أئمّة أهل البيت، كل ذلك فى كنف فرائض الله وسنن النبى والأوصياء، ولا تخرج تلك الاستنباطات عند الفقهاء عن دائرة تلك الضروريات.

وربما يتوهم البعض وجود تهافت فى كلام علماء الأصول، حيث إنهم من جهة يقولون: إن إجماع الفقهاء من غير دخول المعصوم فيه ليس بحجة، ومن جهة أخرى يقولون بأن فتوى الفقيه حجة، فكيف تكون فتوى الفقيه منفرداً حجة مع أن مجموع الفقهاء من غير المعصوم لا قيمة له فى الحجية، فهل هذا تهافت أم ماذا؟!

ويرتفع توهم التهافت إذا دققنا فى مساحة حجية الفقهاء، فإنّ

فتوى الفقيه إذا كانت فى غير العقائد وغير الضروريات وكان الفقيه مستنداً للموازين الشرعية المقررة فى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أى إذا كانت فتواه وفق الموازين الشرعية وفى مجال النظريات والمتشابهات من الفقه فإنّ فتواه حجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۷

أما فتوى الفقيه بل لو أجمع الفقهاء على الافتاء فيما يخالف الضروريات أو العقائد الأصلية أو ما لم يكن على الموازين بحسب البحث الاستدلالى لدى فقيه آخر فحينئذٍ فتواهم ليست بحجة، فإنّ هكذا قضايا وموازين ليست ضمن مساحة حجية الفقهاء ولا لأهل الخبرة وإنما لا بدَّ من إعمال البراهين والرجوع للبديهيات والضروريات، والتمييز بين هاتين المساحتين واضحة وسهلة مع وجود الوعى فى البصيرة.

فلا يمكن لفقيه أن يرفع فرضاً كوجوب الصلاة بل حتّى لا يمكن للنبى (ص) أن يرفع مثل هذا الوجوب لمحدودية سنن النبى وكونها فى كنف فرائض الله، فإنّ أصل وجوب الصلاة والصوم وباقى الفرائض الضرورية هى من فرائض الله، كما أن زيادة الركعتين فى الصلاة الرباعية عند كل المسلمين من سنن النبى (ص)، فهذه سُنّةٌ للنبى فى كنف وظل وتابعية فريضة من فرائض الله وهى وجوب الصلاة، وكذلك سنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) هى فى كنف وظل فرائض الله وسنن النبى، يعنى أنها لا تتجاوز وجود الفرائض الإلهية والسنن النبوية، كذلك فتوى الفقهاء فى حرمة الزنا وحرمة اللواط والربا مثلًا لا تتجاوز فرائض الله وسنن النبى ومناهج الأئمّة.

ومن لم يحافظ على هذه التراتبية والمحدودية وقع فى زيغ وفهم خاطىء لبعض الروايات كرواية الدين الجديد، حيث قال أبو جعفر (ع): «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، ولا يستتيب أحداً، ولا تأخذه فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۸

الله لومة لائم» («۱») حيث فهم أن الإمام المهدى (ع) عند ظهوره يأتى بدين جديد وقرآن جديد ويدعو إلى شىء غريب ... فيفهم أن الإمام والعياذ بالله يرفع وجوب الصلاة ووجوب الزكاة والحج ويرفع حرمة الفواحش والربا ويأمر بقطع الرحم ... الخ، وهذا مستحيل، لأنّ صلاحيات الإمام لا تخرج عن صلاحيات الله وصلاحيات رسوله.

بل إن هذا هو معنى الغلو لأنّ معنى عدم الغلو فى الأئمّة أن لا نعتقد أنهم يأتون بشريعة جديدة تناهض وترد على شريعة الرسول والعياذ بالله بل نقول هم مسلمون وتابعون ومطيعون لله ولرسوله (ص)، فالاعتقاد الصحيح بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) هو أنهم أئمّة منصوبون من الله تعالى وهم خلفاء الله ورسوله ومرتبطون بالغيب وليسوا بأنبياء، فلا يأتون بشريعة غير شريعة الرسول، ولا يخرجون عن دائرة شريعة سيد الرسل وخاتم الأنبياء.

كيف نتصور أن شخصاً يتشبث برواية أو روايتين أو حتّى عشرة أو مئة، ويتوهم بحسب هذا الفهم والتفسير الخاطىء أن المهدى (ع) يأتى بدين جديد بمعنى أنه يأتى بدين غير منضبط ضمن قوالب الحجية، وأنه والعياذ بالله يأمر باستباحة المحرمات التى حرمها الله تعالى ورسوله (ص) ويأمر بترك الواجبات التى فرضها الله تعالى، كيف يتصور ذلك وأىّ عاقل يقبل به.

بل حتّى لو فرضنا أنه يأتى بدين جديد فلا بدَّ أن يكون ذلك الدين منظماً ومنضبطاً ضمن مراتب وقوالب الحجية، وإلّا كان الضلال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۹

والاضلال كما هو الحال فى الفرق الضالة والمنحرفة والمدعية للزيغ فى الغيبة الصغرى، كما يذكرها الشيخ الطوسى («۱») فى كتاب الغيبة كالشلمغانية والشريعية وغيرها، وما ذلك إلّا لاختلاط وعدم ترتب منظومة الحجج عندهم فضلوا وأضلوا جماهيرهم بتصويرهم أن حجية الإمام (ع) فوق حجية الرسول (ص).

وكيف نتصور أو يعقل أن تأتى مدرسة من المدارس الإسلاميّة بخبر أو رواية حتّى لو فرضنا صحتها ينسبونها للرسول (ص) فيها ردّ على القرآن الكريم وتحريم ما أوجبه الله تعالى فيه، فمثلًا بعد أن ثبت أن القرآن الكريم يدعو إلى التوسل بالنبى (ص) ويجعله من الأركان ومن أصول الإيمان فى قوله تعالى: وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً («۲») فيأتى البعض ويحرم التوسل اعتماداً على روايات ينسبها للنبى (ص) مع أن التوسل باب معنوى لطلب الاستغفار من الله تعالى، بل التوسل بالنبى وآله من أركان الدين كما تقدم بنص القرآن حيث يأمر: توسلوا وتوجهوا بالنبى (ص)، فقوله: جاؤُكَ معناه بالعامية الدارجة

(دخيلك يا رسول الله) فهو توجه وتوسل بالله تعالى، لكن لا مباشرةً، بل من طريق الباب وهو الرسول (ص)، لذا يأمر القرآن بالتوجه والتوسل ولو عن بعد المسافات، أليس كل المسلمين يقولون فى صلاتهم: (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) مخاطبين الرسول بذلك، و (الكاف)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۰

فى اللغة العربية للمخاطب الحاضر، وهو تشريع فى ضرورى من ضروريات المسلمين، بل فى فعل توحيدى وهو الصلاة، حيث شرع فيها خطاب وتوسل وتوجه للنبى (ص).

كما أن فقهائنا كالشيخ الطوسى والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الصدوق والشيخ الحلبى والشيخ ابن إدريس والشيخ ابن زهرة والشيخ سلار وكافة القدماء (رح) يفتون باستحباب السلام على الأئمّة (عليهم السلام) بعد التسليم على الرسول (ص) وقبل (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) حيث يقولون: يستحب أن تقول: (السلام على الأئمّة الراشدين المهديين من آل طه وياسين) («۱»).

إذن كافة المسلمين يتوجهون فى الصلاة بالتسليم على النبى وهم لم يخرجوا من الصلاة وهذا من ضروريات المسلمين فقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ («۲») يعنى لا يتوجهون إلى الله إلّا بأن يطرقوا باب الله الأعظم وهو الرسول (ص)، فطرق الباب أوّلًا ثمّ التمكن من الولوج فى الساحة الربوبية، قال تعالى: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ («۳») والنبى (ص) هو باب الله الأعظم، وباب الرسول (ص) هو على بن أبى طالب (ع)، قال رسول الله (ص) كما تواتر عنه: «أنا مدينة الحكمة وأنت يا على بابها» («۴»)، فمن أراد المدينة والحكمة فلا بدَّ أن يأتيها من بابها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۱

فمن وفودنا على وصى النبى نستطيع أن نفد على النبى (ص)، ومن وفودنا على النبى (ص) والتجائنا وتوجهنا وتوسلنا ولواذنا به نكون قد وفدنا على الساحة الربوبية وتوجهنا إلى الله (عزوجل).

وأيضاً فى قوله تعالى: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ («۱»)، فلم يقل: تعالوا إلى الله مباشرةً، إذ البارى لا يباشر ولا يتباشر ببشرة، بل لا بدَّ من الوفود على الرسول (ص) أوّلًا فهو الشافع المشفع، ولكن ما هو فعل المنافقين؟ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ، فالقرآن الكريم يبيّن أنهم ليسوا موحدين، بل هم مستكبرون.

والاستكبار صفة وسُنّة إبليس اللعين إذ استكبر ولم يسجد لآدم (ع) حيث يقول: قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً («۲») فسُنّة إبليس الاستكبار عن التوسل والتوجه.

قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ

أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى

ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ* فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ («۳») هذه الآيات من سورة آل عمران يحدّثنا القرآن فيها أن نبوات الأنبياء نالوها بشفاعة سيد الأنبياء محمّد (ص).

وهكذا الآيات من سورة الأعراف: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۲

الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ («۱») تبيّن لنا بأنه من دون التوسل بالنبى (ص) لا يدخل المسلم الجنّة ولا ترتفع لديه عقيدة، حيث يقول: كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها أى تكذيب واستكبار وليس تكذيباً فقط، وإنما تكذيب واستكبار على الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، وهم آيات من آيات الله تعالى، قال تعالى: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ («۲») وأكبر وأعظم آيات الله هو الرسول محمّد (ص) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

ثمّ إن القرآن عبّر: اسْتَكْبَرُوا عَنْها ولم يعبر: (استكبروا عليها)، فما الفرق بين استكبروا عليها وبين استكبروا عنها؟

ذكر فى كتب الأدب واللغة أن فعلًا ما قد يضمن معنى فعل آخر ثمّ يؤتى بأداة تناسب المعنى المتضمن، فالمعنى حينئذٍ استكبروا وصدوا عنها، فيقول القرآن: إن أولئك استكبروا وصدوا عن التوسل والتوجه لرسول الله (ص) ولووا رؤوسهم ويصدون وهم يستكبرون، أى كما فعل إبليس اللعين إذ استكبر عن آيات الله.

وأكبر آيات الله هو الرسول (ص)، فالتوجه والتوسل والخضوع لآيات وحجج الله شرطٌ وركن ركين كى تنفتح أبواب السماء لعملك ولعقيدتك مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ («۳») فالصعود والرفع مشروط بالخضوع والتوجه والتوسل لنبى الله (ص) ولحجج وآيات الله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۳

والمستكبر عن آيات الله محالٌ أن يدخل الجنّة كما يعبر القرآن حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ («۱») إذن لا ننجو ولا يقبل ولا يصح إيماننا إلّا بالاتيان بفريضة إيمانية من فرائض القرآن الكريم وهى التوسل والتوجه للنبى (ص).

إذن لا بدَّ أن نقرأ رواية الدين الجديد الذى يأتى به المهدى (ع) فى ظل هذه المسلّمات، يعنى فى منطقة غير الضروريات من فرائض الله تعالى وسُنّة النبى (ص) ومنهاج الأئمّة (عليهم السلام) أى فى تلك المنطقة الوسيعة وهى منطقة النظريات التى اكتنفها تشابه وريب واختلاط عبر القرون، ومع ذلك لا يأتى (ع) فى تلك المنطقة إلّا بما هو حق حقيق.

لذا نقرأ فى دعاء الندبة:

«أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملّة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محى معالم الدين وأهله» («۲»).

وكذا فى دعاء العهد:

«واجعله اللهم ... ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك (ص)» («۳»).

وهكذا فى دعاء الافتتاح أيضاً:

«اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك» («۴»).

‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۴

وهكذا فى دعاء يدعى به فى زمن الغيبة والمروى عن صاحب الزمان (ع ...): « وجدد به ما امتحى من دينك وأصلح به ما بدل من

حكمك وغُيِّر من سُنّتك حتّى يعود دينك به وعلى يديه غضاً شديداً صحيحاً لا عوج فيه ولا بدعة فيه» («۱»).

وغيرها من الأدعية.

ففى دعواتنا والتزاماتنا وتوجهاتنا أنه (ع) يحى دين الله ويعمل بكتابه وسُنّة رسوله ويسير على نهج الأئمّة السابقين، لا كما يذكر من الفهم المعوج المزعوم استظهاره من آحاد الروايات والعياذ بالله تعالى وحاشاه (ع) من أنه يميت القرآن وسُنّة النبى ونحو ذلك.

فبالاعتماد على انحفاظ تراتبية الحجج ومعرفة مراتب الصلاحيات نفهم الرواية بالفهم الصحيح، أما إذا اختلطت علينا مراتب الحجج ودلائل الدين وصارت فوضى وفوضوية فى البصيرة والمعرفة نصل لفهم واستنتاج خاطئ ومعوج وننزلق فى متاهات وظلمات ونخرج من الدين.

إذاً هناك تراتبية فى منظومة الحجج لا يمكن هدمها ولا تقديم شىء منها على غيره، فإنّ توحيد الله تعالى إنما يتم وفق الموازين العقلية

وبديهياته فتكون بديهيات العقل فى أعلى مراتب الحجج ثمّ توحيد الله، وأن نبوة أىّ نبى لا بدَّ أن تكون من خلال توحيد الله، فنبوة الأنبياء لا بدَّ أن تكون فى كنف وظل وهيمنة توحيد الله، وهكذا إمامة أىّ إمام بالنسبة لنبوة الأنبياء، وهكذا بالنسبة للفقهاء مع الأئمّة (عليهم السلام)، فتكون الحجج مرتبة بالترتيب الهرمى هكذا بديهيات العقل ثمّ توحيد الله تعالى ثمّ نبوة الأنبياء ثمّ وصاية الأوصياء ثمّ النواب الخاصون والنواب العامون.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۵

وسيتضح هذا الترتيب جلياً من خلال بيان كيفية إعمال القواعد الرقابية فى الفصل الآتى (الخامس).

تراتب حجية الأئمّة ...: ص: ۳۶۵

قد يستفهم البعض عن لابدّية الضبط والانضباط فى الحجج ضمن نظام خاص ومنظومة خاصة؟

ولكن بالالتفات لما تقدم والاغراض والحِكَم التى لأجلها أوجد الله تعالى هذا الخلق العظيم فإنّه تعالى أراد لهذا الخلق التكامل والسير فى طرق تحصيل الرضا منه تعالى.

ولما كان الشيطان قد وضع حبائله وعمل بأساليبه الخبيثة لايجاد طرقٍ مزيفة لإضلال الناس وإيقاعهم فى الزيغ ليتركوا الطريق الذى رسمه الله تعالى لهم.

من هنا جاءت الحاجة لطريق وقناة اتصال بالحق وبعالم الغيب ولابدَّ أن تكون قناة يقينية الصدق وهى قناة المعصومين (عليهم السلام) فكان سيد الرسل محمّد (ص) القناة الوحيدة الذى له القدرة على الاتصال بعالم

الحق ومن خلاله يتصل عالم الإمكان بعالم الحق تعالى، فإنّ ما يتلقاه سيد الرسل عن الله تعالى يعظم حتّى ما يتلقاه جبرائيل (ع) ليوصله للنبى ويعظم ما يتلقاه روح القدس ليوصله للنبى، وهذا مؤيد ومدلل عليه بروايات عنه (ص) حيث نقل أنه (ص) تعرضه الغشية، وفى بعض الروايات أن ذلك حينما لا يكون بينه وبين الله تعالى ملك ولا وسيط، وكما ورد عنه (ص): «لى مع الله حالات لا يسعها لا ملك مقرب ولا نبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۶

مرسل» («۱») وفى بعض الروايات (لنا) بدل (لى) أى أن قناة الاتصال من العظمة والشأن بحيث لا يتحملها إلّا محمّد وأهل بيته (عليهم السلام).

ومما يؤيّد ذلك ما ورد فى آية الإسراء وروايات أهل البيت (عليهم السلام) أن النبى (ص) رآى فى المنام بنى أمية وبنى مروان ينزون على منبره فغم الرسول (ص) لذلك، فنزل عليه جبرائيل وسأله عن سبب اغتمامه فأخبره الرسول بما رآى، فقال جبرائيل: إن ذلك

شيء لم أعلمه فعرج إلى الله تعالى فأنزل هذه الآية من قوله تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ («۲») أى أن هناك من عالم الحق وعالم الغيب ما يوصله الله تعالى للنبى (ص) مباشرةً من دون المرور بجبرائيل ولا غيره.

لذلك تقدمت حجية الرسول (ص) وصارت بعد حجية الله تعالى،

ثمّ جاءت حجية الأئمّة (عليهم السلام) بعد حجية الرسول وقبل حجية جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ويشير لذلك ما فى الزيارة الجامعة ... « حتّى لم يبق نبى مرسل ولا صديق ... إلّا عرفتهم جلالة أمرهم حتّى لا يطمع » («... ۳») من هنا تبيّن قول أمير المؤمنين (ع): «نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» («۴») وما عن الصادق (ع) قال بعد أن سُئل

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۷

ما أنتم: «خزان علم الله وتراجمة وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» («۱»).

فحجية الرسول بعد حجية الله، ثمّ حجية الأئمّة (عليهم السلام)، ثمّ حجية الفقهاء، ولكن حجية الأئمّة أيضاً لها تراتبية خاصة بحيث لا يمكن للإمام اللاحق تجاوز

حجية الإمام السابق، فإنّهم (عليهم السلام) قناة واحدة متصلة ذات تراتب طولى يبتدئ بالرسول الأعظم وينتهى بالمهدى المنتظر (ع).

فإنّه ورد فى الكافى: «لا يتنزل شيء من الله تعالى إلّا ويتنزل أوّلًا على رسول الله (ص)، ثمّ على على أمير المؤمنين (ع)، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين حتّى الإمام المهدى سلام الله عليهم أجمعين» («۲»).

‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۸

فهم (عليهم السلام) قناة واحدة ويكون الإمام الأخير فيها له الإمامة الفعلية فقد روى عن الصادق (ع) قال: «حب ولايتى لجدّى على بن أبى طالب أحب إلىَّ من نسبى إليه» («۱») ونظيره روى عن الكاظم (ع)، يعنى أنه (ع) يتولى الطاعة لأمير المؤمنين والولاية له مع أن كلًا منهما حجة وإمام معصوم.

وبالتالى فإنّ هرم القيادة والإمامة والولاية تبقى محفوظة فى هذه السلسلة فإنّ إمامة وقيادة وولاية وحجية الأئمّة السابقين مفعلة دائماً كما أن حجية الله تعالى مفعلة حتّى مع وجود الأنبياء والأوصياء فكذلك الأئمّة السابقون، وهذه قاعدة فى الحجج، فإنّ الحجة الأعلى تبقى مفعلة دائماً حتّى مع فعلية الحجة الأقل والأدون.

من هنا يندفع توهم البعض بأنه كيف يتفق فى دولة الرجعة رجوع أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) مع أن الإمامة الفعلية للمهدى (ع)، إذ من المعلوم أن أمير المؤمنين والحسنين أفضل من المهدى (ع)، فكيف نتصور وجود الأفضل مع أن الإمامة الفعلية للأقل فضلًا؟

فإنّ هذا مندفع إذا التفتنا إلى أن كون الإمامة الفعلية هى للإمام المهدى لا يعنى عدم إشراف أمير المؤمنين والحسنين (عليهم السلام) على إمامة المهدى، وذلك لما قرر فى جملة من الروايات وغيرها من الدلائل القرآنية أن ولاية الرسول (ص)

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۹

وولاية أمير المؤمنين والحسنين لم تنقطع بانتقالهم إلى البرزخ وعالم الآخرة، فسلسلة مراتب الولاية محفوظة وأن طاعة الرسول لزومها فعلى على كل إمام من الأئمّة (عليهم السلام) كما ورد عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «كأنى أنظر إلى القائم (ع) على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا عدة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكّام الله فى أرضه على خلقه، حتّى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهد معهود من رسول الله (ص)، فيجفلون عنه إجفال الغنم البكم، فلا يبقى منهم إلّا الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى ابن عمران (ع)، فيجولون فى الأرض ولا يجدون عنه مذهباً فيرجعون إليه، والله إنى لأعرف الكلام

الذى يقوله لهم فيكفرون به» («۱»).

وهـذا نظير التشـكيلات الحكوميـة فى هذه الأزمنة فإنّ رئيس الوزراء هو المباشـر للقيادة الفعلية والإدارة، مع أن رئيس الجمهورية يعد رسمياً له المنصب الأعلى ولا بدَّ لرئيس الوزراء أن يطيعه، بل إن قرارات رئيس الوزراء لا تسرى ما لم يقرّها رئيس الجمهورية.

لـذا لاـ بـدَّ أن نفهم الإمامـة بمعنى الجهاز المنظومى وليس بمعنى الفرد الواحـد البشـرى، بل هى كتلـة جهاز واحـد متكامل عبارة عن سلسـلة حجـج مرتبة الأعلى فالأعلى، وأن الإمام المباشـر والفعلى لا يعنى كونه الأفضل، بل يكون للإمام الأعلى حجية ودور الإشـراف فى مرحلة فعلية إمامة الأقل حجية.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۳

الفصل الخامس: القواعد الرقابية فى المعرفة ... ص: ۳۷۳

اشارة

بعـد أن علمنا أن هناك أنواعاً من الحجـج وأنها مرتبـة ومنظمـة وفق هندسـة إلهيـة خاصـة، وأن من الحجـج ما هو محكم ومنها ما هو متشـابه، وأن المحكم والمتشـابه فى الحجـج أمر نسبى وليس ذاتيـاً لهـا إذ العمل بالحجـة فى مرتبتها محكم والعمل بها فى غير مرتبتها متشابه، وعليه فإنه من ضـمن هندسـة إحكام منظومـة الحجـج لا بدَّ من ضوابط وقواعد معينة يعرف من خلالها أن العمل بتلك الحجة هل هو فى مرتبتها ليكون العمل بها عملًا بالمحكم، أم صوعد بها لغير مرتبتها فيكون العمل بها عملًا بالمتشابه؟

وهـذه القواعـد هى نفس تحديـد مرتبـة كل مرتبـة من تلك الحجج بحيث إن نفس تلك الحجة من جهة العمل بها فى مرتبتها يكون عملًا بالمحكم، ومن جهة هيمنتها على الحجة الأدون منها تكون قاعدة رقابية تبيّن لنا نوع العمل بغيرها من كونه عملًا بالمتشابه.

ولذا يمكن أن تكون عندنا القواعد الرقابية التالية:

بديهيات العقل أولى القواعد ...: ص: ۳۷۳

أولى القواعـد الرقابيـة هى بـديهيات العقـل، فلاـ يمكن لله تعالى أن يطالبنا بخلاف تلك البـديهيات، فإنّه تعالى حيث يخاطبنا ويطالبنا بالتوحيـد إلّا أن ذلك ليس خلافاً لبـديهيات العقل، فإنّه تعالى يقول: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَـةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَـدَتا فَسُـبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ («۱») فإنّ الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۴

تعالى يرشد العقل السـليم إلى بديهة من بديهياته وأنه لا بدَّ لهذا الكون والعالم من إله واحد وإلّا لوقع الاضطراب والتنافر وبالتالى يقع الفساد، فإنه تعالى بهذه الآية لا يسـتدل على وحدانيته لأن الوحدانية من البديهيات وقد ثبت فى محله أن البديهى ينبه عليه ولا يسـتدل له.

وهو بديهيـة عقليـة كما أنه تعالى لا يأمر بالظلم ولا ينهى عن العـدل والاحسان التى هى بديهيات العقل فقول الله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ («۱»)، وَمـا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ («۲»)، وَمـا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ («۳»)، فلِمَ ينفى الله (عزوجـل) عـن نفسه الظلم ولِمَ يـدافع عن نفسه؟ فهل يقع الريب أو الشكّ فى الله تعالى أو فى أمانته أو لكى يبيّن لنا أن بديهيات العقل لا يخالفها من قبح الظلم ونحوها؟

إنما ذلك منه تعالى لكى يبين لنا أن قُبح الظلم وحُسن العدل قواعد رقابية معرفية لمعرفة إلوهيته تعالى فيقول: لا تقصوا ولا تغلقوا ولا تُلغوا عقولكم فإنّ بديهيات العقل صـرح مشيد لا يمكن تجاوزها، وأن أوامر الإله لا يمكن بحالٍ أن تتجاوز ذلك الصرح، فإنّ مساحة

شأن صلاحيات الله وحجيته لا- تناقض ولا تتعدى بديهيات العقل فى إدراك الكمال لذا قال تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ («۴»)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ («۵»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۵

من هنا يتضح أن من يدعى الإلوهية والربوبية لا بدَّ أن لا يتجاوز بديهيات العقل السليم وإلّا لو تجاوز أىّ بديهة منها فذلك كاشف عن بطلان دعواه، بل إنه بمجرد ثبوت إلهية الله تعالى ببديهة العقل لا بدَّ أن يكون الإله واحداً، فتضاف حينئذٍ بديهة لبديهيات العقل وهى بطلان دعوة أىّ مدعى للإلوهية.

ضروريات دين الله ثانى القواعد ...: ص: ۳۷۵

وثانى القواعد الرقابية يُبيّنها لنا القرآن الكريم من أن الرسول (ص) وكل الرسل وكل الأنبياء حجيتهم وإن كانت مطلقة بالنسبة إلى من دونهم إلّا أنها بالنسبة إلى حُجية الله هى محدودة لأنّ حجية البارى تعالى فوق حجية الأنبياء بل إن حجية الأنبياء متفرعة على حجية الله، فحجية الأنبياء لا بدَّ أن تقع تحت ظل وهيمنة حجية الله تعالى، قال الله تعالى: ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ («۱») فمضمون الآية وعدة آيات أخرى تبيّن حدود طاعة أىّ رسول من الرسل ونبى من الأنبياء بأنها محدودة باطار وقانون ونظام التوحيد، قال صادق آل محمّد (ع): «لم يبعث نبى إلّا بتحريم أصول المحرمات» («۲») فالمحرمات والفواحش لا يمكن لنبى أن لا يحرمها كما لا يمكنه أن لا يوجب الواجبات كالصلاة والصوم فهذه أصول لا يمكن لنبى أن يتجاوزها ولا يمكن له أن يرفعها لأنها من فرائض الله وأن دين الله واحد، فلو افترضنا جدلًا وإن كان محالًا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۶

وحاشى لساحة الأنبياء والرسل ذلك أن نبياً من الأنبياء أو رسولًا من الرسل دعا الناس إلى ما يخالف وحدانية الله تعالى أو لمخالفة ضرورة من ضروريات دين الله تعالى لسقطت حجيته والذى يكشف عن عدم نبوته أساساً أى يكون مدعياً للنبوة كذباً وليس هو بنبى حقيقةً، فإنّ توحيد الله قاعدة رقابية معرفية على حجية الرسل كما أنه لو فرضنا أن نبياً أباح محرماً إلهياً أو لم يوجب واجباً من ما قد فرضه الله تعالى فى أصول الديانة فهو أيضاً كاشف عن سقوط حجيته وبالتالى عن عدم نبوته أساساً أيضاً لأن ذلك ليس من صلاحيات الأنبياء والرسل.

فالقرآن الكريم وبديهيات العقل تضع لنا نصاباً وضابطة لحجية الرسل والأنبياء وذلك أن مشروعية الرسل ورسالة الرسل وشرائع الرسل يجب أن لا- تخرج عن التوحيد والتنزيه والتعظيم لله تعالى، وأن منتهى العلو والعلياء إنما هو للبارى تعالى لا غيره وأن المبدأ والمعاد إليه جلّ وعلا، فضروريات الدين قاعدة رقابية على الرسل وعلى حجية الرسل لو تخطوها وحاشاهم ذلك لانكشف أنهم ليسوا برسل ولسلبت صلاحياتهم من النبوة والرسالة وبهذه القاعدة الرقابية نميز ونفرق ونستكشف صدق الرسول المحق من زيف المدعى للرسالة كمسيلمة الكذاب، فمن خلال تجاوزه لحدود توحيد الله أو لضرورات دين الله اتضح بطلان ما يدعيه لنفسه من النبوة.

فالرسل وإن كانوا معصومين ومنزهين يصطفيهم الله تعالى فى غابر علمه إلّا أن الله تعالى يقول: لا تلغوا ولا تقصوا عقولكم، بل إن الرقابة والفحص مستمر ولا بدَّ منها، لأن دين الله هو دين النور والهداية ودين المناهج والشرائع المنضبطة ودين البصائر لا دين العماية، فحجية الرسل تتلو حجية الله (عزوجل) فهى محدودة بحجية الله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۷

سنن الأنبياء ثالث القواعد ...: ص: ۳۷۷

وحجية الرسل بدورها ضابطة وقاعدة رقابية لمعرفة الناس لإمامة الأئمّة (عليهم السلام) أى أن حجية الأئمّة لا تخرج من هيمنة حجية

سيد الرسل، فهم (عليهم السلام) لا يتجاوزون ضروريات سنن الرسول (ص)، لذلك قال رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (ع): «إنى قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل أنت يا على على تأويله» («۱») فإنّ الأمير (ع) لم يكن ليتجاوز شريعة سيد الرسل بل مطبق لها وسائر على نهجها فهو حارب على تأويلها أى على تطبيق ما جاء به سيد الرسل.

لذا نقرأ فى زيارة أمين الله: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه » («... ۲») فهو (ع) تابع لضرورات فرائض الله وعامل بكتابه تعالى ومطبق لسنن سيد الرسل (ص)، فمن العلامات الكبرى لحقانية سيد الأوصياء أنه عمل بسُنّة النبى (ص) وليس مبدلًا لها.

وهكذا كثير من الزيارات لأمير المؤمنين (ع) فيها نعوت كثيرة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۸

ومتميزة لسيد الأوصياء (ع) بأنه منفذ متقيد تابع لضرورات الدين ولسُنّة النبى (ص).

فبديهيات العقل وضرورات الدين وسُنّة سيد المرسلين قواعد رقابية تكشف للأمّة الإسلاميّة من هو على (ع) ومن هو غيره، من هو إمام الهدى ومن هو إمام الضلالة، من سار على دين الله وسُنّة نبيه ومن خالف وأحدث وبدل فى السُنّة الشريفة لسيد الرسل (ص).

وكذا الزهراء (ع) وما أدراك ما الزهراء الصديقة الطاهرة بضعة الرسول سيدة نساء أهل الجنّة وهى تسود كل النساء الصالحات المؤمنات نزلت بحقها العديد من الآيات، التطهير، المباهلة، وسورة الإنسان وما اسند إليها من صلاحيات الفيء وهى أقرب قربى النبى، والنصوص مفعمة فى حقها (ع) ومع كل ذلك فإنّها فى خطبتها ومحاججتها مع السلطة لم تطلب شيئاً من ذلك، وإنما قالت: «أفخصكم الله بآية أخرج أبى (ص) منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان أوَلست أنا وأبى من أهل ملّة واحدة» («۱») ومفاد ذلك منها (ع) أنها تقول للعقول: إن دين الإسلام ليس دين عماء وعماية بل دين بصيرة، فابصروا بعقولكم هل خرجت عن ملّة أبى كى لا أرثه، أى أنى لا زلت تحت القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۹

الرقابية الواجب على عدم تجاوزها فإنّى لم أتجاوزها فلم أخالف ضروريات الدين ولا سُنّة سيد المرسلين.

إذاً حجية الزهراء (ع) مع عصمتها وما لها من المقامات الأخروية والتكوينية وعلو شأنها مع كل ذلك هى فى ظل ضرورات الدين وفرائض الله وضرورات سُنّة أبيها سيد المرسلين (ص) ومنهاج أمير المؤمنين (ع)، فحجية الله وحجية الرسول (ص) وحجية سيد الأوصياء (ع) فوق حجية الزهراء أى أن حجية الزهراء منضبطة ضمن إطار حجية الله وحجية الرسول، فلحجية الله والرسول الهيمنة على حجية الزهراء والأئمّة الأطهار (عليهم السلام).

فمن هذا القبيل كلام سيد الشهداء (ع) يوم عاشوراء: «يا ويلكم أتقاتلونى على سُنّة بدلتها أم على شريعة غيرتها » («... ۱») فإنّ معنى ومؤدى هذه العبارة من الإمام الحسين (ع) أن إمامته وحجيته دون حجية الرسول (ص) وأن هناك قاعدة رقابية تحده إذا تجاوزها، فللغير أن يعرفه بتلك الحدود والمقررات ويحاسبه ويقاتله، وأما مع عدم تجاوزه دائرته وحجيته وأنه ما زال ضمن مرتبته فلا يحق للغير من العامة والناس مُسائلته ومقاتلته، بل اللازم اتّباعه وطاعته، وتلك القاعدة الرقابية هى دين الله وشريعة سيد الرسل، فضرورات وفرائض دين الله وضرورات وسنن النبى (ص) قواعد رقابية معرفية للناس على استقامة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر عظيم فالإمام الحسين لا يطالب الناس بالالتفات إلى عصمته وأنه ريحانة الرسول وأن الكثير من الآيات نازلة بحقه وأنه سيد شباب أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۰

الجنّة و ... فإنّ كل ذلك مفروغ عنه ولا شكّ فيه، كما أنه لم يطالب بالالتفات إلى ما نُص عليه من إمامته وخلافته، بل طالب بالالتفات إلى أنه لم يخالف القواعد الرقابية المعرفية وهى دين الله وسُنّة رسوله فيقول: إنى لم أخرج عن ضرورات فرائض الله ولا ضرورات سنن النبى (ص)، فإنّه ليس لى صلاحية ذلك، وإلّا فلو خرجت عن ذلك لاستحللتم تكفيرى وقتلى وسفك دمى.

فلننظر إلى الدين الإسلامى ومذهب أهل البيت كم هو رائع، فإنّه دين التثبت والعقل والبصيرة لا دين العمايه، لو افترى على الله والعياذ بالله لأخذنا منه باليمين أو لقطعنا منه الوتين قال تعالى: لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ («۱»).

لذا فإنّ حجيه الأئمّه (عليهم السلام) فى ظل هيمنه حجيه الله ورسوله وتابعه لها، كما يقول الإمام على بن موسى الرضا (ع): «إن الله حرم حراماً وأحل حلالًا وفرض فرائض، فما جاء فى تحليل ما حرم الله أو فى تحريم ما أحل الله أو دفع فريضه فى كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ («۲») فكان (ع) متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث فى الشىء عن رسول الله (ص) مما ليس فى الكتاب وهو فى السُنّة ثمّ يرد خلافه، فقال: «كذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۱

الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله فوافق فى ذلك أمره أمر الله، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثمّ جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص) ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص) إلّا لعلة خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص) أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا، تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله (عزوجل): وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا («۱») وإن الله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافة وكراهة، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان فى الدين، ثمّ رخص فى ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (ص) نهى إعافة أو أمر فضل فذلك الذى يسع استعمال الرخصة فيه، إذا ورد عليكم عنا الخبر فيه باتفاق يرويه من يرويه فى النهى ولا ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقلة فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيّهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (ص) والردّ إليه وإلينا، وكان تارك ذلك من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله (ص) مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان فى كتاب الله موجوداً حلالًا أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن فى الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (ص)، فما كان فى السُنّة موجوداً منهياً عنه نهى حرام ومأموراً به عن رسول الله (ص) أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله (ص) وأمره، وما كان فى السُنّة نهى إعافة أو كراهة ثمّ كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۲

(ص) وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذى يسع الأخذ بهما جميعاً وبأيّهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والإتباع والردّ إلى رسول الله (ص)، وما لم تجدوه فى شىء من هذا الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتّى يأتيكم البيان من عندنا» («۱»).

فكما أن الدين قاعدة رقابية على حجية الرسل، كذلك شريعة الرسول محمّد (ص) وسُنّة سيد الرسل (ص) قاعدة رقابية على حجية الأئمّة (عليهم السلام)، فليس من صلاحيات الأئمّة تبديل ضرورات سنن سيد الرسل، لذا قال الرسول (ص): «أيها الناس حلالى حلال إلى يوم القيامة وحرامى حرام إلى يوم القيامة» («۲»)، فالأئمّة لما لم يكونوا أنبياء فهم لم يأتوا بشريعة غير شريعة سيد الأنبياء (ص)، وهذه قاعدة رقابية أعطاها الله تعالى ورسوله (ص) للأمّة الإسلاميّة لتمييز الإمام المحق من الإمام الباطل المبطل.

وهذا معنى تراتبية الحجج، أى أن بعض الحجج أكبر من البعض الآخر.

مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابية ...: ص: ۳۸۲

يقول النبى (ص): «يا على أنا كالشمس، وأنت كالقمر، والزهراء كالزهرة، والحسنان كالفرقدين» («۳»)، فهذا التشبيه والفوارق منه صلوات الله عليه يذكرها لبيان تراتبية الحجج وأن بعض الحجج فوق بعض، فإنّ حجية الرسول (ص) فوق حجية سيد الأوصياء، وحجية سيد الأوصياء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۳

فوق حجية الزهراء، وحجية الزهراء فوق حجية الحسنين (عليهم السلام)، فلا يمكن لسيد الأوصياء (ع) أن يتخطى مواقف الرسول (ص)، ولا يمكن للزهراء (ع) أن تتخطى مواقف سيد الأوصياء (ع)، ولا يمكن للحسنين (ع) أن يتخطيا مواقف الزهراء (ع) فى الأحداث التى جرت بعد رسول الله (ص)، كما لا يمكن لإمام من أئمّة أهل البيت الأحد عشر أن يتخطوا الزهراء (ع)، لأن حجيتها فوق حجيتهم، كما ينسب إليه (ع ...): « وجدّتنا الزهراء حجة علينا » («... ۱») وهو مضمون أن نورهم اشتق من نورها كما فى روايات النور المستفيضة، ومضمون أن من مصادر علمهم (عليهم السلام) مصحف فاطمة (ع).

كما أن حجية الحسنين فوق حجية الأئمّة التسعة، فلا يمكن أن نتصور ونتعقل ما قد يذكر من الفهم المعوج من أن الإمام المهدى يدعو لمعاداة آباءه من الأئمّة وأنه يهدم قبورهم ومراقدهم وعدم تعظيمهم («... ۲»).

فإنّ ذلك خلاف صلاحياته ورتبة حجيته (ع) فلا يمكنه نبذ اتّباع روايات آبائه وسننهم وضرورات الدين وسُنّة سيد المرسلين فله دائرة حجية لا يتعداها ولا يتجاوزها، ويؤكد ذلك ما يذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كتاب كمال الدين وما فى كتاب الغيبة للنعمانى وغيرها من كتب الأصحاب أنه (ع) حينما وجهت إليه أسئلة على يد النواب الأربعة (رض) فإنّه أكثر من تسعين بالمائة من الأجوبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۴

وتوقيعاته الشريفة كانت إرجاعات لضرورات سنن آبائه السابقين (عليهم السلام) من رواياتهم وتراثهم الشريف لأن ذلك التراث من آبائه يمثل ضرورات سنن الرسول والأئمّة الصالحين الطاهرين، فهو (ع) بذلك يؤكد ويُشدد يد الناس عليها لأنها قاعدة رقابية معرفية لاستقامة الإمام الثانى عشر (ع)، لأن اعتقادنا بالإمام الثانى عشر فرع وتابع لاعتقادنا برسول الله ولاعتقادنا بالإمام على بن أبى طالب ولأنّا اعتقدنا بالزهراء ومظلوميتها (ع) ولأنّا اعتقدنا بالحسنين (ع)، فكيف يتصور أن الإمام الثانى عشر (ع) يتخطى إمامة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم قاعدة رقابية على معرفة حجيته.

وحتّى لو فرضنا فى عصر الظهور وبويع الإمام (ع) عند ركن الكعبة وحشدت أنصاره وهزم جيش السفيانى وأقام الإمام الدولة المباركة على أرض العراق و، ... فهل يمكن الاستغناء عن تراث أهل البيت (عليهم السلام)؟

كلا وحاشى، لأن تراث أهل البيت (عليهم السلام) فيه ضرورات سُنّة النبى (ص) وضرورات سنن المعصومين، والإمام المهدى (ع) وإن كان فى الحقيقة ينبوع كل شىء ولكن لا يمكن أن يستغنى عن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمّة، وهو لا يتخطى ذلك لأن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمّة من آبائه الطاهرين قواعد رقابية على حجيته.

فلو ادعى مدعى أنه الإمام المهدى، ثمّ تجاوز ذلك التراث لكشف ذلك عن زيف دعواه، فلا يتوهم متوهم أنه (ع) لأجل أن عنده علم كل شىء وبالتالى يتخطى ويقفز على شريعة جدّه حاشاه ذلك، بل هو يحيى شريعة جدّه فى دائرة المتشابهات وما هو منسى من سُنّة النبى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۵

لذلك فإنّ أحد المهام العظيمة للحوزات العلمية هو إبقاء دور الفقهاء كجهاز وأيدى وسواعد وأعوان للإمام المعصوم فى دولة الظهور ودولة الرجعة وإن كان للإمام فى دولته نواب خاصون.

ولا يتوهم أن الإمام (ع) بعد ظهوره حيث تتكامل العلوم والعقول فلا تبقى حاجة لتراث أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الاعتقاد

بالإمام والإمامة وحجيته لا تعنى الغلو بأن يعتقد بأن صلاحية الإمام هى صلاحيات النبوة، لأن المجيء بشريعة جديدة ناسخة لشريعة سيد المرسلين باطل بالضرورة.

كما لا يعتقد فى الإمام الألوهية بأن ينسخ ضروريات وفرائض الله تعالى وضرورات الدين الإلهى، فلا نسخ فى ضروريات الدين ولا ضروريات سنن النبى (ص) فضلًا عن بديهيات العقل، فلا محالة تكون هذه الضروريات بمنزلة قاعدة يستكشف بها صدق الإمام وأنه إمام الحق الموعود.

فكيف يفرض ويتوهم رفعه لمثل تلك الضروريات وقد وصف (ع) فى كثير من الروايات أنه يحيى كتاب الله وسُنّة النبى ومنهاج آبائه الأطهار لا أنه يُميتها، فمع هذه الأوصاف كيف يُتخيل أو يُتعقل أنه يقصى ويشطب على تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى هو متضمن لضروريات الدين وسنن النبى وسنن الأوصياء ومناهجهم، وما أشبه هذا التوهم بتوهم من يتوهم أن القرآن يُقصى ويبعد ويستغنى عنه عند ظهور الإمام، فإنّ المتوهم يُعلل ذلك بأنه مع وجود القرآن الناطق وهو الإمام فلا حاجة للقرآن الصامت، وكأن هذا المتوهم يحسب أن ارتباط كل الناس بالقرآن الناطق خط مفتوح على مصراعيه فى كل الأوقات والأحوال، ولو صح هذا التوهم لصرنا كلنا أنبياء! بوجود هذا الارتباط.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۶

وكذلك الفقهاء والنواب سواء بالنيابة الخاصة أم العامة ليس من صلاحياتهم التعدى على سنن ومناهج الأئمّة (عليهم السلام)، فإنّ حجية الفقهاء متفرعة عن حجية الأئمّة، ولو جاز تعديهم لزاد الفرع على الأصل، إذاً حجية الأئمّة ودائرة سنن وضرورات الأئمّة (عليهم السلام) قاعدة رقابية معرفية على حجية الفقهاء.

لذلك لم تفتأ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) من إعمال القواعد الرقابية حتّى على النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى رغم ما نص عليهم من قبل الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) فإنّ القواعد الرقابية والفحص والتثبت وإعمال العقل لم تلغ حتّى فى معرفة الله تعالى وحتّى فى معرفة الرسل والأوصياء فكيف تلغى بحق النواب والسفراء والفقهاء، وهذا لا ينافى احترامهم وتبجيلهم، إذ هذه القواعد ضوابط معرفية فى معرفة الرسل والأوصياء فكيف بمن دونهم، وإنما ذلك لأن حجيتهم محدودة وواقعة تحت حجية الأئمّة (عليهم السلام) فإنّ خروجهم منها يكشف عن إلغاء حجيتهم.

وهذا من روائع الإسلام أنه لا يقصى المعرفة والعقل، فالقرآن الكريم يعرفنا بأن معرفة الله تعالى لو تخطت العدل والاحسان والعياذ بالله لكانت معرفتنا بالله باطلة، وهكذا فى معرفتنا وتصديقنا بالرسول (ص) فإنّه لا يخرج عن التوحيد، وإلّا لو خرج بطلت حجيته ولانكشف أنه مسيلمة الكذّاب وأنه ليس رسولًا لله حاشاه من ذلك، ونحن إنما نذكر ذلك للتوضيح وإلّا فالنبى (ص) حجيته ثابتة ويقينية ومعاذ الله أن نشكّك فى ذلك.

وهكذا الإمامة لو خرج مدع لها وبدّل سُنّة النبى (ص) لانكشف أنه ليس بالإمام المحق، لذا لم يفتأ علماء الإمامية ومدرسة أهل البيت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۷

(عليهم السلام) من تسجيل المؤآخذات على من بدّل سُنّة النبى (ص)، لأن ذلك ليس بالأمر المنفلت وغير تابع لضوابط وقواعد وإنما أمر عظيم ومنضبط، قال تعالى: وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ («۱»).

فإنّ تبديل سُنّة النبى يعنى عدم التبعية للنبى (ص) وخروج عن الحق وعن الصراط المستقيم، فليس الأمر خيارياً يعمل أو لا يعمل ويتبع أو لا يتبع، وإنما هو أمر محتوم قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ («۲») فهذا أمر موجه للكل بأن يطيعوا الله بما فيهم الرسول فى الدرجة الأولى والإمام فضلًا عن عامة الناس وقوله: أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للكل بما فيهم الإمام فى الدرجة الأولى فضلًا عن عامة الناس، فأوّل من أطاع الرسول هو على بن أبى طالب (ع)، كما أن أوّل من أطاع الله هو الرسول (ص) وهو السابق على جميع الأنبياء والمرسلين والمخلوقين فى طاعة

رب العالمين.

وعلى بن أبى طالب هو السابق لطاعة الرسول (ص) فإنّ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للكل بما فيهم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، بل ولعامة الأنبياء والمرسلين فى الدرجة الأولى، ثمّ لسائر الخلق من الجن والإنس.

وقال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا («۳») فقوله: وأطيعوا أولى الأمر أمر موجه لعامة الفقهاء والنواب الخاصين بل حتّى للنبى عيسى (ع)، أوَلا يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۸

عيسى وزيراً للمهدى (ع) ويصلى خلفه («۱»)؟ فإنّ هذه الآية عامة، والنبى عيسى (ع) حى وكذا الخضر حى، فهما مشمولان بوجوب طاعة أولى الأمر من أهل البيت (عليهم السلام).

منهاج الأئمّة خامس القواعد الرقابية ...: ص: ۳۸۸

فإنّ حجية الأئمّة (عليهم السلام) مهيمنة على حجية الفقهاء، لذلك نجد فى أوّل الرسائل العملية للفقهاء يقولون: إن صلاحيتنا فى الفتوى محدودة أى فى غير الضروريات وفى غير العقيدة، فإنّ العقيدة من الدين الذى لا يغيّر باختلاف الآراء فهى ليست ضمن دائرة حجية الفقهاء.

لذلك نجد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد وتحث عامة الناس على متابعة ومراقبة النواب والفقهاء.

فإنّ ما تقدم ذكره من جمع الروايات فى كتاب من قبل النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) وعرضها على فقهاء قم تؤكد ذلك، فإنّ النائب وإن كان يحظى بمنزلة خاصة وتبجيل الإمام الثانى عشر (ع) ولكنه من جهة روايته لروايات الأئمّة السابقين (عليهم السلام) فهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۸۹

خاضع للقواعد الرقابية المعرفية وهى عدم تجاوزه لضرورات سُنّة الأئمّة المعصومين السابقين، فحتّى لو كان نائباً خاصاً يبقى تحت المراقبة والمتابعة ليعلم كونه ضمن دائرة حجيته ولم يتعدها وإلّا سقطت حجيته، وانكشفت عدم نيابته وسفارته أساساً.

فإنّ حجية الأئمّة قاعدة رقابية معرفية على حجية السفراء والفقهاء، وإن حجيتهم تحت ظل وهيمنة حجية الأئمّة (عليهم السلام)، بل إن حجيتهم قطرة أو نقطة فى محيطات وسماء المعصومين (عليهم السلام).

لذلك فإنّ الإمام على بن أبى طالب (ع) كان يجعل مراقبين على كل والٍ من الولاة الذين يولّيهم فى دولته، فأىّ والٍ منهم يتجاوز أو يتخطى الاستقامة وطريق العدل ويرتكب جوراً والعياذ بالله فإنّه (ع) يعزله مباشرةً، لأن صلاحيات الوالى عن على بن أبى طالب (ع) لا تتجاوز حدود حجية على بن أبى طالب (ع) ولا تتجاوز حجية الرسول (ص).

فهكذا هى منظومة الدين، وهكذا يجب أن نعيها ونعرفها ونبصرها كى لا تشتبه وتلتبس علينا الفتن واللوابس، فإنّها منظومة محكمة فى دين الله تعالى ودين رسوله (ص) وفى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إحكاماً تاماً، لذا لم يُلغَ دور الفقهاء فى الغيبة الصغرى ولن يلغَ فى دولة الظهور، لأن دولة الظهور هى دولة الإسلام الصحيح والتطبيق الواقعى لدين الله، فهى دولة العلم والعلماء لا دولة الجهل والجهلاء، ودولة الفضل والفضيلة لا دولة الرذيلة والرذائل، ودولة المكارم لا دولة السفاسف.

فباعتبار أن أصعب الامتحانات والفتن كما مرَّ هى فى قوة العقل والفكر والبصيرة فى الإنسان فلا بدَّ أن تلحظ منظومة الحجج والأدلّة ومراتب الحجج وإلّا كان الأمر صعباً مستصعباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۰

فإنّ الله تعالى فى قوله: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ («۱») يخبرنا بأنه لا بدَّ أن تكون لنا منهجية فى التفكير وفى المعرفة والبصيرة وألّا نتبع العشوائية والفوضوية.

وقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِما اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ («۲») ليس خاصاً بالتوراة، بل هو من الدين الذى يعم كل بعثات الأنبياء ليحكموا بها حكم قضاء وسلطة تنفيذ وحكومة سياسية وقضائية وتشريعية وفتوائية، فقوله تعالى: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ أى الأنبياء، وَالرَّبَّانِيُّونَ أى الأوصياء والأئمّة المعصومون (عليهم السلام)، وَالْأَحْبارُ أى العلماء الفقهاء، فإنّ رتبة الفقهاء تأتى بعد رتبة الأنبياء والأوصياء، وإن كان الفقهاء قطرة من سماء الأنبياء ولا يقاسون بأحد من الأئمّة ولكن هذا لبيان عدم إلغاء دور الفقهاء وأن لهم مرتبة حجية على الناس وهذه المرتبة تحت ظل وهيمنة الأوصياء، وقوله: بِمَا اسْتُحْفِظُوا أمر للأنبياء بحفظ كتاب الله، والحفظ يكون بالعمل به وتعليمه وإقامته فى البشرية، وبالتالى فهو أمرٌ للأوصياء بذلك أيضاً أى بأن يحفظوا كتاب الله، وهكذا الأحبار العلماء، وهذه الآية فريضة فى كل الشرائع لأنها من فرائض دين الله (عزوجل).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۱

وإلّا فإنّ اتّباع المتشابه ونبذ المحكم وعدم الوعى فى المعرفة والبصيرة مرض عقلى والعياذ بالله ناشئ من الانحراف فى السلوك والتطبيق، أى من ارتكاب المحرمات والفواحش، والتساهل فى واجبات دين الله.

الواقع والاستكشاف فى الحجج ...: ص: ۳۹۱

عندما نرتب وننظم هذه المراتب من الحجج ثبوتاً، أى ندركها ثبوتاً فإنّ لها ترتيباً ونظماً إثباتياً كذلك، والتفريق بين المقامين دقيق ويجب أن لا يكون هناك فصل إذ أن التغاير بينهما تغاير حيثى، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحيثيتين.

فعندما نضع بديهيات العقل فى رأس الهرم لمراتب الحجج فإنّا لا نفرط فيه ونجعله شاملًا حتّى لنظريات ومتشابهات العقل، وإنما العقل حجة وله هذه المرتبة فى ضمن البديهيات من الأوّليات والفطريات ونحوها.

فالبديهيات العقلية جعلت قاعدة معرفية استكشافية حتّى فى معرفة التوحيد إنما ذلك إذا كانت فى دائرة مسلمة وواضحة وهى البديهيات، وأما فى حدود الادراك العقلى النظرى والذى يكون محل اختلاف الأنظار فلا يمكن أن يكون العقل فى هذه الدائرة قاعدة محكّمة ومحكَّمة وميزان فصل، لأن هذه الدائرة من إدراكات العقل ليست مسلمة وليست واضحة وإنما هى محل اختلاف الأنظار!

وهكذا فرائض دين الله تعالى إنما كانت فى المرتبة الثانية للحجج ثبوتاً إذا كانت فى دائرة الضروريات، فهذه الدائرة هى القاعدة الاستكشافية والرقابية لحجية الرسول وتمييز الرسول المحق ممن يدعى الرسالة كذباً فذلك إنما يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۲

فى حدود ما ثبت بالضرورة أنه من دين وفرائض الله تعالى، فلا يمكن لإله أن يأمر بغير العدل، لكن فى ضمن الدائرة الضرورية من العدل وليس فى الدوائر المتشابه منه، فإنّ حجية البارى تعالى وصلاحياته مهيمنة على حجية الرسول (ص) فى ظل دائرة ما أدركناه بالضرورة أنه من تشريعات الله، أما فى دائرة النظريات والمتشابهات من فرائض الله فإنّ حجية الرسول محكَّمة، فالرسول هو المبين للتشريعات التى لم ندركها بالضرورة.

فإنّا نستكشف الرسول المحق من المدعى كذباً من خلال تمرده وعدم تمرده على دائرة توحيد الله ودائرة ضروريات فرائض الله.

وهكذا نستكشف إمام الحق ونميزه من إمام الجور من خلال اتّباع سُنّة الرسول (ص) فى دائرة الضروريات، فليس للإمام تجاوز دائرة حجية الرسل فضلًا عن دائرة حجية العقل وضروريات فرائض الله تعالى.

فإنّ الإمام مشمول بقوله تعالى: وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ («۱») لذا فالأئمّة (عليهم السلام) فى مناهجهم وطرائقهم المعصومة من الزلل والخلل لا يتجاوزون ولا يتمردون على دائرة ضروريات سنن النبى (ص)، هذا ثبوتاً وواقعاً، وأما إثباتاً واستكشافاً فمن خلال استمرار الرقابة والمتابعة للإمام وأنه فى دائرة حجيته ولم يتجاوز ضروريات العقل وضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص)، وهذه المتابعة لأجل تصحيح وسداد معرفتنا للإمام المحق وزيادة الإيمان به ولنميّزه عن إمام الجور، وبعبارة أدق نراقب معرفتنا للأئمّة من أوّل حياتهم إلى استشهادهم هل كان عملهم ضمن دائرة حجيتهم ولم يتجاوزوا ضرورات العقل والدين وسُنّة الرسول فهم أئمّة حق وإلّا فنعلم أنّا لم نكن نتبع إمام حق، لذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۳

كانت من أبرز صفات أمير المؤمنين (ع) فى أكثر الزيارات الواردة: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه »... («۱»)، «اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك » («... ۲») فإنّ علامة إمام العدل وإمام الحق أنه محيى لسنن النبى ومقيم لفرائض الله تعالى ولا يتمرد عليها والعياذ بالله.

أهمية الحورات العلمية الدينية ...: ص: ۳۹۳

لذلك فإنّ من أحد الانجازات العظيمة للحوزة العلمية أنها تُبقى وتحافظ على درجة الادراك الضرورى لضروريات الدين وسنن النبى (ص) ومنهاج أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، تبقيها على مستوى الضرورة، لأنه بالنشر العلمى والتكريس والتركيز العلمى تبقى الأدلّة بديهية ومعلومة وبيّنة لدى عموم المؤمنين والمسلمين.

وأما لو طرأ النسيان والغفلة والابتعاد والهجران للدين والكتاب والسنة حينئذٍ تعود البديهيات والضروريات نظريات، وهذا أمرٌ خطيرٌ جدّاً، لأن حومة الدين تصبح فريسة وضحية لكل عابث ومُتلصص، لأن الضرورة صفة إدراكية فى عقول البشر قد تتأثر بعوامل الزمن والهجران والنسيان وغيرها.

من هنا نفهم أن أعداء أهل البيت لماذا سعوا كثيراً لتدمير الحوزات العلمية واستهداف طلبة العلوم الدينية، فإنّ هؤلاء يقومون بدور مهم ومسؤولية خطيرة وهى حفظ الدين فى بيئته الادراكية لدى العقول والمحافظة على حياة الدين فهما ضمان لامتداد مسار وخط الأنبياء من خلال إبقاء الحالة العلمية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۴

والادراكية وحالة البداهة فى البديهيات وحالة الضرورة فى الضروريات، وهذا سدٌ منيع عن عوامل التآكل وعوامل الهدم والإبادة، فإنّ بقاء الدين ليس بوجوده الثبوتى الواقعى فى بطون الأدلة، وإنما فى بقاءه الإثباتى الادراكى فى العقول أيضاً وبقاءه معلوماً لدى النسل البشرى إذ العلم يموت بموت أهله، وإن الأعداء يعلمون بخطورة بقاء الدين فى بيئته العلمية فضلًا عن بقاءه الثبوتى، فإنّ ما سنذكره لاحقاً من مفاد بعض التقارير الصادرة من بعض الجهات الغربية حيث صرحت بأنهم فشلوا فى إبادة مدرسة أهل البيت وبالخصوص حوزة النجف الأشرف بحسب تصريحهم رغم ما قدموه من إمكانيات هائلة للنظام البعثى («۱») فى العراق، فإنّ المقصود من الفشل ليس الفشل فى إبادة الأبنية وتهديمها، ولا الفشل فى استئصال وتصفية الأجسام والدماء، ولا غير ذلك، وإنما هم فشلوا فى إبادة هذه الحالة الوجودية العلمية من تراث أهل البيت، فإنّ بقاء الدين فى بيئته العلمية بفضل طلبة العلوم الدينية فشلٌ ذريعٌ لهم لعلمهم بأن بقاء الدين بهذا

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۵

النحو يكون ذا حصون وقلاع تمنعهم من تمرير ثقافاتهم الالحادية والانحرافية والمادية...

لأن هذه القواعد فى الحجج هى قواعد رقابية استكشافية تتقوم بجنبة ثبوتية وبجنبة إثباتية، أما الثبوتية فهى واقع الدين، وأما الإثباتية فهى كون الدين بحالة ادراكية واصلة إلى درجة الضرورة والبداهة.

بين البصيرة والتمرد ...: ص: ۳۹۵

من هنا فإنّ من اعترض وتمرّد على النبى (ص) فى عهده فذلك لا يمكن تبريره بأنه كان تحكيماً لفرائض الله على سنن النبى، لأن ذلك الاعتراض والتمرّد لم يكن فى دائرة الضروريات، بل كان فى دائرة المتشابهات والنظريات، وفى هذه الدائرة ليس لأحد أن يحكم فهمه القاصر ويجتهد فى قبال النص، فإنّ فرائض الله التى هى فى درجة النظرية أو الجزم النظرى فضلًا عن مراتب النظريات الأخرى لا يمكن أن تجعل محكّمة للاعتراض والتمرّد على النبى (ص)، لذلك نحن ننتقد وندين أولئك الذين تمردوا على طاعة النبى (ص) وعصوه وإن كانت ذريعتهم الاجتهاد أو تحكيم فرائض الله، لأن تلك الدائرة التى اعترضوا فيها هى دائرة المتشابهات والنظريات، والنبى أعلم بذلك فى تلك الدائرة، فكما لا افراط فلا تفريط فى معرفة النبى (ص) «المتقدم لكم مارق والمتأخر عنكم زاهق» («۱») أى لا غلو ولا تقصير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۶

الغلو والتقصير تعريف آخر ...: ص: ۳۹۶

فإنّا لا نقول بأن صلاحيات النبى تتجاوز ضروريات فرائض الله، وهذا معنى عدم الغلو إذ الغلو وهذا معنى جديد نذكره للغلو إعطاء صلاحيات فوق دائرة حجية تلك الحجة، فإنّ القائل بالغلو فى النبى يعطى للنبى صلاحيات تغيير فرائض وضرورات دين الله، أما عدم الغلو فى النبى وعدم التقصير فيه هو أنه لا يتجاوز ضرورات وفرائض دين الله وأنه تحت هيمنة وطاعة الله تعالى فى دائرة الضروريات، أما النظرية من فرائض وأحكام دين الله فنتعلمها ونستبينها من النبى (ص)، فمعنى عدم التقصير فى حجية النبى أن له الصلاحية فى دائرة النظريات والمتشابهات.

وهذا رسم لحجية النبى ثبوتاً وإثباتاً، فثبوتاً أنها بعد فرائض ودين الله وأنها محدودة ومهيمن عليها من قبل حجية الله وصلاحياته، وإثباتاً أى أن حجية النبى (ص) محدودة بغير الضروريات الفطرية والأوّلية وبغير الضروريات الدينية التى اجتمعت عليها كل أديان السماء.

وهذا نظير قول الفقهاء فى أوّل رسائلهم العملية أنه لا تقليد فى ضرورات الدين، لأنه لا حجية للفقيه أصلًا فى دائرة الضروريات.

فإنّ صلاحيات الأنبياء إنما فى غير دائرة الضروريات من فرائض الله تعالى بأن لا يتجاوزوا ولا يتعدوا على التوحيد والعدل وضرورات الفرائض من الصلاة والصوم ... قال تعالى: فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ («۱») وقال تعالى: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۷

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ («۱») أى أن صلاحيات الأنبياء لا تمثل ولا تتسع لدائرة ضروريات وفرائض الله تعالى.

وهكذا حجية الأئمّة تحدد إثباتاً وثبوتاً بما دون سننه (ص)، فحجية الأئمّة (عليهم السلام) تأتى بعد منطقة ودائرة ودرجة فرائض الله وسنن النبى (ص).

وإثباتاً فحجية الأئمّة (عليهم السلام) فى غير ضروريات سنن النبى (ص)، أى فى النظريات والمتشابهات من سنن النبى (ص).

لذلك فإنّ النبى (ص) لم يشرع شيئاً لم يشرعه الله، وهكذا الأئمّة (عليهم السلام) لم يشرعوا شيئاً لم يشرعه الله ولا رسوله (ص)، بل

إن الله تعالى يشرع أسساً، ثمّ الأنبياء يوالدوا ويشعبوا منها تلك المنظومات، ثمّ تأتى تشريعات الأئمّة (عليهم السلام) امتداداً وتطبيقاً وتنزيلًا وتشعيباً لها.

لذا فإنّ بديهات العقل وفرائض الله وسنن النبى (ص) هى قواعد محكمة استكشافية للتمييز بين الإمام الحق وبين المدعى للإمامة باطلًا.

ولا يتوهم أن فى المقام دوراً، لأن كون بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبى قاعدة استكشافية لتمييز إمام الحق عن مدعى الإمامة فى دائرة الضروريات، وأما فى نظريات العقل ونظريات ومتشابهات الكتاب ومتشابهات سنن النبى فإنّ المحكم فى ذلك هو نفس الإمام، فللإمام حجية وصلاحية أن يبين مجهولات ومبهمات العقل ومجهولات ومبهمات الكتاب ومتشابهات ومبهمات سنن النبى (ص)، من هنا جاءت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۸

الحاجة والضرورة الملحة للاهتداء والاقتداء بالإمام (ع)، فإنّ فى كل مرتبة حجية منطقتين منطقة ضروريات ومنطقة نظريات متشابهات، فمنطقة الضروريات تكون قاعدة استكشافية، رقابية، ومنطقة المتشابهات تكون تلك الحجة الأخرى فى المنطقة الضرورية محكمة فيها، بل بضميمة الضرورى من نفس الحجة أيضاً.

إذن من بركات هذه المعادلة وهى لابدّية المحافظة على منظومة الحجج ووجوب تحكيم الحجة الأعلى على الأدون أنه لا بدَّ من إعمال المراقبة فى طول الطريق وليس ابتداءً فقط، فمن يأتى بمعجزة ليثبت الحجية له لا يعنى ثبوتها مطلقاً، بل لا بدَّ من كونه فى طول الطريق لا يتجاوز الحجج الأعلى منه، وهذا هو الحاصل مع الأئمّة (عليهم السلام)، فرغم ثبوت إمامتهم إلّا أن الفقهاء والشيعة لم يفارقوا المتابعة والمراقبة لهم.

من هنا يتضح عدم التصادم مع رواية الرسول الأعظم (ص): «على مع الحق والحق مع على يدور الحق معه حيثما دار» («۱»)، فإنّ المقصود بهذه الرواية أنه (ع) حق بالنسبة لما دونه فى الحجج فى دائرة المتشابهات وليس بالنسبة لما فوقه من الحجج، فإنّ علياً (ع) هو يدور مدار حجية وأحقية بديهيات العقل وضروريات دين الله وسنن نبيه (ص) فهو تابع لهذه الحجج الأعلى، لا أن بديهات العقل أو ضروريات الدين والسُنّة تدور مدار على، بل لا بدَّ لعلى أن يدور مدارها، ويشير إلى ذلك ذيل الحديث النبوى «لا يفترقان حتّى يردا علىَّ الحوض» فجعل (ص) نفسه الشريفة مداراً ابتدأ منه الثقلان ومنتهى يصلان إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۹۹

نعم، بالنسبة للدوائر الأخرى التى هى دون تلك الحجج العليا فإنّ الحق يدور مع على (ع)، فهناك موازين ومقاييس لا يمكن تركها أو تجاوزها فى تحديد الإمام، فإنّ الاعتقاد بالإمام نشأ من تلك الموازين والمقاييس.

إذاً فى ثبوت إمامة الإمام لا بدَّ من ملاحظة أمرين: أمر إثباتى إبتدائى كالمعجزة ونحوها، وأمر إثباتى بقائى استمرارى وهو عدم تجاوز الحجج الأعلى والبقاء فى هيمنتها وظلها، والأمر الأوّل لا بدَّ أن يكون واضحاً جلياً يفهمه عامة الناس كالصيحة بالنسبة لظهور الإمام المهدى (ع)، ولا يحصل القطع بالإمامة إلّا بتحقق الأمرين معاً، لذا نلاحظ الفقهاء والشيعة بشكل عام يطبقون على الإمام الموازين والثوابت من البداية إلى النهاية.

مما يدلل على أن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) يثبتون معرفة إمامهم دوماً عن بصيرة وعلم وبرهان، و لا يكتفون بالإثبات الأوّلى دون الاستمرارى، فلا يمكن إلغاء الموازين العقلية لا فى أوّل الطريق ولا فى وسطه ولا فى آخره، فالإمام لا بدَّ أن يكون طهراً طاهراً مطهراً ليس فقط فى أوّل الطريق بل على طوله، وهذا من إعجاز الدين الإسلامى فى تبيان مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وإلّا فلو ادعى مدّع الإمامة مع دليل إثبات ابتدائى كالمعجزة ولكن لم يتم دليل استمرارى، كأن خالف ضروريات العقل أو الدين أو سُنّة النبى، فإنّ ذلك يكشف عن توهم المعتقد بإمامة ذلك المدعى.

وباختصار إن تحكيم الدلائل والبراهين حول أىّ شخصية كمقام سماوى أو منصب من مناصب الدين يجب أن يظل تحت مجهر

الموازين، وإن القرآن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۰

والـدين لاـ يسـد عقـل الإنسان عن تحكيم ورصـد المجهر العقلى من أوّل الطريق إلى آخره، فلا يمكن مصادرة العقل ولا الثوابت ولا الموازين، بل لا بـدَّ أن تظل محكمة فى كل صـغيرة وكبيرة، من هنا نفهم لماذا نادى الرسول الأعظم (ص) عندما رآه البعض واقفاً مع امرأة فى أحـد الشوارع فنادى الناظر هذه صـفية زوج النبى (ص) («۱») فإنّه (ص) يعطى درساً للناس بأن المراقبـة فى المعرفـة لا بدَّ أن تبقى مستمرة حتّى على الأنبياء.

وكـذلك من هـذا البيان نفهم لم كان طغاة بنى أميّـة وبنى العبّاس يختبرون الأئمّة (عليهم السـلام) بالأسـئلة العلمية والمناظرات، لأنهم كـانوا يريـدون التأكـد من إمـامتهم فضـلًا عن أهـدافهم الأـخرى، فإنّهم لما كانوا الأفضل والأعلم بمقتضـى الإمامـة، فلا بـدَّ أن تكون الأفضلية والأعلمية متحققة باستمرار وليس فى أوّل الطريق فقط.

ثمّ تـأتى فى المرتبـة الرابعـة صـلاحيات الفقهـاء وهم الـذين لهم نيابـة عامـة، أى ليس لهم ارتبـاط واتصال بأهل البيت إلّا عبر الكتاب والسُنّة والمصادر الدينية فلم ينب أحدٌ منهم بالخصوص وإنما صارت له النيابة وفق شرائط وموازين بيّنها الله والنبى والأئمّة، وهكذا فى نفس المرتبـة أى الرابعـة حجيـة النواب بالنيابـة الخاصـة وهم السـفراء، فإنّ الفقهاء والسـفراء فى مرتبة واحدة إذ تقدم أنه لا منافاة بين حجية كل منهما ولا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۱

تلغى حجيـة كل منهما حجية الآخر حيث بيّنا بحسب مفاد آية (النفر) («۱») وآية (الحكم) («۲»)، أن الفقهاء لهم دور فى دولة الرسول وفى دولـة أمير المؤمنين، وهكـذا حتّى فى دولـة الرجعـة ودولـة الظهور للإمام الحجـة (ع) لأن هذه الآيات فرائض من الله لرسم جهاز العمل للمعصومين.

وهـذه المرتبـة الرابعـة للفقهاء عموماً أيضاً محـدودة بضـروريات دين الله وسـنن النبى (ص) وسـنن أحكام وتعاليم المعصومين (عليهم السـلام) فضـلًا عن ضـروريات العقل، فهـذه المراتب والتراتبيـة والقواعد الاسـتكشافية لا بدَّ من معرفتها وإلّا وقعنا فيما وقعت فيه الفرق الضالة فى الغيبة الصـغرى أو الكبرى، حيث جوزوا أن يكون للإمام صـلاحيات أن يشـرع ويفعل ما يشاء فاتبعوا أدعياء الإمامة، كما أنا ذكرنا بأن الشـبهة العقائديـة لا يمكن أن تزاح ويتخلص منها إلّا بالمداقـة فى المراتب للحجج، فلا يكفى معرفـة أصل حجيـة الحجـة، وإنما لا بـدَّ من معرفـة حقيقـة الحجـة وذلك بمعرفـة مرتبـة حجيـة تلك الحجـة وأنها حجة فى أىّ دائرة دون غيرها، ولا بدَّ من معرفة منطقتيها الثبوتية والإثباتية.

القواعد الرقابية وحفظ ثقافة أهل البيت (عليهم السلام ...): ص: ۴۰۱

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كمال الدين والنعمانى وغيرهم أن فقهاء الشيعة وعلمائهم وعامة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۲

الشـيعة لم يفتأوا دوماً من المراقبـة، فعامـة الناس من الشـيعة يراقبون الفقهاء والنواب، ثمّ الفقهاء والنواب والعامـة يراقبون الأئمّة (عليهم السلام)، وهكذا («... ۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۴

فالعامـة يراقبون الفقهـاء ويسـتمرون فى المراقبـة هل أنهم لا زالوا على التقوى والثبات والسير على ضـرورات دين الله وسُـنّة نبيه (ص) والأئمّـة الأطهـار (عليهم السـلام) وإلّا اسـقطت حجيتهم، لـذلك نِعْمَ مـا قيـل: (إنـا لاـ نجـد انتخاباً حراً نزيهـاً سديـداً لقيـادات تقـود المجتمعات كنظام الانتخاب فى طائفـة أتباع أهل البيت (عليهم السـلام)) وهو انتخابهم للفقهاء والمراجع، فحتّى النظام الديمقراطى فى

الغرب وفى أمريكا تتدخل فيه الأموال والمافيات والدعايات والاعلان وتتدخل فيه وفيه ... إلى ما شاء الله.

فمثلًا رئيس الجمهورية فى أمريكا لا يُنتخب مباشرة من الشعب أبداً، وإنما نواب المحافظات هم الذين ينتخبون الرئيس، ونواب المحافظات ورئيس المحافظة لكل ولاية هو الذى يكون له ثراء ومال معين، فلا بدَّ أن يصعد رأس ماله إلى سقف معين كى يحق له أن يرشح ليكون رئيساً لمحافظة أو رئيساً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۵

لولاية، فالمال أوّل شيء فى هذه المعادلة الانتخابية، وإذا انتخب هؤلاء رؤساء الولايات فمن بينهم ينتخب رئيس الجمهورية.

فحواجز المال وحواجز القوة هى الحاكمة والمهيمنة فى الانتخابات، فأين الشفافية، وأين النزاهة، هذا فضلًا عن بقية الدول الغربية.

فلا تجد نظاماً حرّاً نزيهاً تشترك فيه كل طبقات المجتمع على الرقابة والبصيرة لا العماية كنظام المرجعية الذى أسسه أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، مرجعية الفقهاء كأعوان ونصراء وخدام لأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) هذا النظام أقامه وأسسه أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو نظام إعجازى وليس هو من نظم وإنشاء الفقهاء والمراجع، بل بناه الباقر (ع)، ووضع له الصادق (ع) ضوابط وحواجز نظمية إدارية لا يمكن أن تخترق.

صدر كتاب ((ehT ygoloeht fo etlhgionsed بعد سقوط الطاغية صدام عن دائرة الاستخبارات الأمريكية يقول بأن أتباع أهل البيت هم الجماعة الوحيدة فى المسلمين الذين لم يذوبوا فى الغرب إلى الآن!

يقول: استطعنا أن نذوّب أغلب المسلمين فى الغرب والثقافة الغربية إلّا أتباع أهل البيت، وإنما ذلك لسببين مهمين، الأوّل هو الحسين (ع)، فهو الذى يدفق فى أتباع أهل البيت العزّة والإباء والصمود والاستقامة والبطولة والاعتزاز بالهوية، فكيف يمسخ هكذا مجتمع أو تغير هويته وهو يتغذى وينهل الهوية والشخصية من الحسين (ع)، لذلك نلاحظ محاولات الطعن والتشكيك فى قضية الحسين (ع) والاستهانة والتحقير لخطباء مؤسسة الحسين (ع)، وهكذا الروايد (واللطامة) نجد التشكيك فيهم بأقلام مريبة من داخل أوساط المذهب لتخريب مثل هذا الباب والصرح العظيم وهو مؤسسة سيد الشهداء (ع).

ويذكر هذا الكتاب وقد ترجم فصول منه، السبب الثانى وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۶

المراجع والفقهاء، ويذكر حوزة النجف بالاسم يقول أيضاً: كنّا نزوّد النظام البعثى معدل كل سنتين أو ثلاث بأحدث النظم الأمنية لكى يفتك بالحوزة وبالشيعة إلّا أنه فشل.

وربما يُسائل كيف لم يستطع النظام البعثى أن يخترق الحوزة ولم يفتك بها؟ وكيف فشل النظام البعثى أن يخترق الفقهاء والمرجعية بأن يجعل مرجعاً مزيفاً للشيعة، وهذا هو الذى يريدون الوصول إليه؟

وما ذلك إلّا لأن الأئمّة وضعوا لها نظاماً ذا حواجز وأستار وستور مختبرية يفشل من تطمع نفسه أو تسول نفسه ولو كان من الدول والقوى العظمى أن تخترق هذا الستر، فإنّ الفقيه والمرجع يبقى تحت الرقابة الشعبية من أوّل عمره إلى آخر نفس فى حياته، فأىّ أمّة من البشر وأىّ طائفة من البشر عندهم هكذا رقابة نزيهة وشفافة على القيادة، وفى انتخاب القيادة كهذا النظام الذى وضعه أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا من إعجازهم (عليهم السلام)، وبالتالى فلا يمكن لشخص مزيف أو لشخص كارتونى مهما أوتى من حيل وأساليب أن يخترق هذا المقام المرجعية والفقهاء لأنه نظام منيع، فلو كان فقيه من الفقهاء تقياً ورعاً طول حياته ولا سمح الله فى بعض حياته ابتعد عن التقوى أو العلم لُابعد عن هذا المنصب.

القواعد الرقابية والشلمغانى والعبرتائى ...: ص: ۴۰۶

التاريخ يحدّثنا أن فقهاء صلحاء أجلاء فى بداية أمرهم كابن أبى العزاقر الشلمغانى وأحمد بن هلال العبرتائى كانا من الفقهاء الكبار،

لكن فى فترة من حياتهم زاغوا عن الطريق وادعوا لأنفسهم ما ليس لهم، فاسقطت حجيتهم لعدم مراعاتهم للحجج الأعلى.

فالشلمغانى كان من أفقه فقهاء الشيعة فى الغيبة الصغرى، وإن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۷

كتابه فى الفقه أو رسالته العملية والتى تسمى بكتاب التكليف منتشرة فى كل بيوت الشيعة فى العراق وفى إيران وفى الخليج وغيرها، فلم يخلُ بيت من بيوت الشيعة من هذا الكتاب، فهو فقيه نحرير تقى ورع فى العهد الأوّل من عمره!؟ إلّا أنه والعياذ بالله فى أخريات حياته طمع فى أن يكون نائباً خاصاً أو سفيراً فخرج عن الموازين، ولذلك أقصى من قبل أتباع أهل البيت وصار مصيره إلى أسفل الأسفلين («۱»).

“”””””

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۸

وأما العبرتائى فهو أيضاً من كبار الفقهاء وأدرك أربعة من المعصومين (عليهم السلام) (الجواد والهادى والعسكرى والمهدى (عليهم السلام))، وقد حجّ بيت الله أكثر من خمسين حجة عشرين منها مشياً على الأقدام من الكوفة إلى مكّة، ومع ذلك ما أن أدعى لنفسه النيابة الخاصة والسفارة أسقط عن الاعتبار وصدر فى حقه اللعن، لأنه تجاوز الموازين وانكشف بطلانه لوجود القواعد الرقابية التى سنّها أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

وهذا لا نجده فى أى أمّة أو نحلةٍ أو ملّةٍ أو مذهبٍ غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّه مذهب قائم على نظم إعجازى، فإنّ تاريخ هذا المذهب نيّر وبديع ويسطر لنا أحدث النظم الاعجازية الربانية للرقابة، فابن أبى العزاقر الشلمغانى تسنم واحتل مرتبة كبيرة، وهكذا العبرتائى، إلّا أن الرقابة باقية بضمانة التقوى والموازين والعلم، وقد كان لهذا النظام الاعجازى الأثر الأقوى فى حفظ الدين والمذهب والهوية الشيعية.

فكم فقيه من الفقهاء من أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كان فقيهاً تقياً إلّا أنه عرض عليه النسيان مثلًا فمن تقواه قال: قلدوا غيرى، كالوحيد البهبهانى مثلًا رئيس الحوزة العلمية فى كربلاء، عندما عرض عليه النسيان قال: قلدوا السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، لأنه ضمن موازين رقابة التلاميذ والخبراء وأهل الخبرة من الفقهاء فى الحوزة العلمية، فهذه كلها مختبرات وضمانات.

لذلك يستهدف الأعداء والمغرضون الحوزات العلمية لأنها مختبرات وضمانات للرقابة العلمية وللرقابة فى الانتخاب ونزاهة القيادة، ومن ثَمَّ يستهدفون طلبة العلوم الدينية لكى تضيع الموازين فيكون باستطاعتهم حينئذٍ التغلغل والنفوذ فى جسد المذهب والعبث فيه، فإنّهم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۹

بعد أن شخصوا هذين السببين العظيمين الحسين (ع) ونظام اختيار الفقهاء شنوا أعتى أنواع الحروب والفتك بهما لتسهيل الطريق لانتشار الثقافة الغربية وتمييع الهوية الإسلاميّة لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بعد ما ذابت الجماعات الإسلاميّة فى ذلك المد الغربى العلمانى والالحادى.

ولكن تبقى ثورة الحسين (ع) وقّادة، ويبقى هذا النظام الاعجازى لاختيار الفقهاء سدّاً منيعاً وصرحاً مشيداً عظيماً كقواعد رقابية معرفية فى ردع جميع محاولات الهدم والتضليل إلى ظهور الإمام المهدى (ع) ليقيم دولة الحق وينشر الإسلام الصحيح ويثبت أركان وأصول دين الله وشريعة محمّد (ص) ونهج آبائه الأئمّة الهداة المهديين الصالحين.

بواعث الانحراف ...: ص: ۴۰۹

من البديهى أن يتوقف كل عاقل عند المواقف والأحداث الغريبة ليتساءل ويتأمل فى أسبابها ومناشئها وبواعثها، وثمرة ذلك التوقف

والتأمل أن تلك الأحداث الغريبة إن كانت حسنة حاول إيجادها بايجاد وتوفير أسبابها وبواعثها، وإلّا تجنبها قبل وقوعها والتلبس بها، فإنّه كما يقال (الوقاية خير من العلاج).

فمن تلك المواقف والأحداث المستحقة للوقوف عندها انحراف فقهاء كبار كالشلمغانى والعبرتائى، فما هى أسباب وبواعث هذا الانحراف؟

مما لا شكّ فيه إن أسباب ومناشىء ذلك كامنة فى نفس الإنسان وفى سلوكه عموماً ونوع وطبيعة علاقته مع الله تعالى خصوصاً!

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۰

فإنّ النفس إذا لم تخضع وتوقن بوجود طريق ومسلك واحد انحصارى لله تعالى وهو طريق المعصومين فإنّها لا محالة عرضة بل آيلة للزيغ والانحراف، فإنّ المعصومين هم الذين صفاهم واصطفاهم الله تعالى ليكونوا قناة أمان للخلق، وإلّا فما عدا هذه القناة يكون الشيطان هو المتبع!

ويمكن استفادة ذلك من قوله تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («۱»).

فالاخلاد للأرض يعنى اتّباع الشيطان، أى استحباب الهوى والغرائز والملاذ، فالله تعالى يبيّن لنا أنه تعالى رسم لنا طريقاً ومسلكاً منه يعبد ويطاع ويتقرب إليه، حيث يقول: آتَيْناهُ آياتِنا، ولكن الإنسان إذا انسلخ عن ذلك الطريق وأخلد للهوى والغرائز فقد سمح للشيطان أن يتلاعب به.

فالنفس إذا لم تُروض بالطاعة والمرارة وشىء من القسوة والقطيعة عن الشهوات والأهواء فإنّها لا محالة تشط ويتلاعب بها الشيطان، إذ روى عن الرسول الأكرم (ص): «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك» («۲») وما ذلك إلّا لأنّ الشيطان عدو مبين للإنسان، فلابدَّ من سدّ كل الثغرات والمنافذ لئلّا يوسوس للنفس، بل لو وسوس فلا بدَّ أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۱

تكون النفس مطمئنة متيقنة مستقرة، يقول الله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ («۱»).

ولكن الأزمة والمشكلة فى الإنسان أنه لا ينظر للنفس كدابة يمتطيها فى مرحلة من مراحل وجوده بل يجعلها كجزء ثابت ويراها ذاته، وهذا خطأ معرفى سلوكى تعايشى يقع فيه الإنسان حيث يظن النفس جزء ذاته بينما هى دابة ووسيلة ومركوب تركبه روح الإنسان أى عقله.

فلما كانت النفس دابة يركبها عقل الإنسان فلا بدَّ أن لا تعطى كل ما تريد وإنما تعطى مقدار الحاجة.

ولكن الإنسان لما جعل النفس جزء ذاته فَحَسِبَ متطلبات النفس هى متطلبات الذات، فراح يطلق لها العنان فى مراداتها ومتطلباتها وهذا بالتالى يضر بذاته لأن النفس ستقوى وتتنفر عليه ولا تؤدى وظيفتها بالشكل المطلوب والصحيح، بل إن متطلباتها وحوائجها لا تقف عند حدٍ فيكون هو دابتها! ففى رواية عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إيّاك والسفلة، إنما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه» («۲»).

وبمثال حسى لو كانت لشخص فرس يحتاجها عند التنقل والترحال والحروب لصد الأعداء وكوسيلة تخدمه لتلبية أغراضه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۲

ومتطلبات حياته ولكنه يوفر لها المأكل لدرجة أنه صار خادماً لها فى تلبية جميع متطلباتها حتّى الراحة والنوم فضلًا عن الطعام، فبالنتيجة صارت الفرس تقضى حوائجها بواسطة ذلك الشخص، فلو أرادها للحرب والتنقل طلبت الراحة والنوم، ولو أراد هو الراحة والنوم طلبت هى الطعام والشراب، فصار الأمر بعكس المطلوب!

أما لو كان يعطيها بقدر الحاجة ويجبرها على تأدية متطلباته هو حتّى لو كان فى ذلك عناء ومشقة الدابة فإنّ ذلك هو السبيل الوحيد والترتيب المنطقى والعلاقة الطبيعية بين الشخص ودابته، وهكذا الإنسان ونفسه، فلو جعلها جزء ذاته وأعطاها كل ما تريد وتشتهى امتطته وقضت حوائجها وشهواتها به ومنه، وخسر هو ذاته وكانت وبالًا عليه بدلًا من أن تكون عوناً له.

وبالتالى تكون النفس أميرة عليه فيحسبها ويستغفل عقله.

وعلاج ذلك أن يجعلها دابة له ويتعامل معها على هذا الأساس تعاملًا عملياً تعايشياً وليس تعاملًا فكرياً تجريدياً فحسب.

فلا بدَّ للإنسان من ترويض نفسه لا أن يطيعها كما يقول أمير المؤمنين (ع): «هى نفسى أروضها » («... ۱») أى أجعلها مأمورة خادمة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۳

كما يستفاد ذلك من الدرس العظيم الذى أوصلته لنا العقيلة (ع) من القرآن الكريم حينما ردّت على يزيد لعنه الله، حيث قالت: قال الله تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ («۱») والذى يعنى أن الإنسان إذا توحّل فى الرذائل فإنّ الله تعالى يُعمى بصيرته وعقله، فإنّ الإنسان مجموعة قوى تؤثر بعضها فى البعض الآخر، فإذا كان الإنسان يرتكب المحرمات سوف تنعدم وتضيع منه البصيرة وبالتالى يحكّم المتشابهات على المحكمات، والإنسان الطاهر العفيف والذى أدمن السلوك النّير وأدمن ورابط على التقوى والعفاف والطهارة والصلاح فإنّ ذلك يوجب قوة العقل والبصيرة والتمييز عنده.

لأنَّ سبب انحراف بعض الذين ادعوا النيابة الخاصة والسفارة مع أنه كان فى البداية مؤمناً مستقيماً أنهم مع ما وصلوا إليه لم تكن نفوسهم راضخة ومتيقنة أن الطريق والمسلك إنما يُحدد من قبل الله تعالى والمعصومين، بل هم رضخوا لمطالب النفس فى طلب السيادة والرئاسة و...

واللطيف أن الإمام الثانى عشر (ع) لما أخرج اللعن بحق العبرتائى ذكر سبب انحرافه حيث قال: إنه لم يدع الله أن يجعل إيمانه مستقراً، فعن على بن محمّد بن قتيبة، قال: حدّثنى أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغى، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال وكان ابتداء ذلك أن كتب (ع) إلى قوّامه بالعراق: «احذروا الصوفى المتصنع»، قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حج أربعاً وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۴

قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد فى مذمته، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع فى أمره.

فخرج إليه: «قد كان أمرنا نَفَذَ إليك فى المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمت لم يزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته يداخل فى أمرنا بلا إذن منّا ولا رضى يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضى من أمرنا إيّاه إلّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك فى نار جهنم، فصبرنا عليه حتّى بتر الله بدعوتنا عمره.

وكنّا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا فى أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرأ منه.

واعلم الإسحاقى سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من موالينا فى التشكيك فيما يؤديه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا، ونحمله إيّاه إليهم وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى».

وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه، فخرج: «لا شكر الله قدره، لم يدع المرء ربه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه وأن يجعل ما منَّ به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً» («۱») اللهم اجعل إيماننا مستقراً بحق محمّد وآله الأطهار.

ولا ينحصر هذا الكلام بمدعى السفارة، بل بكل الدعوات الباطلة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۵

من دعوى الألوهية والنبوة والإمامة والسفارة والفقاهة والسيادة و ... وكل ما هو عالى وشريف، فإنّ النفس ببواعثها الشيطانية تطمح لها، ولكن العقل يحكم موازينه وضوابطه ويضع نفسه فى محله الصحيح، ولكن أين الذى يجعل النفس دابة العقل ليكون فى جادة الحق والصراط المستقيم؟!

فإنّ بعض أولئك الفقهاء مع ما وصلوا إليه من العلم والعبادة لم تكن نفوسهم طوع عقولهم، بل كانوا يأملون أكثر مما تستحق نفوسهم، ولم يكونوا يعتقدون بالأئمّة تمام الاعتقاد، بل أحياناً يرون الرجحان فى أقوالهم أو أفعالهم كما روى عن المفضل، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «اتق السفلة، واحذر السفلة، فإنّى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منى» («۱») وروى عيسى عن أبى عبد الله (ع): «إيّاك ومخالطة السفلة فإنّ السفلة لا تؤل إلى خير» («۲») فإنّ أبا الخطاب لم يمتثل كلام الصادق (ع)، لأنه كان يرى فعله ورأيه أرجح، وما ذلك إلّا لسوء سريرته الحاصل من عدم السيطرة على أهواء النفس، فإنّ الرواية تفيد أنه كان يرافق السفلة مع أن الإمام ينهاه، بمعنى أنك تتبع هواك فإيّاك من ذلك.

وقد روى عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سُئل عن أبى الخطاب: «إن الله خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۶

لهم وإن شاء سلبهم إيّاه، وأن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبى سلبه الله الإيمان» («۱») أى فيهم استعداد رسوخ الإيمان، فإنّ عصوا لم يرسخ، وهذا العصيان من النفوس إذا كانت لها السيادة على العقول.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۹

الفصل السادس: النيابة الخاصة ... ص: ۴۱۹

أصحاب السر ...: ص: ۴۱۹

قد نجد فى بعض الروايات أوصافاً خاصة لبعض الأصحاب كوصف أصحاب السر («۱») لميثم التمار ورشيد الهجرى وحبيب بن مظاهر الأسدى (رض) وجملة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث أتحفهم الإمام (ع) بعلوم وحباهم بها، وهكذا باقى الأئمّة (عليهم السلام) مع بعض أصحابهم فإنّ لهم علم المنايا والبلايا وأسراراً وغوامض العلوم وغيرها.

ولكن ذلك لا يعنى أنهم يرفعون اليد عن بديهيات العقل أو ضروريات الدين أو سنن النبى (ص) والأئمّة (عليهم السلام) ولا بدَّ أن نلتفت لهذه النكتة المهمة وهى قاعدة رقابية عقائدية معرفية، إذ مهما كان عند أولئك من علوم وأسرار و ... فإنّها لا تناقض ولا تخالف ولا تصطدم ولا تصطك فى حال من الأحوال ولا فى زمان من الأزمان مع ضروريات وبديهيات العقل وفرائض الله وسُنّة النبى (ص) والأئمّة (عليهم السلام) سواء أكانت تلك العلوم والأسرار عند الأصحاب أم عند الأئمّة (عليهم السلام)، فحتّى الأئمّة

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۰

(عليهم السلام) عندما نقول عندهم علم الباطن ولديهم أسرار و ... فلا يعنى ذلك أبداً التنازل عن أىّ ضرورة من ضروريات العقل ودين الله وسُنّة النبى والأئمّة (عليهم السلام).

فلا نستغفل ولا نغرر ولا نتوهم فى بريق هذه العناوين (علوم الباطن، أسرار، معارف، علم البلايا والمنايا) ... فحينئذٍ نتهاون عن التمسك بالضرورات والبديهيات، وإنما تبقى هذه الضروريات وتبقى تراتبية الحجج وتبقى القواعد الرقابية المعرفية فى كل الأحوال والأزمان.

ومما يشهد ويؤيد ذلك قصة موسى (ع) مع الخضر (ع)، قال الله تعالى: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً* قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً* قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً* قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً* قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً* قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً* قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً* وَأَمَّا الْغُلامُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۱

فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً* فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً* وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً («۱»).

فإنّ الخضر (ع) بعظمته وما عنده من علوم وأسرار وتوثيق من الله سبحانه وتعالى وإنه من رجال الغيب ومن رجال السر وعنده علم لدنى وتزكية من الله فهو بذلك فوق اليقين وليس رواية ظنية أو تحليلًا أو تأويلًا، حيث كانت مرافقة موسى (ع) له بإرشاد وتوجيه وتوثيق من الله سبحانه وتعالى، فمع كل ذلك عندما ارتكب ما يخالف ظاهر الشريعة وليس ضرورى الشريعة وإنما ظاهر الشريعة لم يكن موسى (ع) ليتجاوز من ذلك ويستمر فى صحبته معه على عمايةٍ وإنما اعترض عليه موسى (ع) ووقف أمامه لأن هناك حججاً فوق حجية الخضر وضوابط ونظماً إلهية لا يمكن للنبى موسى (ع) أن يتخلى عنها، ولقد بُعث بها جميع الأنبياء ولا يمكن لا لنبى ولا لوصى ولا لولى ولا لزكى ولا لملك مقرب أن يتخطاها فهى فرائض الله تعالى وأنها فوق الجميع، لذلك اعترض موسى على الخضر مع أن الخضر مُزّكى من الله (عزوجل) وموسى (ع) لم يغرر بذلك من أنه توثيق وتزكية ووحى، بل عندما شاهد مُخالفةً للقواعد والضوابط اعترض وحكّم القواعد الرقابية وموازين البصيرة فى تعامله، فحتّى لو كان الخضر ذا علم لدنى وأن الله أمر موسى (ع) باتّباعه فذلك لا يمنع من إعمال تراتبية الحجج وتحكيم القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۲

العامة، فإنّه بحسب الموازين العامة وظاهر الشريعة أن قتل النفس وخرق السفينة وبناء الجدار لقوم جفاة أمرٌ فيه فساد فى الأرض حتّى لو كان من ولى أو وصى أو نبى فكيف بمن دونهم، فإنّ الدماء والنفوس يراد لها محلل وولى من أولياء الله فحتّى الأطفال من أبناء الكفار ليس لنا مسوغ لقتلهم فى الحالات العادية باجماع الديانات ومذاهب المسلمين إلّا الخوارج الذين يمرقون من الدين ويستحلون دماء الأطفال ودماء الأبرياء ودماء الشيوخ والنساء، إذ من ثوابت كل الأديان حرمة الدماء ولم يجترئ على استحلاله أحد حتّى لو كانت هناك حالات استثنائية كتترس الكفار بالأطفال والتدرع بهم فإنّها حالات استثنائية لا تعدو بحالٍ لأن تكون دائمية استمرارية، فالاستثنائى لا ينقلب أوّلياً أبداً.

وكما يقول على بن أبى طالب (ع): «والله إنى لأهتدى للغدر، لكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة مآلها النار» («۱»).

وكذلك نلاحظ مسلم بن عقيل (ع) سفير الحسين لم يفتك غيلةً وغدراً لأنها ليست من أعراف الأديان السماوية أبداً.

يعنى أن هناك ثوابت لدين السماء لا يمكن لولى مهما كان أن يتجاوزها.

لذلك فإنّ الخضر مهما عُرِّف وزكى بوحى من الله لموسى (ع) فإنّ عند موسى وحياً بحجج أعظم من تزكية الخضر لا بدَّ من

تحكيمها

‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۳

على حجية الخضر، فإنّه قال بعد الاعتراف: قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً* قالَ لا تُؤاخِذْنِی بِما نَسِیتُ وَلا تُرْهِقْنِی مِنْ أَمْرِی عُسْراً («۱») ورغم ذلک عاد واعترض ثانیاً فقال: قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً* قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَیْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّی عُذْراً («۲») ولکنه مع ذلک یعترض مرة ثالثة، ولو لاحظنا الاعتراض الثالث لوجدناه لیس شیئاً واجباً ولا محرماً إذ قال له بعد إقامة الجدار: قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَیْهِ أَجْراً («۳») فهو أمر ندبی أوّلی فیه رُجحان عقلی وشرعی، إذ من الراجح أن یُدبر الإنسان أموره وفی ذلک الحال، کان الخضر وموسی (ع) جائعین وقد استطعما أهل المدینة فأبوا أن یُضیّفوهما لذلک یقول موسی (ع) للخضر من باب تدبیر الأمر بأن یأخذ أجراً علی إقامة الجدار، فهو أمر تدبیری راجح ولیس فیه إلزام اتخذه النبی موسی (ع) قاعدة رقابیة علی أفعال الخضر.

وهذه الاعتراضات من النبی موسی (ع) لم تکن هباءً أو خطأ فی مرحلة التنظیر وإنما کانت اعتراضات صحیحة یُسطر لنا القرآن من خلالها ملاحم معرفیة وبصائر نوریة تُنیر لنا الدرب وتکون درساً فی تحکیم القواعد الرقابیة لعدم مخالفة ظواهر الشریعة فضلًا عن ضروریاتها، فإنّ موسی (ع) لم ینخدع ولم یتنازل عن الحجج العلیا والضوابط والقواعد الرقابیة لمجرد تزکیة الله تعالی للخضر وإرشاده باتّباعه، فلم یتأول مخالفة الضوابط والاستمرار فی مصاحبته، لأن تلک

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۴

الضوابط والقواعد لا- یمکن رفع الید عنها ولا- یمکن الاصطدام بها، لذا فإنّ الخضر عندما أراد أن یجیب النبی لم یُفند تلک الاعتراضات من حیث المبدأ، فلم یجوّز سفک الدم البریء فإنّه حرام بأیّ حالٍ، وإنما أتی بوجوه علمیة لدنیة موحاة له من قبل الله تعالی، فالخضر أقرَّ موسی علی تلک المبادئ والقواعد، وأقرّه علی عدم إمکان رفع الید عنها، وإنما بیّن له أن هذه مصادیق لقواعد أخری.

التأويل مع الظاهر لا الضرورى ...: ص: ۴۲۴

ولنلتفت إلی أن ما فعله الخضر هو مخالف للظواهر ولیس للضروری، وإلّا لو کان مخالفاً للضروری فلا- مجال للتأویل، کما أن الاحتیاج للتأویل فی تصحیحه إذا کان مخالفةً للظاهر وأن ذلک التأویل من الله تعالی ولیس من أیّ کان، فالخضر علی ما کان علیه لم یکن لیتأول من نفسه، وإنما اعتمد علی ما عنده من علم لدنی لیوصله إلی وجوه متینة.

إذن هذه الضوابط وهذه القواعد مُحکَمة دائماً، فحینما نقول أسراراً وأسراراً فلا نتعقل أن هناک أسراراً تخالف الشریعة أی أن باطن الشریعة یناقض ظاهرها.

تطابق الشريعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ۴۲۴

لذلک تخطّأ دعاوی الصوفیة أو بعض العرفاء عندما یتمحلون لأنفسهم أن النبی (ص) أو الباری تعالی لدیه دین باطن هذا الدین عمیق ویناقض ظاهر الشریعة، فإنّ هذا باطل، لأنه لا یمکن أن تکون ضرورات الشریعة تُخالف ثوابت باطن الشریعة، بل لا بدَّ من التلائم والانسجام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۵

والتناسق والتناسب والامتداد بین ظاهر الشریعة وباطنها، وإلّا کان کله من الزیف الباطل والعیاذ بالله وإن احتمال أن یتوهم متوهم أن

ظاهر الشريعة ليس إلّا سراباً أعوذ بالله فإنّ هذه سفسطة وليست حقيقة.

وهذه القاعدة المهمة دائماً ما تحاول الفرق الضالة الاحتيال عليها أو تزييفها لعقول المؤمنين باسم هذه العناوين والذرائع من أسرار وبواطن و ... وأنها تناقض ضروريات الدين، فإنّ ضروريات وبديهيات العقل وضروريات الدين وضروريات سُنّة النبى (ص) وضروريات سُنّة المعصومين (عليهم السلام) قواعد رقابية معرفية سواء على ما دونها من الحجج أم على الأسرار والأعماق والبواطن، لأن باطن المعارف يعنى الأمور النظرية والمتوغلة فى النظرية، وأن إدراكها نظرى وغامض، ومما لا خلاف فيه أن النظرى إنما يتسع وينبنى ويتوالد وينشعب ويأخذ سلسلة حلقات مترابطة مبتنى على البديهيات.

كما فى علم الرياضيات وبقية العلوم فلا نتصور وجود أسرار تناقض قاعدة أن (۴: ۲+ ۲) ولا غير ذلك، فإنّ كل قواعد الرياضيات وعلومه المستجدة المتداولة المكتشفة جيلًا بعد جيل إنما تبتنى على بديهيات الرياضيات لا أنها تهدمها وتناقضها وإلّا لانهدم أساسها وجذرها وبنيتها، وهكذا أسرار الفيزياء وأسرار الكيمياء وأىّ علم كان فإنّ معنى أن له أسراراً أى متوغلًا فى النظرية والابهام والغموض لكنه مبنى وفق حلقات ومعادلات تبتنى على بديهيات وضروريات ذلك العلم.

وهكذا الكلام فى معارف الشريعة وضرورياتها، فإنّ باطن الشريعة وأسرارها يجب أن لا يناقض ضرورياتها، بل أن أسرار وغوامض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۶

الشريعة والنظرى فيها لا بدَّ أن يبتنى على الضرورى منها، فإنّ ضرورة التوحيد وبقية صفات الله وأن البارى تعالى هو الغنى المطلق وأن كل ما عدا البارى تعالى مخلوق مفتقر ومحتاج إليه تعالى ونبوة الأنبياء وولاية الأوصياء و («... ۱»).

فهذه ضروريات الشريعة يجب المحافظة عليها وعدم مخالفتها، ولا بدَّ أن يبتنى النظرى والسر والغامض عليها كما هو الحال فى كل العلوم، وإلّا لو كان النظرى مخالفاً أو مناقضاً للضرورى والبديهى لأدى ذلك إلى نسف نفس النظرى فيكون النظرى مناقضاً لنفسه، لأن النظرى فى كل علم يجب أن يكون مبنياً على بديهى وضرورى ذلك العلم.

فإنّ كل العلوم النظرية إنما تكون متحصلة من صغرى وكبرى أو استقراء أو ... وهذه تنتهى للبديهيات، والإنسان إنما ينطلق لايجاد وتحصيل علوم وقواعد ودوائر معرفية جديدة من تلك الدوائر والمساحات البديهية، فإنّ دوائر الضروريات والبديهيات رأس مال ثمين وكنز لا يُقدَّر، منحه الله تعالى للإنسان فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ («۲»)، إذن لا يمكن أن تكون هناك أشياء تناقض الفطرة، فهذه قوى قوامية وقيومية واستقامة وفطرة قيمة وهى قاعدة من القواعد المعرفية.

لذا فلو أردنا الوصول لباطن الشريعة فلا بدَّ أن يكون من الظاهر فإنّ الظاهر هو جسر وطريق الباطن ولا نتصور التناقض بينهما.

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۷

وما يحصل من توهم واشتباه فى هذا المجال إنما هو لأن الغوامض والأسرار والنظرية متشابهة قد يشتبه الأمر فيها لدى الإنسان فلا يعلمها فيجعلها غامضة لديه دوماً ولا يرجعها إلى محورية واسطوانية ومركزية المحكم وهو ضروريات الدين، والبعض نتيجة هذا التوهم يقع فى مصيدة ومسرحية الدجل والتحايل ومصادرة العقول والألباب والبصائر بعناوين مختلفة كأسرار وبواطن وغوامض و... فيرفع اليد عن الضروريات فيستبيح ارتكاب الفواحش وترك الصلاة والصوم ونصب العداء للأئمّة (عليهم السلام) ولشيعة أهل البيت وغير ذلك، وهو من العجيب، فإنّ من ضروريات الدين محبة محبى أهل البيت فكيف يكون من الدين بعنوان الأسرار ونحوه معاداتهم، وكيف أن معاداة فاطمة ومعاداة محبيها يكون من الدين بعنوان الأسرار والبواطن مع أن محبة فاطمة من ضروريات الدين وأنها (ع) تنجى محبيها يوم القيامة بل ومحبى محبيها فضلًا عن من تولاها (ع)، وما ذلك إلّا تحايلات وتدليسات وهلوسات.

وبعبارة أخرى كيف تترك ضروريات الدين الواصلة إلينا بتمويهات من الغرب أو الشرق، بل لنلتزم ونلتفت لحقيقة الدين وحقيقة الحجج التى أسسها الله والرسول والأئمّة من القواعد الرقابية المعرفية المهمة.

سقوط الحجية ...: ص: ۴۲۷

تقدم أن إعمال القواعد الرقابية وتطبيقها أمر مهم ولا بدَّ منه فى بناء نظم الحجج وتراتبيتها، وذكرنا أن من نتائج تطبيق تلك القواعد الرقابية إسقاط حجية بعض الفقهاء الكبار كابن أبى العزاقر والعبرتائى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۸

وهذه ظاهرة عظيمة فى تراتبية الحجج، فالكل تحت مجهر المراقبة ومختبر التجربة، وما أن يتجاوز دائرة حجيته حتّى يكون نتيجة عملية تلقائية للقواعد الرقابية بأن تنكشف عدم الحجية لذلك المتجاوز.

وكما تبيّن أن هذا البحث ليس منحصراً على حجية الفقهاء بل لكل الحجج على اختلاف مراتبها والتى منها النيابة الخاصة والسفارة، فإنّ هناك من كان سفيراً أو نائباً خاصاً وقد تجاوز دائرة حجيته فاسقطت لإعمال تلك القواعد الرقابية.

فإنّ محمّد بن أبى زينب المقلاص أو أبا الخطاب له عدة ألقاب اشتهر بها كان من أصحاب السر للإمام الصادق (ع)، وكان من القدر والجلالة والاستقامة بمكان زرارة بن أعين الفقيه، بل لعلَّه كان أكثر حظوة عند الإمام الصادق (ع) من زرارة أو محمّد بن مسلم أو أبى بصير أو بريد بن معاوية العجلى، مع أن هؤلاء هم الأوتاد الأربعة من الفقهاء والذين قال عنهم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام): «بهم انتشر حديث وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)» («۱») مع كل ذلك كان أبو الخطاب أكثر حظوة منهم عند الإمام (ع)، وكان حمران بن أعين يروى عنه أى عن محمّد بن أبى زينب المقلاص فى فترة استقامته مع أن حمران أحد الرواة المهمين فى القراءات العشر، وكان من علماء علم التفسير، وشهد له الإمام الصادق (ع) بالجنّة بعد وفاته، فهذا حمران على عظمته كان كذلك يستفهم من محمّد بن أبى زينب المقلاص.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۹

إمكانية الانحراف والنائب الخاص ...: ص: ۴۲۹

بل إن محمّد بن أبى زينب المقلاص قد يستظهر من بعض الروايات أنه كان نائباً خاصاً وباباً وسفيراً للإمام الصادق (ع) وهناك شواهد على ذلك ويمكن مراجعة الكشى فيه لكن قد نستغرب أن هناك نائباً خاصاً بهذا القدر ثمّ ينحرف! ولكن ذلك لعدم تسليط الضوء على ذلك الحدث من قبل علمائنا ولم يبلوروا البحث فيه بشكل دقيق.

ورد فى ترجمة المفضل بن عمر الجعفى أن الشيعة أتت الإمام الصادق (ع) وأرادت منه أن يقيم المفضل مقام ومكان ابن أبى زينب المقلاص بعدما انحرف وتبرأت منه الشيعة وأن يقيمه باباً له، وهذا التعبير موجود فى غير واحد من الروايات من قبيل ما حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبى عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث: خرجوا إلى أبى عبد الله (ع) فقالوا: أقم لنا رجلًا نفزع إليه فى أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ فقال: «لا تحتاجون إلى ذلك متى ما أحتاج أحدكم عرج إلىَّ وسمع منىّ وينصرف»، فقالوا: لا بدَّ، فقال: «قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا فيه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلى إلّا الحق»، فلم يأت عليه كثير شىء حتّى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلّون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام يقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم («۱»)، مما يدلل أن محمّد بن أبى زينب المقلاص كانت له نوع من السفارة والنيابة الخاصة ولكنه لما انحرف وزلت به القدم لُعن وطُرد وتُبرئ منه، وهذا يعطينا نموذجاً أنه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۰

الممكن أن تسقط حجية النائب الخاص أو السفير الخاص، فإنّ النيابة الخاصة وإن كانت مقاماً عظيماً جليلًا وموقعاً حساساً جدّاً وإن الشخص الذى يتولاها لا بدَّ أن يكون من أهل التقوى واليقين وأن يكون صدّيقاً، فمع كل ذلك الشأن لمقام النيابة والنائب إلّا أن

ذلك لا يعنى العصمة للنائب الخاص، كما أنه لو بحثنا ولاحظنا فى كتب علماء الإمامية لا نجد منهم من يفسر النيابة الخاصة والسفارة بأنها عصمة أو كون النائب معصوماً لا نجد ذلك فى كلماتهم مطلقاً، بل إن السفارة مع جلالها وعلو مقامها ليست إلّا منصباً ومقاماً يشغله من يختاره الإمام ليوصل الأحكام للناس ما دام مستقيماً وما دام ضمن دائرة حجيته ولا يتجاوز ولا يقفز على ضروريات الدين وسُنّة النبى والأئمّة (عليهم السلام) كما تقدم ذلك فى عرض كتاب الحسين بن روح النوبختى على فقهاء قم.

وأمثال الحسين بن روح النوبختى جملة أخرى كانوا نواباً وأبواباً للأئمّة (عليهم السلام) ولكن لم تعرف عنهم العصمة لا فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولا فى كلام علماء الإمامية، مع أن أولئك السفراء والنواب عظماء أمثال سلمان المحمدى وحبيب بن مظاهر الأسدى وميثم التمار ورشيد الهجرى (رض)، فمع ما لهم من المكانة والقدر الجليل والشأن العظيم وأنهم سفراء ونواب إلّا أنه لم تعرف عنهم العصمة أبداً، فإنّ العصمة لأهلها، فهذه العصمة لا يصلها الإنسان مهما بلغ من مقامات عظيمة إلّا أهلها.

فإنّ هؤلاء السفراء والنواب على عظمتهم وما عندهم من علم البلايا والمنايا وعلوم الباطن والأسرار ... كانوا مستضعفين فى معارفهم بالنسبة للإمام (ع) كما ورد ذلك فى شأن رشيد الهجرى من معرفته

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۱

بعلم المنايا والبلايا، والمستضعف باصطلاح الآيات والروايات هو الذى لم يصل إلى كمال الإيمان ولم تبلغ معارفه الإيمانية ما بلغته معارف المعصوم، فهو من هذه الناحية والجهة مستضعف يعنى لا يدرى أين طريقه لولا هداية ونور المعصوم وعنايته وإشرافه وإرشاده وإن كان بالنسبة لمن دونه من عامة الناس هو كامل الإيمان ومن الأفذاذ، فإنّ مثل ميثم التمار (رض) بالنسبة لعامة الناس من الأفذاذ والكُمل وصاحب إيمان كامل إلّا أنه بالنسبة للإمام (ع) هو مستضعف أى يحتاج لهداية ونور وإرشاد المعصوم فى معرفة طريقه وسبيله الله تعالى.

السفير والنائب قد يفقد حجيته ...: ص: ۴۳۱

لذا فالسفير والنائب لا بدَّ أن يبقى على هدى المعصوم وضمن دائرة حجيته وإلّا بمجرد أن يتجاوزها تسقط تلك الحجية كما فى محمّد بن أبى زينب المقلاص.

وربما يطرأ فى المقام سؤال: إن الإمام (ع) لِمَ جعل مثل هذا الشخص سفيراً ونائباً مع علمه بأنه سينحرف ويلعن ويطرد، أليس هذا خلافاً للحكمة؟

ولكن الحق أن هذا هو عين الحكمة، والقرآن يضرب لنا مثلًا فى ذلك، فإنّ بلعم بن باعورا آتاه الله تعالى بعض حروف الاسم الأعظم وليس كله وإنما هدب شعاعى منه أو خيط مما لا يحصى من خيوط النور قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («۱»).

فكيف يعطى الله تعالى بعض الاسم الأعظم لمثل هذا الذى يعلم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۲

به أنه سينحرف، فإنّ ذلك لم يخرج عن موازين الحكمة فإنّ البارى تعالى عادل لا يجور وقد قال فى كتابه العزيز: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ («۱»).

فإنّ الإنسان ما دام يجاهد نفسه ويتقى ويتورع ويزهد فى الدنيا ونحو ذلك، فإنّ الله تعالى يعطيه ويجازيه لقاء عمله هذا حيث روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «من زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا دائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام» («۲»).

لكن الحكمة تكون على الكافر حجة وتكون للمؤمن حجة، أى الحكمة تكون بنفع المؤمن وبضرر الكافر، فإنّ الحكمة والمقام الذى

يعطيه الله تعالى للإنسان الزاهد العامل فى الدنيا جزاء زهده وعمله تلك المقامات من السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم لا تعنى ضماناً ولا حسن عاقبة له ولا سداداً له وإنما حسن العاقبة والسداد والضمان يحصل عليها من استمرار العمل المستحق لذلك لا أنه يعمل ما يشاء وكيف يشاء لأنه ضمن السداد وحسن العاقبة بحصوله على النيابة أو السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم، فإنّ السداد والصراط المستقيم أمر دقيق أحدّ من السيف وأرفع من الشعر وهو أمر صعب عصيب، لأنه تحت الرقابة الشديدة والمتابعة المستمرة وبمجرد أن يتخلى عن الضروريات والحجج الأكبر والعليا واستمسك بالحجج الدون فإنّ منظومة الحجج لديه تنهدم وتنفصم وبالتالى يقع فى الفتن والزيغ، وأما لو استقام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۳

واستمسك بالعروة الوثقى وهى الحجج الأقوى فإنّه ينجو ويهتدى لانتظام منظومة الحجج لديه قال تعالى: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَإِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ («۱»)، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ («۲»).

فإنّ مثل بلعم بن باعورا ومحمّد بن أبى زينب المقلاص وإن كان لهم ما لهم من المنزلة والحبوة والحظوة و ... فإنّ ذلك لا يعد ضماناً ولا صيانة لمستقبلهم ما لم يكن العمل الصحيح والتمسك بالحجج الأعلى من قبلهم والحفاظ على دائرة الحجية لكلٍ منهما، إذ ليس فى منهاج الدين والمعرفة الدينية اعتمادٌ على أن هذا كان مستقيم العمل أو أنه مستجاب الدعوة ونحو ذلك، وإنما منهاج الدين منضبط ومبنى وفق مراتب الحجج وقواعدها الرقابية.

وإن من أوتى علم المنايا والبلايا والأسرار والباطن ونحو ذلك لا يعنى أنه أوتى الحجية والعصمة سواءً بقى على الصلاح كسلمان المحمّدى وحبيب بن مظاهر وميثم التمار وغيرهم (رض) أم انحرف عن الحق كابن أبى المقلاص وغيره، وإنما يعنى أنّا نتربى على أيديهم فى حدود النظريات لكن فى إطار ومسار وصراط وجادة ضروريات وثوابت الشارع المقدس، فلنا الشرف أن نتربى ونتتلمذ على ميثم التمار ورشيد وغيرهم (رض)، شرف لنا ولآبائنا وأجدادنا أن نتتلمذ على أيديهم

ولا نصل إلى درجتهم، فإنّا يوم القيامة مسؤولون إلى من أولينا زمام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۴

أنفسنا ورقابنا فى ظل الضروريات فإنّ أمثال سلمان وحبيب وميثم ورشيد وغيرهم من الأكابر والأعاظم عرّفوا لنا الأئمّة والكتاب وسُنّة النبى، فتلك الحجج الأكبر وهى ضروريات الكتاب والسُنّة النبوية وثوابت منهاج الأئمّة (عليهم السلام) لا يمكن تركها تحت ذريعة اتّباع الصلحاء وأهل اليقين ورفع اليد عنها فهى الطريق اللائح والمنهاج الواضح.

فهذا نموذج جيّد موجود فى النواب والسفراء الخاصين بقوا واستمروا وحافظوا على دائرة حجيتهم واستمسكوا بالحجج الأعلى وتركوا الحجج الأدون فثبتت حجيتهم، وهناك نماذج أخرى كمحمّد بن أبى زينب المقلاص والمغيرة بن سعيد العجلى تعدّوا دائرة حجيتهم وتركوا الحجج الأعلى واستمسكوا بالحجج الأدون فسقطت حجيتهم ببركة القواعد الرقابية.

كما تقدم مثل ذلك فى الفقهاء كابن أبى العزاقر وأحمد بن هلال العبرتائى.

دعوة للتوازن ...: ص: ۴۳۴

من خلال ما تقدم تتضح الصعوبة فى فهم معارف الدين، وأن الابتلاء والامتحان فى المعرفة والبصيرة أعظم الامتحانات الإلهية، وأن امتحان الله تعالى لنا فى الغرائز والشهوة والغضب ونحوها هى امتحانات سهلة هيّنة يسيرة بالقياس إلى امتحانات البصائر والعقائد.

فإنّ منعطفات تاريخ الأمم والبشر فى الاستقامة ونحوها إنما هى بسبب الامتحانات والاختبارات والفتن فى البصيرة والمعرفة، لأن مركز التحكم فى

الإنسان والمميّز له عن بقية المخلوقات وعن الملائكة أيضاً هو عقله ولُبه وذهنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۵

ودركه، فقد قال أمير المؤمنين (ع): «إن الله (عزوجل) رَكَّبَ فى الملائكة عقلًا بلا شهوة، ورَكَّبَ فى البهائم شهوة بلا عقل، ورَكَّبَ فى بنى آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» («۱») فإنّ النمط العام من الملائكة عنده قوة عقل فقط، أما الإنسان فإنَّ درجة القوة عنده بحيث تستطيع أن تتحكم وتجابه الشهوة والغضب، وهذا غير موجود عند الملائكة هذا الكلام ليس مع الملائكة المقربين، بل المقصود عموم الملائكة من غير المقربين.

ضرورة الدراسات العقائدية ...: ص: ۴۳۵

فإذن إذا كانت هذه القوة وهذه النعمة الوجودية التى هى رأس مال خطير أعطاها الله (عزوجل) للإنسان وهى قوة العقل والتى بتوسطها يمتحن الله الإنسان أعظم الامتحانات وبها امتاز عن بقية المخلوقات، فلا بدَّ للإنسان أن لا يقف عن تحريكها وتطويرها ولا يعطلها ولا يتوهم أنه اكتفى فى مرحلة ما فى دراسة المعارف وتعلمها، لأن معارف الدين بحر واسع، وإن قلنا أن التمسك بالضروريات هو تمسك بالعروة الوثقى، ولكن لكى يكون الإنسان أكثر فطنة وبصيرةً ونفاذاً فالحذر كل الحذر من تعطيل بحث المعارف والعقائد، إذ به نجاة الدين، فإنّه مما رواه الفريقان وهو مدار ملاحم تفسيرية علمية بين العلماء أن النبى (ص) قال: «العلوم كلها فضلة إلّا ثلاث: آية محكمة، وسُنّة قائمة، وفريضة عادلة» («۲»)

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۶

فالآية المحكمة يعنى العقائد، والسُنّة القائمة يعنى تهذيب الأخلاق أو العلوم التى تبحث عن النفس والتى تؤدى لمعرفة النفس فإنّه «من عرف نفسه عرف ربه» («۱») و «من ملك نفسه هُدى واستقام» («۲»)، فهذه العلوم التى تبحث عن النفس وأخلاقها وبالتالى عن رياضات النفس هى سُنّة قائمة، والفريضة العادلة هى الفقه، أى فقه الفروع.

فإذن العلوم المهمة التى يجب على الإنسان أن يتعلمها هى ثلاثة محاور تكمل بعضها البعض ولا ينبغى التقصير والتماهل فى واحد منها، فإذا استطاع طالب العلم أن يشبع البحث والمعرفة ويدأب إلى آخر عمره فى السير فيها فإنّه لن يُباغت ولن يُغدر به ولن تتكأده القيام بالمسؤولية لأن وظيفة طلبة العلوم الدينية هى المرابطة فى الثغور الخطيرة الأساسية وحماية الدين فى تلك الثغور الثلاثة، فإذا أحكمنا المرابطة فيها لن يستطيع العدو أن يباغت حِمى الدين وذلك بأن تتكامل عندنا هذه المحاور الثلاثة من العلوم، إذ بها نحمى الدين فإنّ هذه وصية إعجازية من النبى (ص) فى القدرة على حفظ الدين وعجز العدو طوال

تاريخ البشرية، إذن فمن الضرورى عدم حصر التكثيف فى فقه الفروع وعلم أصول الفقه على حساب المحورين الآخرين، وهذا لا يعنى عدم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۷

الاهتمام بعلم الفقه وأصوله ولكنّا نقول لا بدَّ من توازنه مع العقائد لأنهما كما يقول العلماء الأكابر المتقدمون جناحان يطير بهما العالم، فقه الفروع والفقه الأكبر وهو العقائد، بل وحتّى الفقه الأوسط وهو تهذيب النفس.

فهذه مراتب ثلاث إذا أحكمها طالب العلم آية محكمة وسُنّة قائمة وفريضة عادلة فإنّه سوف تكون له أجنحة يطير بها إلى ما شاء الله، وإلّا فإنّ تكثيف وإشباع أحدهما على حساب الآخر يكون المسير كمسير الأعرج برجل واحدة، فلا بدَّ من الموازنة فى الدراسة والمواظبة على هذين الخطين المتوازيين.

الدليل الإثباتى للنيابة الخاصة ...: ص: ۴۳۷

ثبت فى محله أن الأدلّة الإثباتية على أنواع ودرجات تختلف باختلاف المثبت والمدعى، فهناك الأدلّة العقلية، والأدلّة النقلية، والنقلية منها القطعى ومنها الظنى، وكل منهما ربما يكون نصاً فى المراد وربما يكون استظهاراً ظنياً وهكذا، فالنبوة مثلًا لما كانت مقاماً مهماً ومنصباً خطيراً لم يسلّم الناس للنبى لمجرد الدعوى من دون دليل إثباتى يقينى، فمثلًا فى قصة إمامة طالوت لم يكن ليسلموا له لمجرد دعواه بل لا بدَّ من القطع، وقد بين ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ

هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ («۱») أى شاهد ملكوتى إعجازى فإنّ التابوت فى بنى إسرائيل كان مثل عصا موسى من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۸

جهة أنه أمر إعجازى، فإنّه لا يأتى متحركاً بنفسه إلّا فى سكينة، والسكينة لها شكل وصورة وريح من الجنّة وله شكل جميل مثل وجه الإنسان، وهذه الصورة يشاهدها بنو إسرائيل فقط فى تعيين كل نبى نبى من أنبياء بنى إسرائيل وقد رأوه عندما قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ* وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ («۱»)، فكان مجيء التابوت هو الدليل القطعى عندهم على ذلك، وقد أتى ذلك التابوت فكان آية ملكه.

فقد ورد عن الرضا (ع) قال: «السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكان التابوت إذا وضع بين يدى المسلمين والكفار فإنّ تقدم التابوت رجل لا يرجع حتّى يقتله أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام» («

).

وعن أبى الحسن (ع) قال: «السكينة ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة، وهى التى أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين،

وهذه السكينة، كانت فى التابوت وكانت فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور فى بنى إسرائيل مع الأنبياء (عليهم السلام)» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۹

خطورة السفارة ودليلها ...: ص: ۴۳۹

والسفارة والنيابة الخاصة لما كانت مقاماً إجرائياً خطيراً وحساساً ومهماً لأنه يرتبط بالإمام المعصوم ارتباطاً خفياً ويؤدى عنه، وإن كانت صلاحياته وحجيته محدودة وليست مطلقة وأنه خاضع للمتابعة والمراقبة من الفقهاء والعوام من خلال إعمال القواعد الرقابية المعرفية وأنه خاضع لحجج أعلى وأقوى منه ومحكمة عليه، إلّا أنه لخطورة وأهمية هذا الموقع لم يكن لأحد فى زمن حضور الأئمّة (عليهم السلام) أو فى الغيبة الصغرى أن يقبل ويقر هذا المنصب لأحد إلّا بدليل قطعى نصى، أى بالدليل اليقينى دون غيره من الأدلّة الإثباتية فلا اعتداد بالاستظهارات الظنية حتّى لو كانت ظنوناً معتبرة ولا بالحدس، فلم يقبل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يسلموا على طول فترات الحضور والغيبة للأئمّة (عليهم السلام) بنيابة أىّ نائب ولا سفارة أىّ سفير إلّا بالدليل اليقينى دون غيره من الأدلّة وإن كانت فى نفسها معتبرة كالظنون المعتبرة من الاستظهارات ونحوها ولا بالبينة ولا بغيرها من هذا المستوى من الأدلّة لأنها مراتب إثباتية دانية نازلة لا تناسب المقام الخطير للسفير والنائب لأنه يؤدى عن المعصوم فلا بدَّ من إثباته بالقطع واليقين.

كما أن ديدن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) فى إثبات نيابة أو سفارة

النواب والسفراء سواء أكان فى عصر الأئمّة (عليهم السلام) أم فى الغيبة الصغرى للإمام المهدى (ع)، إذ ليس بصحيح ما فى كثير من الأذهان من أن ظاهرة النيابة والسفارة فى فترة الغيبة الصغرى فقط، بل إن الصحيح حسب الروايات العديدة أن هناك نواباً وسفراءً خاصين للمعصومين قبل الإمام المهدى (ع)، بل إن ذلك أحد الطرق اليقينية فى إثبات سفارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۰

ونيابة العمريين من خلال نص الإمام الظاهر وتصريحه بكونهما سفيرين فإنّ العمريين حسب مفاد الدليل كانا سفيرين ونائبين خاصين للإمام الهادى والإمام الحسن العسكرى (ع) فعهدت الشيعة وفقهاء الإمامية هذا المنصب للعمريين فى زمن العسكريين وأن تنصيبهما كان بنص من الإمام الهادى (ع) ثمّ العسكرى (ع)، فقد ورد: «اسمع لهما وأطع لهما فإنّهما الثقتان المأمونان» («۱») ثمّ فى تتمة بعض النصوص الواردة فى شأنهما أنهما كذلك لابن الحسن (ع) يعنى الإمام المهدى (ع) والذى يعنى أن العمريين لهما نفس السمة التى شغلاها وكانت لهما فى عهد الإمام العسكرى والهادى (ع)، فإنّ الشيعة والفقهاء فى تلك الفترة مع ما ورد من تنصيصه (ع) على توثيق العمريين لم يكتفوا بذلك فى ما بعد ما لم يصدر عن العسكرى (ع) ما يثبت استمرار السفارة والنيابة لهما فى عهد المهدى (ع) وإن ذلك الصادر خبر قطعى فيكونون قد أثبتوا السفارة والنيابة لهما بالأدلّة القطعية، وهكذا فى عصر الإمام الصادق

(ع)، فهناك روايات ونصوص تشير إلى ثبوت مقام وسمة السفارة والنيابة الخاصة لمثل جابر بن يزيد الجعفى، وكما هو الحال عند أصحاب الإمام الصادق بعد ثبوت انحراف محمّد بن أبى زينب المقلاص، فإنّهم جاؤوا وطلبوا من الإمام (ع) تنصيب المفضل بن عمر الجعفى مما يعنى أنهم لا يكتفون بالظنون فى منصب السفارة والنيابة، بل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۱

لا بدَّ من الأدلّة اليقينية القطعية والتى هى التصريح المباشر من قبل الإمام (ع) فى مثل تنصيب المفضل بن عمر الجعفى، فإنّ تلك المراتب الأخرى من الأدلّة كالظهورات والظنون المعتبرة والشاهدين العدلين ونحوها إنما لها مجالها ومساحتها الإثباتية الخاصة، أما مثل إمامة أمير المؤمنين (ع) أو أىّ أصل من أصول الدين أو قواعد الفقه الأصولية و ... ونيابة النواب لا يمكن إثباتها بهذا النحو من الأدلّة الظنية ونحوها بل لا بدَّ من اليقين، نعم هذه تنفع فى إثبات أمور أخرى أهون من الإمام والنيابة كالقواعد الفقهية الفرعية وتفاصيل أمور الفقه ونحوها وإلّا لو عكسنا وأثبتنا الإمامة والنيابة بالأدلّة الظنية أو أثبتنا الفروع الفقهية بالأدلّة القطعية لكان ذلك من الخلط فى الحجج ومنظومة الحجج.

وهو نظير المستندات فى الدوائر الحكومية فإنّ كل وزارة لها مستندات معينة خاصة بها، فلوزارة الصحة مستندات معينة وللجامعة والتعليم مستندات معينة وللحوزة العلمية مستندات معينة، فالمستندات أنواع وأنماط وأصناف مختلفة ودرجات متفاوتة، فليس المستند مطلقاً فى كل مكان وفى كل حال يكون مؤدياً ومفيداً للغرض، فالرواية الظنية حتّى لو كان الظن معتبراً لا يمكن إثبات نيابة نائب خاص أو سفير لخطورة هذا المقام.

انضباط قنوات الحجية للغيب ...: ص: ۴۴۱

وحفاظاً على تراتبية الحجج، فإنّ الحجج وتراتبيتها لها نظام خاص فأىّ مخالفة له ونقضه يوقع فى الزيغ، كما لو فرضنا أن شخصاً رأى ملكاً حتّى لو كان من السماء الأولى ونقل له بعض الأوامر فهل ذلك يكون حجة على ذلك الشخص دون أن يكون عن طريق نبى أو رسول؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۲

بلا إشكال ليس حجة عليه ولا يجوز لذلك الشخص أن يعمل بتلك الأوامر بدعوى أنه سمعها من ذلك الملك لأن ذلك الملك ليس حجة علينا إلّا بتوسط النبى أو الرسول أو وصى أو ... أما الملك فلم يكن منصوباً من الله تعالى ليكون حجة علينا بل إن الله

تعالى نصب علينا حججاً يجب علينا اتباعها كالرسول محمّد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) لذا وكما بيّنا ذلك سابقاً لا يمكن لنا اتّباع النبى موسى أو عيسى (ع) إلّا فيما أقره النبى محمّد (ص) فى دائرة الحجية لا الشرائع («۱»).

فإنّ الدين ومراتب الحجج ليس العوبة فى الأيدى، أى سواء أكان من البشر أم من الملائكة كمالك خازن النيران أو رضوان خازن الجنّة وحتّى عزرائيل (ع) بل وحتّى جبرائيل (ع) فلو أدلوا لنا بشىء ليس لنا الأخذ منهم مطلقاً، لأن الله تعالى لم ينصبهم حججاً علينا وإنما جبرائيل (ع) نصبه الله لإنباء الأنبياء والرسل ونحن لسنا بأنبياء يقيناً

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۳

فليست الملائكة حججاً علينا وإنما نحن نتلقى من الرسول الأعظم إذ أمرنا باتّباعه (ص) واتّباع الأئمّة (عليهم السلام) فهم جهاز الله لدخول الأبواب السماوية والرقى والتقرب لله تعالى أما من غيرهم فليس لنا الدخول بها على الساحة الإلهية ولا يصح التقرب، وهذا ضمن النظام الإلهى وتراتبية الحجج، نظير النظام الإدارى الوضعى فليس للموظف أن يأخذ الأوامر والتوجيهات إلّا من خلال مسؤوله المباشر، وما ذلك إلّا لحفظ المقامات والسيطرة على الأجهزة العاملة بشكل مرتب ومنظم، لذلك نهى رسول الله بشدة كثيراً من الصحابة عندما أرادوا التمسك ببعض ما روى عن النبى عيسى أو موسى (ع) فإنّه ليس لهم إلّا اتّباع سيد الرسل (ص) أو المقدار الذى أقره سيد الرسل من باقى الأنبياء والرسل (عليهم السلام) كما روى أبو عبيد فى (غريب الحديث) («۱»): فى حديث النبى (ص) حين أتاه عمر فقال: إنّا نسمع أحاديث اليهود تعجبنا فترى أن نكتب بعضها؟ فقال رسول الله (ص): «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتّباعى»، وروى

الطبرسى فى (الاحتجاج) («۲») عن الصادق (ع) أن رسول الله (ص) قال فى احتجاجه على يهودى: «يا يهودى إن موسى لو أدركنى ثمّ لم يؤمن بى وبنبوتى لم ينفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة، يا يهودى ومن ذريتى (المهدى) إذا خرج نزل عيسى بن مريم (ع) لنصرته فيقدمه ويصلى خلفه»، وإلّا فإنّ الأمر ليس فوضى وإنما فيه تنظيم لأنه جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۴

إلهى كامل، وهذا من أشرف ما أنعم الله به علينا وهو اتّباع أفضل خلائق الله تعالى وسيد الرسل على الاطلاق وأهل بيته الطاهرين، فنحن أمرنا باتّباع والاقتداء والاهتداء بأفضل الخليقة وهو شرف لنا، فلا يتاه بنا ونضيّع هذه النعمة العظيمة ونتخبط فى الحجج ونتبع عناوين أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

فشرف لنا أنّا خلقنا فى مثل هذا الزمان وهو زمان سيد الرسل (ص) وأوصيائه النجباء ولم نخلق فى أزمنة أخرى لنتبع بقية الرسل فى شرائعهم فإنّا امرنا باتّباع من أمر جبرائيل وعزرائيل وإسرافيل وميكائيل ومالك وكل الكون بل وحتّى باقى الأنبياء والرسل باتّباعهم وطاعتهم وولايتهم ووصايتهم ... فلا نقع فى الزيغ والتيه ونرفع اليد عن تلك الحجج العظيمة ونتبع زعيق كل زاعق ونعيق كل ناعق ونطبل لكل راية ترفع.. فإنّا عندنا ضروريات وبديهيات لا يشوبها شىء وعندنا منهج لائح وأعلام واضحة من مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فلا نستبدل ما هو خير بما هو دون وما هو عالى بما هو سفل.

فلنكن على بصيرة وهداية ولا نتبع هلوسات وظنون وأدلّة حدسية

لإثبات أدعياء النيابة الخاصة والسفارة، وبالتالى نتعامل معه على أنه مرتبط بالأئمّة الصالحين (عليهم السلام).

فإنّ أهل البيت (عليهم السلام) نجوم وأسرار الخلق فلا يمكن أن نصدق من يدعى الالتصاق بهم إلّا بأدلّة قطعية يقينية وبراهين بيّنة محكمة. بل إن الشيعة مع من ثبتت سفارتهم ونيابتهم بالأدلّة القطعية اليقينية لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يراقبونهم ويحكمون القواعد الرقابية عليهم حتّى مماتهم لأن ذلك المقام المعطى لهم ليس بالأمر السهل والهيّن بل أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۵

خطير وهم ليسوا بمعصومين ولا- مسددين، فكم هو عظيم وعى الشيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) حيث أدركوا أن أولئك السفراء ليسوا بمعصومين فلا بدَّ أن تثبت سفارتهم بالأدلّة القطعية كما لا بدَّ من استمرار المراقبة لهم فلا يكفى الدليل القطعى، بل لا بدَّ من إخضاعهم للرقابة والمتابعة ووضعهم تحت مجهر مراقبة الضروريات والحجج الأكبر، فكم الأمر عصيب وخطير ودقيق فلا نتساهل نحن فيه ونخلط الأمور بعضها بالبعض الآخر ولا نزيلها عن مواضعها ولنتذكر دائماً مثال الخضر (ع)، مع موسى (ع) فمع ما له من المكانة كان موسى (ع) يعمل القواعد الرقابية عليه.

إذاً أوّلًا: النيابة الخاصة لا تثبت إلّا بدليل قطعى، وثانياً: مع أن صلاحيات النائب محدودة وليست مطلقة، وثالثاً: أن القواعد الرقابية وهى ضروريات الدين جارية ومطبقة عليه على طول المسار.

فهذه ثلاث قواعد مهمة فى دائرة النيابة الخاصة والسفارة لا بدَّ من الالتفات إليها وتمييزها بشكل دقيق؛ لأن أهميتها مترشحة من أهمية منصب النائب والسفير الخاص.

شبهات عنكبوتية واهية ...: ص: ۴۴۵

من هنا يتضح بطلان ما يستدل به البعض على كونه ابناً للإمام (ع) وأن له حجية الوساطة بينه وبين الناس لأنه يعتمد فى إثبات ذلك على رواية يفهم منها فهماً خلاف ظاهرها وهى رواية الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) حيث ورد عن الاصبغ بن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين علياً (ع) ذات يوم فوجدته مفكراً ينكث فى الأرض، فقلت:

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۶

يا أمير المؤمنين رأيتك تنكث فى الأرض أرغبة منك فيها؟ فقال: «والله ما رغبت فيها ولكن فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشر من ولدى» («۱»).

فيستدل البعض على أنه ابن الإمام المهدى (ع) بناءً على أن المتكلم هو أمير المؤمنين (ع) والمولود الحادى عشر هو المهدى (ع) وقد قال: «يكون من ظهر الحادى عشر» أى أن ذلك المولود يولد من الإمام المهدى ويفكر فيه أمير المؤمنين (ع).

وبعبارة أخرى كأن أميرالمؤمنين (ع) يقول أولادى أحد عشر ومن ظهر الحادى عشر يكون مولودٌ أفكر فيه، وبالتالى يكون مجموع الأئمّة (عليهم السلام) ثلاثة عشر، أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر والمولود من ظهر الحادى عشر.

وهذا التفسير مبنى على جعل لفظ (الحادى عشر) تمييزاً لقوله (ولدى) وهو خطأ لأن قوله: (من ولدى) صفة لقوله: (الحادى عشر).

فيكون المعنى أن أمير المؤمنين (ع) يقول: (الحادى عشر من الأئمّة من ولدى يكون من ظهره مولود أفكر فيه) والحادى عشر منهم هو الحسن العسكرى (ع) ومن ظهره يكون المهدى (ع).

مثلًا لو نذكر نحن العبارة بشكل آخر للتوضيح: (فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشر من أئمّة أهل البيت شديد السمرة ويلقب بالعسكرى وهو من ولدى) فنذكر مجموع صفات، ولكن الأمير (ع) ذكر صفة واحدة للحادى عشر وهو كونه من ولده.

وبالتالى فالتمييز لقوله: (الحادى عشر) هو اللفظ المقدر المعهود

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۷

وهو (من الأئمّة) وليس هو اللفظ المذكور (من ولدى) بل قوله: (من ولدى) صفة ل- (الحادى عشر)، أى الحادى عشر من الأئمّة والذى هو الحسن العسكرى موصوف بأنه من ولدى، فمن ظهر الحسن العسكرى يكون المولود وهو المهدى (ع)، فالإمام على (ع) يفكر فى المهدى نفسه وليس فى ابن المهدى كما يدعى هذا البعض.

فإنّ لفظ الحادى عشر عندما يرد فى الروايات كأنه اصطلاح خاص بالترتيب لخلفاء الرسول (ص) وهم الأئمّة الاثنا عشر (عليهم السلام). فكيف يحتج بإيهام فى الدلالة على أمر لا بدَّ أن يكون يقينياً لا وهمياً، ثمّ كيف يعتمد على رواية آحاد واحدة فى مسألة لا

بدَّ فيها من اليقين، وثالثاً من أين الدليل اليقينى على أصل الولادة فى الخارج المحسوس. فكل هذه الأمور وهن فى وهن واهى.

فى عصر المهديين الاثنى عشر ...: ص: ۴۴۷

وهناك مجموعة من الروايات بمفاد واحد تقريباً وهو «منّا بعد القائم أحد عشر مهدياً» («۱»).

وفى رواية أبى حمزة أنه قال: «يا أبا حمزة، إن منّا بعد القائم (ع) إحدى عشر مهدياً من ولد الحسين»، ورواية كمال الدين (ج ۲/ ص ۳۵۸)، وبعض الأدعية كذلك ... « اللهم صل على ولاة عهده والأئمّة من بعده » («... ۲») وغيرها بنفس المضمون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۸

ولكن هذه الروايات صاغ مفادها البعض، بل حبك الإيهام فى مفادها وأدعى أنه من أبناء المهدى (ع) وهو مهدى أيضاً.

مع أن هذه الروايات لم تذكر نعت الإمام لما بعد الإمام الثانى عشر، وإنما النعت الذى ذكرته لهم أنهم مهديون وفى بعضها نفى أنهم أئمّة، كما فى الرواية عن الصادق (ع) وهو يفسر كلام الباقر (ع) أنى سمعت من أبى الباقر (ع) قال: «يكون بعد القائم اثناعشر مهدياً» وهذا كلام الباقر، فقال الصادق: «إنما قال أبى اثنا عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا»، وفى رواية أبى بصير: «وإنما هم مهديون» («۱») فلم تصفهم مجموع هذه الروايات أنهم رواد الأرض وقطب القيادة فيها وإنما غاية ما تدل عليه أنها تعزى وتسند إليهم جملة من المسؤوليات ما بعد وفاة الإمام المهدى (ع) أى فى عصر ومرحلة

الرجعة لا مرحلة الظهور فضلًا عن مرحلة ما قبل الظهور مع أن ما صرح فى رواية أبى بصير بأنهم يدعون الناس إلى موالاة ومعرفة حقنا. أى إن القيادة ليست بأيديهم ومركزية الإمامة هى للاثنى عشر فى عصر الرجعة بعد عصر دولة الإمام المهدى (ع).

ومن ثَمَّ لا تعارض هذه الروايات ما ورد فى روايات الرجعة أن الإمام أمير المؤمنين (ع) والإمام الحسين (ع) يرجعان قبل استشهاد الإمام المهدى وأن الذى يجهز ويدفن الإمام المهدى هو جدّه الحسين («۲»)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۹

(ع) ويدفنه فى موضع قبره فى كربلاء، أى إن ما بعد الإمام المهدى لا تخلو الأرض من الأئمّة الاثنى عشر، بل يبدأون بالعودة والرجعة ودولة الرجعة غاية الأمر أن هؤلاء المهديين الاثنى عشر سواء أكانوا من ولد الإمام الثانى عشر أم من ولد الحسين تكون لهم أدوار ومهام تحت قيادة وإمامة وفى ظل قيادة الأئمّة الاثنى عشر وليست لهم مناصب الإمامة والقيادة وما هو من هذا القبيل.

وأما ما فى رواية مختصر البصائر فلا تدل على خلو الأرض من الأئمّة الاثنى عشر بعد الإمام الثانى عشر بسنة وقانون الرجعة، غاية الأمر أن المهديين الاثنى عشر من ولد الإمام الثانى عشر سيكون لهم دور الأعوان والأنصار فى دولة الأئمّة فى الرجعة، لاسيّما بعد تواتر أن الأرض لا تخلو من الحجة الإمام، وإلّا لساخت الأرض («۱»)، وهى نفس

عموم القاعدة المستفادة من قوله تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً («۲»).

إذاً هؤلاء ليسوا بأئمّة، فالأرض لا تخلو من إمام أو خليفة لله فى الأرض، إذن هم فى دولة الرجعة.

وأما ما فى رواية غيبة الشيخ الطوسى عن النبى (ص) من قوله: «ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أوّل المقربين، له ثلاث أسامى» («۳»)، فهى مضافاً إلى ضعف السند ورواية آحاد واحدة ظنية لا يصح الاعتماد عليها بمفردها فى مسألة لا بدَّ فيها من رقى الدليل إلى درجة اليقين أنه ليس فيها تصريح بأنه يسلم الإمامة وقيادة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۰

الأرض إلى ابنه كيف وقد صرّح فى الروايات الأخرى بأنهم ليسوا بأئمّة فكيف يسلم الإمامة إليهم، بل فى روايات الرجعة أن الذى يلى تجهيز الإمام الثانى عشر هو الحسين، فلا بدَّ أن يكون الضمير فى (ليسلمها) عائداً إلى بعض المسؤوليات وبعض الوظائف التى

يقوم بها أولاده فى ظل إمامته أى عود الضمير إلى الصحيفة التى ذكرت فى صدر الرواية.

فلا بـدَّ أن يكون الضـمير عائداً إلى المهمة والمسؤولية المعينة لا إلى الإمامة، مضافاً إلى أن كلمة (بعده أو بعدهم) تدلُّ بصـراحة على أنه لا دور لهؤلاء قبل ظهور الإمام الثانى عشـر ولا فى أثناء دولته وإنما دورهم سـيكون فى عصـر الرجعـة بعـد دولة الظهور واستشـهاد الإمام (ع).

فمفاد الروايات يقطع الطريق أمام ادّعاء النيابـة الخاصـة قبل الظهور كما أن هـذه الروايات لا تعطى لهؤلاء المهـديين نعت الحجيـة ولا نعت

النيابة الخاصة ولا نعت السفارة ولا نعت الإمامة وإنما غاية ما تدل عليه هو أن لهم بعض المسؤوليات.

مع أن كلمة (من بعدهم) أيضاً بمعنى دون مقام الأئمّة الاثنى عشر أى لهم مسؤوليات فى ظل إمامة الأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام).

وأما ما رواه السيد بن طاووس فى المصباح عن الرضا فى أعمال يوم الجمعة عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا (ع) دعاء وفى ذيله: «اللهم صل على ولاة عهـده والأئمّة من بعده» («۱») فالتعبير بالأئمّة من بعده لا تأبى الانطباق على رجوع الأئمّة (عليهم السـلام) لاسيّما وأنه قد غاير (ع) بين عنوان الولاة من بعده والأئمّة من بعده مما يدل على أن له ولاة عهدٍ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۱

ليسوا بأئمّة هو لا يأبى الانطباق على المهديين الاثنى عشـر وهم غيره مع تنصـيص الرواية على وجود أئمّة من بعده يغايرون ولاة عهده من بعـده دلالـة على تغاير الأئمّة بعد المهدى (ع) تغايرهم مع المهديين الاثنى عشـر، والحاصل فإنّه لا دلالة فى الدعاء على أن هناك أئمّـة من بعـده يغايرون الأئمّـة الاثنى عشـر لاسيّما وأن كون عـدة الأئمّـة الاثنى عشـر من ضـروريات المعتقـد عند أهل البيت بل فى روايـات المسـلمين أن خلفـاء النبى اثنا عشـر والمهم الالتفات إلى إمامـة الاثنى عشـر ثبتت بنصوص الآيات القرآنيـة وتواتر الأحاديث فكيف يقف فى مصافها ودرجتها روايات آحاد لم تصح سـنداً فضلًا عن أن تبلغ اليقين مع أن دلالتها أجنبية عن مدّعى أدعياء السفارة والنيابة قبل الظهور؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۵

الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ۴۵۵

أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۵۵

الدليل الأوّل:

إن انقطـاع النيابـة بـات من الأمـور الواضـحة عنـد علماء الإماميـة وعامـة شـيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السـلام) بل أصـبحت بـديهية وضـرورية عنـدهم بل حتّى لـدى أهل السُـنّة، فإنّ فِرَق أهل السُـنّة فى نظرتهم إلى أتباع مدرسـة أهل البيت بات واضـحاً لديهم علماءً وعواماً أن من معتقـدات وضـروريات مـذهب أهل البيت (عليهم السـلام) هو انقطاع النيابـة الخاصـة والسـفارة، بمعنى انقطاع الاتصال بالإمام، ومن ثَمَّ بناءً على ذلك بـدءوا بسلسـلة من الشـبهات والاعتراضات والإشـكالات على أصل عقيـدة الإمامـة وهـذه الإشـكالات والاعتراضات قد أجيب عنها تفصيلًا فى محلها وسنتعرض لاحقاً لجملة منها إن شاء الله.

فإنّ الأمر عنـدهم بلغ مرتبة من الوضوح والبداهة والضـرورة بحيث أن نفس العامة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم نسـبوا لأتباع أهل البيت (عليهم السـلام) مسألـة انقطاع النيابـة وأنها لـديهم كمسألـة عقيـدة الغيبـة للإمام (ع) فى الوضوح والبداهة، فكما أن عقيدة غيبة الإمام ضـرورية كـذلك انقطاع النيابة الخاصة وبالتالى فإنّ تفسير عقيدة الغيبة الكبرى بانقطاع النيابة الخاصة والسـفارة أمران مقرونان إلى بعضـهما البعض، ومن ثَمَّ جعلوا هـذا الاعتقاد عنـد الإمامية أمراً مفروغاً عنه بل بديهياً ضـرورياً وراحوا يعترضون ويشـكلون عليهم

على أساسه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۶

بل إن أبرز إشكالاتهم حول ذلك أن الإمام المهدى (ع) إذا كان غائباً وليس له نوابٌ خاصون ولا سفراء فهو بالتالى منقطع عن المسلمين أى لا اتصال بينه وبين أتباعه وشيعته ومن يأتم به؟ وهذا الإشكال مذكور فى أغلب كتب العامة الكلامية حيث يشكلون به على أصل الإمامة، فكيف يكون إماماً ولا اتصال له بقاعدته وكيف يدبر أمور الأمّة؟ فأىّ كتاب كلامى من كتب العامة عندما يبحث عن الإمامة ويناقش فيها أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدتهم فى الإمامة فإنّ أوّل نقاش يطرحه هو هذا الإشكال المبتنى على انقطاع السفارة والنيابة عند الإمامية فيفهم من خلال ذلك أنَّ انقطاع السفارة عند الإمامية عقيدة وضرورة كعقيدة أصل الإمامة وكعقيدة الرجعة و ... وإلّا لم يوردوا إشكالهم لو لم يكن انقطاع السفارة من أوّليات وبديهيات وضروريات مذهب أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

الدليل الثانى:

التوقيع المبارك المروى بتوسط النائب الرابع على بن محمّد السمرى حيث ذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة فى (ص ۳۶۵) عند ذكره أبى الحسن على بن محمّد السمرى فقال (تحت الرقم ۳۶۵) وأخبرنا جماعة عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه قال: حدّثنى أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا على بن محمّد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۷

مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه («۱»).

حيث أنه خطاب للنائب الرابع أن يجمع أمره ويبلغ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنه ميت بعد الستة أيام وهذا فى نفسه إعجاز بأن يحدد الإمام موت السمرى بالتاريخ الصحيح وأن لا يوصى إلى أحد من بعده وأن الغيبة الكبرى أو الغيبة التامة قد وقعت وأن مدعى المشاهدة فهو مفتر كذّاب.

والمقصود بالمشاهدة بقرينة وقوعها فى سياق وفاة النائب الرابع والأمر له بعدم الوصية لأحد هو إبراز المشاهدة لافهام الناس بأنه على اتصال وارتباط بالإمام (ع) وأن له مقام الوساطة معه.

ولا- يشترط أن تكون المشاهدة المنهى عنها مزعومة ومعنونة بالسفارة أو النيابة كما سى- أتى بيانه تحت عنوان (عناوين دعوى السفارة)، وكذلك لا- مانع من أصل المشاهدة من دون إبراز دعوى الاتصال والارتباط أى دعوى منصب ومقام، كما سيأتى تحت عنوان (التشرف برؤية الإمام المهدى (ع) لا يعنى الحجية).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۸

فمضمون التوقيع أن الإمام (ع) ينفى دعوى السفارة والنيابة والارتباط والوساطة بعد السمرى (رض) فإنّ هذا المنصب والمقام بابه مسدود حتّى ظهور الإمام (ع) وإتمام البيعة له، وإن كان الإمام المهدى (ع) فى التوقيع الشريف قد ذكر حدّاً وغايةً لوقت الصيحة، ولكن بحسب الروايات المستفيضة والمتواترة التى تبيّن شؤون الظهور ذكرت بأنّ انقطاع النيابة الخاصة يمتد حتّى بيعة الإمام (ع) بين الركن والمقام وأوّل من يبايع هو جبرائيل (ع)، فإنّ هناك صيحة أخرى لجبرائيل بعد الظهور يوم البيعة، فعن أبى عبد الله (ع) أنه قال:

«ينادى باسم القائم (ع) فيؤتى وهو خلف المقام، فيقال له: قد نودى باسمك فما تنتظر؟ ثمّ يؤخذ بيده فيبايع». [قال] وقال لى زرارة: الحمد لله قد كنّا نسمع أن القائم (ع) يبايع مستكرها فلم نكن نعلم وجه استكراهه، فعلمنا أنه استكراه لا إثم فيه («۱»). ثمّ بعد جبرائيل يبايعه الثلاثمائة وثلاثة عشر من أنصاره.

فإنّ المستفاد من الروايات أن النيابة الخاصة والسفارة عن المهدى (ع) لا يشغلها أحد ولا تعطى لأحد حتّى تنعقد البيعة للإمام (ع) عند الكعبة وليس أمد ومنتهى ذلك مجرد الصيحة، أو للصيحة، ولكن المراد بها حينئذٍ التى تقع بعد الظهور، وهذا لأجل التوفيق بين الروايات، وحتّى الروايات الواردة فى الخراسانى أو الحسنى أو اليمانى أو شعيب بن صالح أو النفس الزكية أو ... فإنّها لا تعطيهم أىّ تمثيل رسمى أو نيابة أو أىّ صفة أخرى بل تنفى ذلك عنهم بل تنفى أىّ صفة وتمثيل رسمى حتّى عن الثلاثمائة والثلاثة عشر حتّى تعقد وتتم البيعة للإمام (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۵۹

ويتشكل الجهاز الرسمى والحكومى للإمام (ع)، بشكل معلن فمن ثَمَّ تبدأ الأدوار أى بعد البيعة.

ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ...: ص: ۴۵۹

فإن الروايات الواردة جعلت الصيحة أكبر علامة حتمية لسنة الظهور ولنجوم أصحاب رايات سنة الظهور، فلا يمكن مجىء السفيانى بدون الصيحة لأنّها من المحتوم وإن كان يمكن أن تقع الصيحة بدون السفيانى كما لا يمكن أن يجىء اليمانى بدون السفيانى وإن كان يمكن مجىء السفيانى بدون اليمانى والخراسانى، فأشدّ العلامات حتميةً هى الصيحة، ثمّ السفيانى، وهذه العلامة كاشفة عن دجل أدعياء هذه الأسماء مع عدم وقوعها.

أما السند للتوقيع المبارك فإنّه بات مُسلّماً لدى الإمامية، والراوى الأخير الحسن بن أحمد المكتب فهو قمى من مشايخ الصدوق، وقد ذكر فى ترجمته أنه من فقهاء قم الكبار بغض النظر عن ترحم الصدوق عليه («۱») مع أن الصدوق الذى هو من أكابر زعماء الطائفة لا يتخطّى ديدن علماء الإمامية من عدم الاعتماد على رواية التوقيع عن النواب الأربعة إلّا بواسطة الوكلاء والأبواب الذين ذكرهم الشيخ الطوسى فى الغيبة أنهم أبواب ووكلاء للنواب الأربعة، وهذا التشدّد من علماء الإمامية فى توقيعات الناحية نظراً لخطورتها وحساسية الوضعية الأمنية بخلاف الحال فى الأئمّة (عليهم السلام) آبائه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۰

الدليل الثالث:

إن أصل معنى عدم الظهور، أى الغيبة الكبرى يتضمن عدم البروز وعدم التمثيل الرسمى عن الإمام (ع) حتّى عقد البيعة، أما قبل البيعة فإنّ نفس عنوان الغيبة ينفى ذلك، ومعنى الظهور أن جهاز الإمام يظهر ويبرز بشكل رسمى بالنيابة أو الوكالة أو السفارة ونحو ذلك، فإذن الدليل الثالث هو أن مُدعى النيابة الخاصة أو السفارة ينافى ضرورة عنوان الظهور فإنّ ظهور دولته وجهازها الرسمى ليس إلّا بعد عقد البيعة.

الدليل الرابع:

إن أدلّة الظهور والروايات التى ترسم لنا سنين الظهور وأيام الظهور كلها مفادها وبيانها أنه لا صفة رسمية ولا تمثيل رسمى ولا تنويب ولا توكيل من الإمام (ع) لأىّ من الأسماء اللامعة التى ستظهر وتقود التيارات فى الظهور فليس هناك أىّ تمثيل رسمى لشخصيات الظهور فضلًا عن غيرها حتّى تعقد البيعة.

الدليل الخامس:

إن مقتضى وقوع غيبتين له (ع) أحدهما صغرى والأخرى كبرى أن بين الغيبتين فرق وأن الكبرى أشدّ فى الخفاء والانقطاع عنه ولا يتم

الفرق وأشدّية الخفاء إلّا بانقطاع النواب والسفراء.

ويشير لهذا الدليل النعمانى فى الغيبة والصدوق والطوسى والكلينى (رض) ويذكرها أيضاً جميع محدّثى ورؤساء علماء الإمامية حيث يذكرون روايات متواترة مروية من زمن النبى (ص) وعن أمير المؤمنين (ع) وكلها بأسانيد متصلة إلى الرسول (ص) وإلى أمير المؤمنين (ع) وإلى الزهراء ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ زين العابدين ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۱

الباقر ثمّ الصادق ثمّ الكاظم ... وهكذا بمعنى أن طرق الرواة إلى الصادق مثلًا دون أن يقع فيها موسى بن جعفر (ع) أو إلى السجاد دون أن يقع فيها الباقر والصادق (ع) وهكذا ... وحتّى عن نفس الإمام المهدى (ع) فى زمن الغيبة الصغرى يعنى مروية عن أربعة عشر معصوماً بطرق متعددة بل عشرات الطرق فهو تواتر بلا شكّ.

حاصل هذا التواتر أن للإمام المهدى (ع) غيبتين غيبة صغرى وغيبة كبرى، وأن التفريق أو الفارق بينهما أن الغيبة الصغرى يكون الخفاء فيها ليس تاماً لوجود تمثيل رسمى للإمام (ع) من خلال السفراء والنواب الخاصين وأن الغيبة الكبرى يكون الخفاء فيها تاماً، أى الانقطاع تاماً وقد أشير لذلك فى التوقيع الشريف حيث قال: «فقد وقعت الغيبة التامة» كما أن انتهاء الغيبة الصغرى يكون بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة فى حين انتهاء الغيبة الكبرى يكون بالبيعة للإمام (ع) وظهوره وإقامة دولته وبروز جهاز إدارته.

الدليل السادس:

إجماع الفقهاء على انقطاع النيابة حتّى أنهم أجمعوا على كفر وضلال مدعى السفارة والنيابة كما تأتى الإشارة لذلك تحت عنوان كفر مدعى السفارة.

إذاً الأدلّة متوافرة ومتكاثرة وقد أشرنا إلى العديد من ألوانها وأنواعها فى الجزء الأوّل من كتاب (دعوى السفارة) وكتاب (فقه علائم الظهور) وفى كتب أخرى، وهناك أدلّة أخرى لا نريد أن نستوعبها كلها هنا لضيق المقام، فيمكن مراجعة الكثير من المصادر فى ذلك ككتب الحديث والروايات كالغيبة للطوسى أو النعمانى وكتاب الفرق للنوبختى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۲

وكتب سعد بن عبد الله الأشعرى وغيرها، فإنّ دلالات كثير من الروايات المتواترة على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة فى الغيبة الكبرى بل كما ذكرنا بات انقطاع النيابة عند الإمامية ليس فقط ضرورة فقهية وإنما ضرورة عقائدية، وذلك لأهمية وخطورة مقام حجية النيابة الخاصة والسفارة حيث ينطوى على منبع ومصدر للتشريع وللولاية، فادعاء هكذا منصب مرتبط بأصل الاعتقاد بالإمام المعصوم.

منابع الشريعة ...: ص: ۴۶۲

بعد أن ثبت أن الله تعالى رسم وحدد للخلق طريق التكامل والتقرب إليه وهو العبادة، فإنّه تعالى حدد مع ذلك مصدر تحديد تلك العبادة المطلوبة، فليس صحيحاً بل قد يعد من الكفر أن يحدد الشخص طرقاً للعبادة غير الطرق التى بينها الشارع، قال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسُنّة محمّد (ص) فقد كفر» («۱») وعليه فلا بدَّ لعباد الله أن يتعبدوا بما يريد الله لا بما يريد العبد، ففى الحديث: «إنما اريد أن اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد» («۲») ولذا نجد الشارع المقدس عيّن منابع خاصة منحصرة لأخذ التشريعات وما عدا ذلك باطل، وسميت بمنابع الشريعة وهى:

۱ القرآن الكريم.

۲ السُنّة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول الأعظم (ص) وأقوال وأفعال وتقريرات الأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۳

وهذا ثابت بحديث الثقلين المروى عند العامة والخاصة بطرق مستفيضة ومتواترة، حيث ورد عن رسول الله (ص): «إنّى تارك فيكم

الثقلين كتاب الله (عزوجل) وعترتى أهل بيتى ألا وهما الخليفتان من بعدى ولن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض» («۱»).

وفى خطبة لأمير المؤمنين (ع) قال: «يا أيها الناس إنه بلغنى ما بلغنى وإنى أرَ أنى قد اقترب أجلى وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتى وهى عترة الهادى » («... ۲») فإنّ القرآن الكريم والسُنّة المطهرة فيها كل ما أراده الله من عباده وفيه أحكام كل الحوادث التى يتلقاها الإنسان فى حياته الدنيا.

قال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شىء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه» («۳»)، وقال (ع): «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سُنّة» («۴») وعليه فأىّ عمل لم يكن مستنداً لكتاب أو السُنّة فلا يقبل ويعد فاعله خارجاً عن جادة الصواب.

فعن رسول الله (ص): «لا قول إلّا بعمل ولا قول ولا عمل إلّا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلّا باصابة السُنّة» («۵») ومن هذه الروايات وغيرها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۴

نستخلص أن أىّ طريق للعمل أو العبادة يؤخذ من غير المعصومين فهو باطل، بل صاحبه خارج ضال مضل كما فى الرواية عن أبى جعفر (ع) أنه قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة» («۱») أى من تدين وعمل بحكم بغير المأثور من المعصومين جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر فى تيه مع كون ذلك اليوم فى أشد الحاجة إلى الأمان والقرار أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وما ذلك إلّا لأنّ منابع الشريعة فيها تبيان كل شىء وأن أخذ أىّ حكم من طريق آخر يلزمه ترك طريق شرعى، وترك حكم شرعى قال الصادق (ع): «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سُنّة» («۲») والحاصل أن طريق معرفة أحكام وتكاليف الله تعالى منحصرة بالقرآن والسُنّة وكل منهما راجع للمعصومين (عليهم السلام) فهم الحجة فقط فإنّ الله تعالى أمرنا بأخذ ما يأتينا به هؤلاء المطهرون دون غيره من الطرق والأساليب الأخرى، فإنّ الحجية لطريق المعصومين وما عداه من طرق حتّى لو كانت تكشف الغيب وتصل لمعرفة الأحكام أو غيرها فلا حجية لها.

عدم حجية تلقى غير المعصوم ...: ص: ۴۶۴

بعد أن ثبت انقطاع النيابة الخاصة بالأدلّة القطعية، بل إن انقطاع النيابة الخاصة والسفارة هو من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، يتضح بطلان ما قد يتوهمه جملة من دعوات الأدعياء المتقمصين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۵

المتوهمين وبعض الادعاءات والتخيلات من أنه نائب خاص للإمام أو سفير له أو يتوهم ويتخيل ذلك لغيره من المدعين ونحو ذلك من الرؤى فى المنام أو مشاهدة بعض الأفعال الخارقة بدعوى أنها معاجز أو أى دعوى للارتباط والاتصال بالغيب، اتضح بطلان كل ذلك لأنه بناءً على ما تقدم من تراتبية الحجج وأن تحكيم الحجة الأضعف فى مرتبة الأقوى هو ظنٌ وزيغ وتحكيمٌ للمتشابه على المحكم واليقينى، فانقطاع السفارة ثبت بالأدلّة القطعية بل صار من الضرورى، فلا يعارض ذلك توهمات المتوهمين بوجود بعض الأدلّة على نيابة أو سفارة أىّ كان، فإنّ المشاهدات وبعض الأفعال الغريبة لا تدانى الأدلّة القطعية وأنها أدلّة دون بالنسبة لأدلّة انقطاع السفارة الأعلى.

وهو نظير ما مرَّ من تفنيد القرآن وذمه النصارى واليهود لاستنادهم إلى الحس لحكمهم بقتل وصلب النبى عيسى (ع)، إذ بيّنا أن وجه الحكم بالبطلان وذم القرآن لهم مع أن الحس دليل يقينى هو أن الحس دليل يقينى فى نفسه أو بالقياس لما دونه أما بالقياس لما هو أعلى منه كاخبارات النبى الاعجازية فيكون ظناً وتحكيماً للمتشابه على المحكم فإنّ كشف الدليل الأقوى أثبت وأبين من الدليل

الأضعف، فبالتالى ما يترآى من الدليل الأضعف يكون وهماً وظناً وليس بيقين بل تشابه وشبهة وهو اصطلاح قرآنى خاص كما بيّنا.
لـذا فإنّ تلك الأدلّـة القطعيـة واليقينيـة لانقطاع السـفارة لا تضاهيها ولا تناهضـها أدلّـة المُـدعين، بل لا يوجـد أىّ احتمال لصـحة أدلّة المُدعين ولا يوجد أىّ ريب فى دجلهم وزيفهم.
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۶

افتراق الريب عن الفحص العلمى ...: ص: ۴۶۶

فمن الغريب أن بعض الباحثين بدعوى البحث الموضوعى يقول لا بدَّ من الفحص فى أدلّة المدعين للنيابة الخاصة أو السـفارة والتثبت من صدقها أو كذبها، وهذا الكلام وإن كان منطقياً بشـكل عام كميزان وضابطة فى التثبت والبحث لكنه ليس بصـحيح وليس بمنطقى إذ تلك الأدلّـة المُـدّعاة فى قبال أدلّـة يقينيـة عاليـة، فليس من الصـحيح ولا من المنطقى أساساً توهم واحتمال الصـحة فى أدلّة مُدّعى النيابة الخاصة بعدما ثبت انقطاعها بالأدلّة اليقينية العالية.
فمثلًا بعد أن ثبتت عقيدة التوحيد بالأدلّة اليقينية العالية فلو ادعى مدعى أن هناك إلهاً آخر وذكر بعض الأدلّة فهل من المنطقى التردد والاسترابة فى تلك الأدلّة بدعوى احتمال تماميتها وصدقها؟!
بل إن من يتوهم ذلك هو مريض أو متمارض فى الادراك فلا ريب ولا شكّ فى عـدم موضوعية هكذا بحث وأن من يحتمل صـحة البحث فيه فليس بسـليم العقـل إذ أن التردد والريب فى هكـذا اعتقادات ثبتت بالأدلّـة القطعيـة اليقينيـة كما قال تعالى: إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ («۱») فإنّ التردد فى الريب والاسترابـة حالـة مرضـية فى الادراك والعقل فليس من المعقول الاعتـداد بالسـفاسف والتفاهات واعتبارها أدلّـة فى مواجهـة أدلّـة يقينية قوية شديدة، نعم الفحص فيها لكشف المغالطات والزيف فيها منهج علمى لمن لديه القدرة العلمية والفنية.
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۷

رفع اليد عن أدلّة اليقين مقابل توهمات ...: ص: ۴۶۷

فمن التوصيات المنطقية ما جاء فى وصية أمير المؤمنين (ع) فى نهج البلاغة: «إذا استيقنت فامض على يقينك» («
»)، وهكـذا الكثير من الروايـات التى دعت إلى الاعتمـاد والاعتـداد بـاليقين والسـير عليه حتّى لو كـان فى قباله شكّ أو ريب إذ ما دام الإنسان اسـتثبت من اليقين ومن مناشـئه فعليه السـير دون الاعتداد بالتشكيك، فمن تلك الروايات «لا تنقض اليقين بالشكّ» («۲») نعم قبـل الاسـتثبات من اليقين فإنّ البحث والفحص منطقى ومعقول جـدّاً لئلّا يبقى متردداً فى البيان والبرهان فيكون كمن يعشو فى سـيره، لـذا لاـ بـدَّ من الالتفـات إلى جميع الاحتمالاـت لإثبـات الصـحيح والمنطقى فيهـا ليصل للبرهان اليقينى ويتثبت فيه ليسـير عليه، أما إذا استيقن الإنسان فلا بدَّ من المضى على ذلك اليقين وعدم نقضه بشكّ، فقوله: «لا تنقض اليقين بالشكّ» («۳») يعنى الشكّ الذى ليس له منشأ علمى يناهض ويقاوم اليقين ولا يساعـد على رفع اليد عن الأدلّة السابقة اليقينية، وإلّا فإنّ رفع اليد عن اليقين بذريعة البحث فى أدلّةٍ ضعيفة وهمية ليس حالة فحص علمى سليم سديد بل مرض فى العقل والادراك فهو لا يبصر البراهين اليقينية بما أعطاه الله من
، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۸
قـدرة الاـدراك وفطرة الركون لليقين، فهو كمن لا يسـتنير ولا يستصـبح بالنور، بل دوماً يسـير فى جانب الظلمـة تاركاً النور فهى حالة مرضية لعدم استثماره البصر وعدم استعانته بالنور.
فمع وجود الأدلّـة اليقينيـة على انقطـاع النيابـة الخاصـة والسـفارة فى عقيـدة الغيبـة لاـ معنى للريب والشـكّ ولاـ معنى لاحتمـال صـحة التوهمات والهلوسات كأدلّة للمدعين بها.

كما أنّا لو تنزلنا ونظرنا فى مناشىء تلك المُدعيات كالرؤية أو الأفعال الغريبة و ... نجد أنها فى نفسها ليست بحجة فضلًا عن مناهضتها للأدلّة اليقينية.

وبعبارة أخرى لنا معالجتان لهذه الدعاوى:

الأولى: أنها لو كانت حجة فهى أضعف من أن تناهض البراهين اليقينية المثبتة لانقطاع السفارة.

عدم حجية إلهام أو رؤية غير المعصوم ...: ص: ۴۶۸

والمعالجة الثانية: أن تلك الأدلّة فى نفسها ليست بحجة لأن مناشىء تلك المدعيات من قبيل الرؤية والإلهام اللدنى والاطلاع على الغيب من قناةٍ ما لا يكون ذلك صحيحاً وتاماً ومُعتبراً إلّا للأنبياء والأوصياء، فإنّ الوحى عبارة عن قناة روحية تربط وتوصل وتنفتح على الغيب وأما العلم اللُدنى فلا يكون إلّا عند الأنبياء والأوصياء أما بقية البشر من غير المعصومين فليس لهم طريق مضمون للغيب يرتبطون وينفتحون ويتصلون به على الغيب، فقد ذكر القرآن أن سبب انكار الأمم هو أن كل رجل منهم يريد أن تتنزل عليه صحف مُنشّرة وبالتالى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۶۹

فكلٌ منهم يريد أن يكون نبياً ليكون منفتحاً على الغيب فيطمئن به، قال تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً («۱»).

الارتباط بالغيب نبوة أم إمامة أم للكل ...: ص: ۴۶۹

ولكن واقع الحال عدم وجود القابلية لأىّ شخص أن يكون نبياً أو إماماً أو لديه ارتباط بالغيب، فإنّ ذلك تابع لمدى القوة الروحية والاستعداد الروحى للانكشاف على الغيب فإنّ أرواحنا لا شكّ ولا ريب متصلة بعوالم أخرى ولنا قنوات توصلنا إلى الغيب ولا شكّ فى ذلك ولكن الكلام كل الكلام فى عدم وجود قدرة ضامنة لصواب وواقعية هذا الاتصال والارتباط بتلك العوالم وما تصلنا من معلومات من ذلك الغيب كيف نطمئن على صحتها وأنها عن إرادة الله وقضاءه وقدره ومشيئته؟

فإنّ كل ما نستلمه من خواطر وإلهامات وتخيلات وصور منامية أو صور فى اليقظة ومكاشفات وسلوكيات وغيرها ليس لها أىّ ضمانة فى الصواب والسداد، وليس لها أىّ مدار فى الحجية بل لا- اطمئنان على صحتها، لأنها تلقّى غير المعصوم، ولو فرض أنه من قبل المعصوم فإنّ التلقى والارتباط بالغيب ليس فيه زللٌ ولا- خللٌ ولا خطل ولا أىّ احتمال الانحراف إذا كان تلقى معصوم من معصوم فحينئذٍ يكون التلقى معصوماً، كما هو الحال فى تلقى المعصومين (عليهم السلام) لذا كان تلقيهم حجة واعتبر هو منبع الشريعة الوحيد.

أما تلقى غير المعصوم فهو وإن فرض كونه من المعصوم لكن ما الدليل على أن ذلك المتلقى بتناول غير المعصوم صحيحاً وليس من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۰

أفاعيل الشياطين؟! ومثال ذلك ما يشاهد من الرواة الذى يروون الروايات عن المعصومين (عليهم السلام) السابقين فإنهم رغم تلقيهم ألفاظ الحديث سماعاً من فم ولسان المعصوم إلّا أن تلقيهم مختلف وفهمهم مراد المعصوم مختلف كما ورد: «ربّ حامل علم ليس بفقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» («۱») أى لا يفهم ولا يعى المراد مما سمعه من ألفاظ، بل إن ضبط ألفاظ الكلام الذى يسمعونه من لسان المعصوم مختلف من راوى لآخر، ومن ثَمَّ كانت درجة حجيّة الرواية التى يرويها الراوى درجة ظن وليس بيقين، فإذا كان هذا حال تلقى الراوى غير المعصوم عن المعصوم (ع) فى حال اليقظة فكيف بحال النوم ورؤيا المنام مع الشكّ فى أن تلقيه هل هو عن المعصوم أم عن الشياطين والجن أو أحاديث النفس؟

فإنّ الشياطين تنفث فى النفوس ويتخيل أن ذلك من الله تعالى ولا قدرة لتمييز ذلك إلّا للأنفس الطاهرة المطهرة، فإنّ غير المعصوم من سائر الناس ليس له حظ من الرؤيا الإلهية ونحوها للأحكام الشرعية وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين، فقد

أشار القرآن الكريم إلى عدة من أفعال الشياطين التى تقع على العباد منها:

قال تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ («۲»).

وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («۳»).

وقال تعالى: كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۱

وقال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ («۱»).

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ («۲»).

وقالى تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («۳»).

وقال تعالى: لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقاقٍ بَعِيدٍ («۴»).

وقال تعالى: وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ («۵»).

وغيرها من الآيات التى تبيّن أن الشياطين يوحون وبطرق مختلفة كالخواطر والميول والرؤى و ... للنفوس المريضة والضعيفة والتى على طريق الزيغ، وعن الباقر (ع) قال: «لما ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفة الله الذى بعثه للعدل والصواب من الملائكة» قيل: يا أبا جعفر وكيف يكون شىء أكثر من الملائكة؟ قال: «كما يشاء الله (عزوجل)»، قال السائل: يا أبا جعفر، إنى لو حدّثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون إن الملائكة أكثر من الشياطين، قال: «صدقت افهم عنّى ما أقول لك، إنه ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۲

الجن والشياطين تزور أئمّة الضلالة، وتزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة، حتّى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قيض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم ثمّ زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلَّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سأل ولى الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتّى يفسر له تفسيراً ويعلمه الضلالة التى هو عليها» («۱»).

فبعد كل ذلك أىّ مجال يبقى للاطمئنان لرؤى ومكاشفات غير المعصوم الذى لا يميز نفث الشياطين من عالم الغيب الحق.

لذلك فإنّ مكاشفة المكاشفين والعرفاء والصوفية من إلهامات وخواطر ليست ذا مدار وضابطة فى الحجية فإنّ كثيراً من أصحاب السير والسلوك والتصوف والرياضات يقعون فى انحرافات وأخطاء نتيجة تعويلهم على ما يتلقونه من خواطر والهامات ومكاشفات، فإنّ نفس الصوفية والعرفاء ذكروا ذلك مثلًا القيصرى فى شرح كتاب ابن عربى وكذلك الغزالى وابن عربى نفسه وغيرهم ذكروا بأن مكاشفات غير المعصوم ليست بمعصومة فلا بدَّ أن توزن وتعرض على محك كشف المعصوم وهو القرآن والسُنّة لأن القرآن والسُنّة هو تلقى المعصوم عن الله تعالى وعن الغيب، ولا ريب ولا شكّ فى عصمة هذا التلقى والمتلقى، لأن قدرة المعصوم معصومة وغير محدودة فى تلقيها عن الغيب كما يصف القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («۲») بيان لاحاطة المعصوم.

وبعبارة أخرى بمثال حسّى: إن درجة استقبال وتلقى المعصوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۳

كالرادار فى الكشف وغير المعصوم كالمايكروفونات البسيطة التى تشوش بأدنى ضغط وتكدس من الأمواج، فللمعصوم روح واسعة محيطة فيها استعداد الكشف والابصار القلبى لكل زوايا العرش والكرسى والسماوات وجهنم والصراط والميزان والبرزخ والموت وتطاير الكتب والحور والملائكة، فإنّ أرواح المعصومين ليس كأرواحنا إذ لها قدرة الاطلاع على عوالم أخرى دون أن تضعف أو تتردد كما روى عن أمير المؤمنين (ع) حيث يقول: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقيناً» («۱») أى إنه مطّلع على تلك العوالم غير

عالم الدنيا فلا يؤثر على اعتقاده وروحه إذا كشف له الغطاء وليس كبقية البشر الذين لم يطلعوا على شيء من تلك العوالم، وأن الله لم يطلعهم على شيء منها لضعف نفوسهم وأرواحهم.

وفى رواية أخرى أن شخصاً كان يسير مع الإمام الصادق (ع) فمروا بمقبرة بين مكّة والمدينة فسأل الشخص الإمام (ع) عن حالهم فقد روى عن عبد الله بن بكير الأرجانى، قال: صحبت أبا عبد الله (ع) فى طريق مكّة من المدينة، فنزلنا منزلًا يقال له: عسفان، ثمّ مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا بن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت فى الطريق مثل هذا، فقال لى: «يا بن بكير أتدرى أىّ جبل هذا»، قلت: لا، قال: «هذا جبل يقال له الكمد، وهو على واد من أودية جهنم، وفيه قتلة أبى الحسين (ع)، استودعهم فيه، تجرى من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۴

الجوى، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة الخبال، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل فى سفرى فوقفت به إلّا رأيتهما يستغيثان إلىَّ، وإنى لأنظر إلى قتلة أبى وأقول لهما: هؤلاء فعلوا ما أسستما، لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتمونا، ووثبتم على حقنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدمتما، وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرعا واستكانة الثانى، فربما وقفت عليهما ليتسلى عنّى بعض ما فى قلبى، وربما طويت الجبل الذى هما فيه، وهو جبل الكمد».

قال: قلت له: جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع، قال: «أسمع أصواتهما يناديان: عرج علينا نكلمك فإنّا نتوب، واسمع من الجبل صارخاً يصرخ بى: أجبهما، وقل لهما: اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ («۱»)».

قال: قلت له: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: «كل فرعون عتى على الله وحكى الله عنه فعاله وكل من علم العباد الكفر».

فقلت: من هم، قال: «نحو بولس الذى علم اليهود إن يد الله مغلولة، ونحو نسطور الذى علم النصارى إن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ونحو نمرود الذى قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من فى السماء، وقاتل أمير المؤمنين (ع)، وقاتل فاطمة ومحسن، وقاتل الحسن والحسين (ع)،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۵

فأما معاوية وعمرو فما يطمعان فى الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله».

قلت له: جُعلت فداك فأنت تسمع ذا كله ولا تفزع، قال: «يا بن بكير إن قلوبنا غير قلوب الناس، إنّا مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون، وإن الملائكة تنزل علينا فى رحالنا وتتقلب فى فرشنا، وتشهد طعامنا، وتحضر موتانا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلى معنا وتدعو لنا، وتلقى علينا أجنحتها، وتتقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا مما فى الأرضين من كل نبات فى زمانه، وتسقينا من ماء كل أرض نجد ذلك فى آنيتنا.

وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلّا وهى تنبهنا لها، وما من ليلة تأتى علينا إلّا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها، وأخبار الجن وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت فى الأرض ويقوم غيره إلّا أتانا خبره، وكيف سيرته فى الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلّا ونحن نؤتى بخبرهم» («۱») يعنى نحن غير المعصومين لو سمعنا ذلك لصعقنا ولما بقيت أرواحنا فى أجسامنا، أى لوقع الموت لنا لعدم إمكان تحمل ذلك، أما المعصومون (عليهم السلام) فلهم القدرة على أن يروا تلك العوالم.

وإنَّ قابليات غير المعصومين الروحية أيضاً تختلف فى قوتها واستعدادها للاطلاع على العوالم الأخرى والأسرار كما فى الفرق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۶

سلمان وأبى ذر حيث ورد: «لو علم أبو ذر بما فى قلب سلمان لكفره أو لقتله» («۱») أى إن أبا ذر لا يتحمل ما يتحمله سلمان من علوم وأسرار، وهكذا فإنّ أعلى حالات النفوس القوية موجودة عند المعصومين (عليهم السلام) فلهم عدسة قوية دقيقة لا يخفى عليها شيء،

فى حين أن القرآن يصف الشياطين أو الجن بقوله تعالى: لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ* دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ («۲») فللشياطين والعفاريت قوة كشف أيضاً ولكنها لا تُقاس بقوة كشف المعصوم إنما هى حاصلة من خطفة بسيطة أى قبسة فإنّ غير المعصوم حتّى لو كانت عنده خواطر وتمثلات وانكشافات ويرى ما لا يراه الناس مع أنها كالقطرة فى المحيطات اللامتناهية، فما الكاشف له أن تلك الرؤى والخواطر والغيبيات التى هى كالقطرة أنها من الله تعالى أم من الشياطين والعفاريت؟، فإنّ بعض الرؤى والانكشافات قد تصدق لأنه هناك خطفة من الغيب ولكن الخطفة الشيطانية أو من الجن شىء والوحى النبوى شىء آخر فكثير من عموم الناس وآحادهم إما يغتر أو يُغرر به أنه انكشف له شىء وعلم أموراً غريبة فيرى أن تلك الانكشافات انكشافاتٌ بوحى أو علم لدنى أو ... الخ، لكنه لا يُميّز أن الموصل إليه هل هو الشيطان أم من ؟ ... لأن روحه ليس فيها استعداد التلقى، فإنّ نفوس غير المعصوم لم تطلع على تلك العلوم والمباحث، فبمجرد اتصاله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۷

بقناةٍ غيبية يرتبك وتضطرب عنده الموازين، فلعله نتيجة ذلك يبتدع شريعة جديدة وعقيدة جديدة وبعثة جديدة.

فإنّ التعامل مع الانكشاف الغيبى مختلف حتّى بالنسبة للمعصومين فكيف بغير المعصومين، فإن المعصومين يختلفون بحسب مراتبهم وقوة وشدة استعدادهم للتعامل مع تلك الغيبيات ودقة موازينهم فى التثبت والتعامل مع ما يلقى إليهم، قال تعالى: وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدينَ* فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً («۱»)، فبيّن تعالى تفاوت علم داود عن علم سليمان مع أن كلًا منهما آتاه الله العلم والحكم إلّا أن ما أوتى سليمان ناسخ لما أوتى داود وأرفع منه، وكذلك قال (ص): «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتّباعى» («۲»).

فإنّ نفوس المعصومين على عظمتها وقوتها لهم مواقف مختلفة فى التعامل مع الغيبيات، فرغم علمهم بالغيب فإنّ تعاملهم معه يختلف بحسب اختلاف أرواحهم ونفوسهم فإنّ أرواحهم لما لها من الاستعداد فإنّها ترقى وتعرج إلى عوالم أخرى غيبية مهولة دون أىّ ارتباك ولا أىّ اضطراب لأنها نفوسٌ عظيمة معدّة للوحى والنبوة والانكشاف على الغيب، أما غير المعصوم من نفوس البشر الأخرى فبمجرد اختلاف المشاهد تضطرب عنده الموازين فقد لا يحتاج غير المعصوم لانزلاقه وانخداعه إلى أكثر من إثارة بسيطة وجمالٍ خداع ولو كان زائفاً، إذ لا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۸

يستطيع التثبت أمام هذه الإثارات البسيطة، فما بالك لو تمثلت له بعض صفحات الدنيا بجمالها وقالت له: أنا الدنيا، فهل يبقى على تثبته وتمييزه ويقول إليها إليك عنّى أم ماذا؟!

فإنّ غير المعصوم لعدم استعداده وعدم قوة نفسه بل لضعف نفوس غير المعصومين فبمجرد اختلاف المشاهد يحصل الهلع والجزع والفزع والرعب والاضطراب، ففى تلك الحالة إذا ألقى له شىء من الغيب هل له أن يميّزه أنه من الله أم من الشيطان؟، فإنّه قد تظافرت الروايات فى أن الرؤى سواء أكانت رؤى فى المنام أم فى اليقظة أم غيرها منها ما هو حديث الشيطان وإفكه وتنزيله، ومنها ما هو حديث النفس ومنها ما يكون رؤى صادقة سواء أكانت فى اليقظة أم فى المنام.

أما ما هو حديث الشيطان؟ فإنّ الشيطان يلقى لأوليائه الإفك والإثم قال تعالى: وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ («۱») وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («۲») فإنّ الشياطين يلقون لأوليائهم الإفك والإثم.

وأما حديث النفس، فإنّ النفس بما أودعت من قوى وغرائز فهى كأنما ذوات متعددة وليست ذاتاً واحدة، فالنفس البشرية بسبب ما جهزت به من غرائز وقوى فكأنما كل قوة هى ذات من الذوات وجوهر من الجواهر وهذه النفس إذا طاشت أو جمحت تسول للإنسان من تساويل ورؤى حتّى فى اليقظة، والإنسان لخلوه من قدرة التمييز يحسب ذلك من الغيب وكشف الستور فى حين أنها من ألاعيب النفس الإنسانية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۷۹

تفاوت درجات الصدق ...: ص: ۴۷۹

وأما الرؤى الصادقة فهى وإن كانت ممكنة وقد تحصل سواء فى المنام أم فى اليقظة لكنها إضاءة ضيقة جزئية محدودة من بحر فضاء لا متناهى لا يمكن التعويل عليها، لأن الصدق له مراتب، فصدق المعصوم كالمحيطات أما غير المعصوم فضعيف يتبدد بأدنى شىء، لذا ورد فى القرآن الكريم: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا («۱») فأصدقية الله تعالى لا تضاهيها أىّ مصداقية لأنه يحيط بكل الواقعيات وكل المخلوقات، أما نحن فاحاطتنا صغيرة إذ نحن لا نحيط حتّى بكيفية ولادتنا ونشأتنا وإنّا من أين جئنا وإلى أين نتجه حتّى لو كنّا صادقين وعدولًا، فاحاطتنا ضعيفة قليلة فكيف ندعى علمنا بالاطلاع على ذلك.

أما إحاطة المعصوم فواسعة فإنّهم هم الصدّيقون بعد الله تعالى، بل إن الأئمّة (عليهم السلام) هم كبراء الصديقين، كما فى بعض الزيارات («۲») يعنى يحيطون بالكتاب المبين واللوح المحفوظ، والقرآن نفسه شهد لهم بالطهارة ثمّ شهد لهم بأنهم هم الذين يدركون ويفهمون القرآن قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («۳») ثمّ قال تعالى: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۰

لذا فلا اعتداد ولا اعتبار بتلقى غير المعصوم وليس له أىّ مدار فى الحجية لعدم الاطمئنان بكونه تلقياً صادقاً إذ هم أنفسهم يخطئ بعضهم بعضاً، فكم من الصوفية والعرفاء وحتّى أصحاب السير والسلوك وحتّى أصحاب الرياضات نجد بينهم تضارباً لا ينتهى ولا يرتفع، فكل منهم يخطىء الآخر لأنهم غير معصومين.

ضعف ومحدودية الإدراك القلبى لغير المعصوم ...: ص: ۴۸۰

وبمثال حسى لتضارب الأقوال عن الغيب كما يقال: إن أشخاصاً وجدوا فيلًا فى ظلام فاعتمدوا على اللمس فى تشخيصه، فلمس أحدهم ذنبه فقال: إنه مخلوق صغير، ولمس بعضهم خرطومه فقال: إنه متوسط، وآخر لمس رجله فقال: إنه مخلوق كبير، ولمس الآخر بطنه فقال: إنه عظيم بل إنه سينفجر...

وما ذلك إلّا لعدم الاطلاع والكشف التام وإنما اعتمد كل منهم على ما انكشف له واطلع عليه من طريق ضيق وحكم بموجبه حكماً عاماً.

فهكذا غير المعصوم وأصحاب النفوس الضيقة و ... فإنّهم إن حصل لهم كشف للغيب فهو كشف ناقص لا يصلح ليكون حكماً صادقاً حقاً يعتمد عليه ويطمئن له.

أما المعصوم فله الاحاطة التامة والانكشاف التام، فمثلًا كأنه يرى ذلك المخلوق بتمامه، يرى ذلك المخلوق فيحكم بأنه فيل على ما هو فى الحقيقة لأنه مطلع على تمام حجمه لأنه يراه ببصيرته بل يكون له نور يكشف له فيرى ببصره، لأن كشف ورؤية المعصوم فيها إحاطة قال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۱

تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («۱»)، وَما مِنْ غائِبَةٍ فِى السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («)، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ («۳»).

لا مثل غيره يعيش فى ظلمة وكدورات النفس ويريد الاطلاع وإيجاد قناة غيبية.

كشف المعصوم القرآن والسُنّة ...: ص: ۴۸۱

ومن العجيب أن غير المعصوم يدعى التلقى والكشف ويحاول اتّباع ما تلقاه مع علمه بضعف نفسه وعدم استعدادها ويترك تلقى المعصوم الذى هو الكتاب والسُنّة المطهّرة من أحاديث النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) فأىّ قناعة له أو لمن يتبعه بترك تلقى المعصوم واتّباع ما عنده من هلوسات أو خواطر أو رؤى منامية لا اطمئنان بصحتها فعندنا القرآن والسُنّة التى هى كشف حقانى لأنها وصلت إلينا بتلقى المعصوم عن المعصوم فلا حاجة حينئذٍ للاعتماد على تلقى غير المعصوم وإن توهم وارتسم له أنه عن المعصوم، فإنّ المشكلة فى المتلقى (الرادار أو اللاقطة أو الساحب) فهل لديه نفس قوية ترى الملقى إليه على ما هو عليه أم نفسه ضعيفة لا استعداد لها فتقلبه وتزيفه، لذلك تكرر فى القرآن قوله تعالى: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً («۴») أى ما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۲

أنزل من الغيب والكشف هو فى نفسه حقٌ وجاء ونزل فى طريقٍ حقانى غير مشوب بعبث الشياطين وكدورات النفوس الضعيفة وضيق وتلوث أوعية الاستقبال، فهو نظير المرآة فهناك نوع منها سليمة صحيحة غير مشوبة تعكس الصور على ما هى عليها كنفوس المعصومين مثلًا، فى حين هناك نوع آخر من المرايا مشوب وليس منتظماً فتعكس الصور بشكل مقلوب أو تضخمها وتكبرها أو تضعفها وتصغرها أو تعطيها ألواناً أخرى بل أحياناً بعض الصور تمسخ عن حقيقتها أصلًا فترى صورة الإنسان كأنه جنّى وقد تظهر القبيح جميلًا، كما قد تظهر الجميل قبيحاً.

فهكذا نفوس البشر قد ترى الغيب كهذه المرآة، فإنّ الغيب واحدٌ بالنسبة للمعصوم ولغير المعصوم ولكن الكلام فى المستقبل إذ لا ضمان لأن تكون تلك النفوس ترى الغيب على ما هى عليه، هذا لو كان الملقى صادقاً فتكون المشكلة فى المتلقى الذى يتلقّى، أما إذا كان التلقى من إيحاء الشياطين فكما أن أولياء الله تتنزل عليهم أنوار إلهية فإنّ أولياء الشياطين تتنزل عليهم الآثام والإفك، فإنّ الإثم فى نفسه كذبٌ، فأولياء الشياطين يحسبون ما القى لهم ملائكة ورسل غيب من الله فى حين أنها شياطين إذ ليس له قدرة التمييز والتفريق بين إيحاءات الشياطين وبين الأنوار الإلهية.

سبب اختلاف المعصوم فى التلقى مع غيره ...: ص: ۴۸۲

لذلك فإنّ علماء الرؤية يقولون: كلما ازداد الإنسان صدقاً فى قوله وتعبيره وأمانته ووفائه وسلوكه وتعاملاته وتوجهاته لله وقربه للحق والحقيقة فإنّه يرى الرؤى الصادقة، وكلما زل لسانه وارتكب المعاصى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۳

وابتعد من طريق الحق والحقيقة وابتعد عن الله رأى أموراً خاطئة وباطلة، أما المعصوم فحيث إنه لا يرتكب أىّ معصية وأىّ ذنب فإنّه لا يرى إلّا الحق والصدق والرؤى الصادقة، لذا تكون مرآته صافية جلية ويرى بإحاطة شمولية الأمور على ما هى عليه، من هنا كانت رؤى الأنبياء رؤى صادقة وحيانية كقوله تعالى: وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ («۱») بالنسبة لرؤية النبى إبراهيم (ع) وكقوله تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ («۲») بالنسبة للنبى محمّد (ص).

وعليه فإنّ رؤيا الأنبياء والأوصياء حجة لأنهم بلغوا من الصدق مقاماً عالياً جدّاً ولما لم يكن عندهم أىّ إثم ولا إفك فلا تتنزل عليهم الشياطين ولا تكون قنوات كشفهم عن الغيب إلّا قنوات سليمة صحيحة يرون من خلالها الحق فقط.

العدالة تغاير العصمة ...: ص: ۴۸۳

أما غير المعصوم فمهما يكن من الاستقامة لا يُؤمَّن كشفه حتّى العادل لا يمكن الاطمئنان لقناته الغيبية إذ العدالة غير العصمة فإنّ

العدالة وإن كانت هى الاستقامة على جادة الشريعة وعدم ارتكاب المعاصى إلّا أن ذلك لا يعنى عدم ارتكاب المعاصى والأخطاء من دون شعور وبالتالى فإنّ ذلك يكدر نفسه وروحه من حيث لا يشعر حتّى لو لم تسجل عليه عقوبة فإنّه يعذر عن العقوبة لعدم علمه أى لجهله بذلك الفعل أنه يسبب غضب الله والكدورات النفسية ولكن ذلك لا يمنع من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۴

تكدر وتلوث النفس بتلك الأعمال وبالتالى لا تكون قناته للغيب سليمة صافية.

فلا بـدَّ للإنسان غير المعصوم أن لا يغتر ولا ينخـدع ببعض الانكشافات والرؤى فيعتبرها غيباً ما بعده غيب، ووحياً ليس فوقه وحى وأنه صار نبياً أو نحو ذلك ويتأول الضروريات والحقائق الدينية بالباطل ويتمرد عليها.

فقد يكون للإنسان شىء من التقوى فيحسب أن تقواه وورعه سبب انكشاف الغيب له فيؤمن به ولكنه ليس صحيحاً فإنّ تلك لو كانت تقوى وورعاً لاتّبع القرآن الكريم والسُنّة لأنها تلقّى معصوم عن معصوم، فهى كشف صادق وحق لا ريب فيه فى حين أن ما تلقّاه غير المعصوم هو تلقى لا يتحصن أن يكون من الشيطان أو الجن أو العفاريت ... فلا ضمانة فيه.

فليس من العقـل ولاـ من المنطق ترك ما هو برهانى ويقينى وهو كتاب الله الـذى لا يغادر كبيرة ولا صـغيرة واتّباع خطفـة مكاشـفة أو رؤيا أو نحو ذلك ظانين أنها قطرة صادقة.

فلاـ نمنى أنفسـنا بمقامـات المعصـومين مـن الأنبيـاء والأوصـياء فتسـول لنـا أنفسـنا أن تنفتـح لنـا قنـوات الغيب ولاـ نتـوهم ذلـك لغير المعصومين (عليهم السـلام) فأين نحن من سيد الأنبياء وأين نحن من سيد الأوصياء وأين نحن من الأئمّة المعصومين فإنّ الغيب شاسع مهـول ودخـوله والتوسـط فيه ليس موفـوراً ميسوراً، فلاـ يمكن لغير المصـطفين الأخيـار الـذين اصـطفاهم الله تعـالى بعلمه ليكونوا هم القنوات السليمة والحقانية لارتباط جميع المخلوقات بالواحد الأحد الله سبحانه وتعالى وذلك لما لهم من قوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۵

النفس والاسـتعداد الحاصل من طهارة النفس فهم (عليهم السـلام) ليس كبقيـة البشـر روحاً بل حتّى جسـداً فإنّ الرسول الأعظم (ص) عرج بجسده فضـلًا عن روحه إلى سـبع سماوات فهو ليس بالإنسان العادى حتّى تسوّل نفوس البعض الانكشاف على الغيب لمجرد أنه اتقى أو عمل صالحاً أو قام برياضة عبادية أو روحية أخرى ... فإنّ لكل ذلك أجراً عند الله وآثاراً حسـنة على الروح، لكن ليس للحد الذى نغتر به وندعى الاتصال بالغيب بمجرد أن تحصل لنا رؤيا أو ومضة مكاشـفة أو ... فإيّانا إيّانا أن نقع فى حبائل الشـيطان، ونغوى أنفسنا ونغوى الآخرين ونترك الثوابت والبراهين والضروريات مما حصل عن طريق معصوم وهو القرآن والسُنّة.

العلوم الغريبة المكتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ۴۸۵

فـالقرآن هو البرهان الواضـح والمحجـة البيضاء وقـد أعجز البشـر أربعـة عشـر قرناً بما ضـمن من علوم معجزة ودلائل إعجازيـة متنوعة ومتكـثرة فلاـ يعقـل ولاـ من المنطقى ترك هـذا الوحى وسُـنّة المعصومين من الأنبيـاء والأوصـياء واتّبـاع الهلوسـة والمهلوسـين والجن والمجننين والشـيطان والمتشـيطنين سواء أكانت من رؤى أم مكاشـفات، وتنويم مغناطيسـى أو تحضـير أرواح أو تحضـير جن أو علوم غريبة كعلم الجفر أو علم الرمل أو علم التوسم أو علم الحروف أو علم الطلسمات أو علم العزائم أو علم البيوت أو علم التنجيم أو علم الكيمياء وغيرها من العلوم التى لا تكون كاملة وتامة إلّا عند المعصومين أما عند غيرهم فهى ناقصة منقوصة، فنحن لا ننفى هذه العلوم وقـدرتها الجزئيـة المحدودة وإمكانها المتواضع فى كشف بعض يسـير من شؤون بعض الأشـياء لكنها لا تعطى البرهان المحيط القاطع ولا تكشف كشفاً مفيداً للحجية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۶

نعم قـد تكشف لصاحبهـا بعض الأشـياء لكن يجب أن لاـ يغتر بـذلك فليس هو الغيب ولاـ الواقع ولا هو كل العوالم فمثلًا فلان كتب

بعض القضايا فى الجفر أو علم الحروف أو ... فعلم أن فلاناً سيموت أو سيولد له كذا أو غير ذلك، لكن ثمّ ماذا بعد ذلك؟ هل صار بذلك نبياً، هل به علم طريق الجنّة وطريق النار، هل صار عنده علم الأوّلين والآخرين وهل ؟...

توصية روايات الظهور بخطورة الدجل ...: ص: ۴۸۶

قد أكّدت الروايات الواردة فى علامات الظهور على أنه يتميز زمان الظهور بأنه زمان يبلغ فيه التحايل والحيلة والدجل والمكر والخديعة والتزوير والشيطنة حدّاً لم تبلغه عصور البشرية كلها ومن ثَمَّ فإن ما يعرف بالدجّال هو من سمات عصر الظهور، وكون رأس الشر فى عصر الظهور موسوم بالدجل يبيّن أن السمة البارزة للناس فى ذلك العصر هو الخداع والمكيدة، وقد بيّنت الروايات الواردة عند الفريقين أن الدجّال عمدة أدواته السحر والشعبذة وهو مؤشر على كثرة تعاطى السحر فى عصر الظهور لاسيّما من أدعياء المقامات الدينية نظير الدجّال الذى يدعو إلى طاعته والولاء له بنحو مطلق ولا يخفى أن للسحر تأثيراً يشتبه فيه الكثير مع المعجزة والكرامة، فها هو القرآن يحدّثنا عن النبى موسى (ع) وهو نبى من أولى العزم والذى لا يتسلط الشيطان على عقله ولا قلبه لعصمة الوحى ولكن رغم ذلك ورغم حصانة العصمة قال تعالى: فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى* فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى* قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى* وَأَلْقِ ما فى يَمِينِكَ تَلْقَفْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۷

ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى («۱»)، وقال تعالى فى شأن النبى أيّوب: وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ («۲»)، فالنبى وإن لم يسيطر عليه الشيطان والسحر إلّا أن التخييل والإخافة ومسّ بدنه بالضرّ والمرض، وكيد السحر يكابده النبى ويصارعه كما يكابد قتال الكفار فى ميادين الحرب بالسيوف والرماح، فكيف الحال فى غير الأنبياء وغير المعصومين، ولاسيّما مواجهة السحر واستخدام الشياطين كما قال تعالى: وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً («۳»)، أن هناك من الرجال والبشر يلوذون ويستعينون بالجن والشياطين لمآربهم وخداعهم ومكيدتهم.

ماذا يعنى هذا فى قبال علم المعصومين بكل ما كان وبكل ما يكون وما لهم من الاحاطة بكل العوالم الغيبية كما فى قوله تعالى: وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فى إِمامٍ مُبِينٍ («۴»)، وقال: وَما مِنْ غائِبَةٍ فِى السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فى كِتابٍ مُبِينٍ («۵»)، وقال: حم* وَالْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ («۶»)، وقال: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («۷») وغيرها لكن للأسف بعض النفوس المريضة والضعيفة تنخدع وتغتر بذلك فيهتمون بمثل هذه

السفاسف ويتركون ما هو خير لهم من ذلك فإنّ القرآن الكريم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۸

والروايات تؤكد أن الصلاة والصوم والحج وزيارة المعصومين (عليهم السلام) وغيرها من العبادات لها آثار أعظم مما يتخيل هذا البعض المنخدع بتلك التفاهات والسفاسف فضلًا عن نور معارف القرآن والروايات، فليس من العقل ترك تلك العبادات والمعارف التى فيها كشف كل العوالم بتوسط الوحى وعدم الاهتمام بها وإعطاء شىء من الاهتمام لمثل هذه العلوم الغريبة أو غيرهما بتوهم وظن أنها تكشف لنا الواقع أو تعطينا طريقاً للواقع.

التشرف برؤية الإمام المهدى (ع) لا يعنى الحجية ...: ص: ۴۸۸

قلنا: إن مصادر التشريع منحصرة بتلقى المعصوم عن الحق تعالى، أما تلقى غير المعصوم فليس له حجية لأن الله تعالى أمرنا بالأخذ من ذلك الطريق وهو التلقى الحسى من المعصوم وكل ما عداه غير معتبر عنده تعالى.

ولكن هذا لا يعنى عدم إمكان الإطلاع مثل الجن والشياطين والكهنة على بعض قطرات من الغيب كما قال تعالى: إِلَّا مَنْ خَطِفَ

الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ («۱») ولكن كل ذلك لا حجية له ولا يوجب علماً صحيحاً تاماً.

ونفس هذا الكلام نقوله فى انقطاع السفارة فإنّه بعد أن ثبت بالدليل وصار من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ ذلك لا يعنى عدم إمكان التشرف برؤية الإمام المهدى (ع)، بل هو ممكن ولكن

ذلك لا يعنى أىّ منصب أو عنوان من عناوين الحجية بل غاية ما فيه أنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۸۹

يتشرف بالرؤية فحسب، وهذا التشرف من الأمور الواقعة لكثير من العلماء وغيرهم من المؤمنين وقد ذكرت المئات بل الآلاف من القصص والحكايات والمواقف والمشاهدات من هذا القبيل وما ذلك إلّا لأن المناصب الدينية والحجية لها أنظمة خاصة ومراتب خاصة لا تحصل بمجرد الرؤيا.

رياضات النفس وفعل الأعاجيب ...: ص: ۴۸۹

يذكر أحد وكلاء المراجع والفقهاء وكان فى باكستان والهند يذكر ذكريات السنين التى كان يعيشها هناك فى الهند وباكستان عن جملة من المرتاضين غير المسلمين بل من الكفار والهندوس فإنّهم كانوا يستطيعون ببعض الرياضات أن يوقفوا قطاراً ومنعه من السير وتعطيل طائرة عن الطيران، وقدرة على قراءة الخاطر والضمير وقراءة أعمال الأشخاص الماضية منذ طفولته أو قراءة بعض الحوادث المستقبلية وغير ذلك الكثير من الأعاجيب، أو يسخر جملة من الشياطين والجن كفعل الكهانة والكاهن، لكن هذا لا يعنى أن هذا الشخص المرتاض له وحى أو له ولاية تكوينية أو، ... بل هذه نتيجة رياضات النفس، فإنّ للنفس قدرات عجيبة إذا روضها الشخص برياضات خاصة يستطيع فعل الأعاجيب، فإنّ أحد المرتاضين مثلًا كما يذكر ذلك من ذهب للهند يستطيع أن يبقى فى القبر ستة أشهر من دون أىّ طعام ولا- شراب بل حتّى من دون تنفس فإنّه بالتنويم المغناطيسى استطاع ترويض نفسه على ذلك وغيرها من الأفعال التى يفعلها البعض كبلع المسامير وإدخال

السيف فى الجسد أو يخبر عن مواقف وأفعال الآخرين الماضية من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۰

خلال الكلام مع الجن أو القرين ممن قد يخطف الخطفة كما ذكر ذلك القرآن الكريم، فإنّ مثل هذه الأفعال الخارقة والعجيبة ليست ببعيدة عن السحرة والجن والعفاريت كما يقول القرآن الكريم فى عرش بلقيس: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ («۱») فهذا عفريت من الجن من الشياطين وليس من الملائكة وليس من المهتدين وليس من الطائعين بل عفريت من الشياطين وعد بأن يأتى بعرش بلقيس من اليمن قبل قيام النبى سليمان (ع) من مجلسه أى فى ظرف ربع أو نصف ساعة، ولكن هذا هل يعنى أن ذلك العفريت صار جبرائيل أو صار وحياً أو نحو ذلك؟ كلا فإنّه عفريت من الشياطين ليس إلّا، فكل ذلك ليس وحياً ولا نوراً يكتشف به الواقع والغيب كما يتصور بعض السذج والمغرر بهم، بل هى من امتحانات الله التى يبتلى بها الناس ليمتحن بصائرهم فإنّ مثل هذه الأعمال قد تكون للعفاريت والجن والكفار المرتاضين و ... ولا تكون لبعض المؤمنين وليس له القدرة على إنجاز شىء أبسط من ذلك، ولكن مع كل هذا فإنّ المؤمن الضعيف الذى ليس له أىّ قدرة يكون ناجياً فى الآخرة ومن أصحاب الجنّة ورضوان الله تعالى فى حين يكون ذلك الفاعل للأعاجيب من أهل النار وممن غضب الله تعالى عليهم، وليس هذا بالغريب فإنّ إبليس زوّده الله تعالى بقدرات عظيمة فإنّه يستطيع أن يوسوس ويخترق كل النفوس البشرية وهذه قدرة جبارة ليست عند أعظم القوى البشرية كالدول الكبرى بما لها من علوم وطاقات وقدرات

و ... كما أن لإبليس قدرة التشكل بأشكال وألوان مختلفة وله قدرة تزيين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۱

الأعمال ويحدث الخواطر فى النفس ويجذب الناس إلى حيث يشاء وربما له قدرة الذهاب إلى قرب السماء الأولى، فإنّ قدرات إبليس قدرات هائلة وليست بالسهلة ولكنها لا- تدل على ألوهيته ولا مكانته عند الله تعالى، بل هو إبليس على ما هو عليه من اللعن والطرد.

والقرآن الكريم يسطر لنا هذه الأمثلة كى لا- ننخدع بل لا بدَّ من الرجوع للعقل وضروريات الدين والسُنّة، فالقرآن الكريم يعتبر المعارف والعقائد الحقة أعظم من تلك الأعاجيب والمظاهر من طى الأرض والزمان والرؤى والمكاشفات و ... فبحسب المفهوم القرآنى هذه ليست ميزان هداية بل حتّى مثل الحصول على بعض الاسم الأعظم كبلعم بن باعورا ليس لها قيمة فى الحجية، فقال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («۱») وقد ورد أنه لو قرئ على ميت سبعين مرة سورة الفاتحة وردت له الحياة فليس ذلك بغريب («۲»)، بل حتّى من خلال العلوم الحديثة فإنّهم توصلوا لنتائج عجيبة غريبة من خلال إعمال العلوم الأكاديمية من كيمياء وفيزياء ومراتب الطاقة وعلم النانو والكوانتم («۳») وغيرها بحيث أصبح لهم قدرة أن يكون الشخص موجوداً فى مكان ثمّ فجأة يختفى ولا يرى.

فإنّ بعض الكرامات التى يحصل عليها بعض الزهّاد والأولياء والصالحين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۲

والمتقين أو نتائج العلوم الأكاديمية ... ما هى إلّا كرامات يعطيها الله تعالى لهم ولا تدل على العصمة ولا على السداد بقول مطلق، فعلينا أن لا نفقد قدرة التميز بين العصمة والسداد والتى تفيد الحجية وبين هذه الكرامات من الله تعالى أو نتائج وأفعال النفس نتيجة الرياضات.

فإنّ بعض أولئك أصحاب الكرامات أو الرياضات على ما هم عليه من الزهد والتقوى أو الرياضات إذا نظروا فى مسألة فى العقائد أو الفقه تجدهم يخطأون ويتخبطون بجهلهم، بل ربما بعضهم يعتقد بمسألة عقائدية أو فقهية بشكل معكوس فيرى الحلال حراماً أو الحرام حلالًا.

فالقرآن الكريم يريد أن يبيّن لنا أن التقوى والزهد والصلاح والعفاف والأخلاق الحسنة النبيلة فإنّ كل ذلك شىء والعصمة شىء آخر، فالعصمة فوق ذلك ولها ضوابطها الخاصة وموازينها وقنواتها.

فلا ننخدع بذلك إذا حصل لنا أو لغيرنا، فإنّها امتحانات يمتحننا الله تعالى بها فى المعرفة والبصيرة، فسبحان الله كيف يمتحن الخلق بالحق وبالباطل، بل يمتحن حتّى بالحبوة الإلهية، فينعم الله تعالى على عبد بصلاح أو تقوى ونحوها ليرى هل ينغر أو ينخدع؟ فلا بدَّ من التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى وعدم الانحراف والانجراف وراء مكاشف أو رؤية أو علم غريب أو نحو ذلك.

فهذا بلعم بن باعورا خصه وحباه الله تعالى بحرف من الاسم الأعظم وجعله بذلك تحت الامتحان والاختبار كما ورد ذلك فى الروايات ولكنه لم يكبح جماح نفسه، بل راح يطلب ما ليس له فوقع فى الانحراف قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَ لَوْ

شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۳

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («۱») وقد مرَّ ذكره فى الجزء الأوّل.

حدود النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۹۳

اتضح أن النيابة الخاصة والسفارة لا تعنى العصمة والسداد وإنما لها دائرة حجية من الحجج، كالفقيه فإنّ الفقيه مرجع ويُتّبع وفق منهج ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن يعطى درجة العصمة وعدم الخطأ، وإنما له حجية فى ضمن غير الضروريات ما دام

محافظاً على الضروريات وما دام واجداً للشرائط من العلمية والفقاهة وكون الاستنباط من مصادر أهل البيت (عليهم السلام) لا من القياس والاستحسان ونحوها وإلّا لم يكن له ذلك المنصب ولا ذلك الدور ولا تلك الحجية، إذاً فحجية الفقيه متولدة من حجج أرفع منه وما دام محافظاً على الارتباط مع تلك الحجج الأرفع والأعلى تبقى له الحجية.

كذلك الحال فى النائب الخاص والسفير، فإنّما دوره فى غير الضروريات وفى غير دائرة الفقهاء، فإنّ مجال ودائرة حجية الفقهاء والسفراء لا تتقاطع ولا تلغى أحدهما الأخرى كما تقدم بيان ذلك، فإنّ مساحة ودائرة كل منها غير مساحة ودائرة الأخرى.

ثبات فقه مدرسة أهل البيت ومصادره ...: ص: ۴۹۳

وفى هذا البحث نلفت النظر إلى نكتة وظاهرة مهمّة جدّاً فى الغيبة

الصغرى ونيابة النواب الأربعة (رض) وهى أن فقه أهل البيت (عليهم السلام) فى فترة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۴

الغيبة الصغرى لم يتغيّر عمّا كان عليه من مسار الإمامية فى حضور الأئمّة (عليهم السلام) من العقائد والفقه والسنن والثوابت الأخرى، ومما لا إشكال فيه أن ذلك ببركة وجود الإمام المهدى (ع)، فإنّ ما نقله السفراء (رض) عنه (ع) من روايات وأحاديث يكشف عن تبعيته لمنهج آبائه وأجداده الأئمّة (عليهم السلام) ولضروريات وفرائض الله تعالى وسُنّة الرسول (ص) حيث تقدم وذكرنا بأنّ نسبة كبيرة مما كان يصدر من توقيعاته الشريفة كانت تتضمن إرجاعاً إلى تراث آبائه من الروايات والسنن، لأن ذلك التراث فيه ضروريات سنن النبى (ص) وضروريات سنن آبائه ولا يتوهم متوهم أن يصدر توقيعاً منه (ع) فيه مخالفة لتلك الضروريات.

وهذه ملامح مهمة ونكتة جوهرية فى مسيرة عقائد الإمامية ومسيرة فقه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ تلك العقائد وذلك الفقه ظل بنفس الطابع واللون الذى كان عليه قبل الغيبة الصغرى، وهذا إنما يدلل على أن دائرة النواب والسفراء الخاصة هى دائرة محدودة، فهم بمثابة مدير شعبة إدارية لتنفيذ جملة من البرامج والإداريات والسياسات التى يعهدها الإمام المعصوم إليهم لا أن دورهم يقصى الفقهاء ولا يتطاول على التراث الضرورى لأهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك تتضح لنا دائرة نيابتهم وحجيتهم وأنه ليس فيها أىّ غموض فدورهم جمع الحقوق وتنفيذ بعض السياسات الإدارية فى نظام الشيعة.

هذه ملامح الغيبة الصغرى نتيجة عدم تقاطع وعدم تطاول دائرة حجية النواب مع دائرة الفقهاء ودائرة الأئمّة (عليهم السلام) وهى نظير تعيين رسول الله (ص) أسامة بن زيد قائداً للجيش، فإنّ ذلك لا يتوهم منه أنه أصبحت لأسامة حجية مطلقاً أى له مطلق الصلاحيات، بل إن صلاحيات

أسامة فقط فى حدود قيادة الجيش.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۵

ونظير قول أمير المؤمنين (ع) فى مالك الأشتر (رض): «كان لى مالك كما كنت لرسول الله (ص)» («۱») ولا يتوهم من ذلك أن مالكاً صار وصياً بعد أمير المؤمنين بدلًا من الحسنين فليس الأمر كذلك فإنّ الأمير (ع) أراد بيان مدى خلوص ومحبة وتفانى مالك (رض) فى نصرة أمير المؤمنين ولم يرد بذلك تسجيل العصمة والحجية لمالك فليس الأمر كذلك، فإنّ الاستدلال والاستنباط له موازين والاستظهار له موازين، فإنّ التشبيه باب فى علم البلاغة من اللغة العربية، والتشبيه أيضاً له قواعد وموازين، فإنّ التشبيه دائماً يكون فيه جهة شبه وليس فى كل وجوه الشبه فهذه قواعد فى اللغة العربية، والقرآن الكريم والرسول (ص) وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) إنما يتكلمون بلغة العرب وليس بلغة أخرى جديدة أو جفر أو غيرها مما يكون فيها غموض على السامع، لذا فلا بدَّ من إعمال موازين اللغة من الصرف والنحو والبلاغة و ... لأجل منع المهلوسين والطامعين وأصحاب الرايات الضالة...

ضرورة الموازين فى قراءة الدين ...: ص: ۴۹۵

فإنّ تحكيم تلك الضوابط والموازين فيه خلاص من الزيغ والانحراف وعن الوقوع فى مثل تلك التوهمات، فإنّ الله تعالى ورسوله الكريم وآله الأطهار حدّثونا بحسب قوانين اللغة العربية، وإلّا لو أرادوا

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۶

الحديث بلغة جديدة مشفرة فإنّه بحسب الموازين تكون سفسطة، بل هذه الموازين يعملها الإنسان بدقة وعمق أكثر فأكثر ليصل للنتائج الصحيحة، ومع إعمال الموازين بالشكل الصحيح لا مجال للوقوع فى الغموض وأما لو رفع اليد عن الموازين فى استنطاق الأدلّة فإنّ ذلك باب لتدمير الدين والقفز والتمرد على ضرورياته، فإنّ أحد النوافذ التى يستخدمها أصحاب الفرق الضالة هو التذرع بالتأويل بدون موازيين أو التفسير أو الاستظهار والاستنباط والاستنطاق الذوقى بالقريحة والتشهى، فإنّ ذلك يؤدى إلى تكلفات وتمحلات وسفسطات ونحوها ما أنزل الله بها من سلطان، وكل ذلك بدعوى وذريعة معرفة الأسرار والمعارف، فتستخدم تلك الفرق الضالة الهلوسة ونوعاً من غسل الدماغ ونحو ذلك للوصول إلى مآربهم وأطماعهم، مع أن الأنبياء والمرسلين والأئمّة يحاجون بحجج ومنطق وموازين وأدلّة كى تثبت نبوتهم وإمامتهم ومن دون ذلك يكتشف عدم حجيتهم، فكيف يتوهم متوهم ويستجيب لتلك الدعاوى الضالة والهلوسات والاستظهارات واستنطاق الأدلّة بخلاف الموازين، فإنّ فتح مثل هذا الباب على مصراعيه بحيث يصح لكل مهلوس وكيفما يكون لرائق ومتأول أن يُحدث ما يريد و ... فإنّ ذلك يؤدى إلى خراب الدين واضطراب منظومة حجية وموازين وطرق استنطاقه واستدلالاته، وإلّا لِمَ استعمل الله (عزوجل) اللغة لغة اللسان العربى بالذات فما ذلك إلّا لأجل تحكيم ضوابط وموازين وقواعد اللغة لمعرفة مُرادات الله منّا ولا يُتصور أنه تعالى يبيّن مراداته بألغاز غير منضبطة وإلّا

كانت سفسطة وإنكار الضروريات والديهيات والعياذ بالله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۷

أما إذا توسطت الموازين الصحيحة والأدلّة الرصينة فمهما ترامت وتعمقت النتائج وازدادت غموضاً فلا بدَّ من الوصول إلى صحتها ولو بحسب الظاهر كما فى علم الرياضيات أى معادلة بعد معادلة ومرحلة بعد مرحلة حتّى لو أدّى ذلك إلى اكتشاف شىء عجيب لم تعرفه البشرية فإنّه يكون مقبولًا، لأنه ناتج خطوات ومراحل وفق موازين صحيحة وإلّا من دون الموازين الصحيحة نضل الطريق المستقيم ونقع فريسة للطامعين والمضلين.

كفر مُدّعى السفارة ...: ص: ۴۹۷

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة وفى كتب الشيعة الروائية الأخرى التى تحفل بذكر أحداث الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى يذكرون فتوى لابن قولويه وهى: (من ادّعى النيابة الخاصة والسفارة بعد السمرى فهو كافر مُنمس (محتال) ضال) («۱») وهذه الفتوى لم يتبناها ابن

قولويه فقط وإنما الكثير من المتقدمين من فقهاء الغيبة الصغرى والكبرى

‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۸

تبنوها كالشيخ الطوسى إذ يتضح ذلك من كلامه فى الفرق البابية أو التى ادّعت النيابة فى الغيبة الصغرى.

والسؤال فى المقام أن أولئك الفقهاء لِمَ حكموا بكفر المُدّعى للسفارة أو النيابة الخاصة، وهل هناك تخريج صناعى لهذه الفتوى ولِمَ لم يقل الفقهاء عن المدّعين إنهم أهل ضلال وما داموا على الشهادتين فهم مسلمون، إذ لا مانع أن تكون بعض الفرق داخلة فى الإسلام ولكنها ضالة أى ضلت عن إصابة الإيمان أى زاغوا ولم يهتدوا للإيمان؟

يتبيّن ويتجلى التخريج الصناعى لحكم الفقهاء بالكفر بناءً على ما ذكرناه ووضحناه من منظومة الحجج، إذ أن أولئك الذين اعتقدوا بنيابة هؤلاء النواب المدّعين زيفاً حكّموا حجية هؤلاء المدّعين على ضرورات الدين، وهذا بغض النظر عن زيف دعواهم لأنه قد يحكم عليهم بالضلال والافتراء والكذب كما ورد فى التوقيع المبارك، ولكن الأمر الذى دائماً ما يُبتلى به هؤلاء المدّعون زيفاً وحيلة ودجلًا ونصباً للنيابة الخاصة وأتباعهم كذلك، أنهم يتبنون تحكيم قولهم على ضروريات الدين لأنهم يأخذون قولهم بنحو محتم ويتأولون ويلتوون ويلتفون ويقفزون حتّى على ضروريات سنن أهل البيت فضلًا عن سنن النبى (ص) وضرورات فرائض الله، ومن الواضح أن الذى يلتف أو يعتقد فى شخص أن له حجية تهيمن على حجية أئمّة أهل البيت وحجية النبى وحجية الله، فإنّ هذه هى التنبأ أو الألوهية فأولئك المدّعون إما أن يبتلوا

بالألوهية وإن لم يقولوا نحن آلهة وإما أن يدّعوا بأنّ لهم صلاحيات فى تغيير ضروريات دين الله وسُنّة نبيه وبالتالى فإنّ التمرد ولو بالتأويل على ضروريات دين الله فهو تأليه وكفر وخروج عن الإسلام، والتمرد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۹

على ضروريات سنن النبى (ص) أيضاً خروج عن الإسلام وأما التمرد على ضروريات سنن الأئمّة (عليهم السلام) فهو ليس بمؤمن وبالتالى هو كافر بمعنى الكفر المقابل للإيمان وإن لم يكن كافراً بمعنى الكفر المقابل للإسلام.

وعليه فإنّ أولئك المُدّعين للنيابة أو السفارة أو أتباعهم يتبنون كون حجية المدّعين تعلو ضرورات الدين، فهو تأليه أو تنبأ وإن لم يُسموه إلوهية ونبوة ولذلك كفرهم فقهاء الغيبة الصغرى، فإنّه لا بدَّ من التمسك والانقياد والتخضع لضروريات الدين من قبل الجميع حتّى الرسول ولابدَّ من التمسك والانقياد والتخضع لضرورات سنن النبى من قبل الجميع حتّى الأئمّة.

ومن يحاول الالتفاف والقفز والتمرد إعتقاداً وتنظيراً وتشريعاً على صلاحيات الله الضرورية أو صلاحيات النبى الضرورية فهو خروج عن الإسلام.

وبالتالى فإنّ كل من يدعى النيابة الخاصة والسفارة بعد السفراء الأربعة (رض) فهو كافر إما كفر فى قبال الإسلام فيما لو تصدى المدّعى والعياذ بالله من خلال نيابته للقفز أو التمرد على ضروريات الدين وفرائض الله وضروريات سنن النبى (ص) فيكون خارجاً من ربقة الإسلام، لأن هؤلاء المدّعين للنيابة عموماً يدّعون النيابة زيفاً لعدم علمهم بمدى وحقيقة وخطورة

۰ هذا المنصب فتكون دعواهم بالنتيجة مخالفة لضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص).

وإما أن تكون دعواه للنيابة تمرداً وقفزاً على ضروريات سنن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۰

الأئمّة ومنهاجهم (عليهم السلام) فهم مارقون من الإيمان فهو كفر فى قبال الإيمان.

وكيف كان فإنّ مدّعى النيابة زيفاً وبطلاناً محكوم عليه بالكفر لأنه خالف الضرورة والبديهية على أحد قسميها.

عناوين دعوى السفارة ...: ص: ۵۰۰

لا يقتصر عنوان دعوى السفارة على خصوص السفير أو النائب الخاص بل هناك عدة أوجه وعناوين وأقنعة قد يتلبس بها المدّعى فمنذ أكثر من اثنى عشر قرناً ظهرت عدة وجوه ومدّعيات وهلوسات أخذت ألواناً ونماذج عديدة جدّاً كلها بالتالى تصب فى حقيقتها إلى ادعاء النيابة أو السفارة ومن تلك العناوين على سبيل المثال:

۱ سفير خاص أو نائب خاص.

۲ دعوى الاتصال أو القدرة على الاتصال بالإمام (ع) والقدرة على إيصال الأسئلة وإرجاع الأجوبة للناس من دون عنوان السفير أو النائب.

۳ دعوى القدرة والمكنة من التشرف برؤية الإمام فى أىّ وقت يشاء.

۴ دعوى تلقى الأوامر والنواهى من الإمام مباشرةً.

۵ دعوى أن الإمام (ع) له عناية خاصة به ويرعاه و...

۶ دعوى أن الإمام (ع) يأتيه فى المنام ويتحدّث معه.

۷ دعوى أنه جسر من وإلى المعصوم للاتيان بتوصيات وتعاليم منه (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۱

وغيرها من العناوين («۱») كلها تصب فى دعوى السفارة أو النيابة

الخاصة وإن لم يتسمَ بها، وهذه كلها سواء أكانت على نحو التصريح أم الكناية بالتعريض أم غيرها فإنَّ المهم أن المدعى لها يريد أن يُفهم ويوصل معنى لعموم الناس أنى على ارتباط خاص بالإمام (ع) يريد بذلك إبراز الشأنية لنفسه وجمع ما أمكن من السذج والعمياويين حوله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۲

كأتباع ويكوّنوا لأنفسهم الرئاسات الباطلة ليسود فى متاع هذه الدنيا الدنية.

وفقهاء الإمامية أتباع مذهب أهل البيت قد حكموا بالبراءة واللعن والطرد لكل تلك العناوين وغيرها وبطلان وكفر مدّعيها ومروقهم من الدين على اختلاف الدرجات فى ذلك ضلالًا إذا كانوا يريدون بها ذلك المعنى من الرئاسة والمنصب ونحوها، وليراجع فى ذلك كلام الشيخ الطوسى فى الغيبة والصدوق فى كمال الدين والنعمانى والنوبختى وسعد بن عبد الله وغيرهم من فقهاء ومراجع الشيعة ورؤساء الطائفة.

وهذا لا ينافى أصل التشرف بلقاء ورؤية الإمام (ع) فلعلَّ بعض العلماء الأتقياء الصلحاء يتشرف فى العمر مرة أو مرتين أو أكثر برؤية ولقاء الإمام (ع) ولكن من دون إبراز ذلك بصيغة المقام والمنصب والوساطة لأن منصب الوساطة والارتباط لا يعطى لأحد مهما كان فإنّ الإمام (ع) نفاه ومنعه.

فإنّ التشرف بالرؤية غير ممتنع وقد ذكرت حول ذلك مئات بل آلاف الموارد التى تشرف فيها أعلام متقون صلحاء، ولكن لو افترضنا أن أحد أولئك المتشرفين بالرؤيا أبرز تلك الرؤيا وأظهرها ليدّعى لنفسه تقلد منصب رسمى وتمثيل عن الإمام (ع) فإنّ ذلك دجّال وكذّاب وإن كان حقيقة قد تشرف بالرؤيا فإنّ التشرف بالرؤيا شىء وصلاحيات

التمثيل شىء آخر.

وبمثال أكثر وضوحاً أنه لو فرضنا راوٍ من الرواة فى زمن أحد الأئمّة (عليهم السلام) ويروى عنهم ثمّ يدّعى أنه له الوكالة عنهم (عليهم السلام) فإنّ ذلك ليس بحجة ولا كاشف عن صحة دعواه، فإنّ الرواية شىء والوكالة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۳

شىء آخر، وهذا طبعاً من باب التنظير وإلّا فالفارق كبير بين دعوى الوكالة ودعوى السفارة والتمثيل الرسمى والنيابة، كما أن الأمر حتّى مع الرواية فى زمن الغيبة مختلف فإنّ أصل الرواية عن الإمام المهدى فى زمن الغيبة لا حجية لها فضلًا عن ادعاء شىء آخر؟!

حركات ونهضات رايات سنة الظهور ...: ص: ۵۰۳

وهذا لا ينافى القيام بحركات تحررية كما فى سنة الصيحة من السماء لو كانت بعنوان نصرة المذهب أو نصرة الإمام المهدى (ع) لكن بشرط عدم ادعاء أىّ نحو من الحجية فإنّ مفاد الروايات نفى حجية الاتصال أو النيابة الخاصة عن الإمام بل حتّى مثل شخصيات الظهور كاليمانى والخراسانى وغيرهم فإنّ مفاد الروايات ليس فيه إعطاءهم أى نحو من الحجية، نعم غاية ما تثبته الروايات لمثل هذه

الشخصيات أنهم على الحق وأنهم يدعون لنصرة الإمام المهدى (ع) أو لرفع الظلم أو نحو ذلك من دون أىّ منصب ومقام خاص إلّا أنهم على الحق.

نعم الدّعوة لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبار حقانية دعوتهم وحجية الثوابت والموازين التى يرفعونها ويطالبون بها إذ الحق بما هو حق يجب أن يتبع بغض النظر عمّن طلبه وكيف طلب ممن هو غير معصوم ما دام متقيداً بالموازيين وملتزماً بالأحكام الشرعية، وهذه الشخصيات هناك دعوى لنصرتهم بشرط سماع

الصيحة من السماء وظهور قيام دولة السفيانى لا لشخصهم بل لأنهم يدعون للرضا من آل محمّد (ص)، وإلّا فالموجود فى الروايات من المدح والثناء وكَيل الصفات على اليمانى مثلًا لم يبلغ ما هو مذكور فى حق زيد بن على بن الحسين رضوان الله عليه، ومع كل ذلك لم تكن له أىّ نحو من الحجية وإنما ذلك المدح

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۴

له باعتبار أنه كان يدعو للرضا من آل محمّد وهى دعوة حق، فالمدح والثناء كان باعتبار دعوته.

لذا فإنّ بعض الروايات تفيد أن الدعوة إن وافقت الموازين وكانت متقيّدة بأحكام الشرع المبين وكان المطلوب فيها هو الحق فلا بدَّ من دعمها وتأييدها قدر الإمكان كما عن المجلسى حيث جزم أن دعوة الصفويين كانت دعوة تدعو إلى التمسّك بأحكام ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) ليست لأنها سياسية أو عسكرية أو ... بل لأنهم طلبوا الحق وأرادوا رفع الظلم وإقامة الدين من دون أن يدّعوا أىّ منصب دينى كالسفارة أو النيابة الخاصة أو العصمة أو غيرها وإنما قالوا: نحن عبيد الله ومطيعون للأئمّة (عليهم السلام) وتابعون لفقهاء الإمامية، لذلك فإنّ مجموعة من أساطين وأعلام الفقه الشيعى وظفوا كل إمكاناتهم لنصرتهم كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ الكركى وغيرهم.

وما ذلك إلّا لأنها دعوة سعت إلى التقيّد بأحكام الشرع ووفق الموازين، فالنصرة كانت وتكون للدعوة لا للأشخاص سواء أكان الشخص اليمانى أم الخراسانى أم غيره، نعم لو كان الشخص هو الإمام المعصوم فالنصرة تكون له بما هو بعد أن يثبت أنه الإمام حقاً لأنّا مأمورون باتّباعه هو، وهكذا الحال فى أىّ واحد من أنصار الإمام المهدى (ع) ال- (۳۱۳) فإنّه بحسب الروايات ليس لهم أىّ نحو من

النيابة ولا السفارة ولا أىّ حجية قبل ظهوره.

والحاصل أن أىّ عنوان من هذه العناوين ليس له أىّ حجية حتّى عنوان السفارة أو النيابة الخاصة أو غيره فى فترة الغيبة، نعم بعد الظهور قد تكون لهذه العناوين الحجية التى تعطى حينئذٍ من قبل الإمام (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۵

الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ۵۰۵

ثمّ لا بدَّ من الالتفات إلى أن بعض الروايات وخصوصاً روايات الملاحم إنما تبيّن أحوال الرجعة وليس أحوال ما قبل الظهور فمثلًا المهديون الاثنا عشر فإنّ الروايات تعطيهم بعض الأدوار ولكن ليس قبل الظهور بل ولا بعده وإنما فى فترة الرجعة، فلا بدَّ من التمييز بين هذه المراحل وإلّا وقعنا فى خلط بين بعض العناوين التى لا حجية لها وبين البعض الآخر الذى له نحو من الحجية وبعض الأدوار لكن فى مراحل أخرى.

وبهذا الفهم والادراك والالتفات للمراحل نسد الباب أمام الدجالين والمضلين ولا ينخدع بألاعيبهم حينئذٍ إلّا السذج وقليلوا الفهم والادراك وضعاف البصيرة.

حقيقة السفارة والنيابة الخاصة ...: ص: ۵۰۵

قد يتوهم البعض أن السفارة والنيابة الخاصة هى مجرد تمثيل وتنويب عن الإمام (ع) فينقل السفير عنه ما يسمعه من حديث سماعاً حسياً وينقل الأسئلة والأجوبة الخطية من وإلى الإمام (ع) وهكذا المعنى والمتصور.

وليس كذلك فإنّ حقيقة السفارة ليس ارتباطاً حسياً وإنما السفارة فى الروايات ذكرت باصطلاح ومفهوم خاص وهى النقل بتوسط عالم

الملكوت فهى ارتباط ملكوتى روحى غيبى.

وقد ورد فى الروايات أن الرسول (ص) سفير الله تعالى، ونقرأ فى بعض الزيارات أن الإمام (ع) سفير الله تعالى مثلًا ما ورد فى زيارة ليلة ويوم المبعث لأمير المؤمنين (ع): «السلام عليك يا خاصة الله وخالصته و ... وعيبة علم الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۶

وخازنه وسفير الله فى خلقه » («... ۱») فالرسول عندما ينقل عن الله تعالى لم يكن ينقل نقلًا حسياً عنه تعالى وإنما بتوسط الملكوت، فعندما يقول الرسول (ص): قال جبرائيل (ع) عن الله تعالى فليس هو عن سماع بدنى وإنما عن طريق الوحى بارتباط روحى ملكوتى غيبى، وهكذا نقل الأئمّة (عليهم السلام) عندما يقال: إنهم (عليهم السلام) محدّثون وتقول: قال الصادق (ع) عن أبيه الباقر عن السجاد عن سيد الشهداء عن أمير المؤمنين عن النبى عن جبرائيل عن الله، أو قال الرسول عن الله فى حديث قدسى، فليس المراد بهذه العنعنة أن أحدهم ينقل عن الآخر حساً وإنما بالارتباط الملكوتى، فإنّ الأئمّة (عليهم السلام) يحدّثون عن الرسول عن الله ولو بعد وفاة الرسول (ص) لأن ارتباطهم الملكوتى الروحى الغيبى برسول الله لم ينقطع بوفاته (ص)، فمثلًا سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) عند اعتراض عبد الله بن عبّاس أو محمّد بن الحنفية أو عبد الله بن جعفر فى خروجه ومسيره للعراق فأجابهم (ع) بأنّ رسول الله (ص) قال لى: «اخرج يا حسين فإنّ الله شاء أن يراك قتيلًا» («۲») وهكذا عندما اعترض عليه فى اخراج النساء والعيال معه فى مسيره وخروجه فإنّه (ع) قال: «إن رسول الله (ص) أخبرنى أن الله شاء أن يراهُنَّ سبايا» («۳») فإنّ ذلك

من سيد الشهداء ليس إلّا لأن ارتباطه برسول الله غير منقطع بل مُفعل عن طريق الملكوت والارتباط الروحى الغيبى، كما أنه (ع) عندما أجاب بذلك لم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۷

يعترض عليه ابن عبّاس ولا ابن جعفر ولا محمّد بن الحنفية لأنهم يعلمون أن الحسين من أهل آية التطهير ومن أهل آية المباهلة إذ احتج به الله (عزوجل) وجعله مطهراً ويعلم الكتاب كله والقرآن شهد بأن المطهرين من هذه الأمّة يعلمون علم الكتاب الذى لا يمسّه إلّا المطهرون والكتاب المبين كتاب مكنون فيه كل شىء من رطبٍ ويابس، قال الله تعالى: وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («۱»).

وهكذا الإمام الرضا (ع) عندما يذكر قصيدة الحميرى («۲») هذه

؛ دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۸

القصيدة العظيمة التى أمر رسول الله (ص) الرضا (ع) أن يأمر شيعة أهل البيت بحفظها وأن الرسول يضمن لمن حفظها وتداولها الجنّة على الله فهذه الرواية نقلها الإمام الرضا (ع) عن الرسول (ص) مع أن الحميرى ألّف هذه القصيدة فى زمن الإمام الكاظم أو الصادق (ع) ومن الواضح أن الأمر للإمام الرضا (ع) فى زمن الإمام الرضا (ع) فكيف حصل هذا الأمر، فليس ذلك إلّا لأن الارتباط بين الأئمّة (عليهم السلام) والرسول (ص) ارتباطٌ مُفعّل لم ينقطع بانتقال الرسول أو الأئمّة السابقين إلى البرزخ أو إلى الآخرة، لذلك فهم سفراء الله لأن قناة علمهم وحديثهم هى بتوسط الملكوت.

وعندما يقال: نائب خاص أو سفير عن الإمام المهدى فإنّ ذلك يعنى أنه ينقل بتوسط قناة ملكوتية نازلة روحية غيبية لكن عن الإمام

المهدى (ع)، فهذا هو المراد بالسفارة والنيابة الخاصة وإن كان لا يمنع ذلك من الرؤية الشخصية كما جاء فى زيارة النواب الأربعة هذه العبارة التى رواها الشيخ الطوسى فى التهذيب: (أشهد أن الله اختصك بنوره حتّى عاينت الشخص فأديت عنه وأديت إليه) («۱») الذى يعنى أنه بلطف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۰۹

الله هناك ارتباط ملكوتى بينه وبين المعصوم وإن لم يكن السفير معصوماً ولم تكن حجيته مطلقة كما مرَّ بيان ذلك لكن السفارة مقام خطير لم يفهمها ولم يعها ولم يفقه حقيقتها أولئك الأدعياء المُدّعون لها زيفاً ودجلًا، فبيان حقيقتها فى المقام أمرٌ لا بدَّ منه فى المعرفة والبصيرة للتحصن ممن تستهويه نفسه للخوض فى الباطل والأفاعيل بسوء الاستفادة منها وهذا البيان ينفع فى تعرية الصوفية وبعض العرفاء الذى تقمصوا مثل هذا المقام فإنّ جملة منهم ادّعوا هذه المقامات لأن التصوف والصوفية اقتبسوا جملة معارفهم ونظامهم من الفرق الباطنية الشيعية، فالصوفية نشأةً وتاريخاً وتولداً فى كثير من مبانيهم ومسالكهم متخذة من الفرق الباطنية الشيعية التى انحلت أو انحرفت بعد اطلاعها على بعض الأسرار.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۳

الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط ... ص: ۵۱۳

الافراط والتفريط فى الغيبة ...: ص: ۵۱۳

لدينا ثلاثة مذاهب فى تفسير وفهم الغيبة الكبرى للإمام (ع) كما هو الحال فى أغلب المسائل الاعتقادية فهناك الافراط وهناك التفريط وهناك الوسطية.

فالبعض أفرط فى معنى الغيبة لحد الغلو فيها فصّور الغيبة بمعنى مزايلة الإمام عن موقع المسؤولية وابتعاده وإقصائه وعدم التصدى الفعلى ولو بسبب الظالمين، فتصور أنها غيبة حضور أى انقطاع الإمامة فى فترة الغيبة الكبرى وبذلك يكون الإمام (ع) والعياذ بالله قد تخلى عن ساحة المسؤولية والتصدى للولاية الإلهية، فلما كان الإمام غائباً فهو منقطع ومبتعد وقاصى عن الناس والرعية ولما كانت النيابة الخاصة والسفارة منقطعة بالأدلّة القطعية فلا تمثيل للإمام، فبالتالى ليس الإمام موجوداً ولا يوجد من يمثله وليس هناك أىّ طريق يدل عليه ولا- أىّ باب يُنفذ منه إليه من هنا سمى النائب باباً إذ منه يُنفذ للإمام (ع) فالغيبة تعنى انعدام وجود الإمامة وابتعاد الإمام عن مسؤولياته وتصديه وبالتالى فإنّ مهام ووظائف وواجبات الإمام (ع) معطّلة لحين ظهوره وتصديه للقيام بها، ومن تبنى هذا التفسير صار فى حيرة فى توجيه نيابة الفقهاء فى فترة الغيبة الكبرى وكيفية رسم صلاحياتهم بعد أن عطل بحسب مبناه دور الإمام تماماً، فذهب بعض منهم إلى الشورى وبعض إلى إجماع الأمّة وبعض إلى الضرورة والمصلحة وغيرها.

ومن الواضح أن هذا التفسير خاطىء فإنّ الإمامة والإمام لا يمكن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۴

انعدامها، وهو إفراط فى تفسير معنى الغيبة، وهذا المعنى الافراطى يُناقض أصل معتقد الإمامية بالإمامة لأنه بالتالى يؤدى بنا هذا التفسير إلى وجود فترة زمنية ليس فيها إمام فإنّ آخر الأئمّة هو الحسن العسكرى (ع) وباستشهاده انعدمت الإمامة إلى ظهور المهدى (ع) وبالتالى ففى فترة الغيبة الكبرى ليس هناك إمام يقوم بأعباء الإمامة ومسؤولياتها، فنتساوى حينئذٍ فى تلك الفترة مع المدارس الإسلاميّة الأخرى فى القول بعدم وجود الإمامة وكأنما أصبحنا كالواقفية يعنى من وقف على إمامة أحد الأئمّة (عليهم السلام)، وبحسب هذا القول والتفسير نكون قد وقفنا على إمامة الحسن العسكرى (ع) ولم نقل بإمامة المهدى (ع)، إذ لا تكون إمامة المهدى

إلّا فى الظهور، وهذه الفترة وهى الغيبة الكبرى خلت من أىّ حجةٍ فلا رسل فيها ولا أنبياء ولا أئمّة.

وهذا المعنى الخاطئ صوّرته بعض المذاهب الإسلاميّة الأخرى بل بعض الكتابات فى وسطنا أيضاً حيث رسمت معنى الغيبة بما يؤدى إلى وجود هذه الفترة الخالية من الإمام (ع)، نعم لا مانع من وجود فترة ليس فيها ظهور للإمام كما هو الصحيح فى الغيبة لكن من غير الصحيح القول بفترة لا يوجد فيها إمام.

وبالتالى أشكل عليهم بأن هذا المعنى يلزمه عدم التوافق مع الحديث المروى عند الفريقين «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» («۱») بل فى روايات الفريقين ما هو أعظم من ذلك وهى رواية «من

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۵

مات وليس فى عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية» («۱») فليس عدم معرفة الإمام بل عدم بيعته إذ قد يعرفه لكن لا يتضامن مع مساره أى لا- يتضامن مع أتباع أهل البيت الذين هم على منهاج أهل البيت بل يتبع منهاج غيرهم وهو فى الواقع فسخ البيعة مع الإمام المعصوم، فعلى أىّ تقدير فقد ورد أن من مات وليس فى عنقه بيعة للإمام فإنّه مات ميتة جاهلية، وبالتالى على هذا القول والتفسير للغيبة كل من مات فى الغيبة الكبرى حيث ليس فى عنقه بيعة للإمام مات ميتة جاهلية، هذا هو لازم قولهم وهل يمكن الالتزام بذلك؟

وقد حاول البعض الآخر التخلص من هذا الإشكال فصوّر الغيبة بمعنى آخر حيث اعتقد بأنه من غير الصحيح تصوير انقطاع الإمامة بهذا المعنى وهو تفسير باطل وفيه زيغ فى الاعتقاد بالإمام فلا بدَّ أن يكون الإمام ناشطاً قائماً بالأمر وبأعباء المسؤولية وذلك من خلال التمثيل الرسمى له، فصور هذا القائل أن للإمام عناصر تمثله فى العلن، وبالتالى فهو معنى تفريطى حيث إن هذا التفسير يُنافى حقيقة الغيبة كما سيأتى، فهذا القائل بالمعنى الثانى اعتقد أنه إذا لم نقل بالتمثيل الرسمى للإمام فإنّ ذلك يعنى عدم النشاط للإمام وعدم تصديه للإمامة والمسؤولية والاصلاح.

فلكى يحافظ هذا القائل على الدور الفعلى للإمام لا بدَّ من تصدى الإمام مباشرة أو من يمثله، ولما كانت فترة غيبة فليس المتصدى هو الإمام بل من يمثله سواء أكان سفيراً أم نائباً خاصاً ونحوه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۶

وهذا المعنى التفريطى أيضاً باطل ومنحرف لأن النشاط والدور الفاعل والتصدى للإمام لا يستلزم أىّ بروز وإعلان فلو عدنا لقصة موسى والخضر (ع) وما يقوم به من مسؤوليات، فعندما تفارقا ولم يكن فعل الخضر ظاهراً لأحد فهل هذا يعنى أن ليس له أدوار بعد ذلك وأن دوره فقط الذى كشف عنه القرآن وإلّا فقبل التقائه بموسى وبعد فراقهما ليس له أىّ دور وهذا واضح البطلان فإنّ له ولغيره من رجال الغيب أدواراً ومسؤوليات لا يعلم بها إلّا الله والأئمّة.

ففى رواية عن النبى (ص): «لو صبر النبى موسى مع الخضر أكثر لرأى عجائب عظيمة من الخضر» («۱») فعدم ظهور وبروز نشاط الإمام (ع) وعدم وجود نائب خاص أو سفير لا يعنى الجمود وعدم النشاط، وهذا المعنى للأسف ارتكز خطأ عند كثير من الكتابات الإسلاميّة سواء من المذاهب الأخرى أم فى وسطنا إذ ارتكز أن النشاط والحيوية والفاعلية والقيام بالمسؤولية تلازم الاعلان والبروز والظهور، وليس كذلك فإنّه كما سيأتى من أن أجندة التنظير فى العلوم الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية تؤكد على أنه كلما كانت السرية والخفاء أكثر كان النشاط والعمل والدور أكثر حيويةً وقوةً ونفوذاً واختراقاً وتأثيراً وانسيابيةً واندفاعاً وسيولةً وبلا أىّ معوق وممانع والعكس بالعكس، فالنشاط يرتبط بالانجاز فى الميدان الخارجى ولا ربط له بالظهور والاعلان، فليس لازم النشاط الكشف والاعلان والاعلام والهرج والمرج والصخب، فالبعض وللأسف عندما يقرأ تاريخ بعض المصلحين من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۷

أولاد الأئمّة (عليهم السلام) كزيد الشهيد أو يحيى بن زيد (رض) وغيرهم من الثوار يحسبون أن معنى النشاط والعمل والتغيير لا بدَّ

أن يكون معلناً ومكشوفاً وإلّا كان جموداً، وهذا من أخطاء الزيدية حيث اعتبروا الإمام هو من يقوم بنهضة إصلاحية معلنة ساخنة فى حين أن سيرة أهل البيت (عليهم السلام) على عدم ضرورة الكشف والاعلان للنهضة والتغيير والقيام بأعباء المسؤولية والاصلاح وهداية المجتمع لئلّا يمنعهم ويعرقلهم العدو عن ذلك.

وأنه بات واضحاً إذا أراد الرواد المصلحون الاصلاح والعمل الاصلاحى فكثيراً ما يكون فى الظل والستار والخفاء ليكونوا أكثر نشاطاً وتأثيراً فإنّ الغيبة والتستر من مصاديق التقية ومع ذلك لم تفسر التقية بالجمود والابتعاد وعدم ممارسة المسؤولية.

إذن الغيبة لا تعنى عدم الإمامة بمعنى ترك ساحة المسؤولية والأحداث وعدم وجود الإمام، فإنّ الإمامة فى الواقع ولاية فعلية وتصدى فعلى لهذه الراية الكبرى من نور الله تعالى ومسؤوليات الإمامة وإلّا صار المعتقد بذلك واقعياً أو مذهباً مناقضاً لأصل الإمامة.

كما أن الغيبة لا تقتضى لابدّية التمثيل والتصدى العلنى والبروز لأجل قيام الإمام بمسؤولياته ومهامه وإلّا صار المعتقد بذلك زيدياً أو بابياً أو مدعياً للسفارة والنيابة الخاصة كذباً وزوراً وإنما الغيبة أمرٌ وسطى بين المعنيين فهى معنى بين عدم ظهور الإمام مع حضوره فهو موجود بين الناس لكنه غير معروف عندهم بإنه الإمام فيعبر عنه بإنه غائب، فالغيبة إذن غيبة ظهور الإمام وليست بمعنى عدم حضوره وهى انقطاع ظهور وتمثيل لا انقطاع إمامة أى عدم ظهور الإمام (ع) علناً وعدم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۸

ظهور أىّ نشاط له فى العلن وعدم بروز أىّ تمثيل رسمى له، فالانقطاع للسفارة وليس انقطاع الإمامة، فإنّ انقطاع النيابة لا يعنى انقطاع الإمامة، وعدم انقطاع الإمامة وفعليتها واستمرارها لا يقتضى ولا يوجب ولا يحتم استمرار النيابة والتصدى المعلن وإلّا فمن الخطأ ما فعله البعض من الربط بين انقطاع النيابة وانقطاع الإمامة والبعض من أن فهم بالعكس استمرار الإمامة بمعنى استمرار النيابة، إذ هناك عدة أنواع للتصدى لا تنحصر بالسفارة، كما أن عدم أحد أنواع التصدى لا يعنى انقطاع جميع أنواع التصدى.

وإلّا فإنّ الإمام (ع) موجود حاضر متصدى وقائم بمسؤوليات وأعباء خلافته تماماً إذ له (ع) تمام الفاعلية وتمام النشاط وتمام القيام بأعباء المسؤولية والولاية والإمامة من دون أن يكون له ظهور أو تمثيل أو نيابة.

ففى كثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن الإمام المهدى (ع) فيه سُنّة من النبى يوسف (ع) حيث كان يتكلم مع الناس ويباشرهم ويديرهم ويدبرهم وهم لا يعلمون أنه النبى يوسف (ع) بل وفى كثير من الروايات أن المهدى (ع) عند ظهوره يقول الكثير من الناس: هذا الذى كنّا نعهده، فعن سدير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن فى القائم شبه من يوسف (ع)»، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لى: «ما تنكر من ذلك هذه الأمّة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم: أَنَا يُوسُفُ فما تنكر هذه الأمّة أنه يكون الله (عزوجل) فى وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، لقد كان يوسف (ع) إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله (عزوجل) أن يعرفه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۹

مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله (عزوجل) يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فى أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتّى يأذن الله (عزوجل) أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتّى قال لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ* قالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي («۱»)» («۲»).

وهذا يعنى أن له حضوراً تاماً فى ساحة الحدث والمسؤولية غاية الأمر أنه (ع) غير معروف، فالغيبة تعنى عدم علمنا ومعرفتنا به (ع) وانعدام النيابة والتمثيل لا انعدام وجوده.

وهذه مسألة عقدية مهمّة فى أحوال وشؤون الإمامة لا بدَّ من الالتفات إليها وفهمها بشكل صحيح ودقيق، فإنّ الجادة الوسطى هى

جادة النجاة فلا إفراط ولا تفريط، وإلّا وقعنا فى الزيغ والانحراف وتركنا المذهب الحق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

حقيقة الغيبة والظهور ...: ص: ۵۱۹

قد مرَّ أن من ميزات الغيبة الكبرى للإمام (ع) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة وإن للغيبة معنى وسطياً بين الحضور وبين عدم الظهور ولكن عدم ظهور الإمام هل هذا يعنى أن الإمام (ع) بعيد وغائب عن البشرية، أى هل أن معنى الغيبة يقابل الحضور أم لا، إنما الإمام حاضر دائماً فيكون معنى الغيبة مقابلًا للظهور؟

لو لاحظنا الروايات المروية فى هذا المجال من الفريقين الخاصة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۰

والعامة نجد أن انتهاء أمد الغيبة الكبرى يكون بالظهور وليس بالحضور فيكون معنى الغيبة فى مقابل الظهور فالغيبة تعنى الخفاء والسرية وعدم الاعلان وعدم البروز وأما الظهور فهو عدم الخفاء أى البروز والاعلان، وتقدم أن من أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة أن نفس لفظ الغيبة يتضمن عدم التمثيل وعدم التوكيل وعدم التنويب وهذا يعنى أنه (ع) حاضر وموجود لكن ليس على نحو العلن والبروز.

ونجد هذا المعنى أيضاً فى كثير من الأدعية كدعاء الندبة «بنفسى أنت من مغيب لم يخلُ منّا» («۱») وعدة فقرات فى هذا الدعاء يتضح منها أنه (ع) حاضر وإنما التأسف فى البحث عنه باعتبار غيبته، أى خفاؤه وسريته!

ومن الغريب أن هذا المعنى فهمه وحققه واكتشفه ووصل إليه بعض الباحثين الاستراتيجيين الغربيين فى حين غاب بل استهزء به وسخر منه بعض الكتاب الإسلاميين، وما ذلك منهم إلّا لأنهم لم يفهموا معنى الغيبة وفسرّوها بتفسير خاطئ.

فهذا المعنى الخفى الدقيق الخطير للغيبة فهمه أمثال الباحث الاستراتيجى الخطير والمُنظّر الدولى فرانسوا توال الفرنسى («۲») فى كتاب ، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۱

كتبه حول الجغرافيا السياسية للشيعة، وهذا الكتاب خطير جدّاً وقد نسخ وتُرجم للوقوف بدقة على أبحاثه لأن البحوث الاستراتيجية أشبه بالسرية، وقد ذكر هذا الباحث فى كتابه أن معنى غيبة الإمام المهدى (ع) عند الشيعة بمعنى الخفاء والسرية ليكون الإمام المهدى (ع) أنشط فى حركته وحيويته فى تدبير الأمور فى العلوم الاستراتيجية والأمنية، فإنّ السرية رمز القدرة، والدول ترى فى السرية قدرة وقوة.

فهؤلاء الكتاب وصلوا لهذه المعانى الدقيقة وراء غيبة الإمام عليه (ع) فى حين كتابات من المذاهب الإسلاميّة الأخرى تستخف بعقيدة الغيبة عند الإمامية، بل إن الكثير من الروايات والجماعات الضالة تستخف بالغيبة الكبرى بمعنى السرية الكاملة حيث لا سفارة ولا نيابة خاصة، حيث ظنوا أن معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمى المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره فى قيادة البشرية ومواصلة مهامها الرسالية، وأنه (ع) نائى فى أقاصى البلاد لا يتصدى للأمور وتاركاً الحبل على الغارب، بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل الحق أنه لو ترك التصدى للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا فى الأصعدة المختلفة على البشرية، كما قال (ع) فى التوقيع الشريف: «نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائى عن مساكن الظالمين، حسب الذى أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۲

أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا

على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهى أمارة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك فى الطعن منها السبل المرضية، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون فى الذى يليه» («۱») بل هو (ع) يدبّر ويدير الأمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن فى عصر الغيبة قبل الظهور، فالغيبة والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (ع)، فى الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف فى أمورنا وأمور البشرية وفى المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً («۲») أى يحول أمام الفساد فى الأرض وسفك الدماء.

ففى الوقت الذى يستخف بعض المسلمين بالغيبة والسرية، فإنّ أولئك الباحثين يفهمونها ويعتبرونها مصدراً للقوة والقدرة والتدبير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۳

وما بيّناه من التفسير الصحيح للغيبة لا- يمنع أن له أعواناً خاصين ونشطاء بل وجهاز عمل كامل إلّا أن المهم أنه ليس له أىّ بروز وإعلان وتمثيل رسمى فى الظاهر وإنما تمام العمل والنشاط والتدبير فى السر والخفاء وليس لجهازه وأعوانه صلاحيات الاعلان والبروز والظهور، لذا فمن يدعى ذلك فى العلن فهو كذّاب ودجّال.

يقول أولئك الباحثون الستراتيجيون: إن السرية فى العلوم الستراتيجية والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والعلوم الأمنية هى تمام القدرة، فكلما قلت السرية والخفاء كلما قلت القدرة والمقدرة والقوة، لأن الذى هو فى السر والخفاء يتواجد ويعيش فى سياج وحماية أمنية فلا يمكن لأىّ أحد أن يصل إليه فليست القضية حينئذٍ فيزيائية لوجستية حسية بدنية وإنما هى خفاء وسرية بمعنى عدم إمكان معرفة وكشف المختفى فلا يمكن عرقلته أو قطع الطريق عليه أو مواجهته أو مصادمته أو الحول بينه وبين تدبيراته.

شواهد التصدى للإمامة الفعلية ...: ص: ۵۲۳

وعليه فمن الخطأ أن تفسر الغيبة فى مقابل الحضور لأن معناها حينئذٍ أن الإمام (ع) فى فترة الغيبة الكبرى غير حاضر فما يذكر من تعابير نحو عصر الحضور أو زمن الحضور وغيرها تعابير خاطئة، فإنّ الإمام (ع) حاضر بيننا ولم تخل منه الديار وإن كان غائباً إذ كونه غائباً يعنى مستتراً ومختفياً وإلّا فالكثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تذكر هذا الأمر على أنه واضح وضرورى وأنه (ع) يعيش فى وسط وكبد الحدث، ففى روايات الفريقين فى بيان وتفسير ليلة القدر أن هناك برامج وملفات لإدارة الأرض من صغير الأمور وكبيرها تتنزل عليه من إحصائيات الأرزاق والآجال وإحصائيات البركات التى تزدهر بها الأرض والآفات.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۴

وهذه الاحصائيات لا- تدرى حتّى الدول العظمى أىّ تأثير وأثر لمحاسبات مثل هذه الاحصائيات، فإنّ علم الاحصائيات بات من الواضح أنه هو الذى يرسم استراتيجية المستقبل، فكلما كانت الدول أكبر وأعظم كانت أقدر وأكثر استطاعة لأن ترسم لنفسها تدابير أكثر.

وهذه الملفات والبرامج التى تنزل على ولى الأمر الإمام المهدى (ع) كل عام فى ليلة القدر هى ملفات ومعلومات مُذهلة هائلة مهولة إلى الآن ليست هى فى الوعى العلمى للبشر والتى يعبر عنها فى العلوم الاستراتيجية أو علم القيادة والإدارة بالتدبير وإمساك الأرض باليد واختراق الأنظمة، وهذا المعنى رواه الفريقان من الشيعة والسُنّة فى بيان ليلة القدر («۱») وفى ذيل سورة الدخان وسورة النحل وقد ذكرنا بيان ذلك فى كتاب الإمامة الإلهية («۲») كما ذكرنا فيه مقتطفات من أقوال الفريقين.

وهناك آيات أخرى دالة على ذلك كقوله تعالى: وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى

‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۵

جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً («۱») فلم يعبر بالرسول أو النبى بل قال: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً فهى معادلة كلية دائمية دائبة إلى نهاية حياة البشرية فى الأرض، فخلافة الله على الارض ابتدأت من أول الحياة للبشرية إلى انتهائها فحجة الله على الأرض كما ورد فى الروايات قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق («۲»)، وأوّل مهمّة بيّنها الله للخليفة والحجة على الأرض هى دفع الإفساد والقيام بالاصلاح فأحد تسميات الإمامة فى القرآن هو الخليفة لأنه يستخلف فى التدبير والتصرف فى الأمور فهو عنده قدرة التدبير، ومن ثَمَّ أورد تعالى أوّل تفسير لمعنى الخليفة قول الملائكة بعد ذلك: قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ («۳») ذكر اعتراض الملائكة لأنه يريد أن يتحدّث عن إحدى وظائف الخليفة المهمة فبيّن شأن ومقام وصلاحيات الخليفة من خلال الجواب على اعتراض الملائكة بالافساد فى الأرض وسفك الدماء إذ قال تعالى: قالَ إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ يعنى هذان المحذوران اللذان يخشى الملائكة منهما يتم تفاديهما ودرؤهما وعلاجهما بتوسط الخليفة فى الأرض كأبرز مهمّة له فيها وهى دفع الافساد والحيلولة دون سفك الدماء والقيام بالاصلاح.

والمقصود من الافساد أى الفساد الأكثر بأن تكون نسبة الفساد إلى الخير والصلاح أكثر من (۵۰٪) وإلّا لو كانت (۵۰٪) أو أقل لم تصلح كمادة نقض للملائكة إذ سيكون الخير والاصلاح هو الأكثر.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الخليفة هو الذى يحول دون الفساد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۶

الأكثر فى الأرض سواء أكان ذلك الفساد أخلاقياً أم صحياً أم سياسياً أم إدارياً أم زراعياً ... بل إنه سيعمل على عمارة الأرض وإصلاحها فى جوانب شتى فيحول بين الأنظمة المتحكمة المتغلبة على البشر وبين وقوع الفساد فإنّ له قدرة إدارة الأرض لأن الله استخلفه فيها وعلمه الأسماء وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ («۱») فهذا العلم الذى يعطيه الله (عزوجل) للخليفة يمكنه من إدارة وتدبير الأرض، وإن هذه الإدارة والتدبير خفية سرية وهى مصدر القوة والقدرة لأجل الاصلاح النسبى وإلّا فإنّ الاصلاح التام الكامل سيكون فى الظهور ودولة المهدى (ع) أما الاصلاح النسبى فهو الواقع والممارس منذ آدم (ع) إلى نبينا الخاتم (ص) وإلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ هذه النسبة من الاصلاح والتدبير كانت لدى كل الأئمّة (عليهم السلام) وإن لم تكن معلنة.

فالبارى تعالى يقول للنبى إبراهيم (ع): قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً («۲») مع أن التاريخ لم يحدّثنا أن النبى إبراهيم (ع) قد ملك العراق أو الشام أو فلسطين أو مصر أو الجزيرة العربية، وهكذا أخبرنا البارى تعالى فى القرآن أن يعقوب وإسحاق جعلهما الله أئمّة يهدون بأمره وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِى إِسْرائِيلَ* وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ («۳») وأيضاً لم يحدّثنا التاريخ أبداً عن أنهما تصديا إلى ملك فى العلن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۷

فإنّ ابراهيم ويعقوب وإسحاق (عليهم السلام) نُسِبت لهم الإمامة والقيادة والتدبير والاصلاح مع أنهم كانوا يعيشون كالرعية لأنظمة أخرى حسب صورة ظاهر السطح، ولكن التاريخ سجل لنا أن النبى إبراهيم (ع) استطاع أن يُبدّل عقائد وعبادة شعوب وأقوام الشرق الأوسط من عباد وثنية إلى ملّة توحيدية حنيفية.

ومعلوم ومذكور فى العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والعلوم الحضارية والعلوم الاستراتيجية أن تبديل العقيدة والدين ليس من قدرة الحكومات أبداً لأنّ العقيدة حكومة فوق الحكومات، فكيف استطاع إبراهيم (ع) كفرد تبديل عقائد تلك الأمم ولم تكن وسائط إعلام كما للغربيين الآن ولا غير ذلك، وقد نجد فى التاريخ الحديث دولًا عظمى كالاتحاد السوفيتى لم يستطع تغيير دين وعقائد

بعض الدول الإسلاميّة مثل أوزبكستان وتركمانستان وأذربيجان فبكل ما أوتى من جبروت وغطرسة وسفك دماء وإرهاب وإعلام... خلال مائة سنة حكم الروس هذه الدول بالتعسف والدم والإرهاب لم يتمكّنوا من تغيير الدين والاعتقاد.

وما قام به إبراهيم (ع) ليس صدفة أو اتفاقاً أو فجأة أو طفرة وإنما هناك شبكة وإدارة خطيرة كان يتحكم فيها النبى إبراهيم فى تلك الشعوب من خلال ذلك استطاع أن يقيم وينجز التغيير العظيم، وهكذا النبى يعقوب أو النبى إسحاق (ع).

فالقرآن الكريم يطلعنا على أن الإمامة لها جهاز خفى نعرفه لو تأملنا سورة الكهف وقصة الخضر وموسى (ع) فالقرآن يريد أن يبيّن لنا أن الخضر كان فى ضمن مجموعة خفية لديها مأموريات ومهمّات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۸

وأدوار لا تنافى ضروريات عقائد وأحكام الشريعة، قال تعالى: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً («۱») فإنّ تلك الأدوار والمأموريات كما حدّث الخضر النبى موسى أنها على قسطاس وصراط الشريعة وذلك عندما اعترض عليه النبى موسى (ع) وحاججه بظواهر الشريعة كما مرَّ ذلك.

الغيبة والتقية وقمّة النشاط ...: ص: ۵۲۸

فإنّ الخضر كان يقوم بتلك الأدوار وفق الموازين الشرعية ولكن فى السر والخفاء من دون أن يعوقه الظالمون أو المفسدون أو أهل البغى والفجور، فالخفاء والسرية عامل أمنى مصيرى مهم خطير وهو أحد المعانى الصحيحة للتقية فالغيبة من مصاديق التقية، وهو من معانى التقية المغفول عنه للأسف، فإنّ الإنسان لما يتقى يعنى عنده برنامج أمنى وبرنامج ستارى خفى، وليس معنى التقية أنه يترك المسؤولية ويلتزم الجمود وعدم النشاط والانكفاء والتقوقع، فهذا معنى خاطئ للتقية، بل التقية تعنى مفهوماً أمنياً وإخفاء المسيرة والمسار والقدرة والنشاط والحركة التى يقوم بها ليكون بفضل ذلك الخفاء والسرية فى قمة النشاط والحركة والحيوية، إذ الخفاء والسرية نوع من التقية تكون كدرع حصين لحيوية النشاط والحركة والقيام بالمهام والمسؤوليات والواجبات على أتم وجه فى مأمن ومنأى عن العدو.

وإلّا لو كانت البرامج مكشوفة علنية فمن السهل للعدو عرقلة تلك البرامج.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۹

فهذه مقولات متشابكة مختلطة فى معانى التقية والغيبة قد تعمى الحقيقة إن لم نعمل الدقة فيها، فقد تفهم التقية بعدم العمل وقد تفهم الغيبة بعدم الحضور والوجود أصلًا، وإلّا فلا بدَّ من العلن، أى قد يخفى كيف يمكن تصوير تقية وغيبة مع عمل ونشاط وقيام بتمام المهام والمسؤوليات.

وهذا البيان من الله فى سورة الكهف عن الخضر وأن هناك مجموعة إلاهية عاملة لكى يبيّن البارى تعالى أن للإمام فى الأرض مثل هذه الأعوان والأنصار، فليس معنى سرية وخفاء وغيبة الإمام عدم الحضور وأنه نائى بعيد قاصى وليس موجوداً فى الساحة وفى الحدث، بل بمعنى عدم الظهور، فالغيبة لا بدَّ من فهمها فى مقابل الظهور لا فى مقابل الحضور وأن تعبير زمن الحضور تعبير خاطئ، فإنّه لا يوجد زمن حضور وزمن غير حضور، بل حضور الإمام دائم، فالصحيح عقائدياً أن نطلق عليه زمن الظهور فى قبال زمن الغيبة، بمعنى أنه (ع) موجود بين أظهرنا وفى كبد وساحة الحدث إلّا أنه ليس بظاهر بل مستتر مُختف غائب.

ومن خلال ذلك تبطل الكثير من الإشكالات المثارة من المدارس والمذاهب الإسلاميّة الأخرى ضد مدرسة أهل البيت حيث فسروا وفهموا الغيبة فى مقابل الحضور فقالوا بما أنه غائب أى ليس بحاضر فكيف يكون إماماً ويتحمل مسؤولياته ويدبر أمور الأمّة؟

اتّضح أن الإشكال مبتنى على تصوير خاطئ لمعنى الغيبة، فليس الإمام غير حاضر بل هو حاضر وموجود وإلّا لساخت الأرض بأهلها («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۰

لولا إدارة الإمام لشؤون الحياة على الأرض لساخت ...: ص: ۵۳۰

ومعنى لولا الحجة لساخت الأرض ليس إعجازاً محضاً وجبراً تكوينياً إذ أبى الله إلّا أن يجرى الأمور بأسبابها، بل المعنى الصحيح أنه لولا تدبير الحجة من خلال المعلومات التى تتنزل عليه من الله (عزوجل) لكانت الأرض تنزلق فى الفساد فى مختلف المجالات الصحية والبيئية وغيرها كانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة التى تفتك بالبشرية، فكثير من الأنظمة والقوى العظمى لا تستطيع أن تحول دون انتشار وباء يعصف بكل البشرية بل هم غارقون فى غفلتهم مهما تطورت علومهم وآلياتهم الصحية والمختبرية وغيرها فتلك الأنواع من الفساد كأنما جيوش لا يستطيعون التصدى لها، وإنما المتصدى والمانع دون وقوع ذلك الفساد الكبير فى مختلف المجالات البيئية والصحية والزراعية والحيوانية والأخلاقية والحقوقية والسياسية والأمنية و ... إنما هو الإمام، فهو الحائل دون قطع النسل البشرى ووقوع الكوارث الزراعية والحيوانية بل وحتّى يحول دون انقطاع النسل الهوائى أى فى مقابل التلوث الهوائى، فهناك مخاطر عجيبة تحدق بالبشرية وأولئك مهما أوتوا من علوم فهم يجربونها دون العلم بعواقبها ولا يلتفتون للوازمها كالطفل الذى يفجر شيئاً لا يعلم تداعياته ونتائجه، فنلاحظهم رغم كل ذلك يعانون ويهولون لأنفسهم أعمالهم وما يقومون به من معالجات غير مجدية لبعض المشاكل من ثقوب الأوزون والتلوث البيئى والانقراض وغيرها من التداعيات

الخطيرة ولا يعلمون كيف علاجها الواقعى.

إذن لا بدَّ لله تعالى من حاكم يحفظ أمن البشر الصحى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۱

والاقتصادى والأخلاقى والخلقى، ضد الأعمال والأساليب الشيطانية من خلال التدبير والإدارة، بحيث لا يمكن للعدو إعاقة إدارته وتدبيره، لذا لا بدَّ أن تكون تلك التدابير ونحوها خفية سرية فى الأرض، فيكون ذلك الحاكم المدبر خفياً مستتراً.

فهناك آثار وظواهر عجيبة فى الغرب يشاهدونها ولا يعلمون أسبابها ولا كيفية علاجها مثلًا انتشار الإسلام فى الغرب وأميركا وأماكن كثيرة وذلك من خلال إحصائيات سجلت فى العام الماضى والذى قبله، فإنّها إحصائيات مذهلة، ظنوا أن السبب بعض الفضائيات الإسلاميّة فأغلقوها ولم يكن ذلك منطقياً فإنّ بعض الفضائيات على قلتها ما هو تأثيرها فى قبال سيل هائل جارف وأسطول عظيم مهول من الاعلام من فضائيات وغيرها الموظفة للتأثير على الشعب الغربى، ثمّ ظنوا أن السبب هو الجاليات الإسلاميّة القليلة المغلوب على أمرها فضايقوها وقللوها قدر ما استطاعوا ولم تحل معضلتهم وهى انتشار الإسلام، فمهما سعوا وعملوا لن يكتشفوا سبب ذلك لأنه ليس بالأمر المكشوف كما يتصورون وإنما هو من تدبير الإمام وجهازه وأعوانه فى السر والخفاء لاصلاح الأرض ودفع فسادها.

جهاز تدبير الإمام ...: ص: ۵۳۱

كما تقدم فإنّ جهاز تدبير الإمام لا ينحصر بالنواب والسفراء كى يتوهم متوهم أنه بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة يتعطل تدبير الإمام ونشاطه وإنما الأمر أوسع من ذلك.

فإنّ من الأمر الظاهر الذى لا يتوقف على ظهور الإمام هناك جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۲

عام وهم النواب بالنيابة العامة والفقهاء والإمام يرعاهم ويتابعهم ويشرف على عملهم وإن لم يكن الفقهاء يرون الإمام كما أن هناك جهازاً خفياً من الملائكة وغيرها قال تعالى: وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ («۱») فإنّ ذلك أمرٌ منه تعالى للجميع دون استثناء، فالمطلوب من كل الخلق السجود والخضوع والإطاعة والتبعية لخليفة الله فى الأرض، والقرآن الكريم تعرض فى سبع سور («۲») إلى

أن الملائكة خاضعون متبعون للخليفة ولم يُستثن أحد من الملائكة، والذى يعنى شمول الجميع بأمر الطاعة والخضوع فحتّى جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ودردائيل

ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنّة وجميع الملائكة المقربين أو غير المقربين.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۳

قال تعالى: وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً («۱»)، فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً («۲») فالقرآن الكريم يستعرض الكثير من القدرات التكوينية فى عدة آيات ثمّ يعزوها ويسندها إلى الملائكة على اختلافهم وتنوعهم ثمّ أمرهم جميعاً بالسجود لآدم (ع) أى لخليفة الله فى الأرض، فالمراد من المأمور بالسجود كل جموع وقبائل الملائكة عظيمهم وبسيطهم مقربهم وغيره، والمراد بالخليفة ليس فقط آدم، بل جميع الأنبياء والأوصياء، أى كل من تؤول إليه الولاية فيكون السجود والخضوع والانقياد بأمر الله للملائكة جميعاً لآدم ونوح وإبراهيم ومحمّد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) والحسن والحسين (ع) وللخلف الإمام المهدى (ع)، فالمراد من الخليفة الذى يستخلفه الله وهو الوالى الذى قلنا أن الله بيّن أبرز مهامه فى الأرض وهى دفع الافساد وإقامة الصلاح وأن الله قد رسم وعيّن لوليه جهاز عمله العظيم بهندسةٍ متقنةٍ فكما بيّنا هندسة اختيار الفقهاء لارتباط الإمام بالناس كذلك له تعالى هندسة عظيمة فى ترتيب وتنظيم جهاز الإمام الخفى فإنّه تعالى أتبع الملائكة لخليفته فى الأرض وجعله والياً عليهم لأن علمه يفوق علمهم إذ قال تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ* قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ

وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ («۳») فمنيكون ذا علم أكثر يكون صاحب قدرة أكبر، فتدبير خليفة الله فى الأرض بالعلم الذى يصله ويستلمه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۴

الله تعالى وأن ذلك التدبير من الإمام ينفذه ويمرّره عبر جهاز خاص ليس من البشر فقط، كما يستعرض ذلك لنا القرآن الكريم فى سورة الكهف، إذ هو مطاع من كل مخلوق قال تعالى: وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ («۱») فلم يقل: فاسجدوا بل قال: فَقَعُوا فهو أمرٌ انضباطى معجل سريع، أما فاسجدوا ففيه شىء من التراخى.

فهذه القدرة لخليفة الله فى الأرض وآدم (ع) أوّل نموذج فى سلسلة أولياء وخلفاء الله الذين يعملون لاصلاح الأرض على رأس جهاز خاص من جميع الخلق.

وبهذا تندفع الكثير من الإشكالات والاعتراضات على جملة من عقائد الإمامية من الغيبة وغيرها والتى منها أن على بن أبى طالب (ع) كيف يكون خليفة الله فى الأرض وهو جالس فى بيته خمساً وعشرين سنة، فقد اتضح أن عمل خليفة الله فى إصلاح الأرض ليس موقوفاً على توليه السلطة والحكم فى الظاهر والسطح المعلن وإنما للإمام أنماط وأشكال من الحكومات يديرها لاصلاح الأرض ودفع الافساد، ومن أعظم أساليب النفوذ والحكومات التى يديرها هى الحكومات الخفية، فللإمام تدبيرات سرية خفية لم يطلع عليها ولم يفهمها أصحاب العقول الصغيرة والنظرة الضيقة فرأوا أنه (ع) جليس البيت خمساً وعشرين سنة.

ونفس الإشكال أوردوه على الإمام موسى بن جعفر (ع) وهو فى السجن والجواب بات واضحاً فللإمام تدبيرات وفق ما بيّناه وهكذا فى الرسول (ص) إذ نقرأ فى دعاء الندبة: «أوطأته مشارق الأرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۵

ومغاربها» («۱») فمع أن الرسول (ص) والأئمّة (عليهم السلام) لم تتجاوز أسفارهم الشام والعراق والجزيرة بشكل عام فكيف وطأوا مشارق الأرض ومغاربها؟

وما ذلك إلّا بتدبيرات خفية لهم (عليهم السلام)، فالرسول حتّى قبل بعثته كان نبياً وإماماً فإنّ نبوة وإمامة الرسول لم تتأخر إلى سن الأربعين، نعم بعثته الرسمية كرسول تأخرت إلى الأربعين، فلا تخلو الأرض من الإمامة فإنّ النبى والإمام وطأ مشارق ومغارب الأرض ليس فى أسفاره وتنقلاته المتعارفة عندنا، وإنما ذلك بتدبيراتهم ونحوها فى موارد طى الأرض ونحو ذلك.

معنى أعمق للغيبة ...: ص: ۵۳۵

فعندما نقول الغيبة مقابل الظهور يعنى أن فى فترة الغيبة لا بدَّ أن تكون جميع عناصر جهاز الإمام غير ظاهرة أى سرية مخفية فلا نغلو فى معنى الغيبة وانقطاع النيابة الخاصة، فلا يأتى متقمص مُنتحل كذاب دجال مزور ذو ألاعيب يدعى التمثيل الرسمى للإمام وأنه من شبكته

الأمنية أو جهازه التدبيرى أو غير ذلك، فإنّ ذلك ينافى الغيبة ويخالف السرية والخفاء، إذ لا نتصور أنه عنصر أمنى إلهى وليس أمناً بشرياً ويكشف السر الإلهى إذ كونه من جهاز الإمام السرى سراً إلهياً وأن كشفه أوّل الدجل والكذب، فإنّ هؤلاء الأوتاد أو الأبدال ونحوهم لو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۶

شم منهم رائحة النشاط الإلهى العلنى أتاهم عزرائيل وأطلق عليهم رصاصة الموت، أى نزع أرواحهم، فالتاريخ يحدّثنا عن كثير من الأوتاد والأبدال فما أن حصلت نوع من الريبة حوله يأتيه الأجل بسرعة، لم ذلك؟ لأن ذلك تصفية وهى مطلوبة وحالة طبيعية فى طبيعة النظام الأمنى، فأىّ عنصر يبرز ويظهر لا بدَّ من تصفيته، لذا فالذى يدعى أنه من جهاز الإمام أو له تمثيل رسمى من الإمام ونحو ذلك فهو أوّل الدجل لمخالفته السرية إذ لا يتصور الخفاء مع العلن.

فمع أن للإمام دوائر وشعباً إدارية مختلفة وجهاز عمل وتدبير كامل عجزت الدول العظمى كالعبّاسية والأموية عن اكتشاف فردٍ أو عنصر منه لأن مقتضى عمله السرية.

وهكذا النبى موسى (ع) عندما أراد أن يلتقى مع الخضر فلما كان الخضر من عناصر هذه الشبكة السرية لم يلتق به فى البيت الفلانى أو المكان الفلانى أى لم يكن موعده معه موعداً وفق الموازين المتعارفة وإنما أعطاه الله شفرتين لمعرفته ذكرت شفرة فى القرآن وذكرت الأخرى فى الروايات، فالأولى: فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً* قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً* قالَ ذلِكَ ما كُنَّا

نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً («۱») فالعلامة أن يضيع منه السمك فالله تعالى قال لموسى (ع) إذا ضاع منك السمك ستلقى العنصر الإلهى فى الشبكة الخفية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۷

والعلامة الثانية أن ذلك العنصر يكون مستلقياً ومغطى بلحاف والنبى (ع) لما وجد هاتين العلامتين المنحصرتين رأى الخضر فقال: هَلْ أَتَّبِعُكَ وبدأت القصة.

فموسى (ع) نبى من أولى العزم لم يستأمنه الله إلّا مع إعمال تلك الدقة الأمنية الاستتارية لأن الخضر كان فى ضمن شبكة أمنية خطيرة مخفية وهذه القضايا الأمنية الخطيرة هى سر الله التى عجزت عنه الدول العظمى فلم يتمكنوا من اختراقها لشدة نظمها وخفائها وصعوبة تدبيرها.

وقد تقدم وبيّنا أن كل ذلك من الخضر لم يكن ليتجاوز الضوابط والضروريات واعتراض النبى موسى (ع) إنما هو لإعمال القواعد الرقابية.

فإذا كان الله لا يكشف أحد أفراد تلك الشبكة السرية لنبى من أولى العزم، بل وبعد ما عرفه ورافقه لم يستطع الاستمرار قالَ هذا فِراقُ

بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً («۱») أى انقطع الاتصال بين النبى وبين الخضر وعادت السرية التامة، فإذا كان ذلك مع موسى (ع) فكيف بآحاد الناس والعاديين منهم، فالقرآن الكريم يقول نبى من أولى عزم لم يعرف فرداً من الشبكة السرية إلّا بشفرتين ولم تدم مرافقتهما

وانقطع الاتصال وعادت السرية، فكيف نقبل ونتصور أن يأتى إنسان عادى وفرد بشرى يدّعى أنه من الشبكة السرية، فلنتنبه ولنأخذ العبر والدروس من القرآن بأنه لا كشف للشبكة السرية فهى سر الله الأعظم ولا ننخدع بألاعيب وتفاهات المغرضين فإنّ أولئك دجالون مزورون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۸

مسيئون قال تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ («۱») فمن يحاول الدخول من الدجالين على خط خطير وشبكة أمنية سرية أخفاها الله ويكون دخولكم بدعاوى باطلة مغرضة أولئك مصيرهم الهاوية ومنزلقات خطيرة عجيبة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۱

الفصل التاسع: التوقيت والظهور ... ص: ۵۴۱

كيف ننصر الإمام المهدى (ع ...): ص: ۵۴۱

المؤمنون بمقتضى إيمانهم واتّباعهم لأهل البيت (عليهم السلام) ينجذبون ويساهمون فى نصرة الإمام المهدى (ع) وينبغى أن يعلم أن الطريق الوحيد لنصرة الإمام (ع) هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الظهور هو إعلان مشروع الإمام المهدى (ع) من قبله (ع) بشكل علنى أمام البشرية، فإذا كانت البشرية كلها عاصية ومتمردة على مشروع الإمام (ع)، فهل يمكن للإمام (ع) أن ينتصر؟

مما لا شكّ فيه أن البشرية إذا كانت متمرّدة على مشروع الإمام لا يمكن للإمام (ع) حينئذٍ أن ينتصر، لأن الظهور من سنن الله تعالى وأنه تعالى أبى إلّا أن يجرى الأمور بأسبابها وليس بالإعجاز فقط ومحض الغيب، كما بيّن ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ («۱»).

فإنّ الله تعالى كتب لدولة العدل أن تقام على الأرض لكن متى توفرت الشرائط والمعدات لذلك، وهذه توفرها البشرية بأن تستعد وتتقبل ذلك وتقوم به ومن أهم ذلك نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والقيام به بشكله الصحيح وإلّا استمر تأخير إقامة تلك الدولة.

وهناك عدّة روايات يظهر منها أن ظهور وإقامة دولة العدل ودولة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) كان مقدّراً فى زمن الإمام الحسين (ع) وكذا فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۲

زمن الصادق (ع) أو الكاظم (ع) («۱»)، ولكن بدا لله تعالى تأخير ذلك، لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) توانوا فى القيام بالدور المناسب، وما ذلك إلّا لأن الظهور ليس أمراً جبرياً ولا تفويضياً بل هو أمر بين أمرين، فإنّ قاعدة الأمر بين أمرين جارية حتّى فى الفعل الاجتماعى والحضارى والسياسى.

وعليه فلما كان الأمر كذلك فلا نتوقع الظهور وقيام دولة الحق مع عدم النصرة وأن النصرة له (ع) لا بدَّ أن تكون من الأفراد ومن المجتمعات والدول ولا نتصور حصول النصرة له من الأفراد والمجتمعات والدول إلّا إذا انتشر الاعتقاد بمشروع ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) وهو مشروع الظهور ومشروع الإمام المهدى (ع).

وقد ورد فى الدعاء: «مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم» («۲»)، فإنّ هذا ترتب تصاعدى، مؤمن، ثمّ مصدّق، ثمّ منتظر، ثمّ مترقّب، ولكل درجة ومرتبة من هذه العناوين شرائط ووظائف خاصة كما له مفهومه الخاص، فالمنتظر هو الذى يباشر العمل أى من يقوم بإيجاد مقدمات تتوقف عليها تحقيق نتيجة معينة، والمترقب هو من أنجز العمل ووفر وحقق ما مطلوب منه كمقدمات لذلك العمل ولم يبقَ له إلّا الحصول على هدفه وأخذ النتيجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۳

فإذا كنّا منتظرين لظهور الأمر وتحققه لا بدَّ من تحمل المسؤولية والعمل على تحقق مقدمات الظهور وهى نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لنكون بعد ذلك مترقبين للظهور وإقامة دولة العدل والحق، فالانتظار نوع من التفاعل مع عقيدة الظهور وعقيدة إمامة الإمام المهدى وليس إبقاؤها عقيدة تجريدية بل لا بدَّ من تفعيل تلك العقيدة من خلال تفاعل الإنسان بأن عنده مشروع مهدوى.

فإنّ عقائد أهل البيت (عليهم السلام) دوماً واستمراراً تترجم بمشاريع عملية ميدانية اجتماعية سياسية وليست عقائد أهل البيت عقائد تجريدية تظل فى السطور والكتب وتحمل فى القلوب دون تفعيلها وليست هى عقيدة فردية يعيشها الفرد فى نفسه أو فى ظرفه وميدانه الخاص وإنما هى عقائد تقتضى الارتباط بالمجتمع وتحمل المسؤولية بالموقف السياسى والاجتماعى فهى عقائد لها تداعيات وتوجهات وتأثيرات خارجية فعلية، فمثلًا العقيدة بالإمام الحسين (ع) تعنى تحمل مسؤولية النهى عن المنكر الاجتماعى والنهى عن المنكر السياسى والنهى عن المنكر المالى وهكذا...

وكذا تحمل مسؤولية الأمر بالمعروف الاجتماعى والسياسى والمالى و...

لذلك تقول بعض الدراسات الغربية: إن عقيدة الإمام الحسين عقيدة خطرة لأنها تمنع وتمانع وتقاوم الذوبان فى الثقافات الأخرى فإنّ هذه العقيدة فيها خصائص وصفات تمنع التأثر بالغير حيث إن كل المسلمين ذابوا فى الغرب إلّا أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وقد تقدّم بيان هذا المطلب والسبب الرئيسى هو الاعتقاد بالإمام الحسين (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۴

ووجود المرجعيات الدينية المتعاقبة الحاملة لهذا الفكر والناشرة والعاملة به، فهو منهج مفعل وعقائد وثقافة تطبيقية لا يمكن القفز عليها، لذا فهى مبادئ غير قابلة للتأثر بالغير لأنها مبادئ عملية تطبيقية.

إذاً مشروع الإمام الحسين (ع) خطر عليهم ويقلقهم لأنه مشروع حيوى ميدانى.

وهكذا الكلام فى العقيدة بالإمام المهدى (ع) فهى إحدى عقائد مدرسة أهل البيت المهمّة وعموم المسلمين، فليست هى عقيدة قلبية بين الفرد ونفسه أو تبقى حبيسة السطور وإنما هى عقيدة فعلية عملية اجتماعية لها تداعياتها وتموجاتها التى تبنى صرح الدولة الإسلاميّة الصحيحة المستقيمة وفى نفس الوقت تهدم كل مخططات الكفر والكافرين.

وقد ذكرنا سابقاً أن هناك كتاباً خطيراً للخبير والباحث الستراتيجى فرانسوا توال باسم الجغرافية السياسية للشيعة إذ يتعرّض فيه لعقيدة الإمام المهدى (ع) ويقول فيه: (إن عقيدة الإمام المهدى عند الشيعة ليست عقيدة تجريدية جمودية بل هى عقيدة مشروع دولى عولمى اممى) ويضيف هذا الكاتب القول: (والمشكلة أن هذا الطموح الخطير لا نجده فى أىّ ملّة ولا نحلة ولا جماعة أخرى) ثمّ يحذّر بالقول: (فلذلك يجب على المراقبين الدوليين أن يلتفتوا إلى خطورة هذه العقيدة فإنّها ليست عقيدة وحسب، بل هى مشروع عالمى متكامل. لاسيّما أن هذا المشروع أكبر شعار لكل مؤمن بالعدالة وهو العدالة المطلقة)، ومعلوم أن العدالة هى أنشودة كل البشرية على طول التاريخ، إذ مذهب أهل البيت يحمل شعار العدالة المطلقة وينفى العرقية والعشائرية والتميز الطبقى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۵

والاجتماعى ... والمقياس هو: «كلكم لآدم وآدم من تراب» («۱»)، و إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ («۲») وهذه ليست موجودة فى المدارس الإسلاميّة، الأخرى بل ولا الملل والنحل الأخرى.

إذاً نحن لا بـدَّ أن نتحمّل المسؤوليـة إذا كنّا ننتظر الظهور، وذلك بأن نسـعى للاعداد للظهور وهذا الإعداد لا يكون إلّا بوسـيلة وحيدة وهى الأولى والأخيرة فى تحقيق الظهور وهى نشـر مـذهب وعقائـد أهل البيت، لأن نشـر مذهب أهل البيت يعنى نشـر شـروط وقواعد العـدل ونظم العـدل الحقيقى وكيفية برمجة العدل والعدالة والحرية والقسط والقسـطاس فإنّ أبرز مهام الإمام (ع) عند ظهوره ونهضـته وإقامة دولته هى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلًا.

فـإنّ هـذه الميزات هى من خصـائص ومنهاج آبائه وأجـداده الأئمّـة الطاهرين (عليهم السـلام) وهنا أكبر برهان قانونى واجتماعى على كون نشر مذهب أهل البيت هو طريق الإعداد للظهور حيث يقول علماء القانون وعلماء الاجتماع وعلماء العلوم السياسية الأكاديمية أنه إذا اريـد تطبيق نظام معيّن وإقامته على الواقع الخارجى فلا بـدَّ أوّلًا وفى الدرجـة الأساس من تثقيف المجتمع على تعاليم ذلك النظام، بل لا بـدَّ من التشـدد فى تعليمهم ذلك النظام نظرياً أى لا بـدَّ من التهيئة النظرية والتى هى عبارة عن الاعتراف والاعتقاد بذلك النظام أوّلًا ومعرفة بنوده وإرشاداته...

وهكذا فى دولة الإمام (ع) فإنّ المنشود منها هو إقامة دولة الحق والتى هى على طبق منهج أهل البيت فلا بدَّ أوّلًا من التهيئة والإعداد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۶

لـذلك بأن يعتنق الناس مـذهب الحق ومعرفة عقائده وإرشاداته وبنوده وأمثليته وأمثولته الموجودة فى الكمال كى تأتى المرحلة الثانية وهى التطبيق العملى وإنجاز العمل وهو الظهور.

إذاً مرتبـة الإعـداد والتهيئـة وطلب وانتظار الظهور هى المعرفـة النظرية لكافة البشـر بأن مشـروع الإمام المهدى ودولة الظهور هو الأحق والأكفأ والأجـدر والأمثل فى معالجـة مشاكل البشـر من الظلم والفساد، فحينئـذٍ بهـذه الطريقـة نمهـد لظهور الإمام (ع) وإقامـة الـدولة المباركـة وبسـطها على العالم ولا نتصور من دون ذلك تحقق انتصار الإمام وإقامـة الدولة إلّا بالمعجزة أو الطفرة، ولكن الله تعالى أبى إلّا أن تكون الأمور بأسـبابها ومسـبباتها وليس بالمعجزة، كما أن الطفرة باطلـة ومخالفـة للقوانين والقواعـد العقليـة، وقد تقدم أن أولى القواعد الرقابية على الحجج هى بديهيات العقل وبديهة العقل تقضى أن لكل مسبب سبباً فلا بدَّ أن تكون دولة الإمام (ع) وفق أسبابها ومقدماتها لا بالطفرة.

وعليه فمسؤولية الانتظار هى الإسـهام والعمل والنصـرة المؤكّدة للإمام (ع) من خلال نشـر مذهب ومنهج أجداده المعصومين لأنه (ع) سيكون مقيماً لكتاب الله ومحيياً لسُـنّة رسوله (ص) ومطبقاً لمنهاج وسـنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، وهذه المهمّة لا تكون إلّا بتقـديم المعرفة النظرية لمذهب أهل البيت (عليهم السـلام) وهذه الخطوة من التثقيف والإعداد بنشـر عقائد أهل البيت هى التى يحذّر منها فرانسوا توال فى كتابه (الجغرافيـة السياسـية للشـيعة) الـذى كتبه قبل ست سـنوات حيث يقول: (إن أخطر ما فى هـذه العقيـدة أنها بالإمكان أن تنتشر بين الشعوب والدول بين ليلة وضحاها وأخوف ما أنبه عليه المسؤولين الدوليين أن هذه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۷

العقيدة لا تحتاج فى انتشارها إلى مؤونة لأنها تحمل شعاراً تنشده كل الأمم والشعوب وهو الحرية والعدالة المطلقة).

ويضـيف هـذا الكاتب: (إنّى اقـدّر سـرعة انتشار هـذه الدعوة بأن تكون أسـرع من انتشار الشـيوعية والاشتراكية) فهو يخاف من سـرعة انتشارها لأنها دعوة حق وعدل، والناس متعطّشة لذلك فما أسـرع اعتناق الشـعوب لهذه المبادئ السامية والنبيلة فى مذهب أهل البيت، وهذا يحتاج للعمل وتحمل المسؤولية فى النشر والتثقيف وإيصال العقائد للشعوب كى ينخرطوا فى اعتناق مذهب الحق.

ولـذلك فإنّ الغربيين والملحـدين وأصـحاب الفكر المنحرف من بعض الـديانات لما اكتشـفوا مكامن الخطر المحدق بهم وبرئاساتهم وعروشـهم بـدأوا الحرب ضـد دولـة الإمـام (ع) قبـل قيامها وذلك من خلال عرقلـة مقـدمات إقامتها فحاولوا ويحاولون تبديـد طاقات المؤمنين فى دعـاوى ضالـة تحيـد بهم عن الطريق ونشـر الخزعبلات والأساطير والخرافات والهلوسات التى لا تمتّ بأىّ صـلة لمـذهب أهل البيت (عليهم السلام) فيروجون كل تلك المعرقلات للحدّ من انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل ويدخل عملهم أحياناً

فى مسار التثقيف السلبى لفكر أهل البيت (عليهم السلام) وهذا أخطر عدو.

فإذاً الأمر مهم جدّاً وحساس وخطير، وهناك ألاعيب وتدابير خلف الكواليس تحاك، وهناك نشر لتعاليم زائفة باطلة عن الإمام ودولته وثقافته وحكمه. ولكن لا بدَّ لنور الله أن يشع ويملأ الأرض، قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۸

وهذه الآية تعتبر دليلًا آخر على أن طريق تمهيد الظهور هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ معنى انتشار نور الله هو انتشار لمعتقدات أهل البيت، وهكذا فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ («۱») فإنّ الاظهار يحصل باعتناق الناس للإسلام بحقيقته وهى الإيمان وهو مذهب أهل البيت وليس الإسلام بظاهره القشرى، وهذا لا يكون إلّا بانتشار تعاليم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فإنّ قمّة إنجازات دولة الإمام (ع) هو نشر الهداية فى كافة أرجاء الأرض، فالنتيجة تعتمد على استراتيجية دولة الإمام المهدى (ع) ونحن إذا أنجزنا هذه الخطوة وهى نشر التعاليم النظرية فى العالم، فكأنما نحن أنجزنا غاية الإنجازات للدولة بعد الظهور فكيف لا يسهم نشر مذهب أهل البيت فى الظهور وهو يعتمد على نفس استراتيجية دولة ما بعد الظهور بل نشر تعاليمهم ومناهجهم هو عمدة العماد للظهور.

وقد يتوهّم البعض استناداً إلى فهم خاطئ من بعض الروايات التى تقول كما يشيع ويساعد على ذلك أعداء أهل البيت تقول: إن الإمام يظهر ليملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً («۲»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۹

فإنّهم يتوهّمون أن الإمام (ع) يظهر إذا امتلأت الأرض بالفساد والجور والظلم و ... فلا بدَّ من انتشار الفساد لا الصلاح والهداية وهذه من المغالطات التى يروّج لها الأعداء.

وإنما المراد بذلك أمر بين أمرين فمعنى امتلاء الأرض بالفساد والجور يعنى مجتمع معسكر الفساد فى قطب مقابل تجمع معسكر الإعداد للظهور فى قطب آخر، أى فإنّ الأرض كما ملئت ظلماً وجوراً فهى مستعدّة بعد نشر العقائد الحقّة لكى تكون أرضاً خصبة للظهور وامتلائها عدلًا وقسطاً وإلّا فلو امتلأت الأرض كلها بالفساد فكيف ينتصر الإمام وكيف تكون له القيادة والريادة، فهو نظير إرادة انتخاب شخص للرئاسة ونحن نقول لجميع الناخبين لا تنتخبوه؟!

ومما يؤيّد ويساعد على أن الإعداد إنما يكون بنشر المذهب الحق ما ورد من روايات تبيّن أماكن ظهور أنصار الإمام (ع) ال- (۳۱۳) فإنّها تبيّن أماكن مختلفة من الهند والصين وأوربا واليابان فهم من كل نقاط العالم وليس من الشرق الأوسط فقط، فكيف يخرج أولئك ما لم ينتشر عندهم مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

كما يؤيّد ذلك روايات الملاحم حيث تذكر أن هناك راية فساد معادية واحدة وهى راية السفيانى فى قبال عدّة رايات إصلاح وتمهيد ونصرة كاليمانى والخراسانى وراية من المغرب وأن هناك رايات متعدّدة موالية لأهل البيت (عليهم السلام) فإنّ درجات الموالاة تختلف، وهذا يدلل على أن أكثر العالم يكونون على وعى وإدراك واقتناع بتعاليم دولة الظهور، نعم هناك قلّة تبقى على الضلال وتدخل فى راية السفيانى وتكون معادية لمذهب أهل البيت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۰

فمقتضى الضروريات ومقتضى الإصلاح والمنطق السليم هو أن الإعداد للظهور هو نشر العقائد الحقّة وليس الفساد، فإنّ ما ينشده العالم اليوم من الحداثة والعولمة وحقوق الإنسان والإصلاح والسلم والمساواة و ... كل ذلك تحت عنوان مشروع إصلاحى عالمى منقذ هذا لا ينسجم ولا يتوافق إلّا مع مذهب أهل البيت دون غيره من الأديان والمذاهب الأخرى قاطبة، فهذه المضامين فى العناوين

المطروحة على الساحة العالمية عبارة عن دروس ومضامين لا تتّفق مع المسيحية ولا اليهودية ولا المذاهب الإسلاميّة الأخرى فضلًا عن البوذية والهندوسية وكل الأديان المنحرفة الأخرى، وهذا من الملاحم الأديانية الإعجازية أن تنتشر هذه الثقافات والعناوين التى تحتوى بنود منهاج الإسلام عند أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لا بدَّ من الإعانة والإسهام فى انتشارها الصحيح وليس الانتشار السلبى والتوظيف المصلحى الهدّام، كما تفعل الدول العظمى حيث تستغل هذه العناوين فى تحقيق أهدافها وأغراضها التى هى فى حقيقتها مخالفة لواقع هذه العناوين.

فالأنظمة الدكتاتورية والمنحرفة والمادية و ... فى نفس الوقت الذى تنشر الفساد هم مضطرون للترويج لهذه الثقافات على نحو المطالب المستقبلية والتأمل فى المستقبل المنشود و ... وهذا ما يساعد على استغلال ذلك لنشر الثقافة الصحيحة وبيان أن المشروع الإصلاحى والمنقذ الوحيد المحقق لتلك العناوين المنشودة، والمطبّق لها على الواقع هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام).

والحاصل أنه لا بدَّ لنصرة الإمام من إعداد القاعدة الجماهيرية وليس الكلام عن وزرائه الثلاثمائة وثلاثة عشر وإنما الكلام عن القاعدة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۱

الواسعة على الأرض وهى الجماهير فلا بدَّ أن يكونوا على مستوى من الوعى والثقافة المهدوية والعلم ببنود وأهداف دولة الإمام ليكونوا عمود قيام تلك الدولة ضد الظلم والظالمين.

لذا فإنّ الانتظار الحقيقى والانتصار والعون الأكبر فى نصرة الإمام المهدى (ع) وطريق الإعداد الوحيد لمشروع الظهور هو نشر منهاج وطريقة وعقيدة أهل البيت (عليهم السلام).

ومن يحاول التحايل على ذلك فليعلم أنه إما يدجّل أو دُجل به وإما يكذب أو كُذب عليه وإما ضل أو ضلل به، لأن إعاقة نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هى إعاقة لمشروع الظهور لا- محالة فى حين أن أكبر وأقوى سلاح لعون ونصرة الإمام (ع) ولمشروع الظهور هو نشر معارف وعقائد وتعاليم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بسداد وصواب وشفافية وبلا أىّ تحريف وتلويث، لأن مشاريع وعقائد أهل البيت (عليهم السلام) هى مشاريع مناهضة للظلم، وهكذا هو مشروع دولة الإمام (ع).

إذاً عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) هى عقيدة مشاريع وهى فى المآل ومنتهى المطاف هى مشروع الإصلاح وإقامة العدل والحريّة أما إذا لم نستطع أن ننشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) فى أرجاء الأرض فلا نتوقع الظهور ولا يمكن أن نوقّت له فإنّه كلما تلكّأ انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كلما تلكّأ وتأخّر الظهور ولا ريب ولا شكّ بذلك حسب الروايات، فإنّ أصل معنى راية اليمانى ورايةالخراسانى وغيرها رايات مناصرة لأهل البيت (عليهم السلام) فى قبال راية واحدة معادية وهذا يعنى أن القاعدة الجماهيرية تهتف بأهل البيت (عليهم السلام) والعالم بأكمله قد استجاب لنداء أهل البيت (عليهم السلام) وصاروا محبّين لهم ومتبعين لتعاليمهم وأن هناك قلّة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۲

قليلة ترفع راية ضد مشروع الظهور والذى يعنى أن عقيدة ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) انتشر فى جميع العالم.

وعليه فهذه علامة واضحة وتوقيت لا- لبس فيه، بل وعلامة حتمية من الأئمّة (عليهم السلام) وهى أنه إذا انتشر منهاج أهل البيت وعقائدهم وتعاليمهم فقد حان وأزف الظهور فإذا والى المسلمون أهل البيت (عليهم السلام) لاسيّما فى بقاع المسلمين لأنها هى منطلق الظهور فقد حان الظهور.

وأما إذا لم ينتشر مذهب أهل البيت بل كان الناس على عداء لهم والعياذ بالله، أو كانوا على قطيعة وبعد من أهل البيت (عليهم السلام) وكانوا يبغضونهم وينفرون من مذهبهم (عليهم السلام) فهذا يعنى تأخّر الظهور قطعاً.

وعليه فهذه علامة حتمية بأيدى الناس يستطيعون تحقيقها وإنجازها ومن خلالها العلم واستعلام الظهور.

فعندما تذكر الروايات أن من أفضل العبادات انتظار الفرج كما عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص): «أفضل العبادة انتظار

الفرج» («۱»)، وعن على بن الحسين (ع) قال: «تمتد الغيبة بولى الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمّة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدى رسول الله (ص) بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً» («۲»).

وإن الانتظار صفة المؤمنين الموالين فإنّ للانتظار أدبيات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۳

وواجبات فقد اتّضح أنه من واجبات الانتظار والمنتظر هو السعى لنشر منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وأن يكون مترقّباً من خلال نصرة الإمام والنصرة لا تكون إلّا بنشر عقائد وتعاليم سبيل الحق من مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

لذا فالذى يكون ناصراً ومنتظراً ومترقباً لأهل البيت ولدولتهم وللمهدى (ع) هو من ينشر مذهب الحق وليس من يحرّف ويعرقل مذهب أهل البيت ويدخل الأساطير والخزعبلات والخرافات و ... فإنّ ذلك لا تستجيب له الفطرة البشرية وعليه فأعداء أهل البيت من الظلمة والطواغيت و ... تجدهم يمنعون نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من خلال خلق التيارات المنحرفة ونشر الأساطير الباطلة ونحوها.

وهذا لا ينطلى إلّا على السذج والبسطاء وإلّا فإنّ منهاج أهل البيت (عليهم السلام) هو مذهب المنطق والبرهان والدليل والبيان والعقل والعقلانية الذى تهتف به كل فطرة البشر وهو الذى يخافه أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

إذاً طريق الظهور والتوقيت له بعلاماته الحتمية، ومسؤولياته هى الانتظار والوظيفة العملية للمؤمنين فى زمن الغيبة هو السعى لتثقيف البشرية بثقافة السداد والصواب والحق والهداية والنور وذلك بنشر عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فهذا هو السبيل الوحيد لتقريب الظهور وتوقيته وهو العلامة الحتمية على ذلك، فإنّ الروايات بيّنت أن ضابط الظهور هو مناصرة غالب المسلمين وموالاتهم لأهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ ذلك هو أرضية الظهور وهى مسؤولية الانتظار.

وليس كما يبيّن بعض الدجّالين والمضلّين بأن يعيثوا فى الأرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۴

فساداً فى مقابل السداد والتقوى فى منهاج أهل البيت (عليهم السلام) فيذكر بعض المزيّفين والدجّالين أساليب وألاعيب فى الدين ويترك كل تعاليم الدين والعبث بالضروريات والسنن بدعوى أنه إذا انتشر الفساد فى الأرض فإنّ الإمام يظهر لدفع ذلك.

ولكن من الواضح والجلى جدّاً أن هذا من ألدّ أعداء أهل البيت وأشدّ المعوقين والمانعين للظهور وإقامة دولة الحق وإلّا فقد بيّنا أن تأويل مغزى الروايات هو أن أغلب الرايات التى تظهر هى مناصرة للإمام (ع) وما ذلك إلّا بمعنى انتشار عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) وكون أغلب البشرية من الموالين والمحبين لهم (عليهم السلام).

فلا بدَّ أن تكون الأرضية مؤاتية للظهور ولا تكون كذلك إلّا بنشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا بنشر الفساد والضلال ومعاداة أهل البيت (عليهم السلام).

التوقيت والتفاؤل ...: ص: ۵۵۴

الإنسان تارة يعتقد بشىء فيه الخير له ولعموم الناس فلا بأس أن يتفائل به، بمعنى أن يرجوه ويطلبه من الله تعالى ويتوقّع وينتظر قرب تحققه، ولا ريب أنّا نعتقد الخير بل كل الخير فى ظهور الإمام صاحب العصر والزمان لينشر الحق والعدل وإقامة دولته الكريمة المباركة، فلا بأس أن نتفائل بذلك ونرجوه من الله تعالى.

ولكن إيّانا أن يكون ذلك الطلب منّا بالتوقيت بمعنى أن نحتّم ادّعاء شىء على الله تعالى، فإنّ ذلك ممنوع بنصّ كثير من الروايات

منها:

عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمرى (رض) أن يوصل لى كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علىَّ فورد (ت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۵

فى) التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك »، ... إلى أن يقول: «وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقّاتون» («۱»)، وعن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) قال: قلت له: جُعلت فداك متى خروج القائم (ع)؟ فقال: «يا أبا محمّد إنّا أهل بيت لا نوقّت وقد قال محمّد (ص): كذب الوقّاتون، يا أبا محمّد إن قدام هذا الأمر خمس علامات أولاهن النداء فى شهر رمضان، وخروج السفيانى، وخروج الخراسانى، وقتل النفس الزكية وخسف بالبيداء» («۲»)، لأن الظهور أمر استأثر به الله تعالى وادّعاء العلم به كذب وافتراء وتعدّى لحدود الله.

وببيان آخر: أنه عندنا قيامة صغرى وهى ظهور الإمام وقيامة وسطى وهى دولة الرجعة وقيامة كبرى وهى المعهودة للأذهان، لذلك فإنّ ظهور الإمام (ع) نوع من الغيب قال تعالى: هُوَ الَّذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ («۳»)، وقال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ («۴»)، وهذه الساعة لها ثلاث مراحل: صغرى ووسطى وكبرى.

وهذا لا يمنع التوقيت من المعصومين (عليهم السلام) سواء أكان التوقيت بمعنى الحالة أم بمعنى التوقيت الزمانى المشروط أو المعلق لأنهم (عليهم السلام)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۶

خارجون تخصصاً عن هذا المنع إذ هذا المنع من التوقيت هو منع شرعى وعقلى، أما الشرعى فبمقتضى الروايات، وأما العقلى فلأن الظهور أمر غيبى استأثره الله لنفسه، نعم ذكر لذلك علامات حتمية وغير حتمية لكن البداء يمنع ذكر زمان معيّن محدّد له، فالظهور أمر تابع ومرتبط باللوح والقضاء والقدر وما ينزل من بداء ... لذا لم نجد فى الروايات المؤقّتة أىّ تحديد زمانى تقويمى ولا يمكن لأحد ادّعاءه والأئمّة (عليهم السلام) لم يوقّتوا بالتوقيت الزمانى المطلق بل بالتوقيت العلامى أى هناك علامات إذا تحقّقت بقيت إرادة الله فقط.

أما التوقيت من غير المعصوم فممنوع وغير مقبول بجميع أنواعه وأشكاله لأن الظهور المبارك يبقى فى علمه تعالى ومن أطلعه عليه وهم فقط الأئمّة المعصومون، وهذا نظير الكثير من الأسباب والمسببات التى بينها فى منظومة دينه ولكنه تعالى احتفظ بتقسيم ذلك كالأعمار والأرزاق و ... فإنّها تتأثّر وتتغيّر وفق معادلات دقيقة من الصدقة وصلة الرحم و ... و ... فإنّه تعالى يقول: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ امُّ الْكِتابِ («۱») إذ لم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلّا وأخذ عليه الإيمان بالبداء لكن لا بمعنى الجهل فى الساحة الربوبية وإنما بمعنى أنه لله أن يفعل ما يشاء قضاءً مبرماً وينسخ الله ما يشاء ضمن حكمته تعالى وعلمه الغالب فلا يمكن أن تحتّم شيئاً على الله تعالى ما دام البداء موجوداً.

وهذا لا يمنع من تحقيق مقتضيات الانتظار والترقب كما تقدّم بل لا مانع من متابعة العلامات المبيّنة فى الروايات فإن تحقّقت فنتوقّع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۷

ونتأمل الظهور بإرادته تعالى لا بالتوقيت إذ لا بأس بأن نتفائل بشىء بعد تحقيق أسبابه ومقدماته وأن لا نحتّم شيئاً عليه تعالى أو ادّعاء العلم به، أما من يدّعى العلم به فإما أن يدّعى أنه عنده علم الله وإما أن يدّعى الألوهية من حيث يشعر أو لا يشعر والعياذ بالله من الضلال والمضلّين وقد تقدّم أن أكبر أسباب الظهور هو انتشار منهاج أهل البيت (عليهم السلام) بين الأمم.

وفقنا الله وإيّاكم لأن نكون من أنصاره ومنتظريه والمترقّبين لدولته (ع) وممن يقوم بالواجب والمسؤولية تجاهه ويحمل على عاتقه مثل هذه العقيدة ببصيرة نافذة وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين («۱»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۹

مصادر التحقيق ... ص: ۵۵۹

القرآن الكريم.

الاختصاص: الشيخ المفيد/ ت علىّ أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ المفيد/ ت أستاد ولى/ علىّ أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه-/ مؤسسة البعثة.

الأمالى: السيد المرتضى/ نشر مكتبة المرعشى النجفى/ قم/ ۱۴۰۳ ه-.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت.

الاعتقادات فى دين الإمامية: الشيخ الصدوق/ ط ۲/ نشر دار المفيد/ ۱۴۱۴ ه-.

أجوبة المسائل المهنائية: العلّامة الحلى.

الإختصاص: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين/ قم.

إختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسى/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ قم/ ۱۴۰۴ ه-.

الإحتجاج: الطبرسى/ مطبعة النعمان/ النجف الأشرف/ ۱۳۶۸ ه-.

إعلام الورى: الطبرسى/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه-.

الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم.

الأسرار الفاطمية: المسعودى/ رابطة الثقافة الإسلامية/ لندن/ ۱۴۲۰ ه-.

أنوار الملكوت فى شرح الياقوت: العلّامة الحلى.

أنيس الموحدين: الملّا مهدى النراقى.

أوائل المقالات: الشيخ المفيد: دار المفيد/ الطبعة الثانية/ بيروت ۱۴۱۴ ه-.

البابيون والبهائيون: د. همتى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۰

بحار الأنوار: المجلسى/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ۱۴۰۳ ه-..

البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان: المتقى الهندى/ مطبعة الخيام/ قم.

البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقى/ ط ۱/ ۱۴۰۸ ه-/ مط دار إحياء التراث العربى.

البيان فى تفسير القرآن: السيد الخوئى/ دار الزهراء/ بيروت/ ط ۴/ ۱۹۷۵ م.

تاج العروس: محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى.

تاريخ أصفهان: الحافظ الأصفهانى.

تجريد الإعتقاد: نصير الدين الطوسى/ ط: مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۰۷ ه-.

تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحرانى/ ت علىّ أكبر غفارى/ ط ۲/ ۱۴۰۴ ه-/ جماعة المدرسين/ قم.

التفسير الكبير: الفخر الرازى.

تفسير البحر المحيط: محمّد بن يوسف الأندلسى الجيانى.

تفسير العياشى: العياشى/ المكتبة العلمية الإسلاميّة/ طهران/ ۱۳۸۰ ه-.

تفسير القمى: على بن إبراهيم/ مؤسسة دار الكتاب/ قم/ الطبعة الثالثة/ ۱۴۰۴ ه-.

تفسير البرهان: البحرانى.

تفسير ابن كثير: ابن كثير الدمشقى/ دار المعرفة/ بيروت/ ۱۴۱۲ ه-.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسى/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.

جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردى/ المطبعة العلمية/ قم/ ۱۳۹۹ ه-.

الجغرافية السياسية للشيعة: فرانسو توال.

خاتمة المستدرك: النورى الطبرسى/ ت مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۵ ه-..

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندى/ مؤسسة الإمام المهدى/ قم.

الدر المنثور: جلال الدين السيوطى/ ط ۱/ ۱۳۶۵ ه-/ مط الفتح جدة/ دار المعرفة.

دلائل الإمامة: الطبرى (الشيعى)/ مؤسسة البعثة/ قم/ ۱۴۱۳ ه-.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۱

رجال النجاشى: النجاشى/ ت الزنجانى/ ط ۵/ ۱۴۱۶ ه-/ جماعة المدرسين/ قم.

رجال الكشى: الكشى/ طبع مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).

رسائل فى الغيبة: الشيخ المفيد/ تحقيق: علاء آل جعفر.

رسائل المرتضى: الشريف المرتضى/ نشر دار القرآن الكريم/ قم/ ۱۴۰۵ ه-..

رسالة فى أصول الدين: المحقق القمى.

روضة الكافى: الكلينى/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران (الطبعة الثالثة)/ ۱۳۸۸ ه-.

روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابورى/ منشورات الرضى/ قم.

رجال أبى داود: الحسن بن على بن داود الحلى/ المطبعة الحيدرية/ النجف ۱۳۹۲ ه-.

رجال النجاشى: النجاشى/ جماعة المدرسين/ قم/ ۱۴۰۷ ه-.

سر السلسلة العلوية: أبو نصر البخارى/ المطبعة الحيدرية/ النجف ۱۳۸۱ ه-.

شرح إحقاق الحق: السيد المرعشى النجفى/ مكتبة آية الله المرعشى/ قم.

شرح الأخبار: القاضى النعمانى المغربى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم.

شرح الفصوص: القيصرى.

شرح أصول الكافى: المازندرانى/ دار إحياء التراث العربى/ بيروت/ ۱۴۲۱ ه-.

صحيح البخارى: محمّد بن إسماعيل البخارى/ مط دار الفكر بيروت.

صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابورى/ دار الفكر بيروت.

صحيفة المهدى: جواد القيومى الأصفهانى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ ط ۲/ قم.

الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة: ابن حجر العسقلانى.

عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ۱۴۰۴ ه-.

العرائس: الثعلبى.

عوالى اللئالى: ابن أبى جمهور الاحسائى/ الطبعة الأولى/ ۱۴۰۳ ه-/ قم.

عمدة القارئ: العينى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۲

عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق/ الأعلمى/ بيروت ۱۴۰۴/ ت حسين الأعلمى.

الغيبة: الطوسى/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ الطبعة المحققة الأولى/ ۱۴۱۱ ه-..

الغيبة: النعمانى/ مكتبة الصدوق/ طهران.

غريب الحديث: الهروى/ دائرة المعارف العثمانية/ ط ۱/ ۱۳۸۴ ه-..

الغرر والدرر: السيد المرتضى.

فرق الشيعة: النوبختى.

فقه الرضا: المنسوب للإمام الرضا/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط الأولى ۱۴۰۶ ه-..

القصص: الميرزا التنكابنى.

كامل الزيارات: ابن قولويه القمى/ ت القيومى/ ط ۱/ ۱۴۱۷/ مؤسسة النشر الإسلامى.

كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۰۵ ه-.

كشف الغمة فى معرفة الأئمة: الأربلى/ ط ۲/ ۱۴۰۵ ه-/ دار الأضواء/ بيروت.

كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۱۷ ه-.

كشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء/ منشورات مهدوى/ إصفهان.

كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۰۷ ه-.

كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكى.

لؤلؤة البحرين: الشيخ يوسف البحرانى.

اللهوف فى قتلى الطفوف: السيد علىّ بن طاووس/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه-/ مط مهر.

المحاسن: أحمد بن محمّد البرقى/ ت جلال الدين الحسينى/ دار الكتب الإسلاميّة.

المزار: الشهيد الأوّل/ تحقيق ونشر مدرسة المهدى (ع)/ قم/ ط: الأولى ۱۴۱۰ ه-.

المزار: الشيخ المفيد/ ط ۱/ مط مهر/ قم/ تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدى (ع).

المزار: محمد بن المشهدى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ الطبعة الأولى/ ۱۴۱۹ ه-.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۳

مشارق أنوار اليقين: رجب البرسى/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ۱۴۱۹ ه-.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئى/ الطبعة الخامسة/ ۱۴۱۳ ه-.

معجم أحاديث الإمام المهدى: مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۱ ه-.

مفاتيح الجنان/ الشيخ عبّاس القمى/ الطبعة الأولى/ قم/ ۱۴۲۱ ه-.

مجمع البحرين: فخر الدين الطريحى.

مجمع البيان: الطبرسى/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ الطبعة الأولى/ ۱۴۱۵ ه-.

معانى الأخبار: الشيخ الصدوق/ ت علىّ أكبر غفارى/ ط ۱۳۶۱ ه-/ انتشارات إسلامى.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئی/ ط ۵/ ۱۴۱۳ ه-/ ت لجنة.

معالم العلماء: ابن شهر آشوب.

مجمع الزوائد: الهيثمی/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ۱۴۰۸ ه-.

مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق (ع)/ مؤسسة الأعلمی/ بيروت/ ۱۴۰۰ ه-.

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسی/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت/ ۱۴۱۱ ه-.

مصباح البلاغة: حسن المير جهانی الأصفهانی/ ۱۳۸۸ ه-.

مستدرک الوسائل ومستنبط الوسائل: النوری/ مؤسسة آل البيت/ ط ۱/ ۱۴۰۸ ه-.

مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل/ طبع ونشر دار صادر/ بيروت.

مشكاة الأنوار: أبو الفضل علی الطبرسی/ دار الحديث/ قم/ الأولی.

من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم/ ط ۲/ ۱۳۹۲ ه-.

المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبی خلف الأشعری القمی.

الملل والنحل: الشهرستانی/ دار المعرفة/ بيروت.

مكارم الأخلاق: الشيخ الحسن بن الفضل الطبرسی/ الطبعة السادسة/ ۱۳۹۲ ه-.

الملاحم والفتن: ابن طاووس/ مؤسسة صاحب الأمر/ قم/ ط: الأولی ۱۴۱۶ ه-.

مناقب آل أبی طالب: ابن شهر آشوب/ ت مجموعة ط ۱۳۷۶/ مط الحيدرية/ النجف.

دعوی السفارة فی الغيبة الكبری(۲)، ج۲، ص: ۵۶۴

منتخب الأثر: لطف الله الصافی الكلبايكانی/ مكتب المؤلف/ ط ۱/ ۱۴۲۲ ه-.

الميزان فی تفسير القرآن: السيد الطباطبائی/ مؤسسة النشر الإسلامی/ جماعة المدرسين/ قم.

ميزان الحكمة: محمّد الری شهری/ دار الحديث/ قم/ الطبعة الأولی.

نهج البلاغة: خطب الإمام علیّ (ع)/ ت محمّد عبده/ الناشر دار المعرفة/ بيروت.

النور المبين فی قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائری.

وسائل الشيعة: الحر العاملی/ ط ۲/ ۱۴۱۴/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ مط مهر/ قم.

ينابيع المودة: سليمان القندوزی الحنفی/ ت علیّ الحسينی/ ط ۱/ ۱۴۱۶ ه-/ دار الأسوة.

***

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹